



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الوادي
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية



الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

عنوان الأطروحة:

الروابط الاجتماعية والثقافية
بين إقليمي وادي سوف والجنوب التونسي
(1881 - 1962م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل م د)
في التاريخ تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالب:

- محمد العيد قدع

إشراف:

أ. د. علي غنابزية

لجنة القراءة والمناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
أ.د. محمد السعيد عقيب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	رئيسا
أ.د. علي غنابزية	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مشرفا ومقررا
د. عثمان زقب	أستاذ محاضر أ	جامعة الوادي	مناقشا
د. عبد الكامل عطية	أستاذ محاضر أ	جامعة الوادي	مناقشا
د. جمال بلفردى	أستاذ محاضر أ	المركز الجامعي-بريكة	مناقشا
د. عباس كحول	أستاذ محاضر أ	جامعة عنابة	مناقشا

السنة الجامعية: 1440-1441هـ/2019-2020م



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الوادي
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية



الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

عنوان الأطروحة:

الروابط الاجتماعية والثقافية
بين إقليمي وادي سوف والجنوب التونسي
(1881 - 1962م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل م د)
في التاريخ تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إشراف:

إعداد الطالب:

أ. د. علي غنابزية

- محمد العيد قدع

لجنة القراءة والمناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
أ. د. محمد السعيد عقيب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	رئيسا
أ. د. علي غنابزية	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مشرفا ومقررا
د. عثمان زقب	أستاذ محاضر أ	جامعة الوادي	مناقشا
د. عبد الكامل عطية	أستاذ محاضر أ	جامعة الوادي	مناقشا
د. جمال بلفردى	أستاذ محاضر أ	المركز الجامعي-بريكة	مناقشا
د. عباس كحول	أستاذ محاضر أ	جامعة عنابة	مناقشا

السنة الجامعية: 1440-1441هـ/2019-2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ **الحجرات: 13**

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: ﴿تَعَلَّمُوا مِنْ أَسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ

أَرْحَامَكُمْ فَإِنَّ صَلَاةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ مِثْلُ مِثْرَةِ الْمَالِ مِثْلُ مِثْرَةِ الْإِثْرِ﴾

رواه الترمذي، الصحيح 276

جزائر والخنصر أختان في الهوى وفي خاليد الأجيال قد كانتا رثقا
هي الوحدة الكبرى فمن رام قطعها فقد رام أن يستل من صلبنا عزقا

شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكرياء

فَلَا عِيدَ يَحُلُّوْ وَيَنْزَرْتُ نَهْبًا وَشَعْبُ الْجَزَائِرِ دَامَ يُعَانِي

الشاعر التونسي محسن بن حميدة

شكر وعرفان

أحمد الله عزّ وجلّ، الذي أسدل عليّ نعمه ظاهرة وباطنة، وجعلني مسلماً موحداً، وتكرم عليّ بجوده وفضله ومعونته، وألطف حوله وقوته وقدرته، فأتمت هذا البحث .

ثم أتقدم بخالص الشكر وأسمى عبارات التقدير والعرفان، لكل معلمي وأساتذتي الأفاضل منهُ ولصحت فلما في كتاب مسيّد الحبي سنة 1977م، إلى نهاية حراستة العليا، فجزاهم الله عنّ خير الجزاء، وجعل علماً في ميزان حسناتهم، بما فعله الأخصوكة إلا نتاج تعليمهم وتوجيههم.

وأقول لهم متمثلاً بقول الشيخ العربي بن عمار :

يا شيوخا لهم عظيم احترامي ودعائي ولاعجائي وغرامي
لست أنس ما قدموه لنفعي من جهود التعليم وفق مرامي

وفي هذا المقام أجد نفسي مجبراً على تقديم الشكر للأستاذ الدكتور محمد السعيد عقيب، الذي رافقنا إدارياً وعلمياً، أثناء الدراسة في مرحلتي الماستر والدكتوراه، فكان نعم المرافق والموجه. وفي نفس الإطار أتوجه بأسمى عبارات التقدير للأستاذ الدكتور عاشوري قمعون، أحد أساطين كتابة التاريخ المحلي لسوف، وأحد موسوعاته ومراجعته.

دون أن أنسى التوجه بالشكر الجزيل إلى الأساتذة أعضاء اللجنة، المتفصلة بقراءة وتصحيح ومناقشة ونقد دراستي المتواضعة، ولا شك أن مجهودهم إضافة للأطروحة، يزيد بها ألقاً. وأخيراً أقدم شكري لكل من أرشدني أو أعانني أو نصحني أو شجعني، ولو بدعوة بظاهر الغيب دعاها، أو بدعوة لحضور مناقشتي لبّاءها، وكثير منهم أرادوا الحضور ولم يستطعوا لكن قلوبهم كانت معي.

أهدي عملي المتواضع هذا إلى:

- والديّ الكريمين، اللهم ارحمهما كما ربياني صغيرا، وإلى كل أفراد عائلتي الكبيرة.
- زوجتي وأولادي الأعزاء، حيث أخذتني الأطروحة عنهم كثيرا، ومع ذلك لم يتوقف تشجيعهم لي قصد إتمامها.
- الشعوب الإسلامية التي تناضل لأجل خلاصها ورقيا واستعادة مكاتها بين الأمم، وأخص بالذكر الشعبين الجزائري والتونسي.

محمد العيد قدع

ربيع الأول 1441 هـ / نوفمبر 2019 م

Fadrod077@gmail.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

التعريف بالموضوع:

تمثل بلاد المغرب منذ القدم وحدة إقليمية طبيعية وبشرية، فعلى مستوى الجانب البشري كان ممثلاً في الأمازيغ ثم التنوع العرقي مع الأقوام الوافدة، وأبرزه كان مع الموجة الهلالية السليمية، التي عملت على مزج السكان بالعنصر العربي، وكرس عملية تعريب السكان، ولم يبق من الأمازيغ المحافظين على كامل خصوصياتهم، إلا القليل مقارنة بعددهم الحقيقي.

ومع هذا التنوع الإثني؛ فمن العسير وجود فواصل تقسم على أساسها بلاد المغرب إلى أقاليم، دون وجود قواسم مشتركة، ووشائج تربط بعضها ببعض، وأبرز هذه الروابط تتمثل في الجانب الاجتماعي، ثم الجانب الثقافي الذي هو نتاج الأول، لكن هذه الأواصر تشتت في مناطق وتضعف في أخرى، لعدة اعتبارات لعل أهمها العامل الجغرافي.

ومن بين مناطق المغرب العربي التي تجمعها أمتن الروابط وأوثقها، إقليمي وادي سوف بالجزائر والجنوب التونسي، إذ تعتبر منطقة متجانسة جغرافياً، تاريخياً وبشرية، لدرجة أن المتنقل بين كليهما لا يلحظ تفاوتاً، ويخالها امتداداً واحداً وجزءاً لا يتجزأ، ومن يرجع إلى تاريخ المنطقة يتبين له سبب التمازج والترابط الوثيق بين الإقليمين، حيث أن حركة الإنسان عبر تنقلاته المتنوعة، وهجراته المتعددة الجماعية منها والفردية، كانت تمس الإقليمين على حد سواء، وهو ما أنتج تشابهاً في الخريطة البشرية، وبالتالي ترابطاً وثيقاً في الجانب الاجتماعي ومتعلقاته، خاصة التركيبة السكانية.

ومما لا جدال فيه أن التماثل الاجتماعي وترابطه، يلقي بظلاله على بقية المجالات، فينجرّ عنه التواصل في مختلف الميادين الأخرى خصوصا في المجال الثقافي، وأولها الجانب الديني بمعتقداته في فترة الدراسة، خاصة جانب التصوف الطرقي، وكذلك الجانب التعليمي بأنواعه ومستوياته وكيفياته ومآلاته ومراكزه.

أهداف الأطروحة:

تهدف هذه الدراسة إلى إمطة اللثام عن الحالة الاجتماعية في منطقتي وادي سوف والجنوب التونسي، من حيث البنية الاجتماعية، التي تتمحور حول تركيبة السكان وأصولهم، والتنقلات الجماعية والفردية، وذلك بالنظر لما كان عليه الحال قبل فترة الدراسة أي سنة 1881م، ثم محاولة تتبع التغيرات التي طرأت على المجتمعين طوال فترة الدراسة الممتدة بين (1881-1962م)، في كل الحثيات المدروسة، والمؤثرات التي تقف وراءها.

وأبرز هذه المؤثرات وجود الاحتلال الفرنسي الجاثم على النحور والصدور، والذي كان له تأثير كبير على الوضع الاجتماعي بالإقليمين خاصة في منطقة وادي سوف، التي عاش أهلها معيشة ضنكا، جراء السياسة الاستعمارية، التي حاولت ضرب البنية الاجتماعية للقبائل والعروش وتفكيكها، لتسهيل السيطرة على السكان، وإضعاف روح الجماعة لتفادي تبلور المقاومة، الأمر الذي أفرز عملية هجرة واسعة من سوف إلى الجنوب التونسي، وتأثير كل ما سبق في عملية ترابط الإقليمين.

ومن ضمن أهداف هذا البحث كذلك تناول مظاهر الحياة الثقافية بالإقليمين، المرتبطة أساسا بالوضع الاجتماعي، فيتناول الوضع الثقافي قبيل الفترة محل الدراسة، ثم يتوغل في دراسة الحياة الثقافية على المستوى الديني والتعليمي والتراث الفكري في كل من منطقتي وادي سوف والجنوب التونسي، مع إبراز مستوى العلاقات الثقافية والفكرية التي ربطت المنطقتين، من حيث البعثات العلمية من سوف إلى تونس، وتأثير الطلبة في المجال الثقافي بالمنطقتين،

والزيارات المتبادلة لرجال العلم والثقافة والصالح، وما انجر عنها من مجهودات في هذا المجال، من إنشاء للمراكز الثقافية بأنواعها كالمساجد والمدارس، ونقل للمعارف والعلوم وتلقيها للناشئة بصفة خاصة، ونشر الطرق الصوفية وزواياها.

دواعي اختيار الموضوع:

إن ما دفعني لخوض غمار هذا البحث، هي دواعٍ ذاتية وأخرى موضوعية، فأما الأولى؛ فإنني أعترف أن لدي رغبة في البحث حول التاريخ المحلي لسوف، المرتبط بصفة كبيرة بالقطر التونسي، وهذا الشعور ما برح يعتل في صدري، حتى أن كل دراساتي الأكاديمية، لنيل شهادتي الليسانس والماستر، ارتبطت بين الجزائر وتونس، فكان هذا مثيرا للرغبة الجامعة بداخلي، ودافعا قويا للبحث حول البلدين في هذه الأطروحة كذلك، فاقترحت الفكرة على الأستاذ المشرف فباركها.

وأما الأسباب الموضوعية، فتعود:

- لأهمية الموضوع من حيث أنه يتناول فترة من ماضينا، والتي تدخل في إطار التاريخ المحلي، الذي هو إتجاه مهم وجديد في الدراسات التاريخية الحديثة، المتخصصة في دراسة الحياة الاجتماعية والثقافية، للمجتمعات المحلية حيث تدرس خصوصياتها، التي تختلف عن بقية الأقاليم داخل القطر الواحد، مع جدّة الموضوع تجعله جديرا بالبحث والتتقيب.
- إعطاء لمحات عن مدى ترابط الشعبين، ومحاولات سلطة الاحتلال تفكيك هذا التواصل وفصم عراه.
- أهمية توطيد العلاقات بين الأقطار العربية والإسلامية، باعتبارها السبيل الأمثل للخروج من أزماتنا، والعلة في تبوئنا مرتبة مشرفة بين الأمم، ولنا في تكتل الإتحاد الأوربي مثالا يحتذى.

- إن توطيد العلاقات بين الأقطار العربية والإسلامية، تسهل عندما تدرك الأجيال أصلها الواحد، وماضيها المشترك، ومآلها المترابط.
- زيادة على أنه يدخل ضمن نطاق التخصص "تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر".

الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات التي تناولت إحدى المنطقتين، وكذلك وجود بعض البحوث التي تبرز العلاقة بينهما، في الميدان الاقتصادي أو الاجتماعي أو التصوف...، بين وادي سوف وبعض مناطق تونس خاصة إقليم الجريد، وأهم هذه الدراسات هي أعمال الملتقى الدولي الذي نظّمته جامعة الوادي حول "التوصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس (1881-1954م)" المنظم أيام 11/10 نوفمبر 2013، من طرف قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية-جامعة الوادي، حيث تعد مداخلته مصدرا مهما لموضوعي، خصوصا مع القيمة العلمية للأساتذة المشاركين فيه، بالإضافة إلى رسالة الماجستير لصاحبها عثمان زقب: "الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف 1918-1947 وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا"، وهو مهم جدا في توضيح العلاقات التاريخية والمتواصلة بين الإقليمين، حيث أفادني في جانب العلاقات الاجتماعية.

وكذلك ما تناول إقليم وادي سوف: من مقالات أبو القاسم سعد الله، وكتاب إبراهيم مياسي "الصحراء الجزائرية في ضلال وادي سوف"، والتأليف المتعددة لعاشوري قمعون الذي يعد من الرواد في كتابة تاريخ سوف، ومن أبرزها كذلك دراسات علي غنابزية، حيث تنصدها رسالة الماجستير الموسومة "مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 13هـ/19م"، ورسالة الدكتوراه بعنوان "مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1300-1374هـ/1882-1954م"، اللتان تعدان الرائدتان في دراسة تاريخ سوف،

ولا نعلم دراسة جاءت بعدهما ولم تأخذ عنهما، وأطروحة الدكتوراه لموسى بن موسى: "التغلغل الاستعماري بوادي سوف بين المقاومة والتأقلم 1854-1947م، والتي تحتوي كذلك على إشارات مهمة في العلاقة بين منطقتي الدراسة، لعل أبرزها هجرة أهل سوف للجنوب التونسي. أما تاريخ الجنوب التونسي: فتأتي في الطليعة أعمال الندوة الدولية الثانية عشر حول "الجنوب التونسي من الاحتلال إلى الاستقلال 1881-1956، إعداد مجموعة من الأساتذة المتخصصين، والتي مست مناطق شتى من الجنوب التونسي، وميادين مختلفة من تاريخ المنطقة، وكذلك دراسة "تاريخ شبه جزيرة جرجيس" لسالم لبيض، بالإضافة إلى كتاب بلقاسم بن جراد "قابس عبر التاريخ"، وكتاب "نوافذ على تاريخ نفزاوة" لمحمد ضيف الله، والكتب الثلاثة الأخيرة تتناول المناطق المشار إليها بالتفصيل، عبر مختلف العصور.

إشكالية البحث:

مما سبق ذكره؛ ولا يعزب عن أحد بأن العلاقات بين المناطق المتجاورة من القطرين "التونسي والجزائري"، ومنهما منطقة وادي سوف والجنوب التونسي، تمتاز بالمتانة والاستمرارية، وأهمها الروابط الاجتماعية والثقافية.

وللوقوف على جوانب من هذه الروابط، يتولّد لدينا الإشكال الرئيس لهذه الدراسة:

- ما مدى ترابط منطقتي "وادي سوف والجنوب التونسي" إجتماعيا وثقافيا، في الفترة ما بين 1881-1962م؟

ومن خلال الإشكال السابق، كان لزاما علينا طرح التساؤلات الآتية:

- ما هو دور العوامل الجغرافية والأحداث التاريخية، في نشأة الروابط بين المنطقتين؟
- كيف ساهم الأصل المشترك لسكان المنطقتين، والهجرات المتبادلة في تمتين هذه العلاقات؟
- ما مدى مساهمة الزيارات والبعثات العلمية، والطرق الصوفية، في التواصل بين المنطقتين؟

والعلة في تحديد البداية بسنة 1881م، ذلك أن هذه السنة تمثل وقوع تونس تحت الحماية الفرنسية، وبعدها بسنة توطن الإدارة الاستعمارية بوادي سوف، أما نهاية الدراسة فكانت سنة 1962م، وفيها إستقلال الجزائر، ومن ثم عودة اللاجئين الجزائريين إلى مناطقهم، ومنهم اللاجئين السوافة بالجنوب التونسي، الذين كانوا عمدة الترابط بين الاقليمين.

أما سبب تقديمنا الميدان الاجتماعي على الثقافي، لأن الإنسان هو الذي يصنع الثقافة، وعليه فإن الميدان الثاني هو نتاج الأول.

مصادر ومراجع البحث:

- ولمعالجة الموضوع والإجابة عن إشكاليته اعتمدنا على مصادر ومراجع منها:
- **تقارير ووثائق أرشيفية:** ومنها التقارير الجهوية حول وضعية البيئة لمختلف مناطق الجنوب التونسي لسنة 2014، الصادرة عن المرصد التونسي للبيئة والتنمية المستدامة، وقد أفادت خاصة في الخصائص الطبيعية لمناطق الجنوب التونسي، وكذلك وثائق الأرشيف التونسي، بالإضافة إلى تقارير ومذكرات الرحالة المكتشفين والعسكريين الأجانب خاصة الفرنسيين حول المنطقتين، وأبرزها كتاب الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم، وهو عبارة عن تقارير مستكشفين فرنسيين، تخص منطقة وادي سوف أو الأقاليم المحيطة بها بين سنتي "1845-1915م"، ترجمه عن الفرنسية عبد القادر ميهي، وتكمن أهميتها أن أصحابها أغلبهم شاهد عيان زار منطقة سوف، ونقل ما شاهده، مع وجوب الحذر منها بصفتها تخدم أيديولوجيا المحتل، مثل قول أحدهم أن العنصر البربري يطغى على أصل السوافة...، أو لأن أصحابها يجهلون بعض خصوصيات المنطقة، لإختلاف خلفيتهم الثقافية عنها.
 - **الروايات الشفوية:** لمن عايشوا الحقبة التاريخية لمجال الدراسة، وكانوا شهودا على التواصل الاجتماعي بين سكان سوف والجنوب التونسي.

- **مداخلات الملتقى الدولي حول "التوصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس (1881-1954م)"** المشار إليها في الدراسات السابقة. واحتوى الملتقى على مداخلات علمية، تمحور الكثير منها حول العلاقات بين وادي سوف ومناطق من تونس خاصة بلاد الجريد، خاصة في الجانب الثقافي.
- **ما تناول تاريخ وادي سوف:** من مصادر ودراسات أكاديمية، وأهمها: كتاب الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، الذي يعتبر العمدة في تاريخ سوف، والمرجع الأول في معرفة أنسابها، وتركيبية سكانها، وكل الذين تناولوا تاريخ المنطقة أخذوا عنه، إلا أن الكثير منهم كان أخذه نقلا دون نقد لبعض المعلومات الواردة، خاصة في مجال أنساب السكان، ولا نزع أن مآخذنا على صاحب الصروف وغيره من المراجع، هي الحقيقة الصرفة، لكن حسبنا شرف الاجتهاد.
- **ما تناول تاريخ الجنوب التونسي:** في جانبه المحلي، ومن هذه الدراسات: محاضرات أعمال الندوة الدولية الثانية عشر حول "الجنوب التونسي من الاحتلال إلى الاستقلال 1881-1956، المنعقدة بتونس أيام 6 و 7 و 8 ماي 2004"، والمنظمة من طرف المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، وقد تناولت كل مداخلات الندوة التاريخ المحلي لمجتمعات من الجنوب التونسي، وكانت دراسات مهمة جدا وغاية الجدية، بالإضافة إلى دراسات أخرى.

خطة الدراسة:

وبعد الحصول على المادة العلمية للموضوع، تم تحديد خطة تمحورت حول مقدمة وستة فصول، **فالفصل الأول** تناول جغرافية المنطقتين وفي **الفصل الثاني** تطرق إلى التسلسل التاريخي، وتكمن أهمية ذلك في إبراز الدور الذي لعبته الخصائص الطبيعية والأحداث

التاريخية في تأسيس الروابط الاجتماعية والثقافية بين منطقتي وادي سوف وبلاد الجنوب التونسي.

أما **الفصل الثالث والرابع** من الأطروحة فيتناول الروابط الاجتماعية، عبر أصل سكان المنطقتين، وتركيبتهما البشرية في فصله الثالث، وفي الفصل الرابع يبرز الهجرات البشرية، التي -هي دون شك- تلعب دورا هاما في تمتين الروابط الاجتماعية.

و**الفصل الخامس والسادس** يغطي الروابط الثقافية، فالفصل الخامس يبين العلاقات بين منطقتي وادي سوف والجنوب التونسي، من جانب الحياة العلمية بزيارات العلماء، والبعثات الطلابية، والفصل السادس يتناول مختلف الطرق الصوفية، التي لها دور هام في التأثير على المريدين بكلا المنطقتين، وبالتالي تساهم في التفاعل بينهما.

وأنهينا الدراسة بخاتمة تضمنت حوصلة للدراسة، بإيراد لأبرز نتائجها، ومحاولة الإجابة عن الإشكالية المطروحة، كما تضمنت توصيات نراها ضرورية، للرقى بالبحث في التاريخ المحلي لسوف، وربطها بالأقاليم المجاورة، وتأثرا وتأثيرا.

ثم ذيلنا البحث بملاحق للزيادة في التوضيح والاستشهاد، ولا سيما الخرائط التي تم إنجازها والاجتهاد لخراجها بما يخدم هذه الدراسة، وفهّارس تسهل على القارئ البحث عما يرومه من هذه الأطروحة.

منهج الدراسة:

المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التاريخي، لوصف الأحداث وسردها، وقراءتها وتحليلها، ومن ثمّ استقراء المادة العلمية ذات الصلة بمحاور الدراسة، وفي الأخير بناء الفكرة، بما يخدم الهدف من هذا البحث، وهو الإجابة عن إشكالية الدراسة وفق الخطة المسطرة.

الصعوبات والعراقيل:

- برزت عدة صعوبات أثناء إنجاز هذا البحث، حاولنا تذليلها قدر الامكان، ومنها:
 - صعوبة الموضوع، حيث أنه يندرج ضمن التاريخ المحلي، الذي تقل فيه المصادر المتخصصة من شهادات ومذكرات، ومراجع أكاديمية، وإن تعددت هذه المراجع فلا تعدو كونها تردد نفس المعلومات، والقليل منها الذي يضيف الجديد، كما نجد الكتابات الحرة، وبعض الأكاديميين الذين يكتبون في مجال التاريخ من غير تخصص، حيث تقتصر كتاباتهم للآليات المنهجية للبحث التاريخي، وتعيد أغلب كتابات العدواني والعوامر، وتضيف عليها من مراجع أخرى، إقحاما غير مبرر، ومع ذلك لا بديل في الأخذ منها بحذر، في ظل نقص المادة العلمية المتخصصة.
 - عدم التمكن من جمع معلومات ميدانية، من كامل مناطق الجنوب التونسي، لاعتبارات شخصية وأخرى سياسية، نظرا لما تشهده البلاد التونسية من أحداث.
 - تنوع ميدان الدراسة، وطول الفترة الزمنية، مع اتساع المساحة الجغرافية "كامل أقاليم الجنوب التونسي"، فقد كان من الأجدر تناول إقليم واحد مثل الجريد التونسي أو إقليم نفزاوة، والإقتصار على أحد شقي الدراسة، فإما العلاقات الاجتماعية أو الثقافية، دون أن ننسى طول المدة التي تقارب القرن من الزمان، في فترة شهدت أحداثا كثيرة، ووجوب الإطلاع على أقصى ما نستطيعه، وكلما ازددنا توغلا في الموضوع ازددنا تشعبا.
 - عدم التفرغ التام للبحث، بسبب المسؤوليات الملقاة على عاتقنا، مع الأخذ بعين الاعتبار قيمة البحث العلمي في هذا المستوى، وضرورة التفرغ له.

أخيراً:

لا يفوتني هنا أن أتقدم بجميل عبارات الشكر والامتنان، للأستاذ الدكتور علي غنابزبة المشرف على هذه المذكرة، ليس فقط عرفانا بمجهوداته في تصحيح ما وقع في هذه البحث من خطأ، ومحاولته الجادة لتفادي كل زلل، وتوجيهه لي حتى خرج في هذه الحلة، ولكن شكري يمتد له بصفته أبرز الذين كتبوا حول تاريخ وادي سوف، وما فتئ يحرض الطلبة عليه، باقتراح المواضيع عليهم وتأطيرهم ومساعدتهم، ومنها مذكرتي في إطار نيل شهادة الليسانس، وهذه الأطروحة.

في النهاية نقول لا مشاحة في أن كل عمل إنساني مهما بلغ شأوه، وعلا صيته، وتناولته الأفواه بالثناء، معرض للخطأ والنقصان، مليء بالهفوات بل الزلات، ناهيك بهذا البحث المتواضع، فنكون ممنونين لمن رامه بالنقد والتصحيح تعميماً للفائدة، ونرجوا من الله التوفيق والسداد، وأن ينفع بهذا البحث طلاب العلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

محمد العيد قدع

محرم 1441هـ / سبتمبر 2019م

الفصل الأول:

الموقع الجغرافي

وتأثيره في ربط العلاقات بين المنطقتين

أولاً: منطقة وادي سوف

- التسمية -الموقع والحدود.
- الخصائص الطبيعية: التضاريس -مظاهر السطح -الخصائص المناخية.
- الغطاء النباتي وحيوانات المنطقة.

ثانياً: الجنب التونسي

- التسمية -الموقع والحدود.
- الخصائص الطبيعية: التضاريس -مظاهر السطح -الخصائص المناخية.
- الغطاء النباتي وحيوانات المنطقة.

المراجع المعتمدة:

- الأطلس الشامل للجزائر والمغرب العربي ص 86
- تاريخ العدواني: المصدر السابق ص 73
- برنامج قوغل مارت

- 12 -

إن العلاقة بين الأحداث التاريخية على أي منطقة وجغرافيتها وطيدة بل حتمية، ذلك أن الأحداث التاريخية إنما تقع على مساحة جغرافية، وإذا فكلاهما يؤثر في الآخر ⁽¹⁾، ومن هنا كان من الضروري تناول جغرافية الرقعة محل الدراسة، وهي منطقتي وادي سوف والجنوب التونسي.

أولاً: إقليم وادي سوف

منطقة سوف إقليم تاريخي، وأرض واسعة مترامية الأطراف، تضم الكثير من القرى والمدامر، قاعدته مدينة الوادي، المسماة مدينة الألف قبة وقبة، وهذه التسمية أطلقتها عليها الباحثة إيزابيل أبرهاردت حينما أدهشتها كثرة القباب بالمنطقة التي تعطي طابعا فريدا.

1- التسمية ومعانيها:

"وادي سوف" مركب من كلمتين، وإذا كانت كلمة "الوادي" تبدو جلية غير مبهمة، فإن كلمة "سوف" يكتنفها الغموض، ومع ذلك فإن الباحثين لم يتفقوا على مدلول معين لكلا الكلمتين، خاصة كلمة "سوف"، إذ لا يوجد لها أصل واحد للتسمية، ويزداد الأمر تعقيدا، إذا علمنا أنه يتنازعها تفسيرها الأصل العربي والأمازيغي، وأهمها:

(1) فالمدن الرافدية والمصرية ما كانت لولا دجلة والفرات والنيل (الجغرافيا تؤثر على التاريخ)، وحضارات بلاد الرافدين المتعددة، والحضارة الفرعونية، أثرت في هذه المدن وما حولها، من استصلاح أراضي وتوطئة مجالات أخرى للتوسع... (التاريخ يؤثر في الجغرافيا). أنظر: أوغست-أنطوان دي باتي دي كلام: ومضات من تاريخ نفطة، تع لطفي الطرودي، مطبعة الجريد، نفطة، 2009. ص 3-5.

ولولا زمزم ما تأسست مكة (الجغرافيا تؤثر على التاريخ)، وبناء الكعبة جعلها للناس مقصدا ومحجا، فأثرت في المنطقة بتوسعها، على الرغم من أنها وادي غير ذي زرع... (التاريخ يؤثر في الجغرافيا). ولنا في سوف خير مثال، فقد جعل السوفي من الأراضي القاحلة، محلا للزراعة، بحفر الغيطان وتنشيتها بالزروب، فأصبحت بمنأى من بعض تأثيرات الطبيعة، فخلق بيئة "جغرافية" جديدة "واحات" وسط البيئة الصحراوية المترامية.

الأصل العربي:

- أنها كانت محلا لأهل الصوفة، أي أهل التصوف منقطعين فيها للعبادة.
- نسبة للصوف، الذي كان ملبس أهلها الأولين، لعدم وجود غيره من المنسوجات عندهم.
- نسبة لرجل كان يقيم بها، ويدعى ذا السوف، أي صاحب الحكمة.
- نسبة لقوم من سوف البصرة "قرب حلب السورية"، دخلوها مع الهجرة الهلالية واستوطنوها. (1)
- نسبة للسيوف وهي الأحقاف أو الكتبان الرملية (2)، وذلك أن العرب حين أتوا لهذه النواحي قالوا نسكن تلك السيوف، ثم حذفت الياء بكثرة الاستعمال وتداولها العامة، فدرجت عندهم كلمة سوف. (3)

(1) أثناء بحثي في الأطالس وعبر برنامج قوقل إرث على الانترنت، لم أعر على هذه القرية قرب حلب السورية، ولكني عثرت على بلدة إسمها "وادي سوف" في محافظة جرش شمال الأردن، تبعد عن مدينة جرش 8 كم إلى الجهة الشمالية الغربية، وحوالي 25 كلم شرق الضفة الغربية من فلسطين عجل الله فرجها.

وأهل هذه البلدة ينقسمون حسب معيشتهم إلى حضر مزارعون، وبدو رحل رعاة الابل والغنم والماعز، توجد بها عشيرة تدعى العدوان، فهل يمتون بصللة لعدوان وادي سوف بالجزائر ؟ لا سيما أن المؤرخ عاشوري قمعون الذي زارها في أفريل 2012م، وتحادث مع بعض أهلها، وتعرف على تاريخها، وجددهم شبيهين إلى حد بعيد بسكان سوف الجزائرية. محادثة مع أ. د. عاشوري قمعون على صفحات التواصل الإجتماعي "فيسبوك"، يوم 08 مارس 2019.

وعلى حدّ رواية نفر من أهلها فإن الكتابات القديمة تشير إلى أن اسم سوف هو كلمة لاتينية معناه النهر، أو بلدة الينابيع، أو المنتجع، أو المنتزه، ولعل التسمية نسبة إلى المياه هي الأقرب إلى وصف واقع سوف الأردن، حيث بها ينابيع كثيرة، فهي تحتوي على أكثر من أربعين عين ماء، منها: عين سوف، وعين وادي سوف... ويظهر التطابق بين هذا المعنى، والمعنى الأمازيغي المتداول في وادي سوف، أزوف = الوادي. أنظر: عهود عبد الله محمود عودة: ناحية جرش في عهد التنظيمات العثمانية 1864-1918م، رسالة ماجستير، إشراف علي محافظة، الجامعة الأردنية، 1969. ص ص 16-26. وكذلك: عادة سبايا: تقرير حول سوف في جرش، برنامج تلفزيوني، قناة رؤيا الاردنية الفضائية على يوتيوب، 2014/01/17. <https://www.youtube.com/watch?v=Okr6EVoVJgk> والملحق رقم 01، ص 298.

- (2) سميت الكتبان بالسيوف لحدة حرفها أي أعلاها وتموجه، كأنه سيف.
- (3) كل التسميات سالفة الذكر مأخوذة من كتاب الصروف، وهو أول من ذكرها. إبراهيم العوامر: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق الجيلاني العوامر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1397هـ / 1977م. ص ص 38-39.

الأصل الأمازيغي:

- أصلها آزوف وتعني في البربرية الوادي (1)، وبالتداول أبدلت الزاي بالسين وحذفت الألف أولها، فصارت سوف.
- أسوف والتي تعني الوادي الهادر، الذي يقال أنه كان يجري بالمنطقة (2) إلى القرن 8هـ/14م. (3)
- نسبة لقبيلة مسوفة البربرية التي مرت على هذه البقاع، ولعلمهم سكنوها ردحا من الزمن (4)
- أما ظهور كلمة "سوف" بدون ألف، فقد كان أثناء القرن 13م، وذلك عند أبي العباس أحمد الدرجيني (ت 670هـ). (5)
- ومما سبق يظهر جليا أن أكثر التسميات يغلب عليها طابع التكلف وتحميل الكلمة أكثر مما تحتل، ومن الطريف وأنا أبحث عن معاني كلمة سوف وجدت من معانيها:
- سوف: المسافة والمضرب البعيد.
- السواف: ذهاب المال وهلاكه، يقال أساف الرجل، إذا وقع في ماله سواف، أي موت. (6)

(1) Jeanne Scelles Millie: **Contes Sahariens du souf**, Maisonneuve et Larose, Paris, France, 1964. P17

(2) إن القول بجريان الوادي إلى القرن 14م، تدحضه الأحداث التاريخية، منها ما ورد في كتاب الصروف، عن تنازع طرود وزناتة من أجل الماء في القرن 11م، الذي هو حتما شحيح بالمنطقة، وإلا لما اقتتل عليه القوم. إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 164.

(3) أنظر: أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر: **سير الأئمة وأخبارهم**، تح أسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1984. ج2، ص ص 244، 249. وكذلك إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 48.

(4) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 39.

(5) أبو العباس أحمد الدرجيني: **طبقات المشايخ بالمغرب**، تح إبراهيم طلاي، مطبعة البعث-قسنطينة، الجزائر، 1974. ج1، ص ص 152-153. وأيضا: نفس المصدر ج2، ص ص 482، 500.

(6) أنظر: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، تح علي هلال، ط2، مطبعة حكومة الكويت، 1407هـ/1987م. ج23، ص ص 472-473.

واللطيف في الأمر أن هذه المعاني تحمل دلالات قريبة من الواقع، فالمنطقة متطرفة بعيدة عن الحواضر في ذلك الوقت، وكأنها آخر البلاد ونهايتها، وطبيعتها الجرداء القاسية ومفاوزها، مهلكة لمن اجتازها ناهيك عن سكنها، ومع ذلك فهذا ليس دليلاً على أن سوف تسمت كذلك لهذه المعاني.

أما كلمة الوادي فمعناها المكان المفرج ما بين جبال أو تلال أو آكام⁽¹⁾، أو المكان المستطيل المنخفض بين مرتفعات، والعادة أن هذا المكان يكون مجرى لمياه الأمطار، التي تتبع أدنى مستوى من الأرض، ومنه قول الخليل إبراهيم عليه السلام: "رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ..."⁽²⁾ "سورة إبراهيم: الآية 37"

إن معنى الوادي واضح لا خلاف عليه، لكن الاختلاف في أصل تسمية منطقة سوف بالوادي، فمن قائل أنها نسبة للوادي الذي كان يجري هنا في غابر الأزمان، ومن قائل أنه نسبة لحركة الرمال في المنطقة بفعل الرياح، كأنها حركة الماء في الوادي، وقول ثالث لكثرة تنقل أهله في الرحلة والتجارة وكأنها حركة الماء، وقول آخر أن العرب تقول للمكان المستطيل المتسع المحاط بالآكام "الوادي"، ولذلك فإن طرودا لما رأوها بهذه الصفة، قالوا فلنسكن هذا الوادي، وقيل لكثرة طرود وعدم انقطاعهم عن المسير، فقال من عاينهم: ما أراهم إلا كالوادي من أمواج متتالية⁽³⁾، وتذهب الكاتبة أبرهاردت إلى أن التسمية جاءت من كون أن البلدة تقع على منبسط بين الكثبان العالية، ثم تثبت التسمية من جديد، حيث تصف الرجال الآتين لتلبية

(1) محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، دار الهدى-عين مليلة، الجزائر، 2011. ص 1723

(2) كان نبي الله إبراهيم قد أسكن زوجه هاجر وابنه إسماعيل -عليهم وعلى نبينا السلام- بموضع مكة، حيث منخفض تحيط به الجبال، وكلما تهاطلت الأمطار بالمنطقة تجري كلها فوق هذا المنخفض، لدرجة أن السيول كثيراً ما كانت تحدث تصدعا بجدران الكعبة المشرفة.

(3) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص ص 90-91.

نداء المؤذن لصلاة المغرب: " من كل الكثران وكل الأودية المختفية... السوافة الطوال السمر ينزلون في صمت ووقار نحو الزوايا والمساجد ". (1)

ولا ندري، كيف تم الجمع بين "الوادي" و"سوف"؟ ومتى؟ فأصبحت وادي سوف، لكن أول مكتوب ذكره بهذا الجمع، كان في رحلة الأغواطي سنة 1829م (2)، ثم تلقفها الفرنسيون حيث وردت في تقرير طبي سنة 1886م (3)، لكن كلا الاسمين "سوف" ثم "وادي سوف" هو علم على "مدينة الوادي"، ثم عممت التسمية على كامل الإقليم. (4)

وبعد تقلب النظر في الآراء السابقة، فإني أميل إلى أن تسمية المنطقة "وادي سوف"، نسبة إلى بلدة "وادي سوف" السورية.

2- الموقع والحدود:

فلكيا منطقة وادي سوف محصورة بين خطي طول 06° و $10^{\circ}09'$ شرق خط غرينيتش، وبين دائرتي عرض $30^{\circ}15'$ و $34^{\circ}15'$ شمال خط الاستواء. (5)

(1) ايزابيل ابراهاردت: ساعة صلاة المغرب، تر عبد القادر ميهي، مجلة القباب، تصدر عن دار الثقافة بالوادي، الجزائر، ع01، جوان 2004. ص ص52، 54.

(2) الحاج ابن الدين الأغواطي: مجموع رحلات، تح أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2011. ص96.

(3) Docteur Escard: **Etude medicale et climatologique sur le pays de l'oued-Souf**, publié dans les archives de medicine militaire en 1886. T7. P33.

(4) ايزابيل ابراهاردت: ساعة صلاة المغرب، المصدر السابق. ص 54.

(5) أنظر: الملحق رقم 02، ص 299.

وتقدر مساحتها بحوالي 60 ألف كلم²، طولها شمالا-جنوبا من سطيل إلى غدامس لا يتعدى 575 كلم، وعرض أقصاه 130 كلم⁽¹⁾، وهنا يظهر الخلل الذي وقع فيه السيد فوزان في قياساته، وتبعه فيه أغلب الباحثين الذين أخذوا عنه.⁽²⁾

أما جغرافيا فإن سوف منطقة نائية جنوب تلول الاطلس الصحراوي، وفي شمال العرق⁽³⁾ الشرقي الكبير، شمال الصحراء الكبرى، وحدودها الآتي:

- من الشمال "الظهرة"⁽⁴⁾: سفوح جبال النمامشة والأوراس على خط نقرين وبلاد الزاب⁽⁵⁾
- من الجنوب "القبلة": واحات غدامس ومنطقة ورقلة، حيث الكتلة الضخمة من الكثبان.
- من الشرق: بلاد الجريد ونفزاوة، مرورا ببئر رومان حتى تخوم غدامس.⁽⁶⁾
- من الغرب ورقلة ووادي ريغ.⁽⁷⁾

ولمنطقة سوف أربعة طرق رئيسة، تمثل مدينة الوادي نقطة تقاطعها، وهي:

- طريق شمال-شرق نحو بلاد الجريد التونسي (نفطة ثم توزر).

(1) أنظر: الملحق رقم 03، ص 299.

(2) ذكر فوزان أن مساحة سوف 82800 كلم²، وأنها بطول 620 كلم من سطيل إلى غدامس، وعرض أقصاه 160 كلم من الشرق إلى الغرب. أندري فوزان: **سوف مونوغرافيا**، تر أبو بكر مراد، دار المعرفة، د.ط، الجزائر، 2016. ص 25

(3) العرق: المساحات الشاسعة المغطاة بالكثبان الرملية.

(4) يعبر أهل المنطقة عن اتجاه الشمال باسم الظهرة، كما يعبرون عن اتجاه الجنوب باسم القبلة، ومن هنا يمكن التكهن بأن أصحاب هذه التسمية كان يقطنون شمال مكة المكرمة، فكانوا أثناء الصلاة يتوجهون إلى الجنوب تلقاء الكعبة الشريفة فسموه القبلة، ويديرون ظهورهم للشمال فسموه الظهرة، وهذه إضاءة أخرى تتبئ أن الذين عمرو هذه المنطقة، ربما أتو من الشام، والله تعالى أعلم.

(5) علي غنازية: **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1300-1374هـ / 1882-1954م**، رسالة دكتوراه، مخ، إشراف أ.د. عمر بن خروف، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008-2009م. ص 13.

(6) Marc-Robert Tomas: **Sahara et communauté**, presses universitaires de France led, Paris, 1960. P37.

(7) أنظر الخريطة ص 12. وكذلك: إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 37.

- طريق الشرق نحو بلاد نفزاوة التونسية (دوز وقبللي) ثم يواصل إلى ميناء قابس.
- طريق شمال-غرب نحو بلاد الزاب (بسكرة).
- طريق جنوب-شرق نحو مدينة غدامس الليبية.
- طريق جنوب-غرب نحو منطقة وادي ريغ (تقرت).⁽¹⁾

3- التضاريس ومظاهر السطح:

تعتبر منطقة سوف من أخفض المناطق، ويعود ذلك إلى موقعها القريب من الشطوط المنخفضة⁽²⁾، حيث ترتفع حوالي 80 م عن مستوى سطح البحر، وبها أخفض مكان بالقطر الجزائري ويقع في شط ملغيغ حوالي 26م تحت مستوى سطح البحر.⁽³⁾

أ- مظاهر السطح:

الغالب على تكوين المنطقة العروق، حيث تغطي حوالي ثلاثة أرباع مساحتها⁽⁴⁾، والعروق هي كثبان رملية ناعمة صفراء وبيضاء تشبه دقيق القمح⁽⁵⁾، هذه الرمال تتحرك بصفة دائمة على مدار السنة، بفعل حركة الرياح، مكونة الكثبان، التي تبدأ في المناطق

(1) أنظر: ملحق رقم 04 ص 300 وملحق رقم 25 ص 318 وكذلك: أندري فوازن: المرجع السابق. ص 26.
L'administrateur "annexe d'El-oued", **Monographie**, archive de direction moudjahidine d'El-oued. p27
Capitaine Roger lesselle: **les Noires du Souf**, supplément au bulletin de liaison Saharien, S D. pp 08-09.

(2) أنظر: يوسف حليس: الموسوعة النباتية لمنطقة سوف، مطبعة الوليد-الوادي، الجزائر، 2007. ص 15.
(3) أنظر: محمد فخر الدين تراسي: الأطلس الشامل للجزائر والمغرب العربي، منشورات العوادي، عين البيضاء-الجزائر، 2011. ص 86.

Ahmed Nadjah: **Le souf des Oasis**, Edition la maison des livres, Alger, 1971. P10
Gouvernement Generale de l'Algerie: **le territoire du sud de l'Algerie**, Imprimerie Algerienne, Alger, 1929. P82.

(4) علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال ... مرجع سابق. ص 14.
(5) ولذلك يسمى أهل سوف هذه الرمال "السמידة" و"السמידية"، تشبها لها بدقيق القمح الذي يدعى في المنطقة "السמיד".

الشمالية صغيرة منخفضة ومتراصة ⁽¹⁾، على مساحات رملية متموجة، ثم يزداد ارتفاعها وتباعدها كلما اتجهنا جنوبا، وتتفصل هذه الكثبان -المتحركة عادة- عن بعضها بممرات، هي عبارة عن منخفضات غائرة ⁽²⁾ أو صحن ⁽³⁾، ويصل علو بعض الكثبان في أقصى الجنوب إلى 200 م وتسمى حينئذ "الغرد" ⁽⁴⁾. ⁽⁵⁾

ويمكن القول بأن منطقة سوف يتميز سطحها بوجود ثلاث أشكال مورفولوجية، هي:

- مناطق الصحن، وهي عبارة عن أراضي واسعة، مسطحة ومستوية، تتميز بتربة خشنة ثابتة، وطبقات صخرية متنوعة قريبة من سطح الأرض، ويقع أغلبها بين الوادي الشمال وحتى الحدود مع خنشلة وتبسة. ⁽⁶⁾

- مناطق الكثبان الرملية المتموجة والمتداخلة، وتحصر بينها منخفضات غائرة، وهي المنطقة الممتدة من الوادي إلى الجنوب حتى غدامس، في أعماق العرق الشرقي. ⁽⁷⁾

(1) تدعى الأرض المتصفة بكثبانها الصغيرة المنخفضة "خبنة"، فكأنها مخبونة أي مخفية، وكثير من مناطق سوف تحمل هذا الاسم، مثل خبنة عميش والخبنة الصفراء بوادي العلندة.

(2) يوسف حليس: المرجع السابق. ص 37.

(3) الصحن ج صحن: وهو الأرض الرملية المنبسطة الواسعة، سميت بذلك لأنها تشبه بالصحن، والجدير بالذكر أن لكل صحن إسمه في سوف، مثل "صحن الماسط" و"صحن الرتم" ... ليس هذا فقط وإنما لكل كثيب أو بئر وغيرها من الأماكن التي تبدو خالية أسماء تعارفوا عليها، وذلك حتى تكون لهم علامات تستدل بها قوافلهم ورعاتهم وعابري السبيل ...

(4) غُرد (واحد غُرْد): تطلق في وادي سوف على الكثبان العريضة العالية، ونفس اللفظ "غُرْد" يطلق في سوف على ذكر الحمام، وتتبع هذه كلمة (غُرْد) في المعاجم القديمة والحديثة فلم أعثر عليها.

(5) أنظر: إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص ص 40-41 وعلي غنازية: مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 13هـ/19م، رسالة ماجستير، مخ، إشراف أ.د. عمر بن خروف، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2000-2001م. ص 11 وكذلك أندري فوازان: المرجع السابق. ص 25.

(6) هذه الطبقات الصخرية تسمى الحمادات الرملية، وتتراكم فوقها الرمال بسمك يختلف من منطقة لأخرى، وتتفاوت الحمادات في الحجم وفي درجة الصلابة، فمنها "النافزة" بمنطقة الفولية وعميش ...، و"الترشة" بمنطقة سيدي عون والبهيمة ...، وكذلك "اللوسة" بمنطقة غمرة والمقرن والزقم ...، و"الصلصالة" بمنطقة غمرة والديلة والمقرن ... علي غنازية: مجتمع وادي سوف من خلال... المرجع السابق. ص 12. وإبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 42-44. A Nadjah: op. cit. p 14

(7) علي غنازية: مجتمع وادي سوف من خلال... المرجع السابق. ص 11 وكذلك إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 42-44 وأيضا يوسف حليس: المرجع السابق. ص 15 Ahmed Nadjah: op. cit. p 14

- تضاريس غير طبيعية، ناتجة عن العمل المستمر للإنسان، وذلك بحفر الغيطان، وإقامة المزارع، التي تؤدي إلى ظهور مرتفعات وروابي، مثبتة بالحواجز الصخرية والنباتية، وبالمقابل ظهور حفر ضخمة أين تتم غرسة أشجار النخيل. (1)

ب- التربة:

التربة في سوف رملية فقيرة من العناصر المعدنية والعضوية، وهي نفوذة جدا، وقدرتها على الاحتفاظ بالماء ضعيفة (2)، لونها بين الأصفر والأبيض، ويميل إلى الأحمر أحيانا، إذا زادت فيها مركبات الحديد (3)، حبيباتها مفتتة تنقلها الرياح بسهولة ويسر، ومع ذلك لها مميزات تؤهلها لأن تكون صالح للزراعة، فهي جيدة التهوية، ينفذ الماء من خلالها بسهولة، ولا تنتشق عند الجفاف، كما أنها سهلة الخدمة وغير مكلفة. (4)

تعتبر الشطوط أهم مناطق التربة المالحة بسوف، وهي مصدر مهم لملح الطعام، الذي يستخرج ويعالج ثم يطرح في الأسواق لتسويقه، وأجوده الإندراني والداراني، ثم ملح العجين، وأدناه الملح الأبيض بسواد ويدعى المرّ. (5)

ج- الصخور:

يوجد بمنطقة سوف نوعان شائعان من الصخور، هما:

- **حجارة اللوسة:** تتكون حجارة "اللوسة" وما شابهها، من معدن الجصّ "كبريتات الكالسيوم"، وتنشأ بفعل الحرارة (6)، ووجود الرطوبة وبعض الأحماض، فتتشكل عنه

(1) يوسف حليس: المرجع السابق. ص 15

(2) ومع سلبات التربة هذه إلا أن الفرد السوفي استطاع بكده أن يجعل منها صالحة لغرسة النخيل والزراعة.

(3) حسب الشيخ العوامر - البعيد عن علوم الجيولوجيا-، أن لون الرمل يتأثر بأحوال الطقس، فيكون التراب أصفر وقت الحر، وأبيض وقت البرد، أما عند الاعتدال فيكون لونه أحمر. إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 41. وقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة تأثير المناخ في لون التربة. يوسف حليس: المرجع السابق. ص ص 18-19.

(4) يوسف حليس: المرجع السابق. ص ص 18-19.

(5) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 44 وكذلك يوسف حليس: المرجع السابق. ص 20.

(6) تحدث صاحب الصروف عن دور الحرارة في تكوين حجارة اللوسة. إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 41.

حجارة مختلفة الأحجام والأشكال والعمق تحت التربة، بعض هذه الحجارة بديع الشكل، يدعى ورده الرمال "Roses des Sable"، حيث تطلّى بالبرنيق "Vernis" وتعرض للبيع، فيقبل عليها السياح الذين يقتنونها لجمالها، ويأخذونها معهم لبلدانهم كتذكّار سفرهم لهذا المصر، أما السكان فيستعملون حجارة اللوس في عملية البناء كلبّات، وهناك حجارة أخرى شبيهة باللّوس لكنها ملساء تدعى "الصلصالة" أو "الصوان" وتستعمل كذلك في عملية البناء. (1)

- **حجارة التافزة:** تتكون أساسا من كربونات الكالسيوم، وهذه الحجارة هي المادة الأولية لصناعة الجبس المحلي، بعد حرقه ثم تقطّيته وطحنه، هذا الجبس يستعمل في عملية البناء، كمادة لاحمة لحجارة اللوسة مع بعضها البعض، وتوجد حجارة أخرى يصنع منها الجبس تسمى "الترشة" وهي حجارة رملية صلبة لكنها صغيرة الحجم. (2)

4- الخصائص المناخية:

يسود المنطقة المناخ الصحراوي، وأهم ما يمتاز به هذا المناخ، القسوة والجفاف (3)، ويعود هذا لعدة عوامل:

- موقعها البعيد عن البحر، وأقربه خليج قابس الذي يبعد عنها بحوالي 300 كلم. (4)
- الارتفاع عن مستوى سطح البحر، بمتوسط 80 م فوق مستوى سطح البحر.
- أشعة الشمس الشديدة، ويعود ذلك إلى حالة الصفاء شبه الدائمة.
- طبيعة الرمال التي تعكس أشعة الشمس.

(1) Ahmed Nadjah: op. Cit. p14.

(2) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص ص 41-42. Ahmed Nadjah: op. cit. p 14 كتوراه وعلي غنابزية:

مجتمع وادي سوف من خلال ... المرجع السابق. ص 12. وأيضا يوسف حليس: المرجع السابق. ص ص 26-28.

(3) ينظر: علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال ... مرجع سابق. ص 14.

(4) أنظر ملحقين رقمي: 05 و 06 ص 301.

أ- الحرارة:

من مميزات الحرارة بوادي سوف أنها:

- حرارة شديدة صيفا تتعدى 50°م، وشديدة البرودة شتاء وتنخفض أحيانا في الليل إلى ما دون 0°م. (1)

- المعدل السنوي للحرارة يتراوح بين 20°م إلى 25°م، أما الأشهر الساخنة من بداية شهر أبريل إلى نهاية شهر سبتمبر فالمعدل حوالي 34°م، ومعدل الأشهر الباردة يكون تقريبا 10°م.

- المدى الحراري واسع، أي أن الفرق في درجة الحرارة الدنيا والقصى في نفس اليوم كبير جدا، ففي فصل الشتاء يتكون الصقيع في الليل، نتيجة البرودة، بينما نهاره يشهد درجة حرارة مرتفعة نسبيا، وقد يصل المدى الحراري إلى أكثر من 35°م.

- الدرجة القصوى تكون عادة وقت القيلولة في الشهر الأوسط من فصل الصيف، ويسمى محليا "الفحل"، أما الدرجة الدنيا، قبل الشروق بقليل، في الليالي البيض. (2)

- نظرا لطبيعة الأرض، فالتربة تسخن أكثر من الجو، ففي بعض الناطق قد تصل درجة حرارة التربة إلى 55°م، بينما الهواء المجاور لها حرارته لا تتجاوز 30°م، لكن هذه الحرارة تميز الطبقة العليا فقط ولا تتجاوز عمق 30سم، وبعد ذلك تكون الحرارة شبه ثابتة طوال اليوم، ولهذا تغدوا أعماق التربة مناسبة لبعض حيوانات المنطقة، التي تحفر الأرض وتقيم جحورها هناك.

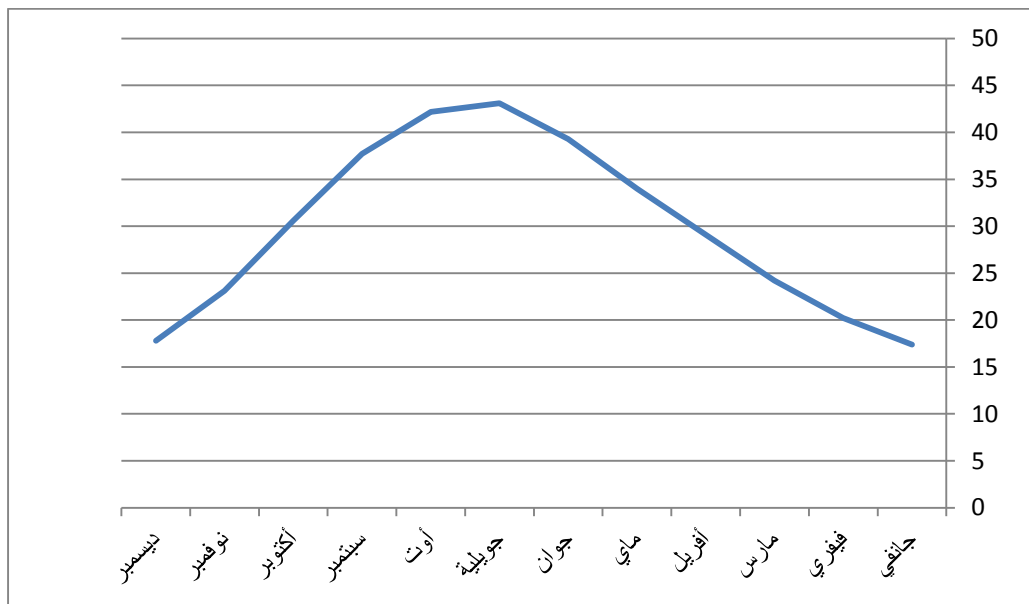
(1) Charles Etienne Lutaud: **Expose de la situation generale de Territoire du Sud**, typographie Adolphe Jordan, 1908. P158. وإبراهيم العوامر: 44 ص أندري فوازان: المرجع السابق. وكذلك: إبراهيم مياسي: **الصحراء الجزائرية في ضلال وادي سوف**، دار هومة، الجزائر، 2014. ص ص 113-114.

(2) **الليالي البيض والسود**: تبدأ بعد 25 يوم من الشتاء، وعددها 20 ليلة، وهي شديدة البرودة، وتعقبها الليالي السود وعددها 20 ليلة، حيث تعرف التربة نوعا من الدفء، وبالتالي تبدأ جذور النباتات في النمو من جديد، بعد التوقف بسبب برودة التربة، ويعرف القدماء هذا التطور، لذلك قالوا في أمثالهم: "في الليالي السود يقترح كل عود".

- تستقبل المنطقة كمية عالية من أشعة الشمس، وهذا نتيجة حالة الصفو التي يشهدها الغلاف الجوي، الذي يكون في أغلب أيام السنة خاليا من الغيوم، فعدد الساعات المشرقة بسوف تصل إلى 3500 ساعة في العام، وهو رقم مرتفع، ففي العاصمة الفرنسية باريس مثلا لا تتعدى 1600 ساعة، وهذا يؤدي إلى رفع درجة الحرارة، وزيادة نسبة التبخر والجفاف ⁽¹⁾، وفيما يلي معدلات درجات الحرارة بمنطقة سوف:

الفترة	جانفي	فيفري	مارس	أفريل	ماي	يون	جويلية	أوت	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
1920	17.4 °	20.2 °	24.2 °	29.1 °	34 °	39.3 °	43.1 °	42.2 °	37.7 °	30.6 °	23.1 °	17.8 °
1928												

جدول معدلات درجات الحرارة بوادي سوف بين سنتي 1928-1920 ⁽²⁾



منحنى بياني يمثل معدلات درجات الحرارة بوادي سوف بين سنتي 1928-1920

ومن خلال المنحنى البياني الذي يبيّن توزيع الحرارة على مدار السنة، ومع ندرة التساقط يتبين جليا أن المنطقة تنتمي إلى المناخ الصحراوي.

(1) أنظر: يوسف حليس: المرجع السابق. ص ص 16 - 17.

(2) Jean Du bief: **Le climat du Sahara**, tome1, institut des recherches sahariennes, université d'Alger, 1959. P 196.

وإذا اشتدت الحرارة في منطقة ما، فإن هواءها يخف فيكون الضغط الجوي فيها منخفض، أما إذا انخفضت درجة الحرارة فإن الهواء يثقل، فيتكون ضغط جوي مرتفع، وباختلاف الضغط الجوي بين منطقة وأخرى تجاورها، ينتقل الهواء من منطقة الضغط الجوي المرتفع، إلى منطقة الضغط الجوي المنخفض، وتكون سرعة تنقل هذا الهواء حسب قيمة الفرق في الضغط بين المنطقتين، وتسمى حركة الهواء هذه؛ الرياح.

ب- الرياح:

الرياح ظاهرة شائعة في سوف، وتلعب دورا هام في رسم معالم المنطقة، وتزداد حدة وتأثيرا بفعل حبيبات الرمال التي تحملها، حيث تصبح أداة نحت وتعرية، وبالمقابل ينتج عنها ترسبات معتبرة، تتمثل في الكثبان الرملية، وأكثر الرياح تكون في فصل الربيع، الذي يسميه أهل المنطقة "فصل الرياح"، حيث تكثر الزوابع الرملية ⁽¹⁾، التي ترفع الرمال إلى أكثر من 1500م في الجو، والمعدل السنوي للرياح في سوف يبلغ 3.7 م/ثا.

في سوف أنواع من الرياح، منها ما تعرف باتجاهاتها مثل "الغربي" و"الظهراوي" أي الشمالي، فأما "الغربي" فإنه يأتي من جهة الغرب، ووقت هبوبه فصل الربيع وفصل الصيف، ويميل للحرارة، وأما "الظهراوي" فيكون عادة في فصل الخريف وفصل الشتاء، ويتميز بالبرودة، وكلا من "الغربي" و"الظهراوي" ⁽²⁾ غالبا ما يثيران زوابع رملية تسمى محليا "العجاج"، وقد يخلقان أضرارا كبيرة خاصة في البساتين. ⁽³⁾

ومنها ما يسمى بمصدرها، وهي رياح "البحري" نسبة إلى مصدرها وهو البحر "خليج قابس" جهة الشرق، وتكون عادة أواخر فصل الصيف وبداية الخريف، وهي رياح منعشة تتميز

(1) عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف 1918-1947 وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا، رسالة ماجستير، مخ، إشراف د. يوسف منصورية، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر-باتنة، الجزائر، 2006/2005، ص 17.

(2) علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال ... مرجع سابق. ص 14.

(3) Lucien Daviault: *une region du sud Constantinois "le Souf"*, document photocopie (1940-1941). p 06 A. Nadjah, Op. Cit. p 22

بالرطوبة البحرية، يتلذذ بها الإنسان وبطيّب فيها النوم⁽¹⁾، لكن لها أضرار خصوصا إذا كانت في غير وقتها، فإنها تؤخر نضج الثمار، خاصة التمر.

وأحيانا أخرى تسمى الرياح بتأثيرها، ونورد هنا رياح "الشهيلي" ذات التيارات الهوائية الحارة والجافة، وهذا لما تخلفه على الإنسان والنبات، خاصة بمحصول النخيل حيث تساعد على نضجه، ولكن إذا استمرت أكثر من اللازم، فإنها تفسد الغطاء النباتي، ومنها غلة التمر التي يصيبها "القنط"، لأنها تزيد نسبة التبخر فيصاب النبات بالجفاف، وتهبّ غالبا من جهة الجنوب، أواخر الربيع وفي فصل الصيف.⁽²⁾

ب-1 تعامل السكان مع عمل الرياح:

ينتج عن العمل المستمر للرياح، تنقل التربة وتشكل الكثبان الرملية، وذلك باصطدام الرياح بعوائق نباتية أو صخرية أو كثبان رملية، فتؤدي إلى خفض سرعتها، ومع عمل الجاذبية، تفقد الرياح قدرتها على الحمل، فتسقط حمولتها من حبيبات الرمال. لذلك يعتمد السكان إلى إقامة "زروب"⁽³⁾ التي تعمل مصدات لهذه الرياح، أو مسهلة لعملها، وتقام هذه "الزروب" في مواجهة الرياح لتثبيت الرمال⁽⁴⁾، ولتسهيل عمل الرياح في نقل الرمال وإزالة كثيب معين، يتم إنجاز هذه "الزروب" في ذلك الكثيب عكس اتجاه الرياح.⁽⁵⁾

(1) A. Nadjah: op.Cit. p23.

(2) انظر: إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 50 ويوسف حليس: المرجع السابق. ص 18 وأندري فوازان: المرجع السابق. ص 44-45. وأيضا: إبراهيم مياشي: الصحراء الجزائرية ... المرجع السابق. ص 113-114.

(3) الزروب: عبارة عن حواجز نباتية مصنوعة من جريد النخيل الجافة، أو صخرية من الحجارة المحلية التي تستخرج من باطن الأرض، خاصة أثناء عملية حفر الغيطان.

(4) انظر: يوسف حليس: المرجع السابق. ص 23-24.

(5) روايات متعددة مع إبراهيم قذع جدي لأمي (1918-2010)، له تجربة طويلة تتجاوز 60 سنة في التعامل مع أشجار النخيل: التذكير "التأبير" والقطع "الجنّي" ... الخ.

ب-2 عمل الرياح على مظاهر السطح:

- تختلف الكثبان من ناحية الثبات والتغير، فبعضها دائم الحركة والجريان بفعل الرياح، خاصة في ظل انعدام وجود الحواجز، وبعضها شبه ثابت، يتخذها المسافرون في الصحراء معالم تدلهم على الطريق.
- تتميز الكثبان كذلك بوجود تموجات رملية، ترسمها الرياح على سطح الأرض، وتكون متوازية ومتداخلة، وهي طبقات مائلة في اتجاه هبوب الرياح، عبارة عن حافات صغيرة، تفصلها عن بعضها خطوط غائرة.
- يختلف جانبي الكثيب عن بعضهما، فالجانب المواجه للرياح ذو ميل ضعيف، بينما الجانب الآخر الواقع في ظل الرياح، يكون ذو ميل أكبر يبلغ 34° ، وهي زاوية السكون للرمال غير المتماسكة. (1)
- يمكننا رصد عدة أشكال من الكثبان الرملية، أهمها:
 - **الكثبان الطويلة:** كثبان طويلة من الرمال، تتكون في المناطق التي تكون فيها الرمال بوفرة كبيرة.
 - **الكثبان الهلالية:** روابي رملية منفردة على شكل هلال، رأسها في اتجاه حركة الرياح، وتكون في المناطق التي تكون فيها الرمال ذات مصدر محدود، فوق أراضي مستوية وعارية من النبات مثل الشطوط، وهي كثبان متحركة باستمرار.
 - **الكثبان العرضية:** وهو الشكل السائد في منطقة العرق، ومنها بلاد سوف، إذ هي عبارة عن سلسلة من الكثبان، تفصلها عن بعضها أغوار. (2)

(1) يوسف حليس: المرجع السابق. ص 24.

(2) المرجع نفسه. ص 25.

ب-3 تأثير الرياح على السكان:

- للرياح تأثيرات مختلفة، فمنها الضار كطمس الغطاء النباتي، وتجفيف النبات والجو، وكذلك ردم البيوت والطرق ...، ومع ذلك فالرياح لها منافع كبيرة أهمها:
- تلقيح النباتات، وأهمها شجرة النخلة بنقل حبوب الطلع "الذكّار" إليها، ويسمى التلقيح الطبيعي.
 - تذكية الروائح، وإزالة العفونات والأمراض، ويقول الكبار من أهل المنطقة: الرياح تبعد الأوكاس أي الأمراض.
 - نقل الرمال إلى منطقة الشطوط المالحة، فتصبح صالحة للزراعة.
 - نثر وتوزيع النباتات عن طرق نقل البذور.
 - رياح البحري المنعشة تلطف الجو من حرارة الصيف المحرقة. (1)
- ومن فوائد الرياح كذلك أنها تسوق السحب، من مناطق الضغط الجوي المرتفع، إلى مناطق الضغط المنخفض، وإذا كانت هذه السحب مشبعة ببخار الماء، بفعل الحرارة، وقابلتها رياح باردة تكثف البخار فيثقل وزنه، فتنتج عنه عملية التساقط.

ج- التساقط والموارد المائية:

- التساقط (2) بمنطقة سوف نادر لطبيعة مناخها، وموقعها الجغرافي البعيد عن البحر، ومن مميزات الهطولات توزعها غير المنتظم خلال العام، فمعدل تساقطها بين 30-150 ملم بين سنتي 1919-1947م، كان أقلها 19ملم عام 1945م، وأعلىها 249ملم سنة 1920م (3)، والفصل الذي يشهد تساقطا أكثر هو فصل الشتاء وأواخر فصل

(1) ينظر: إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 51 وأيضا: يوسف حليس: المرجع السابق. ص 25.

(2) التساقط: هو كل ما يسقط على الأرض من ماء بأشكاله المختلفة كالمطر، الثلج، الندى...

(3) أنظر: عثمان زغب: الأوضاع الاقتصادية ... المرجع السابق. ص 18.

الخريف، أما باقي الفصول فهي جافة، عدا بعض الأمطار العرضية الشحيحة، ونسبتها

السببية ضعيفة لا تتعدى 100 مم في السنة. (1)

- ينذر أن تهطل المطر في فصل الصيف، كما تشهد كثير من المناطق وجود الندى

خاصة في الشتاء، ويتشائم السواقة قديما بمطر الصيف، لأنه يفسد غلة التمر التي

تعد موردهم الأساسي، وإذا هطل في هذا الوقت، تمثلوا بحديث موضوع يتداولونه،

وينسبونه للنبي صلى الله عليه وسلم، مفاده: "إذا غضب الله على قوم أمطرهم صيفا". (2)

- والجدير بالذكر أن هذه المنطقة التي تبدو جافة، تقع فوق بحر من المياه الجوفية دائمة

الجريان، وتعد هذه الميزة السبب الرئيس في وجود النشاط الزراعي الأول لسكان

المنطقة، ألا وهي زراعة النخيل "البعلي"، وهذه الزراعة تكاد تكون الثروة الوحيدة في

سوف (3)، وبالإضافة إلى غنى المنطقة بالمياه الجوفية، فالماء يحيط بها من ثلاث

جهات، فمن الشرق شطي الغرسة والجريد، ومن الشمال شطي ملغيغ ومروانة، ومن

الغرب شطوط وادي ريغ. (4)

5- خصائص الغطاء النباتي وأنواعه:

العوامل المؤثرة في الغطاء النباتي هي: نوعية التربة، والارتفاع عن مستوى سطح

البحر، والاشعاع الشمسي والمناخ، أما عناصر المناخ فهي: التساقط وبالأخص هطول

الامطار والحرارة والرياح والضغط الجوي. (5)

(1) أنظر الملحق رقم 07، ص 302. إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 51 يوسف حليس: المرجع السابق. ص 16

إبراهيم مياشي: الصحراء الجزائرية ... المرجع السابق. ص 113-114.

(2) يظهر من روح الشريعة أن الكوارث من قحط وفيضانات وغيرها، تحمل معنى العقوبة، وعلى هذا الأساس ابتدعوا هذا الحديث

(3) Ahmed Nadjah: op. cit. pp 13-15, 59.

(4) أندري فوازان: المرجع السابق. ص 24.

(5) يوسف حليس: المرجع السابق. ص 15.

أ- مميزات الغطاء النباتي:

لأن منطقة العرق الشرقي ومنها وادي سوف، ذات مناخ صحراوي جاف، وترتبتها في العموم رملية فقيرة من المواد العضوية، فنرى أن الغطاء النباتي الطبيعي نادر قليل الأنواع، ضعيف الكثافة، ومفتوح حيث أن الأفراد النباتية تنمو متباعدة تاركة بينها مسافات معتبرة⁽¹⁾، وأغلبية الأنواع الموجودة نباتات عشبية، بينما الأشجار والنباتات المتخشبة يندر وجودها، لذلك فالمنطقة معرضة للتعرية باستمرار، مع الإشارة إلى أن المجتمع النباتي يزداد في الكثافة وفي عدد الأنواع - كمّا وكيفاً - كلما اتجهنا شمالاً.

أما عدد الأنواع النباتية البرية فلا يتعدى 120 نوعاً، في مساحة تقارب 80 ألف كلم²، وعند مقارنتها بمساحة تماثلها في أوروبا نجد أنها تحتوي على 12000 نوع نباتي، ونفس المساحة في المناطق المدارية تحتوي على حوالي 24000 نوع نباتي مختلف، وقد سقنا هذه المقارنة لإظهار مدى فقر المنطقة من الأنواع النباتية.

وحتى تنمو النباتات وتتكاثر في هذا المناخ القاسي، لابد من التأقلم والتكيف مع الظروف المميزة للمنطقة، المتمثلة في الجفاف والحرارة الشديدة، وارتفاع الشدة الضوئية والرياح، ويختلف سلوك النبات للتكيف مع هذه العوامل القاسية على نوعين:

- بعضها ينمو ويظهر فقط خلال الفترة المناسبة من السنة، وتتفادى الفترات القاسية، وذلك بشكل بذور كامنة تحت الأرض، أو أعضاء تحت أرضية كالدرنات والأبصال.
- البعض الآخر يتبع تحورات تشريحية ومرفولوجية "شكلية"، التي تضمن لها الإمداد الجيد بالماء، وعدم ضياعه عن طريق تخفيض شدة وسرعة عملية النتح "التبخر"، لكي تعيش طوال العام، حتى أثناء الفصول القاسية، ومن بين تحوراتها؛ تكثيف جذورها لتكثير امتصاص الماء مثل نبات "حلفاء الدارين"، أو بخفض مساحة وعدد أوراقها، ومنها ما يأخذ شكلاً إبرياً مثل "الحاد"، أو الشكل الحشفي مثل نباتي "الطرفه"

(1) L. Daviault, Op. Cit. p 30.

و"القضام"، وقد تغيب الأوراق تماما عند بعض النباتات وتسمى النباتات اللاورقية مثل "الأرطا" و"البازل". (1)

ب- الأنواع النباتية:

إن أنواع النباتات لا تتب بجانِب بعضها بطريقة عشوائية، وإنما بسبب متطلبات البيئة، وهناك علاقة وثيقة بين أنواع البيئة الواحدة، وعلى العموم يمكننا في منطقة سوف أن نميز أربعة مجتمعات نباتية مختلفة، في أربع بيئات متميزة، وهي:

- **نباتات العرق:** تنمو بالجنوب في الحفر حيث التربة أكثر ثباتاً، وبالشمال في كل مكان، حيث تقل الكثبان وتصبح الأرض الرملية شبه مستوية، ومن أنواع هذا المجتمع: الحلفاء، السميري، الرتم، السعد، الزيتة، العلندة، فول الإبل، العماية، البازل، العلقة، لغريرة، الشريك، الذنون، فلفل الصحراء...

- **نباتات الأماكن المغلقة والمحمية:** هذه البيئة ناتجة عن النشاط البشري، ومن مميزات كثرة الروابي المحيطة بالمزارع والأهوا، بفعل حفر الإنسان وإنشائه لمصدات الرياح "الزروب" الصخرية (2)، أو النباتية التي تتجز بواسطة الجريد الجاف، وتغيير التضاريس الطبيعية أدى إلى تغير الظروف البيئية، ونشوء أماكن معزولة محمية من الرياح، فنتج عن ذلك بيئة مناخية جديدة تختلف عن البيئة الطبيعية للمنطقة (3)، وأهم النباتات السائدة في هذه البيئة: الشقارة، الحارة، سنية العزوز، فقوس إنم، لبان عزازير، أم رويس، النمص، الطازية، لغبيثة، العضيد، الشحيحة، كرشة أرنب، الحمير، لعيفة، قرين غزال، الضعيفة، لمديهينة...

(1) أنظر: يوسف حليس: المرجع السابق. ص ص 31-37 وكذلك: علي غنازبية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال

... مرجع سابق. ص 15 وإبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص ص 52-54 Ahmed Nadjah: op. cit. p

(2) أثناء حفر الأهوا يتم استخراج كتل الحجارة ورفعها للأعلى فوق الطوابي لتثبيت التربة.

(3) أنظر أندري فوازان: المرجع السابق. ص 221.

- نباتات الأراضي المالحة: إن المناطق الملحية بوادي سوف الوادي وفيرة، ولا عجب في ذلك إذا علمنا أن أكبر الشطوط في الجزائر وهو شط ملغيغ⁽¹⁾ يوجد بشمال هذه المنطقة، بالإضافة إلى المناطق المنخفضة التي تقترب منها المياه الجوفية، وتضم هذه البيئة النباتات المقاومة للملوحة، وعليه فمجتمع النبات هذا أكثر وضوحاً، وأبرز أنواعه: الطرفة، السويدية، البريطة "القصب"، عشبة الملح، الزيتة، لسان ورن ...
- النباتات الضارة: معظم أنواع هذه النباتات غريب عن المنطقة، وإنما وفد إليها بفعل نقل البذور مع الأسمدة الطبيعية، كما أنها لا تنمو برياً، بل في المناطق المحمية والمغلقة في المزارع والغيطان، حيث التربة والرطوبة المناسبتين، وهي تقض مضاجع الفلاحين، لأنها تفسد الزرع، ومنها ما يصعب إزالتها، وأهمها: اللآفة "سبول الفار"، النجم "السريع"، المزريطة، ذيل الفار، الخبيز، الخافور، البرطلاق...⁽²⁾

6- الحيوانات وأنواعها:

توجد بالمنطقة أنواع كثيرة من الحيوانات، منها الأليف ومنها البري، فمن الأول نجد الإبل والماعز والغنم والخيول والبغال والحمير وعدأنواع من الطيور منها الدجاج "العري" والحمام ...، وهذه الحيوانات مرتبطة بالحياة اليومية للسكان، كالأكل وحمل الأثقال، وأما النوع الثاني فهو موجود لأنه جزء من طبيعة المنطقة، ومنه الغزال والأرنب والفنك واليربوع، وهذه كذلك يصطادها السكان لأكلها، كما توجد في البرية أنواع كثيرة من الطيور منها صُفُورِيَّة وبُوعَبِيَّة وشَعِيرِيَّة وبنطيري (الهدهد) وبُوبَشِيرُ عدو العقارب الأول ...، بالإضافة إلى الهوام مثل العقرب واللَّفَع (الأفعى)، والزواحف ومنها الشرشمان والورن وكلاهما يأكله أهل الصحراء، والضب والزرزومي...⁽³⁾

(1) شط ملغيغ: يعتبر أكبر احتياطي للملح بإفريقيا. أنظر: يوسف حليس: المرجع السابق. ص 40

(2) يوسف حليس: المرجع السابق. ص 37-41. وإبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 52-54. وأيضا:

أندري فوزان: المرجع السابق. ص 225-228.

(3) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 67-74.

ثانيا: أقاليم الجنوب التونسي

إن مصطلح "الجنوب التونسي" من وضع الإدارة الاستعمارية، فقد كانت المنطقة تسمى قبل الحماية الفرنسية بالصحراء أو البرّ القبلي⁽¹⁾، وهو المجال الجغرافي الممتد شمالا من جبال قفصة غربا، إلى بلدة الصخيرة شرقا، ويمتد جنوبا إلى الحدود مع الإيالة ثم المملكة الليبية.⁽²⁾

وتتكون منطقة الجنوب التونسي من عدة أقاليم، وعلى عكس منطقة وادي سوف، فإن أصل تسمية أغلب مناطقه بيّن وجلي، ولكثرة هذه المدن والقرى فسوف نكتفي بذكر الأقاليم الكبرى، وسرد الدراسة الجغرافية بشيء من التعميم، وأهم مناطق الجنوب: بلاد الجريد ونفزاوة ومنطقة الجنوب الشرقي "قابس، ومدنين، تطاوين" ومنها الساحل.⁽³⁾

1- التسمية ومعانيها:

- بلاد الجريد⁽⁴⁾ أصل تسميتها لكثرة نخيلها.
- قفصة هو اسم لاتيني وإشتقاق عربي للتسمية اللاتينية "كاباسا" وهو مصطلح يعني الحضارة الحجرية القديمة.
- توزر يُقال أن التسمية تعود إلى امرأة خزّافة إسمها "توزر" وهناك كذلك تفسير لإسم توزر على أنه من اللغة الأمازيغية ويعني المرتفع أو الهضبة.

(1) محمد علي الحباشي: عروش تونس، المغاربية للطباعة واشهار الكتب، تونس، ط1، 2016. ص 102.

(2) أنظر: ملحق رقم 08 ص 303 وعبد الحفيظ موسم: الحركة اليوسفية والثورة التحريرية الجزائرية، أطروحة دكتوراه، إشراف د. طاهر جبلي، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان، 2016/2015. ص 91.

(3) أنظر ملحق رقم 08 ص 303.

(4) بلاد الجريد: وإن كان المشهور أنها مدينة توزر وما والاها، أو ما تدعى قديما قسطنطينية، إلا أنها أوسع من ذلك، فابن خلدون يجعلها توزر وقفصة ونفزاوة، أما الحسن الوزان فيمدها من تخوم بسكرة إلى تخوم جزيرة جربة، فكل هذه المناطق مشهورة بالنخيل. ينظر: عبد الرحمان بن خلدون: تاريخ ابن خلدون "العبر"، تح سهيل زكار وخليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 08 أجزاء، 1421هـ/2000م. ج 6/ ص 132، وج 1/ ص 76 وكذلك: الحسن الوزان: وصف إفريقيا، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط2، 1983. ج 2/ ص 142.

- منطقة نفزاوة نسبة للقبيلة البربرية التي كانت تسكن هذه الربوع، وإذا عدلنا إلى التسمية الحديثة -منذ القرن 16م مع بداية الوجود العثماني- وهي "قبلي"، فهي نسبة لحاكم المنطقة من قبل العثمانيين، عبد الله بن بوزيد المحمودي الطرابلسي القبلي أي القادم من القبلة "الجنوب" لأن طرابلس جنوب نفزاوة. (1)
- منطقة "مدنين" إختصار لكلمة "مدنيين" جمع "مدني" أي مجموعة سكانية.
- منطقة "قابس" كان في القديم يطلق عليها "تكابي" وهناك من يقول من المؤرخين أنها إستمدت إسمها من قديس روماني إسمه "تكابيس".
- منطقة "جرجيس" نسبة للحاكم البيزنطي "جرجيوروس" الذي يسميه المسلمون "جرجير"، وفي عهده تم الفتح الإسلامي لإفريقية.
- منطقة "تطاوين" لفظة بربرية، وهي صيغة الجمع لكلمة "تيط"، التي تعني العين الجارية، وسميت كذلك للوفرة النسبية لنقاط الماء بها، الأمر الذي هياها لأن تكون واحة يانعة بنخيلها. (2)

2- الموقع والحدود:

تقع منطقة الجنوب التونسي فلكيا بين خطي طول $7^{\circ}32'$ و $11^{\circ}36'$ شرق خط غرينيتش، وبين دائرتي عرض $30^{\circ}14'$ و $34^{\circ}45'$ شمال خط الاستواء. (3)

تقدر مساحتها بحوالي 92 ألف كلم²، طولها من الأحواز الشمالية لمدينة قفصة إلى مدينة غدامس حوالي 500 كلم، وعرض أقصاه 300 كلم. (4)

(1) أبو محمد عبد الله التجاني: رحلة التجاني، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1981. ص143 ومحمد ضيف الله: نوافذ على تاريخ نفزاوة، المغاربية للطباعة، تونس، 2008. ص13 وكذلك: المرصد التونسي للبيئة والتنمية المستدامة: التقرير الجهوي حول وضعية البيئة بولاية قبلي، أوريس للطباعة، تونس، 2014. ص09.

(2) أنظر: المرصد التونسي للبيئة والتنمية المستدامة: التقرير الجهوي حول وضعية البيئة بولاية تطاوين، أوريس للطباعة، تونس، 2014. ص09.

(3) أنظر: الملحق رقم 02، ص 299.

(4) أنظر: الملحق رقمي 09 و10، ص 304.

وجغرافيا فتقع المنطقة بجنوب تونس وشمال غرب القطر الليبي، وأجزاءها الغربية تقع ضمن العرق الشرقي الكبير، فهي إذا تمثل امتدادا لإقليم وادي سوف، وحدودها الآتي:

- شمالا من الشرق إلى الغرب الأحواز الجنوبية لمدن صفاقس وسيدي بوزيد والقصرين حيث سفوح جبال النمامشة.
- شرقا البحر الأبيض المتوسط.
- جنوبا منطقة زوارة وما والاها وقرى الجبل الغربي ووحدات غدامس، وكلها تتبع القطر الليبي.
- غربا منطقة وادي سوف. (1)

وللمنطقة خمس طرق رئيسة، تربطها بالمناطق المحيطة بها، وهي:

- طريق شمال-شرق نحو الوطن القبلي التونسي (المدن الساحلية).
- طريق شمال وشمال-غرب نحو دواخل البلاد التونسية.
- طريق جنوب-شرق نحو طرابلس الغرب.
- طريق جنوب-غرب نحو مدينة غدامس الليبية.
- طريق الغرب نحو وادي سوف وتبسة، بالبلاد الجزائرية. (2)

3- التضاريس ومظاهر السطح:

على عكس منطقة سوف، فإن منطقة الجنوب التونسي تشهد تنوعا تضاريسيا، وهذا بحكم موقعها الجغرافي، حيث أن أجزاءها مقسمة بين العرق الشرقي الكبير وساحل البحر والشطوط وجزء من الأطلس الصحراوي، ونتيجة ذلك يوجد تباين في ارتفاعات أراضيها، فبعض أماكنها تنخفض إلى أن تتساوى مع مستوى سطح البحر، أي 0 م في شط الجريد مثلا، وبها

(1) أنظر الملحق رقم 08، ص 303.

(2) نفسه.

أماكن ترتفع إلى حوالي 1000م فوق مستوى سطح البحر عند قمم بعض الجبال في قبلي ومدنين. (1)

أ- مظاهر السطح:

المناطق الغربية خصوصا الوسطى والجنوبية، وبحكم انتمائها للعرق الشرقي الكبير يغلب عليها الكثبان الرملية، هذه الكثبان تبدأ صغيرة ومنخفضة في الشمال، وتزداد ارتفاعا وتباعدا كلما اتجهنا نحو الجنوب، حيث ينطبق مع المظاهر التي رأيناها بوادي سوف إلى حد كبير، وهذا في المناطق الجنوبية الشرقية لبلاد الجريد، وأغلب مناطق نفزواة عدا الشمالية منها، والمناطق الغربية من أرض تطاوين. (2)

والمناطق الشمالية الغربية "شمال بلاد الجريد" يغلب عليها الطابع الجبلي بحكم وقوعها ضمن الأطلس الصحراوي "قفصة"، حيث يقارب ارتفاع بعض القمم 1000م، وفي سفوحه الجنوبية "تمغزة، دقاش"، ومنها سلسلة جبال الطباق، وسلسلة جبال السقي والشارب، وفي وسط بلاد الجريد وشمال بلاد نفزواة تكثر الشطوط السباح، لعلها أبرزها شطي الجريد والغرسة.

أما المناطق الشرقية فنلاحظ سلسلة الجبال التي تشطرها تقريبا على امتداد عمودي من الجنوب ابتداء من "مطمطة" إلى الشمال حيث غمراسن ثم جبال بني خدّاش بمدنين إلى جنوب قابس، حيث تصل أعلى قمة بهذه الجبال والروابي 634 م بجبل غار الجاني، ويوجد غرب هذه السلسلة، العرق الشرق الكبير كما أسلفنا الذكر، وشرقها هضاب وأهمها هضبة الظاهر بمدنين، وسهلي الجفارة والواعة، وهي سهول حصوية وحمادات، وقشور جبسية وكلسية، مع سهول هامة صالحة للزراعة، منها السهول الساحلية في جرجيس وجربة وبنقردان،

(1) أنظر الملحق رقم 11، ص 305.

(2) المرصد التونسي: تقارير مختلفة حول مناطق الجنوب، مراجع سابقة.

بالإضافة إلى الشريط الساحلي، الذي يتجاوز طوله 600 كلم، حيث وجود المناطق الرطبة والسبخ والجزر الصغيرة والرؤوس البحرية. (1)

وإجمالاً يتميز سطح مناطق الجنوب التونسي بوجود ثلاث أشكال مورفولوجية، منها ما يماثل الأشكال الموجودة في وادي سوف، ومنها ما يختلف عنها تماماً، وتتمثل في الآتي:

- مناطق الكثبان حيث المرتفعات الرملية التي تفصلها الأغوار.
- مناطق السهول الرملية ذات التربة الخشنة، المتموضعة فوق الطبقات الصخرية والتي تسمى الصحن.
- المرتفعات والروابي الصخرية.
- السهول الحجرية والرملية والطينية.
- السبخ والشطوط، والمناطق الرطبة قرب السواحل.

ب- التربة:

التربة في الجنوب التونسي متنوعة، ولا غرابة في ذلك بعد أن رأينا تنوع مظاهر السطح فيها:

- التربة الرملية في الجنوب الغربي حيث العرق الشرقي، وهي تربة رملية عالية النفاذية، ولا تحتفظ بالماء إلا لفترة وجيزة، فقيرة من حيث المواد العضوية، وتنتقل باستمرار بفعل الرياح، مما يجعلها تهدد المناطق القريبة منها بالتصحّر، وقرب الشطوط في الوسط وعند السواحل التربة رملية ريحية.
- التربة الصخرية في الشمال الغربي حيث جبال الأطلس الصحراوي، وينطبق القول على المناطق الوسطى من الشمال إلى الجنوب، حيث تمتد السلاسل الجبلية إلى أقصى

(1) المرصد التونسي للبيئة والتنمية المستدامة: التقرير الجهوي حول وضعية البيئة بولاية توزر، أوربيس للطباعة، تونس، 2014. ص50. والتقرير حول قبلي، مرجع سابق. صص11، 41. والتقرير حول تطاوين. صص9-25. والتقرير الجهوي حول وضعية البيئة بولاية مدنين. صص10، 25-27، 41. أنظر كذلك ملحق رقم 11، ص305.

- نقطة من جنوب تطاوين، والجدير بالذكر أن هذه الجبال تشبه جبال كوكب المريخ، الأمر الذي جعل العلماء يطلقون اسم تطاوين على الأحجار المتأتية من هذا الكوكب.
- التربة الملحية بالصفاف الجنوبية لشطي الجريد والغرسة بالوسط والشمال الغربي، وبالسبخات بالجنوب "تطاوين".
- التربة الجبسية حيث تكون طوقا، حول شطي الجريد والغرسة، وقرب السباخ في الجنوب، وعند السفوح الجنوبية الشرقية للأطلس الصحراوي.
- التربة الطينية والرمال الكلسية في المناطق الجبلية، وفي كثير من المناطق، الشمالية والوسطى والشرقية. (1)

4- الخصائص المناخية:

إن الموقع الجغرافي للمنطقة، وتنوع البنية التضاريسية فيها، ينعكس بالضرورة على المناخ، لذلك نرى تنوع الخصائص المناخية في منطق الجنوب التونسي، والعوامل المتحكمة في هذا التنوع:

- الموقع الجغرافي (العرق الشرقي، المنطقة الساحلية، الأطلس الصحراوي).
- وجود الحواجز الجيولوجية (السلاسل الجبلية)، التي تشكل حاجزا، يحجب التأثيرات المناخية الشمالية، وكذلك التيارات والتأثيرات المناخية البحرية عن بعض المناطق.
- القرب والبعد عن البحر (المناطق الشرقية والغربية).
- الارتفاع عن مستوى سطح البحر (الشطوط والجبال).
- أشعة الشمس الشديدة، بفعل خلو الغلاف الجوي من الغيوم أغلب أيام السنة.
- طبيعة التربة (الرملية، الصخرية، الملحية).

(1) المرصد التونسي: تقرير حول توزر، المرجع السابق. ص 12، 37-38. وكذلك: المرصد التونسي للبيئة والتنمية المستدامة: التقرير الجهوي حول وضعية البيئة بولاية قبلي، المرجع السابق. ص 26. وأيضا المرصد التونسي: تقرير حول تطاوين، المرجع السابق. ص 33، 61.

وإن كان الغالب على المنطقة هو المناخ الصحراوي الجاف، إلا أنه يمكننا أن نميز عدة وجوه للمناخ السائد:

- مناخ جاف معتدل صيفا، بارد شتاء، في الشمال الغربي.
- مناخ شبه صحراوي واحي، في واحات الجريد.
- مناخ (صحراوي) قاري جاف بالجنوب الغربي، وبالضبط غربي السلسلة الجبلية مطماطة-غمراسن.
- مناخ معتدل إلى بارد شبه جاف بالجنوب الشرقي، شرق السلسلة الجبلية المذكورة، ودون الساحل.
- مناخ متوسطي معتدل شبه جاف عند السواحل الشمالية، ومناخ شبه مداري صحراوي في السواحل الشرقية. (1)

أ- الحرارة:

بالنسبة لدرجات الحرارة فالمناطق الغربية، المتاخمة لوادي سوف خاصة منطقتي قبلي "و" تطاوين"، فخصائص الحرارة تقريبا مماثلة لما عليه منطقة سوف، حيث تتسم بالحرارة الشديدة أثناء فصل الصيف، والبرودة الكبيرة الجافة أثناء فصل الشتاء، مع الجفاف السائد أغلب أيام السنة، أما المناطق الجبلية والساحلية، فتشهد لطافة في الجو، باعتدال درجة الحرارة، والجو المفعم برطوبة معتبرة، وبالنسبة لمعدلات درجات الحرارة فإنها تقل عن 20°م.

تكون درجة الحرارة متطرفة في الجهات الغربية خاصة الوسطى والجنوبية منها، إذ أنها تبلغ مستويات عالية جدا في فصل الصيف، حيث تفوق 45°م في الظل، فقد شهدت منطقة قبلي يوم 07 جويلية 1931م، أعلى درجة حرارة في إفريقيا إذ قدرت بـ 55°م، وسجلت في موسوعة غينيس للأرقام القياسية، وبالمقابل ففي فصل الشتاء تسجل مستويات متدنية جدا،

(1) أنظر المرصد التونسي: تقرير حول توزر، المرجع السابق، ص12. وكذلك المرصد التونسي: تقرير حول مدنين، المرجع السابق، ص23. والمرصد التونسي: تقرير حول تطاوين، المرجع السابق، ص10.

تنزل إلى ما دون 0°م، بالإضافة إلى أنها أكثر المناطق جفاف بالبلاد التونسية، ويعود ذلك لوجودها في الحافة الشمالية للصحراء، وكذلك لشدة الإشعاع الشمسي، فعدد الأيام المشمسة بالمنطقة حوالي 288 يوم في السنة، وبالتالي يكون المدى الحراري أو الفوارق الحرارية السنوية وحتى اليومية كبيرة جدا، يتجاوز 20°م بين الليل والنهار. (1)

أما في الجهات الشرقية والشمالية فيكون الجو أقل تطرفا، بسبب تعرضه للتيارات الهوائية البحرية، أو تعرضه للتأثرات المناخية الشمالية، إذ تسجل درجة الحرارة في بعض المناطق أقل من 35°م في فصل الصيف، وفي فصل الشتاء لا تكون عرضة للتيارات الهوائية الباردة، لوجود الرطوبة الذي تعمل على تلطيف الجو، والمدى الحراري لا يكون كبيرا. (2)

ب- الرياح:

تكثر الرياح بكافة مناطق الجنوب التونسي، ولها دور كبير في تشكل سطح الأرض بالمناطق الغربية، ذات الطابع الرملي بانتمائها للعرق الشرقي، ويكون فعلها ذا تأثير أكبر بحملها للرمال، إلى المناطق المجاورة حيث تنقل الكتلان الرملية، أو تكون كتبان جديدة، وبذلك تغير سطح الأرض باستمرار، ويمتد تأثير الرياح الغربية إلى المناطق البعيدة، حيث تؤدي إلى لتصحرها، أما في المناطق الصخرية "الشرقية والشمالية" فتكون هذه الرياح أداة تعرية وحت.

وأكثر هبوب الرياح يكون في فصل الربيع، وخاصة الرياح الشمالية والشمالية الشرقية التي تتلاعب بالرمال، مثيرة الزوابع الرملية، وتسمى محليا "العجاج" كما في منطقة وادي سوف، بالإضافة إلى هذه الرياح، هناك رياح "البحري" وسميت كذلك لأن هبوبها من جهة البحر، وهي رياح لطيفة ونسيم عليل، ينعش الجو بتلطيفه للحرارة العالية بما يحمله من رطوبة بحرية، وعلى عكس رياح البحري، فتهب في المنطقة رياح حارة من الجهات الغربية والجنوبية الغربية، وهي رياح "الشهيلي" الجافة الحارقة.

(1) المرصد التونسي: تقرير توزر، المرجع السابق. ص 12-13. وأيضا تقرير تطاوين، المرجع السابق. ص 10.

(2) المرصد التونسي: تقرير مدنين، مرجع سابق. ص 23. والمرصد التونسي: تقرير تطاوين، مرجع سابق. ص 10.

إن فترة هبوب الرياح في المنطقة طويلة جدا، فقد تكون في بعض الأماكن على مدى 08 أشهر من السنة على غرار منطقة الجريد، حيث تهب رياح الشهيلى وتدوم حوالي 37 إلى 40 يوما في السنة بالجهات الغربية والجنوبية، ومن 10 إلى 25 يوما في السنة بالجهات الشرقية، بينما تكون الرياح الرملية القوية "العجاج" لفترة تدوم تقريبا لأربعة أشهر في المناطق الغربية خاصة الجنوبية، وتكون الجهات الأخرى بمنأى عنها. (1)

ب-1 مقاومة السكان لزحف الرمال:

إن استمرارية هبوب الرياح يؤدي إلى مضار شتى، لعل أبرزها طمر المزارع بالرمال التي تنقلها من الصحارى، إلى البساتين المزروعة، والتي تعتبر عماد اقتصاد المنطقة، وهو ما يقض مضاجع الفلاحين، ويجعلهم في عمل مستمر استمرار عمل الرياح، يحاولون حماية مزارعهم من تأثيرها، أو إصلاح ما أفسدته، ومن أعمالهم في هذا المجال:

- رفع الرمال على أكتاف الرجال، أو على ظهور الحمير والبغال.
- إحداث مرتفعات "طوابي" حول بساتينهم، التي تلعب دور مصدات للرياح، وتغرز فوق المرتفعات الرملية، حباك من جريد النخل الجاف مكونة "زرب"، وعمل هذه الطوابي هو تخفيف سرعة الرياح، وإفقادها القدرة الانجرافية، وبالتالي إجبارها على ترسيب حمولتها من الرمال حول المصد "الطابية"، كما تكمن مهمة الطوابي في إعاقه وصول الرياح إلى حبيبات الرمل على سطح الكتبان للمحافظة على استقرارها
- تثبيت أحزمة الجريد المكونة "للزروب" متعامدة على إتجاه الرياح السائدة في المنطقة، على شكل حواجز طولية في الواحات والطرق، أو دائرية في الغيطان، وتكون شطرنجية في المساحات المزروعة، ويتم تثبيت الطوابي برؤوس جانبية.

(1) المرصد التونسي: تقرير حول تطاوين، المرجع السابق. ص10. والمرصد التونسي: تقرير حول مدينين، مرجع سابق. ص23. وكذلك تقرير حول قبلي، المرجع السابق. ص28. وأيضا تقرير حول توزر، المرجع السابق. ص39

- الصيانة الدورية للطوابي، وتجديد أحزمة الجريد الجاف من حين لآخر، حتى تكون أكثر جدوى في تثبيت ومنع نقل الرمال.
- تعلية الطوابي باستمرار، خصوصا لما تغمرها الرمال. (1)

ب-2 عمل الرياح على مظاهر السطح:

ومميزات الكثبان الرملية في الجنوب التونسي لا تختلف على ما هو موجود في منطقة سوف، باعتبار المنطقة ذات امتداد واحد، فبعض الكثبان دائمة الحركة بفعل الرياح، وبعضها ثابت حتى غدا عبارة عن علامات، يهتدي بها المسافرين في الصحراء، وكذلك وجود التموجات الرملية من آثار الرمال، واختلاف جانب الكثيب المواجه لهبوب الرياح عن الجانب الواقع في ظلها، وينطبق القول على أشكال الرمال، حيث توجد الكثبان الطويلة، الهلالية، فالعرضية السائدة والتي تتشكل من عدة كثبان، تفصلها المنخفضات، ومن أسباب زحف الرمال: - المناخ الجاف - قلة الغطاء النباتي - حدة حركة الرياح - الرعي الجائر - التحطيب. (2)

ج- التساقط والموارد المائية:

التساقط في منطقة الجنوب التونسي ضعيف بصفة عامة، وهطول الأمطار يكون أغلبه أي حوالي 75 % منه في الشتاء، ومع ذلك توجد مناطق يكون فيها أوج الهطولات في فصلي الخريف والربيع مثل بلاد الجريد، لكن نسبة الجفاف ليست كبيرة مثل منطقة سوف، وأكبر المناطق المتعرضة للجفاف هي تطاوين، التي تكون فيها مدة الجفاف 05 أشهر في السنة. (3) وتختلف معدلات هطول الامكار من منطقة لأخرى، ففي بلاد الجريد ونفزاوة وحتى مناطق واسعة من تطاوين، يكون معدل هطول الأمطار حوالي 100 مم في السنة، ليتدنى هذا الرقم بأقصى الجنوب إلى أقل من 50 مم في السنة، وفي المناطق الجبلية الوسطى والشمالية

(1) المرصد التونسي: تقرير حول قبلي، المرجع السابق. ص 27. وتقدير توزر، المرجع السابق. ص 20، 41.

(2) المرصد التونسي: تقرير حول قبلي، المرجع السابق. ص 28.

(3) المرصد التونسي: تقرير حول توزر، المرجع السابق. ص 13. والمرصد التونسي: تقرير حول تطاوين، المرجع السابق.

ص 10. والمرصد التونسي: تقرير حول مدنين، المرجع السابق. ص 23.

يكون معدل سقوط الأمطار بين 150م و 200م في السنة، وترتفع هذه النسبة إلى أكثر من 200م شمال جزيرة جربة وبعض المرتفعات في منطقة مدنين. (1)

كما تمتاز معدلات كميات الأمطار في هذه المنطقة على قلتها، بالتذبذب في وتيرة التساقط، وعدم انتظامها على امتداد السنة، فقد تكون في مناطق خفيفة مثل منطقة الجنوب الغربي، أما في المناطق الشرقية فتكون عنيفة، لكن معدل تساقطها لا يتعدى 30 يوما في السنة في الجهة الشرقية، مع الإشارة إلى أن معدل التبخر في المنطقة عالي، يصل إلى حدود 1500م في السنة، ويعود هذا للحرارة الشديدة ووجود الشطوط والمساحات المائية. (2)

ومثل منطقة وادي سوف، فإن منطقة الجنوب التونسي، تجثم فوق ثروة مائية هائلة، تتمثل في المياه الجوفية التي توجد تحت كل المنطقة تقريبا، وهو ما جعل إمكانية إقامة النشاط الزراعي بالمنطقة، دون أن ننسى الشريط الساحلي الذي يمثل الحدود الشرقية للمنطقة، والذي يفوق طوله 600 كم، مع وجود الشطوط وأبرزها شطي الجريد والغرسة، وتعدد السباخ والوديان الكثيرة ومنها: وادي الحلوف قبلي، ووديان المالح، الثالجة، الفريد، فم الخنقة بالجريد، ووديان الزاس والحلوف وكوتين وأم التمر بمنطقة مدنين... وغيرها. (3)

5- الغطاء النباتي وأنواعه:

إن التنوع المناخي بمختلف مناطق الجنوب التونسي، بالإضافة إلى تنوع تربته، واختلاف بيئاته، له انعكاس واضح على غطاءه النباتي.

-
- (1) أنظر ملحق رقم 07، ص 302 والمرصد التونسي: تقرير حول توزر، المرجع السابق. ص 12-13. وأيضاً المرصد التونسي: تقرير مدنين، المرجع السابق. ص 23. وكذلك المرصد التونسي: تقرير تطاوين، المرجع السابق. ص 10.
- (2) المرصد التونسي: تقرير توزر، المرجع السابق. ص 13. والمرصد التونسي: تقرير مدنين، المرجع السابق. ص 23. وكذلك المرصد التونسي: تقرير حول قبلي، المرجع السابق. ص 11.
- (3) المرصد التونسي: تقرير حول تطاوين، المرجع السابق. ص 21. والمرصد التونسي: تقرير حول مدنين، المرجع السابق. ص 27، 32. والمرصد التونسي: تقرير حول توزر، المرجع السابق. ص 12، 40. وأيضاً المرصد التونسي: تقرير حول قبلي، المرجع السابق. ص 14.

أ- مميزات الغطاء النباتي:

تتنمي المناطق الجنوبية الغربية من الجنوب التونسي، لمنطقة العرق الشرقي الكبير، ذو المناخ الصحراوي الجاف، والتربة الرملية الفقيرة من المواد العضوية والمعدنية، الأمر الذي كان له انعكاس على نباتاتها البرية، فكانت قليلة الأنواع، ضعيفة الكثافة، تنمو متباعدة، وأغلب أنواعها النباتات العشبية، الأمر الذي جعل تأثير الرياح يكون كبيرا، بنقل تربتها، وتغيير تضاريسها باستمرار.

أما بالنسبة للمنطقة الشمالية ومنها الجبلية، وكذلك الشرقية الجبلية والساحلية، حيث تتغير التربة لتصبح أكثر غنى بالمواد العضوية، وكذلك الحال بالنسبة للمناخ، إذ يسود المناخ المتوسطي الرطب في بعض الأماكن، أو المعتدل في أماكن أخرى، فإن أنواع النباتات تكثر، وتزداد كثافته، لكن هذه الزيادة في الأنواع والكثافة، ليست بالقدر الكبير، لبقاء تأثيرات المناخ الصحراوي القاسي، التي تنقلها الرياح لقرب المناطق من بعضها.

ب- المجتمعات النباتية:

تتعرض الظروف البيئية على أنواع النباتات، فترى نباتات البيئة الواحدة على اختلاف أنواعها، على علاقة وطيدة ببعضها البعض، والأنواع النباتية في الجنوب التونسي أوسع منها في منطقة وادي سوف، وهي:

- **نباتات العرق:** تكون في المناطق التي تسيطر عليها الكثبان الرملية، بحكم موقعها في العرق الشرقي الكبير، والمكان الأنسب لها يكون في المنخفضات والأغوار، حيث ينقص تأثير الرياح على سطح التربة.
- **نباتات الأراضي المالحة:** تنبت هذه الأنواع بالقرب من الشطوط والسبخ، التي تكثر في منطقة الجنوب التونسي، وأبرزها شطي الجريد والغرسة الغنيين عن التعريف، وتكون هذه النباتات مقاومة للملوحة، بحكم تأقلمها مع هذه البيئة.

- نباتات الأماكن المغلقة والمحمية: هذه البيئة تكون في المزارع المهيأة وفي الأهوا، أي في الأماكن التي تعرف النشاط الإنساني، حيث تكون محمية من التأثيرات القوية لعمل الرياح، وتكون بيئتها تختلف نوعا ما عن الأماكن المحيطة بها.
- النباتات الضارة: تنمو هذه النباتات في البيئة الخاصة، التي تصنعها الأماكن المغلقة مثل المزارع، إذ تنمو بين النباتات، حيث الجو المناسب لنموها وتكاثرها، ومعظمها متطفل على المزروعات، التي تغدو عديمة الفائدة، أو تموت نتيجة هذه النباتات، لهذا يعمل الفلاحون وسعهم ويفرغون جهدهم لمحاربتها، ومن بين هذه الأعشاب الطفيلية بالواحات ومصببات مياه النز: القصب والديس والنجم. (1)

ج- التنوع النباتي:

بالنسبة للغطاء النباتي البري فإن المنطقة تحتوي على أكثر من 500 نوع من أصناف النباتات البرية، ففي الجهات الغربية تنتشر نباتات العروق والمناطق المالحة، أما المناطق الشرقية فتحتوي على النباتات الجبلية والأنواع التي تكون عادة في المناطق الرطبة، ومن الأنواع المنتشرة بأغلب ربوع المنطقة: سباسب "تجمعات" السبط، الغزدير، الرتم، العرفج، الحلفاء، الشيح، لكليل، الزعتر، الحلاب، الأوطا، الأزال، العلندة، العلقة، الباكل، التوقفت، الجداري، القديم، البطوم، الطرفة، اللبانة، الباكل، البوركبة، الحارة، المثنان، العجان، الجداري، الدفلة، الضمران، يجوجة، العجرم، الصر، الخشراء، الجفجف، الرمث... (2)

6- الحيوانات وأنواعها:

إن التنوع البيئي بمنطقة الجنوب التونسي، كان له الدور البارز في تنوع الحياة البرية، ولهذا تعددت أصناف الحيوانات البرية بها، وتعتبر المنطقة الساحلية بالجنوب التونسي، من

(1) المرصد التونسي: تقرير حول قبلي، المرجع السابق. ص46.

(2) المرصد التونسي: تقرير حول قبلي، المرجع السابق. ص 41، 84. والمرصد التونسي: تقرير حول تطاوين، المرجع السابق. ص29. والمرصد التونسي: تقرير حول توزر، المرجع السابق. ص 46، 50-52. كذلك المرصد التونسي: تقرير حول مدنين، المرجع السابق. ص48.

أغنى مناطق تونس بالطيور والزواحف، كما تعتبر محطة للطيور المهاجرة، أما أهم أنواع الحيوانات بالمنطقة فهي: الغزال الأبيض "الريم"، الغزال الأداكس، غزال الدركاس، المها الصحراوي، النعام، الأرانب البرية، السبع، الثعلب، ابن آوى، الضربان، اليربوع، السلاحف، القنفذ، القط البري، الجربوع، فأر الرمال "الجرد"، وبالإضافة إلى ذلك توجد الحيوانات التي استألفها الإنسان وكانت عماد حياته في السابق، وعلى رأسها الإبل، الأغنام والماعز...

أما الطيور فمنها: طائر النعام، البط الصغار، الحذف المرمري والحذف الشتوي، بومفرفة، شخيرة، أبو منجل، طائر الحباري، القطا، سائق الابل، الكروان، القبرة، الابلق، المكة، العقاب الحر، البوجردة، الحجلة، الكروان، ومن الطيور المهاجرة: النسر المسرول، العقاب الأبيض، الصقر، الحداة، الشرشور، النقشارة، صائد الحشرات، الخطاف، الدخلة، الغرنوق، الوز، البط، اللقلق، البلاج، البجع، القطا، الكركي...

وبالنسبة للزواحف والهوام والحشرات فمن أنواعها: حذون الصحراء، أبو بريص، الضب، سمك الرمل "الشرشمان"، وأنواع من الثعابين منها: "الخفت الجزائري، الخفت ذو المسبحة، الخفت المتوج"، والأفاعي وأهمها: "ذات القرون، الاهرامات، ذات الذيل الأسود"، البعوض، الذباب، البوبيز "الصرصور"...

وباعتبار المنطقة يقع طرفها الشرقي على ساحل البحر، فهناك أنواع من الأسماك والحيوانات البحرية، ومنها: التن، السردينة، الغرنيط، الاسفنج، القمبري، المحار... (1)

(1) المرصد التونسي: تقرير حول قبلي، المرجع السابق. ص 14، 38، 39، 46. والمرصد التونسي: تقرير حول توزر، المرجع السابق. ص 16، 50-52. وكذلك المرصد التونسي: تقرير حول تطاوين، المرجع السابق. ص 29 والمرصد التونسي: تقرير حول مدنين، المرجع السابق. ص 19، 48-50، 81-87.

خلاصة الفصل: مقارنة بين الوضع الجغرافي للمنطقتين وتأثيره على العلاقات

- مساحة الجنوب التونسي أكبر من مساحة سوف، بالإضافة إلى أنها مجموعة من الأقاليم المتباينة طبيعياً، عكس منطقة وادي سوف التي تعد وحدة متماثلة تقريباً.
- نفس دوائر العرض تحد المنطقتين 30° - 34° ، مع المتاخمة الحدودية، وعليه فالمنطقتان تمثلان إمتداداً واحداً، وهو العامل الأبرز في نشأة الروابط بين المنطقتين.
- تقع منطقة الجنوب التونسي على البحر الأبيض المتوسط، وعليه فهي مفتحة على العالم، بفضل ميناء قابس وجربة وغيرها مما جعلها متنفساً إقتصادياً لمنطقة سوف.
- منطقة سوف عبارة عن كتلة ضخمة من الكثبان، باستثناء المنطقة الشمالية المتكونة من حمادات رملية وشطوط، ومنطقة الجنوب التونسي زيادة على مناطق الكثبان والحمادات، تحتوي على جبال ومسطحات مائية مائية عديدة، أهمها شط الغرسة وشط الجريد، بالإضافة إلى مواجهتها للبحر الأبيض المتوسط.
- تتماثل الخصائص المناخية والحياة الطبيعية بالمنطقتين، مع وجود أكثر تنوع بمنطقة الجنوب التونسي، لإتساعها ووجود بيئات أكثر منها الجبال والبحر.
- منطقة الجنوب التونسي قديمة العمران، بل ضاربة في أعماق التاريخ، عكس منطقة سوف التي تعد حديثة بالنسبة إليها، لذلك كان عمران سوف عن طريق مناطق الجنوب التونسي. كما سنها في الفصلين المواليين.
- تشتمل وادي سوف على عدة قرى ومدامر قاعدتها مدينة الوادي، لكنها إقليم واحد، أما منطقة الجنوب التونسي، فهي عبارة عن عدة أقاليم مختلفة، كل إقليم يحتوي على العديد من المدن والقرى.
- الحواضر القديمة في سوف، منطقة بشرية صنعها الإنسان بحفره للغيطان، لذلك فهي موطن للمزارعين الحضر، بينما بقية مناطق العرق الشرقي للرعاة شبه الرحل، وكذلك في أقاليم الجنوب التونسي، يتوزع سكان المنطقة بين الحضر المزارعين مثل سكان بلاد الجريد وقابس، والرعاة شبه الرحل كسكان نفزاوة وتطاوين وغيرهم.

- تعتبر سوف وحدة مستقلة، بفضل ما لديها من وسائل استغلال، وإمكانات طبيعية وبشرية، كما تتميز مناطق الجنوب التونسي، بمساحاتها الصحراوية الشاسعة، وبوحداتها الغناء الملتقة حول عدد من منابع الماء، وإمكانياتها المتنوعة.

مما سبق يظهر جليا الموقع الاستراتيجي لمنطقة الجنوب التونسي ووادي سوف، باعتبارها منطقة عبور، تربط بين البحر والصحراء، وبين الشمال المغاربي وجنوبه، وبين المغرب العربي ومشرقه، ويربط ثلاث دول الجزائر وتونس وليبيا، وعليه نرى الهجرات المختلفة بين المغرب والمشرق، والمبادلات التجارية وغيرها تمر بالمنطقة، وهو ما أكسبها أهمية على أكثر من صعيد، عبر التاريخ المشترك للمنطقة.

الفصل الثاني:

الإطار التاريخي

وأثره في تجذر العلاقات بين المنطقتين

أولا - مرحلة ما قبل الفتح الإسلامي

- أول السكان - الفينيقيون - الرومان - الوندال - البيزنطيون

ثانيا - من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الوسيط

- الفتح الإسلامي - الدولة الفاطمية - الهجرة الهلالية

ثالثا: المنطقة أثناء العهد العثماني

- وضع منطقة سوف - العثمانيون في الجنوب التونسي - الفتنة الباشية الحسينية في تونس - سوف بين الإيالة العثمانية والإمارة الجلابية

رابعا: الاستعمار الفرنسي بالمنطقة

- إحتلال منطقة سوف - الفرنسيون بالجنوب التونسي
- تآزر السوفة وسكان الجنوب التونسي ضد الاحتلال
- التنظيم الإداري بوادي سوف والجنوب التونسي

تكمن أهمية هذا العنصر في تبين أن العلاقات بين إقليمي وادي سوف والجنوب التونسي ليست وليدة ظرف أو حدث في فترة معينة، وإنما هي ضاربة في عمق التاريخ، متواصلة عبر الأحقاب والأجيال، وسنحاول تقسيم الفترات التاريخية كما هو معهود لدى الباحثين، حسب ترتيب الأحداث وأهميتها من حيث التأثير، كالآتي:

- مرحلة ما قبل الفتح الإسلامي.
- من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الوسيط.
- العهد العثماني بالمنطقة.
- المنطقة ضمن الوجود الاستعماري.

أولا - مرحلة ما قبل الفتح الإسلامي:

إن المنطقة التي نحن بصدد دراستها ضاربة في عمق التاريخ، فقد شهدت بعض مناطقها حضارات بدائية، وهي الحضارة العاترية⁽¹⁾ والقفصية⁽²⁾، وهناك ما يشير إلى قدم مدينة توزر، فهذا ابن الشباط التوزري - وغيره من المؤرخين - يرى أن بانيها هو قسطل بن سام بن نوح عليه السلام⁽³⁾، لذلك كانت تدعى سابقا بقسطيلية⁽⁴⁾.

(1) الحضارة العاترية: نسبة إلى مدينة بئر العاتر، بالشرق الجزائري. والحضارة القفصية: نسبة إلى مدينة قفصة بالجنوب الغربي التونسي لكن انتشار الحضارتين كان في مناطق متعددة من بلاد المغرب القديم.

(2) أنظر محمد سحنوني: ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999. ص 105، 119. ومحمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، دار الهدى-عين مليلة، الجزائر، 2008. ص 199.

(3) أحمد البخترى: الجديد في أدب الجريد، الشركة التونسية للتوزيع، 1973. ص 16. وأيضا صابر سميح: نقطة بوابة الصحراء تخذل خليف، جريدة دنيا العرب، الجمعة 2010/10/08، ص 10. وكذلك أوغست-أنطوان دي باتي دي كلام: المرجع السابق. ص 16، 34.

(4) يوسع ابن خلدون دائرة قسطيلية فيجعلها قصة وتوزر ونفزاوة، ويسمّيها كذلك بلاد الجريد. أنظر ابن خلدون: العبر، المرجع السابق. ج 6 ص 132.

1- أول السكان ببلاد المغرب:

تشير الدراسات التي تناولت تاريخ المنطقة، أنه على الرغم من طبيعتها القاسية - خاصة وادي سوف-، فإنها لم تكن خلو من السكان، بل كانت آهلة بالمقيمين الأصليين، والمهاجرين الوافدين على حد سواء، ومما لا جدال فيه بين المؤرخين، أن سكان المنطقة الأصليين، كانوا البربر الأمازيغ⁽¹⁾، ومنهم قبائل الزيغون والايفوراس "مسوفة"، الذين كانوا بدوا رحلا يغيرون على الممتلكات القرطاجية ثم الرومانية⁽²⁾، ثم وفدت بطون من مطماطة، زواغة، لماية، نفوسة، زناتة ومنهم بنو مرين وبنو تبتوت⁽³⁾، وقد تسمت بهم كثير من المناطق، ومنها: تكسبت تغزوت توزر مطماطة ... وغيرها⁽⁴⁾، كما أن الاسم الأمازيغي لبعض أنواع التمور، يدل على وجودهم، مثل: تافرزايت، وتافزوين، تكرمست، تاشروين، تمرزايت، تمرجرت، تازقيت، تنسين، طانتبوشت، توراخت... الخ.⁽⁵⁾

بالنسبة لمنطقة الجنوب التونسي فأهم القبائل البربرية التي استوطنته: لواتة، زناتة، ومطماطة التي مازالت بقاياها الى اليوم⁽⁶⁾، أما في منطقة سوف فإن قبيلة زناتة، كانت دائمة الترحال والوجود بأرضها، لكن استقرارهم بها وقرّهم للقرى كان متأخرا نسبيا، يعود إلى دخول

(1) ابن خلدون: العبر، المصدر السابق. ج 6 ص 116.

(2) أندري فوازان: المرجع السابق. ص 81-82.

(3) محمد العدواني: تاريخ العدواني، تحقيق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، طبعة خاصة، الجزائر، 2011. ص 92. وإبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 103-105. وأيضا الدراجي بوزياني: القبائل الأمازيغية، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007. ج 2 ص 287.

(4) أندري فوازان: المرجع السابق. ص 82. وإبراهيم مياسي: الصحراء...، المرجع السابق. ص 119. وكذلك بلقاسم بن جراد: قابس عبر التاريخ، مطبعة الخدمات الشريعة-قابس، تونس، 2001. ص 34. ومحمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 26. وأيضا المرصد التونسي: تقرير حول تطاوين، المرجع السابق. ص 09. والمرصد التونسي: تقرير حول قبلي، المرجع السابق. ص 09.

(5) جستون كوفي: غراسة النخيل في سوف "مذكرات 1900-1901"، تر عبد القادر ميهي، من اصارات دار الثقافة-الوادي، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط 1، 2013. 73-78. وأندري فوازان: المرجع السابق. ص 82، 240. وإبراهيم مياسي: الصحراء...، المرجع السابق. ص 119.

(6) بلقاسم بن محمد بن جراد: المرجع السابق. ص 34.

هلال وسليم إفريقية، ومردّ ذلك إلى حياة البداوة التي تعيشها القبيلة، وباستقرارهم أنشؤوا بلدة الجردانية⁽¹⁾، أو أصلحوها بعد خرابها، وكانت مسورة، وآثار سورها بقيت لعهد مؤلف كتاب الصروف، كما بنو بلدة تكسبت القديمة حوالي 522هـ/1129م⁽²⁾، وموضعها اليوم نزلة "ضواي روحه"⁽³⁾ وهو حي يقع شمال مدينة الوادي⁽⁴⁾، أما قاعدة مملكة زناتة بسوف فهي تاكرارت، التي تقع شمال منطقة سوف، قرب الميته وأبي دخان وعقلة الطرودي، بين الجردانية وعين البيضاء⁽⁵⁾، وكانت تاكرارت أهلة ومبينة بالصخر الكبير، وقد عاين العوامر آثارها وآثار حزوة، وقريتين آخرين تقعان على الطريق الرابط بين تقرت والوادي.⁽⁶⁾

وفي الجنوب التونسي أسست زناتة عدة قرى، منها قرية "حزوة"، التي تقع بين وادي سوف ونفطة التونسية، وهي منسوبة لإمرأة زناتية تدعى "حزوة"⁽⁷⁾، ومن القرى التي مازالت منتصبة على قمم الجبال، والتي شيدتها القبائل الأمازيغية، نجد قرى: تازغنت، بني بركة، قطوفة، سدرية...، بالجبل الأبيض، وغمراسن، الدويرات، شنيني، قرماسة...، بجبل دمر، وفي منطقة نفزاوة، نجد قرية تلمين والواحات الشمالية.⁽⁸⁾

(1) الجردانية: كانت تسمى "البليدة"، وتقع شمال مدينة الوادي بحوالي 50 كلم، قرب سيف المنادي على طريق "الفيض" ونقرين، ماؤها مر لكنها ذات كلاً وفير. إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 105، 138. إبراهيم مياشي: الصحراء... المرجع السابق. ص 120.

(2) إبراهيم مياشي: الصحراء... المرجع السابق. ص 125، 28.

(3) نزلة ضواي روحه: قيل سميت كذلك لصدور ضوء من ذلك المكان من غير فعل فاعل، وتسمى اليوم النزلة، وإداريا حي النخيل. إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 105، 1370.

(4) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 105، 137.

(5) تاكرارت: اسم محلة الجند بلسان البربر. أنظر ابن خلدون: العبر، المرجع السابق. ج 6 ص 247، وج 7 ص 62.

(6) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 105.

(7) نفس المكان.

(8) المرصد التونسي: تقرير حول تطاوين، المرجع السابق. ص 09. ومحمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 24. وكذلك هنري دي فارييه: مذكرات الطريق-رحلة في الواحات الجزائرية والتونسية، 1860-1861، تر عبد القادر ميهي، من إصدارات دار الثقافة-الوادي، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط 1، 2014. ص 91.

2- الفينيقيون "أقدم الوافدين":

أما الأجناس الوافدة فأولها الفينيقيون، وهم من أدخل الكتابة لبلاد المغرب، باعتبارهم أصحاب أول أبجدية في التاريخ، حيث تأثر بهم البربر خاصة النوميدي⁽¹⁾، وقد أسس الفينيقيون قرطاجة حوالي 814 ق.م.⁽²⁾

وبالنسبة لمنطقة سوف فإن الحكم القرطاجي لم يصل إليها، لكنها كانت طريق تجارتهم البري لبلاد السودان، وإن كانت أغلب تجارتها تتم عبر البحر⁽³⁾، وتشير بعض الكتابات إلى وصولهم إلى الجردانية والنازية شمال سوف، ويدعم هذا الرأي العثور على نقود قرطاجية، وعند مرور الرحالة دي فاربييه بالمنطقة تحصل على بعض منها.⁽⁴⁾

أما في منطقة الجنوب التونسي فإن تأثير الحضور الفينيقي كان كبيرا بامتداده لحوالي الألف عام، من أواخر الألف الثانية قبل الميلاد إلى تاريخ تهديم قرطاجة سنة 146 ق.م، فقد أسس القرطاجيون مدنا ساحلية على طول الساحل المغاربي، منها تكباي أو تكاب "قابس"، ونجدتاينا "هنشير تتا"، وجقتي "بوغرة"، وزوخيس "لمدينة"...⁽⁵⁾، لكن المناطق الداخلية للجنوب التونسي لم تخضع للحكم القرطاجي المباشر.⁽⁶⁾

(1) حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، تح حمادي الساطي، دار الجنوب، تونس، 2015. ص 15. والعوامر: المصدر السابق. ص 109. وإبراهيم العيد بشي: تاريخ مختصر لأهم حضارات الشرق القديمة، دار هومة، الجزائر، 2007. ص 174-175. ولييب عبد الساتر: الحضارات، دار المشرق-بيروت، لبنان، ط 16، 2003. ص 88

(2) محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم - السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، دط، دت. ص 44 وما بعدها. وأيضا لبيب عبد الساتر: المرجع السابق. ص 103.

(3) أنظر إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 107-108. وأندي فوازان: المرجع السابق. ص 83.

(4) مياسي: الصحراء... مرجع سابق. ص 120. وجستون كوفي: مذكرات حول سوف والسوافة، تر عبد القادر ميهي، إصدار دار الثقافة-الوادي، مطبعة الرمال-الوادي، الجزائر، ط 1، 2016. ص 60. ودي فاربييه: مصدر سابق. ص 53.

(5) أنظر محمد الهادي الشريف: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تع محمد الشاوش ومحمد عجينة، دار سراس للنشر، تونس، ط 3، 1993. ص 17. وسالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة جرجيس من العصور القديمة إلى نهاية الاحتلال الفرنسي، الشركة العامة للطباعة-سوجيم، تونس، ط 1، 2001. ص 15-16. وكذلك بلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص 16.

(6) أوغست-أنطوان دي باتي دي كلام: المرجع السابق. ص 16.

وإن لم تخضع بلاد الجريد والجنوب التونسي بصفة عامة للحكم القرطاجي المباشر، باعتبار موقعها البعيد نسبيا عن مراكز الحكم، إلا أن التأثير البونيقي على المنطقة ما زال ماثلا الى اليوم، في صورة بعض العادات، مثل تعليق التمايم، واليد المفتوحة "الخمسة"، والسمكة "الحوتة" دفعا للعين⁽¹⁾، والأكيد أنها انتقلت إلى سوف من الجنوب التونسي.

3- الوجود الروماني "أول المحتلين":

وبانقضاء الحروب البونية 264-146 ق.م كان الرومان قد هدموا قرطاجة وجعلوها قاعا صفصفا، وبذلك قضوا على الوجود الفينيقي ببلاد المغرب، وكان ذلك بمساعدة البربر أنفسهم⁽²⁾، فقد وعدهم الرومان أن حكم البلاد سيكون خالصا في أيديهم، لكن بمجرد أن انتصر الرومان، حتى قلبوا ظهر المجن لحلفائهم البربر، واحتلوا بلادهم⁽³⁾، وتلك هي عقبي السذاجة وعدم إعمال العقل، مما حدا ببعض البربر الأحرار إلى مقاومة التوسع الروماني، ومنها مقاومة تاكفاريناس التي استمرت ثمانية أعوام تقريبا، وبعد أن قضى عليها الرومان، تمكنوا من التحكم بمناطق الجنوب التونسي وما والاها.⁽⁴⁾

وقد دخلت منطقة الجنوب التونسي ضمن الهيمنة الرومانية، فكانت داخل منظومة أو خط⁽⁵⁾ الليمس، حيث كانت بلدة تلمين "قرب قبلي" من مراكزه، وسيطر الرومان على أغلب مناطقه، فكانت المنطقة جزءا من البروقنصلية "الولاية الرومانية بإفريقيا"⁽⁶⁾، وخلفوا به آثارا

(1) محمد الهادي الشريف: المرجع السابق. ص 24.

(2) ينظر محمد الهادي حارش: المرجع السابق. ص 57-71. ومحمد الهادي الشريف: المرجع السابق. ص 22.

إبراهيم العيد بشي: المرجع السابق. ص 176-179. وحسن حسني عبد الوهاب: المصدر السابق. ص 19. وأيضا

ليبيب عبد الساتر: المرجع السابق. ص 186. وسالم لبيص: تاريخ شبه جزيرة ... المرجع السابق. ص 19.

(3) أنظر حسن حسني عبد الوهاب: المصدر السابق. ص 24. وإبراهيم العيد بشي: المرجع السابق. ص 183.

(4) سالم لبيص: تاريخ شبه جزيرة ... المرجع السابق. ص 19.

(5) خط الليمس: وهو عبارة عن مراكز عسكرية متقدمة، تفصل الإمبراطورية الرومانية والمناطق الأخرى الخارجة عن سيطرتها (حدود الدولة الرومانية). أنظر محمد الهادي حارش: المرجع السابق. ص 186-188.

(6) أوغست-أنطوان دي باتي دي كلام: المرجع السابق. ص 16. وأيضا أندري فوازان: مرجع سابق. ص 85-86.

ومحمد الهادي حارش: مرجع سابق. ص 187.

عديدة تدل على ذلك (1)، منها بمدن توزر ونفزاوة وقابس...، ومن هذه الآثار بقايا مباني وأسوار ومسلات...، ومن تأثير الرومان والبيزنطيين في الجنوب التونسي انتشار المسيحية خاصة بالمناطق الساحلية. (2)

أما منطقة سوف فقد كانت تقع جنوب وغرب الوجود الروماني، ومن مراكز الليمس القريبة منها: تلمين، تهودة، نقرين "جميلة الصغرى"....، ومع ذلك فقد عثر على نقود رومانية كثيرة بسوف (3)، فالمؤكد أنهم مروا عليها، لكن هل استوطنوها ؟

تذكر روايات أن الرومان استوطنوا الجردانية والنازية (4)، بعد أن أخرجوا منها البربر، ويزعم البعض أنهم أسسوا بسوف عدة مراكز منها: سندروس (5) وأغرد الوصيف (6) وقمار

(1) سالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة ... المرجع السابق. ص 20. حفيظ الطبايبي: حول أزمة المجتمع الرعوي التقليدي خلال الفترة الاستعمارية ومسار إخضاع البداوة (مثال جهة قفصة)، مدونة أعمال الندوة الدولية الثانية عشر حول "الجنوب التونسي من الاحتلال إلى الاستقلال 1881-1956، المنعقد بتونس أيام 6 و7 و8 ماي 2004"، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، سلسلة تاريخ الحركة الوطنية، عدد 12، تونس، 2005. ص 49.

(2) دي فاربييه: مصدر سابق. ص 69، 79. محمد المرزوقي وعلي المرزوقي: ثورة المرازيق 1943 بالجنوب الغربي التونسي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1979. ص 15. والحباشي: المرجع السابق. 07

(3) محمد الهادي حارش: المرجع السابق. ص 187. وأندري فوازان: المرجع السابق. ص ص 85-86، 88.

(4) إبراهيم مياشي: الصحراء ... المرجع السابق. ص 120-122.

(5) زملة سندروس: موضع يقع جنوب بلدة النخلة بحوالي 06 كلم، وجنوب مدينة الوادي 20 كلم، مر بها بربر زناتة، والرومان المحتلين، والعرب الفاتحين، وسبب تسميتها مختلف فيه (نسبة لشجرة السندروس، أو إلى القديسة سانت روس، أو تسمية رومانية يجهل معناها)، وتحتوي سندروس على آثار رومانية مطمورة تحت الرمال، ظهرت أول مرة حوالي سنة 1930 عند حفر الغيطان، وكذلك عن طريق أخبار الشيوخ الأقدمين، وقد ذكر لي الطالب الطاهر حميداتو أنه عاين بأعينه وهو صغير آثار رومانية بيعض غيطان زملة سندروس، قبل أن تظمرها الرمال مجددا، حيث كان يسير فوق جدرانها، وكانت بعرض يقارب المتر، كما أن عضو المجلس الولائي في الثمانينات، السيد عبد الرزاق دادة، كان اقترح مع بعض أعضاء المجلس القيام بمشروع تنقيبي في المنطقة، لكن المشروع لم يجد آذانا صاغية. أنظر إبراهيم العوامر: مصدر سابق، ص ص 91، 109، 120. C.L. Bataillon: **Le souf monographie**, institut de recherche sahariennes, université d'Alger, 1953 p41.

لقاء مع الطالب الطاهر حميداتو، بمنزله الكائن ببلدة النخلة، يوم 23 ديسمبر 2011. ولقاء مع الأستاذ عبد الرزاق دادة، ببيته الكائن بحي النور-بلدية الوادي، يوم 02 ماي 2012.

(6) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 109. وكذلك أندري فوازان: المرجع السابق. ص 63.

والرقبية، ويدللون على وجودهم بالقطع النقدية التي عثر عليها (1) بالمنطقة (2)، ومن تلك العملات النحاسية الرومانية والبيزنطية ما كانت متداولة، لكنها اختفت زمن الحرب العالمية الأولى لغلاء النحاس، فاستولى عليها الصاغة اليهود، وقاموا بإذابتها وتحويلها إلى حلي. (3)

4- الاحتلال الوندالي بمباركة الأهالي:

ولأن الأيام دول كما يقال، فقد دخل الوندال بلاد المغرب من فجّها الغربي بداية القرن 5م، وأطاحوا بسيطرة الرومان عليها، وحلّوا محلهم بعد حروب استمرت أكثر من عشر سنين (429-439م) (4)، بمساعدة الأهالي، وصالوا في البلاد وجالوا متتبعين كل ما هو روماني، حيث لاحقوا فلولهم، وأعملوا فيهم السيف، فلم يسلم من بطشهم أحد حتى رجال الدين، ففرّ الرهبان إلى الجنوب فرقا منهم، أو تمّ نفيهم من طرف الوندال (5)، فكان مستقرهم في الجنوب أي بلاد الجريد والزاب وورقلة وغيرها، ثم انتقل بعضهم لسوف أوائل القرن 7هـ/13م (6)، وبمنطقة سوف كان مقامهم خاصة بجلهمة (7) وسحبان (8)، وقد اقتصر وجود الوندال على الجهة الشرقية من بلاد المغرب، خاصة بالسواحل، ولم يكن لهم تأثير ذا بال، فقد كانت دولتهم

(1) يذكر الأستاذ أحمد ناجح أنه أول من عثر على نقود رومانية وسلمها لمتحف الوادي (Ahmed Nadjah: op. cit.)

(29)، لكن الرحالة دي فاربييه الذي زار وادي سوف سنة 1860م، يورد في رحلته أنه تحصل على نقود رومانية منها ما يعود لقسطنطين. أنظر هنري دي فاربييه: المصدر السابق. ص 53.

(2) إبراهيم مياسي: الصحراء... المرجع السابق. ص ص 120-122.

(3) أنظر: جستون كوفي: المصدر السابق. ص 120. وأنصري فوزان: المرجع السابق. ص 90.

(4) أنظر: محمد الهادي حارش: المرجع السابق. ص ص 233-241 ومحمد الهادي الشريف: المرجع السابق. ص 33.

وأيضاً إبراهيم العيد بشي: المرجع السابق. ص 195. ومحمد العربي عقون: المرجع السابق. ص 295.

(5) حسن عبد الوهاب: مصدر سابق. ص 29. فوزان: مرجع سابق. ص 89. Ahmed Nadjah: op. cit. p29

(6) العوامر: المصدر السابق. ص ص 112-113، 145. وإبراهيم مياسي: الصحراء... مرجع سابق. ص 122-123

(7) جلهمة: هي بلدة قمار الحالية، أو بالقرب منها، تقع شمال مدينة الوادي وتبعد عنها 18 كلم تقريبا. إبراهيم العوامر:

المصدر السابق. ص 113

سحبان: قرية تقع في الأحواز الغربية لبلدة أميه ونسة، تبعد عن مدينة الوادي بحوالي 27 كلم إلى الغرب.

(8) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 113. وجستون كوفي: المصدر السابق. ص 61.

كحصن من ورق سرعان ما انهار (1)، تحت ضربات البزنطيين.

5- البيزنطيون ومحاولة استرجاع مجد روما:

خلف الوندال على بلاد المغرب الروم الشرقيون "البيزنطيون"، حيث استطاع الإمبراطور البيزنطي جستنيان القضاء على الوندال، والسيطرة على قرطاجنة 533م (2)، لكن أغلب سيطرتهم كانت على الجهة الشرقية، وعاصمتهم "سبيطلة"، ووجودهم أضعف من سابقهم، حتى أن الحاكم البيزنطي "جرجير" أعلن انفصاله بالمغرب عن بيزنطة (3)، لكن عاجلته الفتوحات الإسلامية التي أتت بالوفاء الأكثر تأثيراً على بلاد المغرب برمتها، ومنها منطقتا سوف والجنوب التونسي، ألا وهو العنصر العربي.

ثانياً- من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الوسيط:

تعتبر هذه المرحلة حاسمة في تاريخ بلاد المغرب قاطبة، ومنها منطقتا وادي سوف والجنوب التونسي، فقد شهدت أحداثاً تاريخية جساماً، نتجت عنها تغيرات سياسية واقتصادية هامة، أفضت إلى تغير الخارطة البشرية للمنطقة.

1- الفتح الإسلامي:

بعد أن استتب أمر الإسلام في أنحاء جزيرة العرب، انطق المسلمون ينشرون دينهم بأمر من الله في كافة بقاع المعمورة، بادئين بما يليهم من أقطار، وكانت بلاد المغرب من بين البلدان القريبة منهم، لذلك وصلها الإسلام مبكراً، ففي عام 27هـ/647م أرسل الخليفة عثمان

(1) ينظر محمد الهادي حارش: المرجع السابق. ص 245. ومحمد الهادي الشريف: المرجع السابق. ص 34. وكذلك سالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة... المرجع السابق. ص 23.

(2) حسن حسني عبد الوهاب: المصدر السابق. ص 31. وسالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة... المرجع السابق. ص 23. محمد الهادي حارش: المرجع السابق. ص 266-269.

(3) أنظر إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 116. ومحمد الهادي حارش: المرجع السابق. ص 286.

بن عقّان حملة لفتح إفريقية بقيادة عبد الله بن أبي السرح، وكان في الجيش كبار وجوه الصحابة، منهم عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس...، حتى سميت هذه الحملة بغزوة العبادلة، وكانت بلاد المغرب قد استقل بها الولاة عن الإمبراطورية البيزنطية، وأعظمهم شأنًا البطريق جرجير صاحب سبيطة⁽¹⁾، الذي تعاون مع بعض البربر ضد الفاتحين المسلمين، فكانت هذه الواقعة نهاية العهد البيزنطي بالبلاد⁽²⁾، بفتح المسلمون لحاضرتها "سبيطة"، ثم عادت الحملة أدراجها إلى مصر لظروف يضيق المقام ولا يتسع لبسطها.⁽³⁾

ثم قاد عملية فتح المغرب معاوية بن حديج عام 34هـ، وهو أول من بنى القيروانا⁽⁴⁾ للمسلمين بإفريقية، ثم خلفه عقبة بن نافع الفهري سنة 46هـ⁽⁵⁾ الذي أرسل حسان بن النعمان في سرايا، للتوغل في بلاد الجريد⁽⁶⁾ والزاب وما يليها جنوبا، وهي منطقة وادي سوف.⁽⁷⁾

واستتب الأمر للفاتحين آخر المطاف عام 84هـ، بعد كَرّ وفرّ مع جحافل البربر، الذين رابهم أمر المسلمين أول الأمر، وارتدوا عن الإسلام مرارا، ثم انجلى الموقف على تمكّن المسلمين من البلاد، ثم ما لبث أن انتشر الإسلام بين البربر⁽⁸⁾، وأضحت بلادهم قاعدة لفتح أصقاع أخرى، حيث كانت منطلقا لحملة طارق بن زياد على الأندلس 710-711م⁽⁹⁾،

-
- (1) أنظر ابن خلدون: المصدر السابق. ج 6 ص 141. أما ابن عبد الحكم فذكر أن عاصمة ملك جرجير "قرطاجنة" راجع ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، تح عبد المعمر عامر، شركة الأمل للطباعة والنشر، مصر، 1999. ج 1 ص 246.
- (2) بلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص 57.
- (3) ابن عبد الحكم: المصدر السابق. ج 1 ص ص 246-252.
- (4) القيروان: أصلها فارسية وتعني معسكر الجند.
- (5) ابن عبد الحكم: المصدر السابق. ج 1 ص ص 260-265. أوغست-أنطوان دي باتي: المرجع السابق. ص 17.
- (6) حسن حسني عبد الوهاب: المصدر السابق. ص 43.
- (7) أندري فوازان: المرجع السابق. ص ص 91، 118.
- (8) أنظر ابن خلدون: المصدر السابق. ج 6 ص 135. وحسن حسني عبد الوهاب: المصدر السابق. ص 47.
- ومنظمة الأمم المتحدة-الصلوك الدولية لحقوق الانسان: تقرير الدول الأعضاء، تقرير دولة تونس، 1994. ص 03.
- (9) أوغست أنطوان: المرجع السابق. ص ص 08، 17، 51.

وأصبحوا من خير أجناد الإسلام، وعلى كواهلهم تأسست عدة دول أهمها الدولة الفاطمية (1)، التي كان لها شأن في تغيير الخارطة البشرية للمنطقة برمتها.

2- الدولة الفاطمية ببلاد المغرب:

إن بعد بلاد المغرب عن عاصمة الخلافة في دمشق ثم بغداد، جعله ملاذا آمنا لأصحاب المذاهب المضطهدة، لذلك عرف انتشارا واسع للمذهب الإباضي، والصفري، والشيوعي...، وعلى هذا تأسست ببلاد المغرب دولا على الأساس المذهبي، أهمها الدولة الفاطمية، وما كان ذلك إلا استغلال البربر لهذه المذهبية، في مقاومة استئثار الأقلية العربية بالهيمنة السياسية على البلاد. (2)

وكانت الدول قبل الفواطم، تعتمد على العنصر العربي في حكم البلاد، فعملوا على تكثير سواده ببلاد المغرب، إذ بمجرد دخول البلاد في حوزة الإسلام، حتى بدأ العرب في الاستيطان بالبلاد، على فترات ومراحل مختلفة، لكن استيطانهم الأشد كان بمجيء القبائل الهلالية والسليمية، في هجرتهم المشهورة ابتداء من عام 442هـ/1051م. (3)

(1) الدولة الفاطمية (297-567هـ/910-1173م): الوحيدة بين دول الخلافة الإسلامية التي اتخذت من المذهب الشيعي مذهباً رسمياً لها، وقامت هذه الدولة بفضل الدعاة الإسماعيليين الذين استطاعوا استقطاب الأنصار في بلاد المغرب خاصة قبيلة كتامة البربرية، وأعلنوا قيام خلافتهم بعد حين. شملت الدولة الفاطمية مناطق وأقاليم واسعة في شمال إفريقيا والحجاز والشام وصقلية، فأضحت دولتهم أكبر دولة استقلت عن الخلافة العباسية، والمنافس الرئيسي لها على زعامة الأراضي المقدسة "الحجاز والقدس" وزعامة المسلمين. اختلفت المصادر التاريخية حول تحديد نسب الفاطميين، فمعظم المصادر الشيعية تؤكد صحة ما قال به مؤسس هذه الدولة، عبيد الله المهدي بالله، وهو أن الفاطميين يرجعون بنسبهم إلى فاطمة الزهراء، بالمقابل أنكرت مصادر أخرى هذا النسب، وأرجعت أصل عبيد الله المهدي إلى الفرس أو اليهود.

أنظر: محمد الصالح مرمول: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983. ص 8-9، 119، 142 وما بعدها.

(2) محمد الهادي الشريف: المرجع السابق. ص 40. وسالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة... المرجع السابق. ص 27.

(3) Ahmed Nadjah: op. cit. p 48.

3- الهجرة الهلالية وتعريب المنطقة:

ضمّ الفاطميون مصر عام 358هـ/969م، وانتقل خليفتهم المعز لدين الله (342-365هـ/954-976) إلى عاصمته الجديدة القاهرة عام 362/973م، فولى أمر بلاد المغرب إلى حليفه أبو الفتوح يوسف بلكين بن زيري الصنهاجي⁽¹⁾ أول حكام الدولة الزييرية (362-555هـ/973-1160م)، والملاحظ هو فشل الشيعة في ترسيخ عاداتهم ببلاد المغرب⁽²⁾، رغم محاولتهم تجذير مذهبهم⁽³⁾، عدا طقوس لبعض الاحتفالات مثل الاحتفال بعاشوراء، أو بعض المعتقدات كحضور علي بن أبي طالب وفاطمة في الذاكرة الشعبية، أكثر باقي الصحابة.⁽⁴⁾ ولما آل أمر المغرب للمعز بن باديس بن المنصور بن بلكين سنة 406هـ/1016م⁽⁵⁾، وقعت ثورة العامة المتبعين لمذهب السنة، على القلّة الشيعية، واضطر المعزّ إلى مجازاة العامة، فقطع ما بينه وبين الفاطميين، بنبذه للمذهب الشيعي، وحمله الناس على إتباع مذهب الإمام مالك⁽⁶⁾، حسماً للخلافات المذهبية، وفي سنة 439هـ/1047م أمر بالدعاء للخليفة

(1) محمد الصالح مرمول: المرجع السابق. ص 09.

(2) بلقاسم بن جرّاد: المرجع السابق. ص 62.

(3) حاول الفاطميون إجبار الناس على العمل بمذهب الإسماعيلية الشيعي، وسلطوا على العلماء المالكية صنوف العذاب والتكيل لمجرد الشبهة، وقتلوا بعضهم بتهمة الفتوى على مذهب مالك. أنظر محمد الصالح مرمول: المرجع السابق. ص ص 119، 142 وما بعدها.

(4) سالم لبيّض: القضاء والقضاة ... المرجع السابق. ص 143.

(5) حسن حسني عبد الوهاب: المصدر السابق. ص 78.

(6) الإمام مالك بن أنس الأصبحي: أصل عائلته من اليمن، ولد بالمدينة المنورة عام 93هـ/712م، وبها توفي وقبر سنة 179هـ/796م، علا كعبه في الفقه والحديث حتى دعي بإمام دار الهجرة، له عدة مؤلفات، أشهرها "الموطأ" الذي جمع فيه الحديث والمسائل الفقهية، له مكانة رفيعة بين العلماء حتى قيل: "لا يفتي ومالك في المدينة"، وله هيبه يقول تلميذه الشافعي: "ما هبت أحدا قط، هييتي مالك بن أنس حين نظرت إليه"، ويعتمد مذهب مالك على الكتاب والسنة وعمل أهل المدينة والمصالح المرسلّة (دفع مضرة أو جلب مصلحة لم يشهد لها الشرع بإبطال) والقياس وسد الذرائع (منع الفعل المباح المؤدي للعمل المحظور)، إنتشر مذهبه في كثير من مناطق العالم الإسلامي، خاصة بلاد المغرب. راجع عبد الغني الدقر: الإمام مالك بن أنس-إمام دار الهجرة، ط2، دار القلم، بيروت-لبنان، 1990. صفحات متعددة.

العباسي على المنابر⁽¹⁾، فحنق عليه الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (1036-1094م) أشد الحنق، وأراد الانتقام منه، لكن بعدت عليه الشقة للظفر به، فأشار عليه وزيره الحسن بن علي اليازوري، بإرسال عرب الصعيد إليه من بني هلال وسليم⁽²⁾، فيكفونه مؤونة ذلك، ويكون قد أدرك ثأره منه، لعلمه أن هؤلاء الأعراب لا يدينون لحاكم.⁽³⁾

فأغرى الفاطمي تلك القبائل بأرض المغرب، بعد أن استمال اليازوري كبراء القوم وأعيانهم بالهدايا والهبات، وتحمل ديات القتلى من الجانبين، وأجاز لهم عبور النيل وقد كان محرما عليهم من قبل، وأخبرهم بأنه نفلهم بلاد المغرب والمعز بن باديس، فلا يفتقرون بعدها أبدا⁽⁴⁾، وزيادة في ترغيبهم أعطى كل واحد منهم بعيرا ودينارا⁽⁵⁾، فانتشروا في البلاد، بدءا

(1) عبد الحميد بوسماحة: رحلة بني هلال إلى الغرب-وخصائصها التاريخية، الاجتماعية والاقتصادية، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008. ج 1 ص ص 76-77. بلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص ص 37، 63.
(2) كانت مضارب العرب من سليم وهلال وعدوان أواسط الجزيرة العربية، ومساكنهم بين الحجاز ونجد، ولما ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، انتقلت منهم بطون كبيرة إلى صعيد مصر على فترات، كان أولها عام 90هـ أو 109هـ/709م، ثم تلتها دفعات إلى عام 980م، كما أن العزيز بالله بن المعز الفاطمي نقل بني سليم من مضاربهم، وألحقهم بإخوانهم في صعيد مصر، وحدد للجميع العدو الشرقية لوادي النيل لا يجاوزونه، حيث كانت لهم أحياء عظيمة، وكان بنو هلال السابقين في الهجرة إلى بلاد المغرب، وفي سنة 443هـ استجدوا ببني عمومته من سليم فاندفعوا إلى إفريقية في جموع لم يصمد أمامها شيء، وبفضلهم انتصر هلال على المعز بن باديس الصنهاجي، ولم يكد الأمر يستتب للعرب بإفريقية سنة 449هـ، حتى دب الخلاف بين الحسين، هلال وسليم، فتغلبت سليم على كامل إقليم طرابلس والجنوب التونسي ووسطه، حيث مواطنهم إلى الآن، بينما انحاز بنو هلال إلى الشمال، ثم اندفعوا إلى الجزائر فالمغرب الأقصى. ابن خلدون: المصدر السابق. ج 6 ص 18 وما بعدها. محمد الهادي الشريف: المرجع السابق. ص ص 16-17. عبد الحميد بوسماحة: المرجع السابق. ج 1 ص 69. إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 121، 129. مبارك الملي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق محمد الملي، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، دت. ج 2 / ص 179.

(3) لم يكن إرسال الفاطمي للأعراب انتقاما من صنهاجة والمعز فحسب، لكنه أراد أيضا التخلص منهم بسبب القلاقل التي يسببونها، وكذلك لسوء حال مصر في ذلك الوقت، بسبب سوء سياسة الفاطميين وانخفاض منسوب النيل... عبد الحميد بوسماحة: المرجع السابق. ج 1 ص 69 وما بعدها. ابن خلدون: المصدر السابق. ج 6 ص 19.

(4) عبد الحميد بوسماحة: المرجع السابق. ج 1 ص 77.

(5) ومن سياسة الوزير اليازوري، أنه حين أراد بقية العرب للحاق ببني عمومته إلى المغرب، وطلبوا ذلك من الخليفة، منعهم إلا إذا أعطوه شيئا من أموالهم، وتحدد المبلغ بدينارين، على كل من أراد عبور النيل وذهابه المغرب، فجمع منهم أضعاف ما أخذوه. إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 130.

ببرقة زحفا إلى المغرب بداية من عام 440هـ/1048م، وكانوا زهاء 400 ألف إنسان⁽¹⁾، فيما سمي في التاريخ بالهجرة الهلالية، وإذا كان الهاليون قد توغلوا في إفريقية، فإن بني سليم مكثوا ردحا من الزمن بطرابلس ونواحيها.⁽²⁾

فخرج المعز بنفسه في جيوش من صنهاجة وزناتة، يريد كسر شوكة العرب، والتقى الجمعان قرب جبل حيدران 444هـ/1052م، فكانت قاصمة الظهر للمعز بسبب تخاذل قومه، فهزموا شرّ هزيمة وولوا الأدبار، وسميت هذه الواقعة "مندبة الهاليين" أو "غزوة العيون"، فتمكن العرب من بلاد المغرب واستولوا على القيروان.⁽³⁾

وما ذكرت الهجرات الهلالية، إلا وذكر معها التشنيع بهمجية هؤلاء الأعراب، والمبالغة في وسمها بالدمار والتخريب⁽⁴⁾، ولكن لولاها لما صبغت هذه البلاد بالثقافة العربية، ولما ثبتت اللغة العربية بها⁽⁵⁾، وربما هذا ما يحزّ في نفوس البعض، الذين يودّون لو بقيت بلاد المغرب بعيدة عن العروبة، أو لم يدخل لها الإسلام جملة واحدة، وعليه يبالغون في تشويه هذه الهجرات، الذي يحمل في طياته غمزا لمحاربة الإسلام عبر اللغة العربية.

(1) إختلف المؤرخون في عددهم، ففي حين يرى عبد الله العروي أن العدد لا يتجاوز 200 ألف، يقدّره عبد الرحمن الجيلاني أماحسن حسني عبد الوهاب فيورد عدد 400 ألف إنسان، ويصل مبارك الملي بالعدد إلى ألف ألف نفس. وأرى أن العدد يصعب تحديده، إن لم يكن مستحيلا، فقد كانت الهجرة على فترات، كثيرة المجموعات البشرية، مستمرة على أمد طويل. أنظر عبد الله العروي: **مجلد تاريخ المغرب**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000. ج2 ص94. وعبد الرحمن الجيلاني: **تاريخ الجزائر العام**، دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، ط2، 1384هـ/1965م. ج1 ص342. وأيضا حسن حسني عبد الوهاب: **المصدر السابق**، ص81. ومبارك الملي: **المرجع السابق**، ج2 ص184.

(2) إبراهيم العوامر: **المصدر السابق**، ص129.

(3) عبد الحميد بوسماحة: **المرجع السابق**، ج1 ص165. وحسن حسني عبد الوهاب: **المصدر السابق**، ص81-82. وكذلك محمد الهادي الشريف: **المرجع السابق**، ص50. وبلقاسم بن جراد: **المرجع السابق**، ص37، 63.

(4) عبد الحميد بوسماحة: **المرجع السابق**، ج1 ص78. وأيضا محمد علي الحباشي: **المرجع السابق**، ص10. وبلقاسم بن جراد: **المرجع السابق**، ص95.

(5) بلقاسم بن جراد: **المرجع السابق**، ص37.

وبدل الحديث عن الكارثة الهلالية، فالأولى الحديث عن كارثة الأسطورة الهلالية، المتوارثة في الكتب القديمة، وما فيها من مبالغة، حيث كانت تردد الحديث السائد في المجتمعات الحضرية والأوساط الارستقراطية، من استباحتهم المدن والقرى ونهبها. (1)

وكان المستنصر الفاطمي عندما حرّض قبائل العرب على الذهاب لإفريقية، قد قلّد زعماءهم أعمالها، ليضمن عدم صدامهم فيضعفوا أمام الزيريين، فأعطى طرابلس لزغبة، وأعطى موسى بن عيسى المرداسي القيروان وباجة، أما الحسن بن سرحان أخو الجازية "الزازية" الهلالية فقد قلّده أعمال قسنطينة. (2)

وأول من وصل إفريقية قوم من رياح، بزعامة موسى بن يحيى الصنبري الرياحي، فاستماله المعزّ ليتقوى بالعرب عن البربر، لكن ساء تقديره، وكانت عاقبة أمره خسرا، فقد كان سقوط دولته على أيديهم، فالعرب لا ينقادون لسلطان، ولا يجتمعون على الكلمة (3)، لشدة التبدي عندهم، وقوة عصبيتهم القبلية.

وبعد أن أطاحت العرب بالمعزّ وقبيلته صنهاجة، حاولت زناتة عبثا ردّهم، لكن هيهات لهذا الموج المتتابع، أن يصمد أمامه شيء، فلم تكن محاولتهم بأحسن من عمل صنهاجة، وممن دافع العرب عن بلاد المغرب من الزناتيين حاكم تلمسان من بني خزر، إذ أرسل لهم جيشا بقيادة وزيره أبا سعدى خليفة الزناتي لكنهم هزموه وقتلوه بنواحي الزاب (4)، وجاء في

(1) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص ص 9-10.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق. ج 6 ص 22. وإبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 134. وأيضا رشيد سلطاني:

تاريخ سوف-النشأة التكوينية التطور، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط1، 2016. ص 68.

(3) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 130.

(4) ابن خلدون: المصدر السابق. ج 6 ص ص 22، 27.

التغريبة (1) أنه مات في الصحراء التي قبلة الزاب، والغالب أنها أرض سوف. (2)

4- القبائل العربية من الجنوب التونسي إلى سوف:

سيتم التركيز على سوف لأن عمرانها حديث، مقارنة بعمران الجنوب التونسي، الضارب جذوره في أعماق التاريخ، كما بيّنا.

لما دخل عرب بني هلال وسليم إفريقية، نزحت زناتة تحت الضغط من مناطق الجنوب التونسي إلى شمال منطقة سوف، فعمروها وذلك حوالي 522هـ/1129م (3)، لبعدها عن القلاقل في ذلك الوقت، ووجود الماء "وادي الجردانية".

وكانت تنشأ نزاعات بين العرب الوافدين والبربر الأصليين، مثلما يقع بين العرب أنفسهم حول أماكن الكأ والماء، وكثيرا ما كانت تنتهي هذه الصراعات بتفريق البربر وجلائهم عن أماكنهم (4)، كما هو الحال بالنسبة لبعض بطون زناتة، التي انسحبت من أرض سوف نحو الجنوب بفعل هذا الضغط (5)، أو انصهارهم في بوتقة واحدة مع العرب (6)، وذلك باستعراهم طبقا بنظرية ابن خلدون في "ولع المغلوب بتقليد الغالب" (7)، ولا أدل على ذلك من وجود

(1) **التغريبة الهلالية**: عمل أدبي شعري، يصف تطوح الهلاليين بكثير من البلدان، إلى أن وصلوا إلى بلاد المغرب، وهذا العمل من الأعمال الأدبية القليلة التي يفسر عنوانها محتواها. فمن معاني **التغريبة**: الاتجاه للغرب، والغربة عن الأوطان، وغرائب الأحداث التي واكبت الهجرة الهلالية. أنظر عبد الحميد بوسماحة: المرجع السابق. ج 1 ص 25-26.

(2) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 134.

(3) إبراهيم مياشي: الصحراء... المرجع السابق. ص 27، 125.

(4) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 133-134.

(5) أنظر إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 166. وكذلك محمد العدواني: المصدر السابق. ص 33.

(6) ومن زناتة من ذاب وسط هذه الجموع، واستعرب لسانه وصفة معاشه، ولعل أبلغ حجة لهذا، الأصول البربرية لكثير من السكان في بلاد المغرب -ومنها منطقة الدراسة-، لكن ظاهريهم عربي، ومما ساعد زناتة على انصهارهم في بوتة العروبة، تقارب طباعهم وسائر حياتهم للعرب لبدواتها، وتجاورهم وتزاوجهم. ينظر ابن خلدون: المصدر السابق. ج 6 ص 135. وجستون كوفي: المصدر السابق. ص 66.

(7) ابن خلدون: المصدر السابق. ج 6 ص 135. Ahmed Nadjah: op. cit. p 48 أبو عمران الشيخ: قضايا

في الثقافة والتاريخ، منشورات ثالة-الابيار، الجزائر، ط2، 2006. ص 367.

فصائل وعروش عربية اللسان، لكن أصلها أمازيغي كما سنذكرها في فصل التركيبة البشرية. فقد كان بنو عدوان بالجنوب التونسي ثم اتجه بعضهم إلى نواحي القيروان والكاف، فلما ضاقت عليهم الأرض لكثرتهم، انتقل بعضهم يبحثون عن مستقر جديد لهم، حتى وصلوا الجردانية فأعجبته وأرادوا الإقامة بها، إلا أن زناتة مانعته، ف وقعت مصادمات بين الفريقين كان النصر فيها حليف العدوانيين أوائل القرن 7هـ/13م⁽¹⁾، وجلاء البربر عن المنطقة⁽²⁾ إلى جلهمة⁽³⁾، فلحقته عدون، وبنو بها قصرا "قرية".⁽⁴⁾

أما طرود⁽⁵⁾ فقد كانوا بنواحي طرابلس، ثم انتقلوا اضطرارا نحو الجنوب التونسي، ومكثوا مدة بقابس ثم توجهوا لتقاء المهدية، وصفاقس، ومنهم من تابع إلى قفصة وقمودة،

-
- (1) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 140. علي غنابزية: الشيخ محمد بن عمر العدواني-حياته ومآثره، إصدار دار الثقافة بالوادي، مطبعة الرمال-الوادي، الجزائر، ط1، 2015. ص18.
- (2) إبراهيم مياسي: الصحراء.. المرجع السابق. ص ص 28، 126-127. وأحمد بن الطاهر منصوري: الدر المرصوف في تاريخ سوف، مطبعة الحفيد-الوادي، الجزائر، دط، دت. ص 01.
- (3) جلهمة: قرية قديمة اندثرت، وهي مكان قمار أو تغزوت الآن أو قريهما، تبعد عن مدينة الوادي 18 كلم إلى الشمال. العوامر: المصدر السابق. ص113. وسمير عوادي: قرية تغزوت بوادي سوف، دار هومة، الجزائر، 2013. ص26.
- (4) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 145. وعلي غنابزية: محمد بن عمر العدواني، المرجع السابق. ص 18.
- (5) طرود: حسب الشيخ العدواني فإن طرود ليس نسبا لقبيلة، وإنما هي كنية لقبائل، والأقرب أنهم من بني سليم -كما ذكر العياشي-، كانوا بقيادة مسروق بن حنظلة قرب قابس، وتسموا طرودا نسبة لشيخ حكيم يدعى طرد أو طراد بن دابس، والسبب أنهم وقعوا في مأزق، وأصبحوا في حيرة من أمرهم، فأشار عليهم الشيخ طرد بالرأي السديد، الذي أخرجهم من معضلتهم، وكان اشتراط عليهم أن ينتسبوا إليه ففعلوا، ومن يومها تسموا "طرودا"، ولأجل ذلك فارقهم مسروق وقادهم طرد بن دابس. وسنرى أن هذا الأمر تكرر في تسمية بعض قبائل سوف باسم "أولاد سعود". أنظر محمد العدواني: المصدر السابق. ص ص 86-87. وكذلك عبد الله بن محمد العياشي: الرحلة العياشية 1661-1663، تح سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي-الإمارت، 2006. مج1 ص 123. وفكتور لارجو: الصحراء الجزائرية-صحاري العرق، جزء من كتاب الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم، تر عبد القادر ميهي، إصدار دار الثقافة-الوادي، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط1، 2015. ص63. وأيضا إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 270. وأنديري فوازان: المرجع السابق. ص ص 94-95.

أما ابن خلدون فيزعم أن طرود قبيلة قيسية، ويسرد نسبهم: طرود بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان، فهم إذا أبناء عمومة مع بني عدوان بن عمرو بن قيس عيلان، وفي موضع آخر يجعل نسبهم بنو طرود بن حكيم بن حصن بن علاق،=

حوالي 690هـ/1292م، بعدها انتقل بعضهم إلى باجة، والكثير منهم لعقلة الطرودي⁽¹⁾، وبودخان والميتة، في شمال منطقة سوف، ومكثوا هناك حيث تسرح أنعامهم⁽²⁾، في الصحراء التي بين الجردانية ونفطة، ثم عادوا إلى باجة، ولما وطئهم الحكام بالمغارم عادوا إلى عقلة الطرودي 797هـ/1395م⁽³⁾، ثم تتبعوا الوادي إلى أن وصلوا النازية واستقروا بها، بعد أن هزموا أهلها من عدوان، وتم لهم ذلك بمساعدة الهمامة وأهل نفطة⁽⁴⁾، ثم نزلوا إلى سوف التي سبقتهم إليها عدوان واستوطنوها في قصة لا تخلوا من الطرافة والأسطورة.⁽⁵⁾

وتعتبر عشيرة أولاد أحمد أول الداخلين لسوف أوائل القرن 9هـ أواخر القرن 14م⁽⁶⁾، حيث استقروا قرب عريش "زريبة" سيدي⁽⁷⁾ مستور⁽⁸⁾، ثم تتابع قدوم بني عمومهم، فانتشرت

=وليسوا بنو فهم ؟!!، وهناك رواية يذكرها ابن خلدون عن نسبة طرود لبني سليم، فيقول: أن هناك من يعدم من سليم وآخرين يجعلونهم من هلال، لكنه يفند ذلك. ابن خلدون: المصدر السابق. ج 2 ص 364 وج 6 ص 107، 111. والراجح عندنا أن قول العدواني أقرب إلى الصحة، ويتضح ذلك من خلال سرد أنساب سكان سوف، في الفصل الموالي بعنوان التركيبة البشرية، لا سيما عنصر "إشكالية الطرود".

(1) عقلة الطرودي: سبب تسميتها: العقلة: مجموعة الآبار المتقاربة. وأثناء حفر الآبار السبعة مات عندها شداد بن حارث الطرودي، فدعيت الآبار باسمه. أنظر: إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 155. وإبراهيم مياسي: الصحراء... المرجع السابق. ص ص 126-127.

(2) محمد العدواني: المصدر السابق. ص 88.

(3) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص ص 147-149.

(4) محمد العدواني: المصدر السابق. ص ص 89-92. وأوغست أنطوان: المرجع السابق. ص 63. وأيضا أندري فواز: المرجع السابق. ص ص 94-95.

(5) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص ص 160-161. محمد العدواني: المصدر السابق. ص ص 93-100، 109. إبراهيم مياسي: الصحراء... المرجع السابق. ص ص 126-127.

(6) دخل بنو سليم بلاد المغرب إثر بني عمومهم من بني هلال، واستقروا أولا بنواحي طرابلس، ثم تقدموا إلى الجنوب التونسي فالقيروان، لكن وبسبب إثارته للقلل، أمر السلطان الحفصي بإخراجهم من البلاد، فارتحل بنو سليم إلى الزاب وأرض سوف وهم أولاد أحمد، وبعضهم رجع إلى مضاربهم السابقة بطرابلس. أنظر العوامر: المصدر السابق. ص ص 173-174.

(7) سيدي مستور: أتى من المغرب أو القيروان، في القرن 16م، ونزل المكان المسمى الآن حي سيدي مستور، شرق مدينة الوادي. إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص ص 161، 278. Bataillon, Op. Cit. p29.

(8) إبراهيم مياسي: الصحراء... المرجع السابق. ص ص 30، 128. جستون كوفي: المصدر السابق. ص 69. وإبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 161.

طرود بمنطقة سوف، وما هي إلا بضع سنين، حتى بدأ الخلاف يدب بين أولاد أحمد السليميين وبعض الهالبيين من قرفة من جهة، والزناطين أصحاب تكسبت من جهة أخرى. (1)

وفي خضم التنازع الطرودي الزناتي انحاز الشيخ عبد الله بن أحمد (2) لطرود، حيث كان يمدّهم بأخبار زناتة وما يبيّتون، بصفته أحد أهل الشورى عند زناتة (3)، فكانت مناوشات بين الطرفين أفضت إلى هزيمة زناتة، تمّ على إثرها الصلح بين الفريقين (4)، لكن الزناتيون أحسوا بالضيق، وبدؤوا يحيكون المكائد لإخراج طرود، لكن الشيخ عبد الله كان يخبرهم بمكائد زناتة تجاههم، فانقلب السحر على الساحر، وتمكنت طرود من إخراج الزناتيين من تكسبت عام 818هـ/1416م، وتفرقوا بين نفطة وورقلة، وتقرت حيث أكثرهم توجه نحوها، ومنهم من بقي في سوف مسالما (5)، فخلا الجو لطرود وجالوا في البلاد من غير معترض. (6)

لكن رواية العدوانى توعز إلى أن تقاثل زناتة والعرب، كان لأجل "الزازية" الجازية بنت سرحان الهلالية، التي أرادها خليفة الزناتي زوجة له، فأبى بنو عمها ذلك، ووقعت بسبب ذلك مواجهات أدت إلى مقتل الزناتي خليفة. (7)

-
- (1) إبراهيم العوامر: مصدر سابق. ص ص 90، 129، 161-162، 174-175 رشيد سلطاني: مرجع سابق. ص 112
 - (2) سيدي عبد الله: قدم من المغرب، واستقر بتكسبت القديمة، بجوار قبيلة زناتة البربرية وتزوج امرأة منهم، وينسب له الحي الواقع شمال مدينة الوادي. أنظر علي غنابزية: مساهمات علماء وادي سوف في النهضة العلمية والحركة الصحفية الوطنية 1900-1986، إصدار مديرية الثقافة بالوادي، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط1، 2014. ص 21
 - (3) هذا الكلام فيه لغط، فكيف يعقل أن يكون رجل الدين والصلاح خائن لأهل مشورته، و"المستشار مؤتمن" كما قال النبي صلى الله عليه وسلم. رواه أبو هريرة وغيره.
 - (4) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص ص 164-169.
 - (5) ينظر إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص ص 170-171. وأيضا رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 112.
 - (6) إبراهيم مياسي: المرجع السابق. ص ص 30-31، 127 وإبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 171.
 - (7) محمد العدوانى: المصدر السابق. ص ص 152-156.

5- أهل سوف والأحداث السياسية بتونس:

في سنة 1540م استتجد سكان نفطة بسكان الوادي من طرود، ضد بعض قبائل شمال تونس "أولاد سعيد، أولاد منصور، أولاد القايد، أولاد أحمد"، المهددة لمراعيهم، فأنجدهم طرود ودحروا أعداءهم في موقع غير بعيد عن نفطة يدعى شارع العماري أو بلاد الأعمرة. (1) كما كانت طرود تتاصر وتتشيّع لكل من خرج على حاكم من حكام تونس (2)، لهذا وبمجرد أن استتصرهم عرفة الشابي (878-949هـ/1473-1542م) في حربه ضد الباي (3) صاحب تونس حتى لبوا استغاثته، فلما بلغت القلوب الحناجر كانت لطرود صولة، أدت إلى انتصار جند الشابي، حوالي 803هـ/1400م (4) حسب رواية العدوانى، أو 1536م لأقوال أخرى (5)، بيد أن هذا الحلف سرعان ما انفضّ وانفصمت عراه، لعدم رضا طرود بعطية الشابي من الغنائم (6)، حيث كانوا هم من حصلوها، ثم قسمها الشابي على كل أجناده. (7) ولما رأى الناس شدة بأس طرود، وقوة شكيمنتهم في الحرب، أراد الباي حمودة باشا حاكم تونس استمالتهم ليتقوى بهم، حيث استقبل جمعا من أعيانهم، وأكرمهم أيما إكرام، وبواسطتهم ربط الصلات بينه وبين أهل سوف، ليستعملهم في حروبه، ولقطع الطريق على الشابي لئلا يستعملهم ضده، ونجح الباي في ذلك، والأكثر أن هؤلاء الأعيان أعانوا الباي على

(1) أوغست أنطوان: المرجع السابق. ص ص 68-69.

(2) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 154

(3) بدأ حكم البايات بتونس مع الدولة المرادية سنة 1631م، اللهم إلا إذا كان العدوانى يقصد بالباي الحاكم بصفة عامة كما كان في زمانه، ثم تبعه من روي عليه من بعده دون إنباه.

(4) المؤكد أن هذا التاريخ خاطئ، فالإمارة الشابية تأسست سنة 942هـ/1535م.

(5) أنظر العدوانى: المصدر السابق. ص ص 180-182. وإبراهيم مياسى: الصحراء... المرجع السابق. ص 31، 129.

ورشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 113.

(6) محمد العدوانى: المصدر السابق. ص 185.

(7) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص ص 180-181.

استمالة أصدقائهم قبيلة دريد، فقد كانوا ينزلون عليهم ضيوفا، كلما ذهبوا للباي أو آبا من عنده فيكرمونه⁽¹⁾.

ولما كان يوم الكريهة بين الباي وعبد الصمد الشابي عام 1041هـ/1632م، استغاث الباي بأهل سوف، فخرج منهم زهاء الألف رجل، وانحاز لهم كذلك دريد وورغمة وغيرهم، فحاققت الهزيمة بجمع الشابي، ومزقوا كل ممزق، وفي هذه الواقعة مات من طرود حوالي مائة رجل⁽²⁾. وكان أن هرب راعي أحمد الشابي بعشرين أو خمس وعشرين ناقة من إبله إلى سوف، فأرسل الشابي رسولا لأهل سوف قصد إعادة النوق، لكن الراعي رشى القوم ببعض النوق فأبوا أن يسلموه، ثم خافوا من إغارة الشابية، فأهمهم الأمر واستشاروا كل حكيم، ومنهم شيخ اسمه سعود، فأوصاهم بالإتحاد وأمرهم بالانتساب إليه حتى لا يعرفهم أحد، ومن يومئذ دعي القوم بأولاد سعود⁽³⁾، وإلا فهم خليط من عدوان، وطرود أي "سليم، هلال...".⁽⁴⁾

ثالثا: المنطقة أثناء العهد العثماني:

بدأ العثمانيون بضم بلاد المغرب منذ 1518م، بدخول المغرب الأوسط في حوزتهم، ثم ألحقوا تونس بعد سنوات، وكان وجودهم المكين في الشمال، فمناطق جنوب الجزائر كانت عصية عليهم، وهذا لبعدها عن مقر الحكم، بالإضافة إلى قساوة الطبيعة، أما بالنسبة للمناطق الجنوبية من تونس، فقد خضعت للحكم العثماني، وإن كانت شكلية في عدة مناطق منها.

(1) المصدر السابق. ص ص 186-188.

(2) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 189. ورشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 114.

(3) تذكرنا هذه القصة بتسمية بعض قبائل سوف باسم طرود.

(4) أنظر: العدوان: المصدر السابق. ص ص 315-317، 319. وأيضا: أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011 ص ص 10-11. وإبراهيم مياي: الصحراء... المرجع السابق. ص ص 129، 32.

1- وضع منطقة سوف - الاستقلالية والانقسام:

في تلك الأثناء كانت سوف تعيش في وضع شبه مستقل، حيث لا يخضع سكانها إلى حاكم كما وصفها الأغواطي الذي زارها عام 1826م⁽¹⁾، وظلت كذلك طوال العهد العثماني، رغم تبعيتها الشكلية لسلطان تڤرت، وبسلطة إسمية لشيخ العرب⁽²⁾ بالزاب⁽³⁾، وكان لكل قرية من سوف مجلس أعيان يقوم على شؤونها، أما الأمور الدينية والقضاء فهي موكلة لإمام المسجد أو لشيخ زاوية.⁽⁴⁾

لذلك لم يكن أهل سوف يؤدون ضريبة بصفة منتظمة للعثمانيين، إلا حين تأتي محلّتهم فيدفعون لها إبقاء لشربها، وخوفاً من البطش الذي يمكن أن يلحق بهم⁽⁵⁾، وضماناً لحرية تنقلهم للتجارة وجلب الحبوب من مناطق التل⁽⁶⁾، وكذلك الأمر بالنسبة لسلطة بني جلاب بتڤرت الذين حاولوا إخضاع بعض قرى سوف، باعتبار أن بعض القرى كانت تؤدي لهم الضريبة، للسماح لهم بالتجارة في أسواق وادي ريغ.⁽⁷⁾

ومع ذلك فالمنطقة لم تكن بمنأى عن الصراعات الإقليمية، فقد كانت تتنازعها الولاءات الخارجية، فانقسم لذلك أهلها إلى قسمين:

- **طروود:** أهل الوادي وقمار والبهيمة والدييلة، حلفاء لشيخ العرب من عائلة بوعكاز الذواودة، ولزاوية تماسين في حالة الحرب.

(1) الحاج ابن الدين الأغواطي: المصدر السابق. ص 96.

(2) هذه المشيخة التي كانت محل تنازع بين عائلتي بوعكاز الذواودة وبين قانة. مياسي: الصحراء... مرجع سابق. 138

(3) أندري فوازان: المرجع السابق. ص 96.

(4) المقدم دوماس: الصحراء الجزائرية - دراسات جغرافية إحصائية وتاريخية، جزء من كتاب الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم، تر عبد القادر ميهي، مطبعة مزوار - الوادي، الجزائر، ط1، 2015. ص 20.

(5) أندري فوازان: المرجع السابق. ص 97. إبراهيم مياسي: الصحراء... المرجع السابق. ص 132.

(6) جستون كوفي: المصدر السابق. ص 69.

(7) إبراهيم مياسي: الصحراء... المرجع السابق. ص 120، 132.

- **أولاد سعود:** سكان تاغزوت والزقم وكوينين، يوالون شيخ العرب بن قانة، ويدفعون الإتاوة لإمارة⁽¹⁾ تقرت الجلابية. (2)
ومن التقسيم آنف الذكر، نستشف عقلية الصف التي كانت سائدة بين قرى المنطقة، فنرى هذه الحزازات القبلية، والخصومات الدائمة⁽³⁾، وهذا التناحر، ولا شك موروث عن التعارض الذي كان قائما بين أولاد سعود وطرود، أو بين القبيلة الأصلية والقبائل الوافدة، وزادها تنافس الطرق الصوفية حدة، ففي أبسط مناسبة تطفو هذه الانقسامات على السطح، بين البلدات المتجاورة⁽⁴⁾: الزقم والبهيمة، تاغزوت وقمار، كوينين والوادي، الدبيلة وسيدي عون، وحتى في نفس القرية عندما يتعلق الأمر بتنافس الطرق الصوفية. (5)

هذا على الرغم من الصلح -على حد قول بعضهم- الذي تم بين طرود وأولاد سعود حوالي 1890م، على يد إبراهيم الزحاف الطرودي، الذي آل على نفسه تعزية كل من فقد

-
- (1) إمارة تقرت الجلابية: نسبة لبني جلاب من بني مرين، ومؤسسها الشيخ سليمان الجلابي، حكمت تقرت وضواحيها لأكثر من ثلاث قرون، تداول على حكمها 36 سلطانا، آخرهم الشيخ سلمان بن علي الجلابي (1852-1854م)، الذي أزاحته قوات الاحتلال الفرنسية. ناصر الدين سعيدوني: *ورقات جزائرية-دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني*، دار البصائر، الجزائر، ط2، 2008. ص491. وأندري فوازان: المرجع السابق. ص99. وأيضا أغسطس شاربونو: *ملخص حول تاريخ أسرة بني جلاب-سلاطين تقرت*، جزء من كتاب الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم، تر عبد القادر ميهي، إصدار دار الثقافة-الوادي، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط1، 2015. ص ص 90، 93-109.
- (2) أنظر أندري فوازان: المرجع السابق. ص97. وإبراهيم مياسي: *الصحراء... مرجع سابق*. ص ص 46، 140-141. أ. كات: *رحلة عبر الصحراء*، جزء من كتاب الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم، تر عبد القادر ميهي، إصدار دار الثقافة-الوادي، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط1، 2015. ص 74.
- (3) إبراهيم مياسي: *الصحراء ... المرجع السابق*. ص 32، 130.
- (4) ما زلنا نلمس بعض ملامح الشحاء والتباغض إلى يوم الناس هذا.
- (5) مثلما حدث في قرية الرقية حيث تم تقسيم المسجد بين الطريقتين القادرية والتيجانية، وإقامة جدار وسط المسجد يشطره، وقد عمل وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي زار المنطقة في ديسمبر 1937 على إصلاح ذات البين بين الفريقين المتنازعين. أنظر علي غنابزية: *النشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف 1931-1938*، القباب، ع01، جوان 2004. ص36. وأندري فوازان: المرجع السابق. ص122. وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين-شعبة الوادي: *الزيارة التاريخية لوفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس لوادي سوف سنة 1937م*، الشهاب الجديد، ع1، ربيع الأول 1427هـ/أبريل 2006م. ص 13.

زوجته، حتى وإن كان من أولاد سعود، فماتت زوجة أحد أولاد سعود بكوينين، فذهب إبراهيم لتعزيتته، ومن ثم وقع الصلح بين الفريقين. (1)

والتحالفات التي ذكرناها ليست بصفة دائمة، بل كانت وقتية حسب ما تمليها الظروف، مما حدا بالعثمانيين وبني جلاب على حد سواء، إلى الإغارة من حين لآخر على المنطقة لإخضاع الخارجين عن الطاعة، والقصد الأكبر طبعاً كان الحصول على مغانم أكبر، وتدفق الضرائب على الخزينة.

2- السيطرة العثمانية على الجنوب التونسي:

بالنسبة للجنوب التونسي فقد شهد احتلال الأسبان لسواحلهم منذ 1540م، لكنهم أخرجوا منها عام 1560م، بعد هزيمة "خوان دي لا سيردا" على أيدي القوات العثمانية بقيادة "درغوث باشا" في جزيرة جربة، لتدخل المنطقة في حوزة العثمانيين (2) بصورة نهائية ابتداء من يوم 25 جمادى الأولى 981هـ/1574م (3)، تاريخ انتهاء الحكم الحفصي بعد 350 عام من حكم تونس، عقب انكسار محمد بن الحسن الحفصي وحلفائه الإسبان، على يد العثمانيين بقيادة سنان باشا، فأصبحت تونس تتبع إيالة الجزائر، ثم استقلت عنها بتكوّن الإيالة التونسية. (4)

لقد كان تأثير الحكم العثماني في تونس ذا بال (5)، خاصة في العهد المرادي ثم الحسيني، حيث عاشت في عهد الدولة المرادية، موجة استئصال شأفة البوادي، وكان الشغل

(1) محمد فضيل بن عمر: تاريخ وأنساب المصاعبة-أولاد أحمد-الأعشاش-الفرق الهلالية، تحرير وتقديم الطاهر عمارة الأدغم، مطبعة الرمال-الوادي، الجزائر، ط2، 2016. ص 34.

(2) سالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة... المرجع السابق. ص 28-29.

(3) بلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص 67.

(4) حسن حسني عبد الوهاب: المصدر السابق. ص 110، 113.

(5) التأثير العثماني: هذا التأثير كان في شتى المجالات، وفي الظاهر أن منطقة سوف لم تتأثر بالوجود العثماني في الجزائر، لعدم تبعيتها المباشرة كما سنرى لاحقاً، ولكن على أرض الواقع، كانت هناك بعض التأثيرات، ومنها ما كان في =

الشغل لكل من تعاقبوا على الحكم من المراديين، والحسينيين من بعدهم، هو استخلاص الجباية بلا هوادة، بحجة تمهيد البلاد⁽¹⁾، وأبرز هذه الضرائب هي ضريبة المجبى⁽²⁾، التي كانت السبب في قيام اضطرابات، ومنها ثورة علي بن غدام 1864م بسبب مضاعفة ضريبة المجبى، وبهذا زمجرت الثورة في أرجاء البلاد التونسية.⁽³⁾

كما كانت الأحوال الأمنية سيئة للغاية، وعجزت إدارة الباي على بسط نفوذها على الأرياف والبوداي، خاصة في المناطق الجنوبية، حيث كانت سيطرتهم عليها ضعيفة، وهذا بحكم متانة التركيبة القبلية⁽⁴⁾، كما أن أغلب من القبائل كانت تحكم من طرف مجلس الأعيان، على الرغم من استعمال البايات لبعض القبائل في توطيد دعائم حكمهم، مقابل امتيازات تمنح لهم، مثل الإعفاء من بعض الضرائب، وتسمى القبائل المخزنية، ومنها في منطقة الجنوب التونسي: أولاد يعقوب بمنطقة نفزاوة، وقبيلة الهامة التي تسيطر على مجال جغرافي واسع، في الوسط والجنوب الغربي، ومع ذلك كان الهامة يخرجون عن الطاعة في الأوقات العصيبة، ويتهربون من أداء الجباية، ويقومون بالإغارة على القبائل المجاورة⁽⁵⁾، ومنها القبائل السوفية،

=المجال الثقافي، وبالضبط في اللغة المحكية. مثل: غنجاية بمعنى مغرف، البايك تطلق على الحاكم، شرشر تقال عن انسكاب السائل بغزارة... إلخ. للمزيد محمد بن أبي شنب: الكلمات التركية المستعملة في اللهجة الجزائرية، الدار القديمة جولي كاربونال، الجزائر، 1922. ص 19، 52... وغيرها. أنظر ملحق رقم: 43، ص 333-334.

(1) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 58.

(2) ضريبة المجبى: مبلغا من المال تدفع على الذكور البالغين، وعلى ما يملكونه من أراضي وحيوانات. أنظر سالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة... المرجع السابق. ص 30. وحسن حسني عبد الوهاب: المصدر السابق. ص 141.

(3) محمد الهادي الشريف: المرجع السابق. ص 98.

(4) حفيظ الطبابي: المرجع السابق. ص 85 بلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص 229 سالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة... المرجع السابق. ص 34.

(5) أنظر محمد ضيف الله: في مسألة العلاقة بين الأعيان والاستعمار في الجنوب (القائد سعيد بن نصر نموذجا)، مدونة أعمال الندوة الدولية الثانية عشر حول "الجنوب التونسي من الاحتلال إلى الاستقلال 1881-1956، المنعقد بتونس أيام 6 و7 و8 ماي 2004"، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، سلسلة تاريخ الحركة الوطنية، عدد 12، تونس، 2005. ص 421. وحفيظ الطبابي: المرجع السابق. ص 51.

مثل الاغارة التي شنها عام 1853م على إبل لقبيلة طرود، فرد هؤلاء بالاغارة على قافلة تجارية للهمامة، وقتل أربعة أفراد من الطرفين ⁽¹⁾، وبانضمام القبائل المخزنية إلى منظومة الحكم، كانت تقع مصادمات بينهم وبين باقي القبائل، استغلها طلاب الحكم للوصول إلى عرش الإيالة، فنتج عن ذلك انقسام القبائل.

3- الفتنة الباشية الحسينية في تونس:

إن أشد تأثير للوجود العثماني بتونس، كان انقسام سكانها البلاد إلى شقين متعاضدين ⁽²⁾، وملخصه أن حسين بن علي مؤسس الدولة الحسينية، استعان في أول أمره بآبى أخيه علي باشا، فلما رزق ذرية قرر أن يكون ابنه الأكبر محمد بن حسين ولي عهده، فلم يرق ذلك لعلي باشا، فشق عصا الطاعة في وجه عمه ونازعه الملك، فانقسمت القبائل بين نصرته ونصرة حسين باي، فانقسم المجال القبلي إلى صفتين متعاضدين، صف حسين بن علي "الحسيني" ويسمى في الجنوب صف يوسف، وصف علي باشا "الباشي" المسمى بالجنوب صف شداد، وبقيت الفتنة تلقي بظلالها على تونس لقرون ⁽³⁾، ونفس الإطار ظهر الصراع بين علي باشا وابنه يونس، ثم مع إبنى عمه محمد وعلي ابني الحسين بن علي ⁽⁴⁾، وسبب هذا الانقسام هو التنازع حول العرش، وقد انقسمت القبائل في الجنوب كالآتي:

- **الصف الحسيني "صف يوسف":** سمي في الجنوب التونسي "صف يوسف" نسبة لرأس قبيلة الهمامة، الذي تزعم هذا الصف بالمنطقة، وأبرز قبائله: جلاص،

(1) ينظر بشير قاسم يوشع: وثائق تجارية اجتماعية 1228-1310هـ، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، غدامس، ط2، 1982. ص 78. وعبد القادر ميهي: برنامج السكة... مرجع سابق. ص 22. وأيضا علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من خلال ... المرجع السابق. ص 92.

(2) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 24.

(3) بلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص 86، 92. محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 59-60.

(4) بلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص 101.

الهمامة، نفات، أولاد عون، أكثر أولاد يعقوب، شطر غريب، ومن ورغمة عروش (الودارنة والتوازين والخزور وعكارة)، دريد، المرازيق، الكعوب، ومن القبائل

الطرابلسية التي لها فروع بالجنوب التونسي: ورشفانة، بني مريم، العجيلات. (1)

- **الصف الباشي "صف شدّاد":** دعي في الجنوب التونسي "صف شدّاد"، وشّدّاد هو

زعيم قبيلة المثاليث، التي تعد أبرز القبائل التي ناصرت علي باشا، وأهم قبائله:

المثاليث، بنو زيد بحامة بقابس، الحمارنة بمارث قابس، البعض من أولاد يعقوب،

قسم من غريب، بقية عروش ورغمة، الحزم، أولاد سعيد، العليا، مطماطة، زوارة،

ومن القبائل الطرابلسية بالجنوب التونسي: النوايل، الصيعان، المحاميد، الحوامد،

أولاد شبل. (2)

وقد استعمل البايات هذا الانقسام لتحقيق مآربهم، مثل ما فعله الباي محمد الصادق

للقضاء على ثورة علي بن غذاهم 1864م، حيث ضرب القبائل المنقسمة ببعضها، كما

استعمل لنفس الغرض نفوذ الطرق الصوفية، باستغلال شيخ زاوية نفطة الرحمانية مصطفى

ابن عزوز للتوسط لدى ابن غذاهم بتأمينه، لكن تم القبض عليه. (3)

كما أن هذا الصراع الحسيني-الباشي أثر على حالة البلاد السياسية والاقتصادية

والاجتماعية (4)، وانقسام البلاد إلى شقين، وبثّ الأحقاد والضغائن بين الساكنة، فقبيلة الهمامة

(1) علي المحجوبي: انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تع عمر بن ضو وآخرين، سراس للنشر، تونس، 1986 ص 15-16 وبلقاسم بن جراد: مرجع سابق. ص 102، 89. وأيضا سالم لبييض: تاريخ شبه جزيرة ... مرجع سابق. ص 77.

(2) أنظر علي المحجوبي: المرجع السابق. ص 15-16. وبلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص 90، 102. وسالم لبييض: تاريخ شبه جزيرة ... المرجع السابق. ص 77.

(3) بلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص 111-112.

(4) محمد الهادي الشريف: المرجع السابق. ص 85.

التي تعد من أكبر القبائل عددا وقوة شكيمة، كانت في صراع دائم مع صف شداد "الباشي"، خاصة جيرانهم بني زيد، لا لشيء إلا لأنها كانت منتمية للصف الحسيني. (1)

والمؤسف أكثر أن الانقسام طال حتى أبناء القبيلة الواحدة، فقبيلة أولاد يعقوب وإن كان أكثرهم ينتمون إلى صف يوسف، ففيهم بعض المقارحة وأولاد سباع الذين ينتمون إلى صف شداد (2)، وقبيلة غريب مكونة من عروش، يختلفون في الولاء، فالصابرية والفضليين من "صف يوسف"، وبعض الصابرية وعود يتبعون "صف شداد". (3)

وقد أدى هذا الصراع أحيانا إلى مذابح مريعة، منها ما أفضت إلى هجرة قبيلة بأكملها بدل التعرض للفناء، مثل ما حدث مع قبيلة عكار من سكان جرجيس، التي كانت في الصف الحسيني، فقد منيو بهزيمة نكراء بحرية 1735م، وقتلوا تقتيلا ذريعا، تفرقوا بعده في الأمصار، ولم يعودوا إلى مضاربهم إلا بعد الانتصار النهائي للحسينية في عهد البايع علي بن حسين "1759-1782م" (4)، الذي بنى لهم برجا محاطا بخندق ومعزز بمدافع لحمايتهم من القبائل الباشية، وظلت المنطقة تشهد غارات متبادلة استمرت إلى مجيء الفرنسيين، مثل التي كانت بين عكار والتوازين من جهة والنوايل من جهة أخرى. (5)

4- سوف بين الإيالة العثمانية والإمارة الجلابية:

كانت المناطق الشرقية من إيالة الجزائر تتبع بايلك الشرق، قاعدته قسنطينة ويحكمه البايع، وقد كان هؤلاء البايعات يحاولون إخضاع الصحراء، ومنها وادي سوف، وسيروا في

(1) حفيظ الطبايعي: المرجع السابق. ص 51. وبلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص 101.

(2) محمد ضيف الله: في مسألة العلاقة ... المرجع السابق. ص 422.

(3) محمد ضيف الله: نوافذ على تاريخ نفزاوة ... المرجع السابق. ص 201.

(4) بلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص 66.

(5) سالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة ... المرجع السابق. ص 29، 53.

سبيل ذلك حملات كثيرة، منها: حملة صالح باي (1) حاكم بايلك الشرق "قسنطينة" على إمارة تقرت عام 1788/1204م، لرفضهم مضاعفة الإتاوة، لكنهم اضطروا تحت الحديد والنار أن يدفعوا 300 ألف ريال بسيطة ومجموعة من الخيل والعبيد كضريبة (2)، مع تسديد تكاليف الحرب، وفي هذه الواقعة دعم السوافة بني جلاب. (3)

ثم حملة صالح باي عام 1205هـ/1791م، الذي توغل في الصحراء بجموعه، التي تحتوي على ألف جندي انكشاري وستة آلاف فارس من العرب، وحاصر إمارة بني جلاب بتقرت مدة 40 يوما، لكنه لم يستطع إقتحامها ففقل راجعا عنها (4)، بعد أن أمر قائد جنده إبراهيم بن قانة مع قائد العبيد بالذهاب إلى وادي سوف، ليأخذوا أخبية الترك المودعة بقمار، ويأخذوا الإماء والعبيد من قرى أولاد سعود، والظاهر أنها كانت مغارم يأخذونها عنهم. (5)

ورغم رجوع صالح باي عن إمارة بني جلاب، إلا أنه لم يتراجع عن فكرة إخضاع الجلابيين، فقد كان مصمما على النيل من حاكمها فرحات الجلابي، فعمد إلى حيلة للإيقاع به باستدراجه خارج حصونه، حيث أثار له القلاقل بأرض سوف، فخرج فرحات لإخمادها، وحينئذ وقع في الفخ وتم القضاء عليه (6)، وعيّن صالح باي مكانه محمد بن الحاج أحمد الجلابي أميرا على تقرت مواليا لهم، وحاميا لمصالحه في المنطقة وأحوازها بدعم منهم، ولما

(1) صالح باي: أصيل بلدة أزميز من منطقة الأناضول بآسيا الصغرى، ولد عام 1725م، تولى حكم بايلك قسنطينة في الفترة 1771-1792م. علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من خلال ... المرجع السابق. ص 17.

(2) 01 ريال بسيطة = 2.5 فرنك.

(3) أنظر ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق. ص ص 242-243. وأغسطس شاربونو: المصدر السابق. ص ص 102-103. وكذلك جستون كوفي: المصدر السابق. ص 69.

(4) إبراهيم مياسي: الصحراء ... المرجع السابق. ص 133.

(5) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص ص 218-219.

(6) إبراهيم مياسي: الصحراء ... المرجع السابق. ص 133.

بقيت بعض مناطق سوف خارجة عن طاعة الجلابي والأتراك، سير لهم صالح باي حملة لإخضاعهم، لكنها كانت صغيرة، فانسحبت من أرض سوف من دون قتال. (1)

ولنفس الغرض بعث حاج مصطفى باي (2) حاكم قسنطينة، حملة بقيادة الشيخ إبراهيم بن قانة عام 1215هـ/1801م، قوامها 140 جندي انكشاري ومجموعة من جنود قبائل المخزن، بهدف إخضاع المنطقة، فحاصرت هذه المحلة بلدة قمار مدة تفوق الشهرين، لكنها عجزت عن الدخول إليها، لاستماتة أهلها في الدفاع عنها، ومساعدة أهل الوادي لهم جهارا بالمؤونة والسلاح. (3)

وفي عام 1820 قاد أحمد المملوك باي قسنطينة حملة على إمارة بني جلاب، وفشل في اقتحامها فرجع عنها، لكنه عاث فسادا في القرى المجاورة بمساعدة أهل سوف، فكانت سببا في غارة الجلابي على سوف، وسلب منها مغانم كثيرة (4)، وفي العام الموالي سير الباي أحمد المملوك حملة على سوف وتقرت، بسبب رفضهم دفع الإتاوة، فظفر بهما ونهبهما. (5)

وفي نفس الإطار كان حكام بني جلاب يسيرون على الدوام حملات على وادي سوف، هدفها الابتزاز وجمع الضرائب، نذكر منها:

(1) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص ص 218-219.

(2) حاج مصطفى باي المدعو إنكليس هو باي قسنطينة وحاكم بايلك الشرق ضمن إيالة الجزائر في العهد العثماني، امتد حكمه بين سنتي 1798-1803م.

(3) أنظر إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 224. وأندري فوازان: المرجع السابق. ص 97. وأيضا علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من خلال ... المرجع السابق. ص 21.

(4) أنظر دي لهارب: في الجنوب الجزائري- عبر جبال الاوراس وفي واحات سوف، جزء من كتاب الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم، تر عبد القادر ميهي، إصدار دار الثقافة- الوادي، مطبعة مزوار- الوادي، الجزائر، ط1، 2015. ص 81.

(5) جستون كوفي: المصدر السابق. ص 69. أندري فوازان: المرجع السابق. ص 99. علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من خلال ... المرجع السابق. ص 22.

- حوالي 1760/1176 هـ ذهب عمران بن محمد الجلابي إلى سوف على رأس محلة كبيرة، لكن بمجرد وصوله إليها مرض بالحمى المنتشرة بالبلاد وما لبث أن مات (1)، مما حدا بالمقاتلين السوافة للتجاسر ومناوشة المحلة، التي انسحبت تجر أذيال الخيبة والهزيمة. (2)
- عام 1766/1180 هـ هجم سلطان بني جلاب أحمد بن محمد بن الجلابية (1766-1778 م)، على أهل سوف، لكن حلفاءهم أهل تماسين بعثوا لهم يحذرونهم، فما وصلهم حتى وجدهم على أهبة الاستعداد لمواجهته، فلما انهزم أمامهم، كرّ بجيشه على بلدة قمار منتقما فحاصرها وأفسد فيها وكاد أن يوقع بها شرًا، لولا نجدة أهل الوادي لهم. (3)
- سنة 1787 م كرّ الشيخ فرحات الجلابي (1782-1792) على أهل تاغزوت، فسيّر إليهم حملة، وأتلف جنودها حوالي 300 من "جرهم" نخيلهم، ثم هاجمت الدبيلة الغربية فنهبتها وأجلت أهلها عن مساكنهم. (4)
- عام 1788/1202 هـ أعاد الشيخ فرحات بن جلاب الإغارة على المنطقة، فهاجم قمار وأفسد فيها، فأضطر أهلها إلى دفع غرامة فرضها عليهم وقدرها 3 ريالات عن كل 100 ريال (5) فبلغت الضريبة 25 ألف ريال، بالإضافة إلى معاش المحلة وعلف دوابها (6)، وأصبح يأتي كل عام بمحلته، يجبي المغارم منهم ومن أهل تاغزوت وبعض القرى الأخرى، وفي عام 1790/1204 هـ جمع القليل وولى على عجل، عندما تناهى

(1) أندري فوازان: المرجع السابق. ص 98.

(2) أغسطس شاربونو: المصدر السابق. ص 99.

(3) أنظر العوامر: المصدر السابق. ص 212. وعلي غنابزية: مجتمع وادي سوف من خلال... المرجع السابق. ص 16.

(4) إبراهيم مياشي: الصحراء... المرجع السابق. ص 132. وإبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 215-217.

(5) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 215-217.

(6) غنابزية: مجتمع وادي سوف من خلال... المرجع السابق. ص 16. ومياشي: الصحراء... المرجع السابق. ص 133.

- إلى سمعه أن أهل الوادي عازمين على المجيء لنصرة أهل قمار⁽¹⁾، وبعد ذلك بقليل تمرد أهل سوف فأراد الشيخ فرحات الجلابي إخضاعهم، لكنه مات مسموماً بالوادي.⁽²⁾
- حملة الشيخ علي الكبير الجلابي على أهل سوف لأنهم ناصرُوا تماسين ضده.⁽³⁾
- 1820 حملة الجلابي على سوف، وسلب منها مغانم كثيرة، بسبب مساعدتهم لباي قسنطينة الذي هاجمهم وأفسد أحواز تقرت.⁽⁴⁾
- في عام 1840/1256 كانت المنطقة على موعد مع إغارة أخرى، من طرف حاكم تقرت علي الجلابي، وكان أغلب أهل سوف متفرقين في الصحراء والأسفار، فقتل الجلابي بعض ممن وجدهم، ومع ذلك فقد دارت عليه الدائرة آخر الأمر، لقدوم الكثير منهم فاجتمعوا ولاحقوا المحلة، التي فرّت منهزمة.⁽⁵⁾
- وعلى ما يبدو أن هذه الحملة كانت آخر إغارة على المنطقة، فالسلطة العثمانية سقطت بفعل الاحتلال الفرنسي للبلاد منذ 1830م، والإمارة الجلابية دخلت في قلاقل حول الحكم، قبل أن يتولى سلمان بن محمد الكبير الجلابي عرش إمارة تقرت في أفريل 1852م، بمساعدة أولاد سعود من سوف، وبمباركة زاوية تماسين⁽⁶⁾، ثم أطاح به الفرنسيون بعد عامين من حكمه، وقضوا على إمارة بني جلاب.

(1) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص ص 215-217.

(2) إبراهيم مياشي: الصحراء ... المرجع السابق. ص 133. وأندري فوازان: المرجع السابق. ص 98.

(3) أندري فوازان: المرجع السابق. ص 99.

(4) دي لهارب: المصدر السابق. ص 81.

(5) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 238. ورشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 119.

(6) إبراهيم مياشي: الصحراء ... المرجع السابق. ص ص 44، 139.

رابعاً: الاستعمار الفرنسي بالمنطقة:

في إطار حركة الاستعمار الأوروبي لبلدان إفريقيا، احتلت فرنسا الجزائر التي تعتبر بوابة القارة، ثم اتبعتها بجارتها تونس انطلاقاً من الجزائر، وكان لمنطقة سوف دور في احتلال جنوب البلاد التونسية.

1- إحتلال منطقة سوف:

بعد القضاء على الحاج أحمد باي حاكم بايلك قسنطينة 1837م، بدأ الفرنسيون توغلهم في الصحراء الجزائرية الشرقية، فدخلوا مدينة بسكرة سنة 1260هـ/1844م⁽¹⁾، واتخذوها قاعدة لتوسعهم بمناطق الجنوب الشرقي الجزائري، ثم كانت وجهتهم ورقلة التي كانت تحت سيطرة الثائرين الشريف محمد بن عبد الله وخليفته بن الناصر بن شهرة، حيث وجهت لهما حملة أواخر 1853 كسرت شوكة المقاومين.⁽²⁾

وفي خضم ذلك كان خليفة الأمير عبد القادر على الزيبان محمد الصغير بن عبد الرحمان "أحمد بلحاج"⁽³⁾، يقاوم الزحف الفرنسي، وبعد هزيمته عام 1847 أمام الجنرال بيدو Bedeau، انسحب إلى سوف مع عدد من المجاهدين ومنها توجه إلى نفطة بالجريد التونسي⁽⁴⁾، ثم عاد 1849 للمشاركة في مقاومة الزعاطشة، كما شارك في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله 1852م، وبعدها استقر بمدينة توزر التي توفي بها عام 1856م.⁽⁵⁾

(1) أغسطس شاربونو: المصدر السابق. ص 90. إبراهيم مياسي: الصحراء ... المرجع السابق. ص 136.

(2) أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1992م. ج 1 ص 359. وعلي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال... مرجع سابق. ص 17.

(3) عبد القادر زاير: دور خلفاء الأمير عبد القادر في بناء الدول الجزائرية (1832-1847)، رسالة ماجستير، إشراف د. محمد الطيبي، قسم التاريخ وعلم الآثار-جامعة وهران، 2009-2010. ص 111.

(4) إبراهيم مياسي: الصحراء .. المرجع السابق. ص 42، 136، 261. وأندري فوزان: المرجع السابق. ص 100.

(5) عبد القادر زاير: المرجع السابق. ص 113. إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 239.

وبالتزامن مع الحملات العسكرية، عكفت سلطة الاحتلال على إرسال بعثات استكشافية، ففي سنة 1848م زار براكس (Prax) مناطق من الجنوب التونسي، ثم عرج على منطقة سوف، كما قام الباحث اندريان بربروجار (Adrien Berbrugger) عام 1850م، بزيارة الجريد التونسي ثم وادي سوف لنفس الغرض. (1)

وحين تناهى إلى علم سلمان الجلابي صاحب تقرت، بعزم القوات الفرنسية على السير إليه، راسل قرى ريغ وشريف ورقلة محمد بن عبد الله، كما أرسل لأهل سوف (2) يستنصرهم على الفرنسيين فوعده بالنصرة، فلما سمع بقرب المحلة الفرنسية، استنفرهم فلبوا نداءه ونفر منهم جمع كبير. (3)

وفي يوم 05 ربيع الأول 1271هـ/26 نوفمبر 1854 وصلت القوات الفرنسية الغازية لاحتلال تقرت ونزلت ضواحي المقارين (4) في المكان المسمى بورخيص (5)، وكان تعداد هذه المحلة 250 جندي نظامي "فرنسي" و2400 من الجزائريين المنضمين للجيش الفرنسي (6)، مقابل جيش سلمان الجلابي وقوات الشريف محمد بن عبد الله ودعم حلفائهما ومنهم السوافة، في 400 فارس وألفين من المشاة، إلا أن هذا الجمع لم يغن عنهم شيئا، فقد التحم الطرفان قرب منطقة بورخيص يوم 1854/11/29م (7)، وبسبب قلة التنظيم وغوغائية بني جلاب وحلفائهم، أنهزم الجمع وولوا الدبر، أمام الفرنسيين وحلفائهم من بن قانة، وفر حاكم تقرت

(1) إبراهيم مياسي: الصحراء ... المرجع السابق. ص ص 42، 137.

(2) Souad Selami: op. Cit. p 65.

(3) إبراهيم مياسي: الصحراء ... المرجع السابق. ص 143.

(4) المقارين: قرية تقع شمال تقرت، وتبعد عنها حوالي 14 كلم.

(5) Souad Selami: op. Cit. p 66.

(6) إبراهيم مياسي: وقفة عند الذكرى المائة والخمسين لمعركة المقارين، مجلة القباب-دار الثقافة بالوادي-الجزائر، عدد خاص بالثورة، 2005. ص 38.

(7) إبراهيم مياسي: الصحراء ... المرجع السابق. ص ص 143-146.

والشريف بن عبد الله إلى بلدة تماسين، ثم إلى الجنوب التونسي عبر وادي سوف (1)، حيث استقر الجلابي بمنطقة نفزاوة حتى وفاته. (2)

ويرجع العوامر سبب الهزيمة إلى قلة التنظيم وعدم الانضباط، بتهور أحد الرجال من طرود حاسي خليفة، ويدعى "كرباع" الذي بدأ المعركة دون أمر من القائد، وتبعه الناس في فوضى عارمة (3)، ولا ننسى في نفس الوقت تطور أسلحة الجيش الفرنسي، وتنظيمه وانضباطه بانصياعه إلى أوامر القادة، وكذلك دعم العرب من الذواودة وبن قانة للقوات الفرنسية (4)، وأكبر دافع لهذا الدعم هو الصراع بين عائلات بوعكاز وبن قانة وبن شنوف، ولم يتوقف تأثير هذا الصراع هنا، بل ألقى بظلاله على ما بعده، ومهد الطريق لسيطرة فرنسا على منطقة الجنوب الشرقي "صحراء قسنطينة"، ومنها منطقة وادي سوف. (5)

كما نستشف من خلال هذه المعركة البون الشاسع، بين ما وصل إليه العالم الغربي على صعيد التنظيم والتسليح والانضباط، والدرك الأسفل الذي تهاوى إليه العالم الإسلامي في كل المجالات، والمؤسف أن الفرنسيين في جيشهم كانوا قلة قليلة، بينما غالبية الجيشين من الجزائريين، فقد كان شيخي العرب المتنافسين ابن قانة وبوعكاز يدعمان الجيش الفرنسي، أيهما يحضى برضى فرنسا لتثبته شيخا للعرب، ولأن الولاء كذلك لم يكن للرقعة الجغرافية "الوطن" ولا للدين، وإنما كان للحمية "العرش والقبيلة".

ودخل العقيد ديفو (desvaux) تفرت 1854/12/05 م (6)، معلنا سقوط إمارة بني

(1) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 247.

(2) أندري فوازان: المرجع السابق. ص 103-104. إبراهيم مياسي: وقفة عند الذكرى ... مرجع سابق. ص 39.

(3) غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال... مرجع سابق. ص 19. والعوامر: مصدر سابق. ص 247-248.

(4) إبراهيم مياسي: الصحراء ... المرجع السابق. ص 146.

(5) إبراهيم مياسي: وقفة عند الذكرى ... مرجع سابق. ص 37.

(6) أندري فوازان: المرجع السابق. ص 103-104. إبراهيم مياسي: الصحراء ... المرجع السابق. ص 147.

جلاّب بعد حكم دام أكثر من أربعة قرون، وكان سقوطها إيذاناً بسقوط سوف، حيث أضحي الطريق إليها ممهداً، فبعد إستراحة محارب، غادر العقيد ديفو بقواته تقرت يوم 10 ديسمبر 1854 متوجها نحو سوف لإخضاعها، فوصلها يوم 13 ديسمبر بعد ثلاثة أيام من المسير، حيث دخلها سلماً (1) من جهة تاغزوت، بعد مفاوضات مع الأهالي، بعد توصل الطرفين إلى اتفاق، بموجبه يدفع السكان غرامة قدرها 60 ألف فرنك، وربما عدم مقاومة أهل المنطقة تعود للصدمة التي تلقوها في معركة المقارين، بالإضافة إلى الانقسام الداخلي ... (2)

لكن حسب العوامر فإن قوات الاحتلال دخلت المنطقة بعد صراع، تغلبت فيه القوة والتطور والتنظيم، أمام البدواة والتخلف والتشرذم (3)، وبعد الاتفاق تقدمت القوات الغازية نحو كوينين ثم إلى مدينة الوادي، وفي يوم 1854/12/22، قفل ديفو راجعاً إلى تقرت. (4)

2- تثبيت الحكم الفرنسي بسوف:

وفي يوم 26 ديسمبر من نفس السنة، نصّب العقيد ديفو علي باي بن فرحات بن سعيد البوعكازي الذواذي، حاكماً برتبة "قايد"، على مناطق تقرت ووادي سوف ووادي ريغ (5)، وجعل علي باي ابن عمه علي بن عمر بن سعيد نائباً له بإحدى البلديتين (6)، وبإيعه الأعيان والمشايخ في المسجد، وتمت قراءة الفاتحة لذلك !! (7)

(1) إبراهيم مياسي: وقفة عند الذكرى ... مرجع سابق. ص 41 جستون كوفي: المصدر السابق. ص 70 عبد الحميد بسر: الشهيد القائد الطالب العربي قمودي، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط1، 2014. ص 20.

(2) إبراهيم مياسي: الصحراء ... المرجع السابق. ص 147.

(3) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 248 وإبراهيم مياسي: وقفة عند الذكرى ... مرجع سابق. ص 41.

(4) إبراهيم مياسي: وقفة عند الذكرى ... مرجع سابق. ص 41.

(5) أنظر جستون كوفي: المصدر السابق. ص 71. وإبراهيم مياسي: الصحراء ... المرجع السابق. ص 147. وأنذري فوزان: المرجع السابق. ص 104.

(6) عبد الحميد بسر: المرجع السابق. ص ص 21-22.

(7) إبراهيم مياسي: وقفة عند الذكرى ... مرجع سابق. ص 41.

وبتريكية العقيد ديفو لعللي باي، تمت مصادقة الحاكم العام عليه يوم 1854/12/29م⁽¹⁾، فكان القايد علي باي يقيم ستة أشهر بتقوت، ومثلها بالوادي، ويخلفه في غيابه عن إحدى المنطقتين نائبه وابن عمه علي بن عمر، واتسم حكمه بظلم كبير.⁽²⁾

وفي شهر مارس 1871م هاجم الشريف بوشوشة مدينة قمار⁽³⁾، للظفر بزماله علي باي ومن ضمنها أسرته وأمواله، وكان قد أودعها بالزاوية التجانية التي رفضت تسليمهم⁽⁴⁾، وبعد حوار رضي بوشوشة منهم بمبلغ من المال على أن يرجع عنهم، فذهب إلى تقوت وأفنى الحامية الفرنسية⁽⁵⁾ مزعزعا بذلك الوجود الفرنسي في المنطقة برمتها⁽⁶⁾، فجاء الرد الفرنسي أوائل عام 1872م على يد الجنرال لأكروا فانبوا (Lacroix-Vanbois)⁽⁷⁾ الذي اجتاحت ورقلة قاعدة بوشوشة، واستطاع القضاء على مقاومته يوم 1872/01/09م⁽⁸⁾، ثم توجه إلى تقوت وسوف وأعاد إليهما الحكم الفرنسي، كما نصّب على تقوت حاكما فرنسيا يدعى "طانشو".⁽⁹⁾

ولما أتى لأكروا إلى وادي سوف تمركز بمحلته في بلدة الدبيلة، حيث عيّن على سوف العربي⁽¹⁰⁾ المملوك يوم 1872/05/22م، الذي كان محل قيادته الوادي، واتّسم حكمه بالحييف

(1) غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال، مرجع سابق. ص 17-21. والعوامر: المصدر السابق. ص 248

(2) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 248.

(3) Luis Rinn: **Histoire de l'Insurrection de 1871 en Alger**, Alger, 1891. P 486.

(4) إبراهيم مياسي: الصحراء... المرجع السابق. ص 155. وأندري فوزان: المرجع السابق ص 106.

(5) جستون كوفي: المصدر السابق. ص 71-72. وإبراهيم مياسي: الصحراء... المرجع السابق. ص 157.

(6) Luis Rinn: op. Cit. p 488, 612.

(7) فانبوا لأكروا: هذا الضابط بقي اسمه حاضر في الذاكرة الشعبية، ونحن صغار إذا أردنا أن نصف الشيء بالقدم، نقول: "هو من عام لأكروا"، ولا نعرف ما هو "لاكروا"، لكن المؤكد أننا التقطناها من الكبار.

(8) أنظر علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال... مرجع سابق. ص 23-24. وكذلك حسين تواتي: بن ناصر بن شهرة والشريف بوشوشة أنموذجان بارزان لوحدة القضية الجزائرية والروح الوطنية، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 04، صفر 1436/ديسمبر 2014. ص 41.

(9) جستون كوفي: المصدر السابق. ص 71-72. وإبراهيم مياسي: الصحراء... المرجع السابق. ص 157. وأيضا علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال... مرجع سابق. ص 23-24.

(10) العربي المملوك: المملوك أصيل البيموننت Pimont بإيطاليا، وكان ضابطا بفرقة الصبايحية في الجيش الفرنسي، أظهر الإسلام وكان يتقن العربية. جستون كوفي: مصدر سابق. ص 83 علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من خلال... ص 55

والظلم، فعلا ولفظا، ولا غرابة في ذلك وهو صنعة المحتل، والذي بؤاه هذا المقام "لاكروا" أظلم منه وأطغى، ولأن هذا المملوك كان أرعنا لا يقيم وزنا لأحد مهما علا شأنه، فقد كان يسبّ الجميع دون تفريق، وسجن كبراء القوم أو أهانهم، حتى أتى الدور على حميد بن عبد الله الجامعي، فأهانته بأبشع الصور، ومنها أنه ربطه في الإسطبل بين الخيل، وفي العشية ألبسه لباس النساء، وأمره برحي القمح مع الإماء السودانيات، وبعد زمن يسير في شهر نوفمبر 1873م، سافر المملوك إلى بسكرة مع 12 من حراسه، لأداء مال الإتاوة، فترصد له حميد الجامعي مع أربعة من أصحابه، بمحل البليدة القديمة قرب سيف المنادي، وقتل رفيقه ثم ذهب للمملوك وهو نائم في خيمته، فأيقظه وعرفه بنفسه، وذكره بفعاله وسبّه، ثم قتله (1)، ومثل بجثته، ويجعل العوامر هذه الحادثة سنة 1292هـ/1875م، ولجأ بعدها الجامعي إلى نفطة. (2)

وفي عام 1881 عند احتلال تونس، جاء رتل فرنسي صغير من الصبايحية، بقيادة المقدم لونوبل Lenoble إلى سوف، ومنها رحل إلى الجريد التونسي، ثم عاد أدراجه إلى الجزائر عبر قفصة ثم خنشلة (3)، وفي العام الموالي أتت قوة أخرى صغيرة، بقيادة الرائد فونتبرايد Fontbride إلى سوف، وعسكر بقواته في الدبيلة، ثم بنى بها برجاً صغيراً للحراسة، ومكثت الحامية بالدبيلة إلى 1887 حيث انتقلت إلى الوادي على يد النقيب فورجس Forges. (4)

(1) جستون كوفي: المصدر السابق. ص ص 71-72، 83. وغنازية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال، مرجع سابق.

ص ص 23-24. وأيضا فوزان: المرجع السابق. ص 107. ومياسي: الصحراء... مرجع سابق. ص ص 157-159

(2) أنظر إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 259 وعاشوري قمعون: الشيخان، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، ط1، 2010. ص 14. وكذلك عبد الحميد بسر: المرجع السابق. ص 33.

(3) علي غنازية: مجتمع وادي سوف من خلال ... المرجع السابق. ص 52.

(4) Gaid Zobeidi si Hocine: **Histoire succinct de l'Administration du Souf dans les deux dernieres siecles avant l'Arivée des Français**, 1952, Direction de Moudjahidine el-Oued.

أندري فوزان: المرجع السابق. ص ص 107-108. وإبراهيم مياسي: الصحراء ... المرجع السابق. ص 161.

وتأتي حملة المقدم لونيبل Lenoble المذكورة آنفاً، في إطار مراقبة الوضع في المنطقة عن كثب، وتحركات القبائل الصحراوية⁽¹⁾، خاصة إذا علمنا أن فرنسا تعمل في ذلك الحين على إحتلال تونس، واستقرار الإدارة الفرنسية بسوف، لتثبيت الإحتلال بها وبالجانب التونسي.

3- الفرنسيون في الجنوب التونسي:

بموجب اتفاقية باردو 12 ماي 1881م، دخلت تونس تحت الحماية الفرنسية⁽²⁾، دون مقاومة من السلطة الرسمية، ودون معارضة "الباي وأعوانه"، ماعدا اللواء العربي زروق⁽³⁾، وإذا كان إحتلال الجزائر تطلب من فرنسا العمل على مدار قرن من الزمان، فإن الأمر مختلف تماماً في إحتلالها لتونس، إذ لم تأتي عليها ثلاثة أشهر حتى سيطر الفرنسيون على كامل البلاد التونسية تقريباً، إذ أن دخولهم لقابس بالجنوب كان يوم 23 جويلية 1881م.⁽⁴⁾

ومع استكانة رجال البلاط، وضعف رد الفعل الشعبي الأولي، ظن الفرنسيون أنهم تمكنوا من البلاد، لكن الأمر بدأ في التغير منذ صائفة 1881م، وما لبث السكون أن تحول إلى انتفاضات عديدة رفضاً للإحتلال⁽⁵⁾، وتنديداً ببطانة الباي، خاصة من قبائل الوسط والجنوب، بقيادات عديدة من أبرزها الزعيم علي بن خليفة النفاتي.⁽⁶⁾

وكان لانقسام سكان البلاد إلى شقين متعاضدين، بين الصفيين الحسيني والباشي، دور في تسهيل عملية الإحتلال، ثم عملت سلطات المستعمر على تذكية هذا الصراع، للتحكم أكثر

(1) D. Escard. Op. Cit. p 33.

(2) حسن حسني عبد الوهاب: المصدر السابق. ص ص 213-214.

(3) اللواء العربي زروق: رئيس المجلس البلدي بتونس، ورئيس المدرسة الصادقية من نشأتها إلى ماي 1881م حيث استقال احتجاجاً على انتصاب الحماية ببلاده، بتوقيع معاهدة باردو الشهيرة، وفرط في مناصبه وامتيازاته، وأصبح مطارداً بسبب معارضته، ثم ترك البلاد إلى أن توفاه الأجل بالمدينة المنورة عام 1320هـ/1902م. محمد بن الخوجة: صفحات من تاريخ تونس، تح حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحيى، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1986م. ص312.

سالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة... المرجع السابق. ص 34.

(4) علي المحجوبي: المرجع السابق. ص ص 44-45. بلقاسم بن محمد بن جراد: المرجع السابق. ص 17.

(5) محمد ضيف الله: نوافذ على تاريخ... المرجع السابق. ص 105.

(6) سالم لبيض: تاريخ شبه... مرجع سابق. ص34. وغنازية: مجتمع وادي سوف من خلال... مرجع سابق. ص52.

في السكان، والتمكن من السيطرة على مقدرات البلاد (1)، إلا أن موقف السكان كان مختلف تجاه فرض الحماية، فمنهم من رفضه وقاومه، ومنهم من قبله خاصة أن مالك البلاد وعماله موافقون على الأمر ومروجون له، ولذلك حصل انقسام جديد للقبائل تبعاً لموقفها من الاحتلال الفرنسي بين مؤيد مستكين، ومعارض ثائر، فأصبح أعداء الأمس حلفاء اليوم تحت إمرة الثائر علي بن خليفة النفاتي. (2)

وهذه الانقسامات كانت أشد على الثائرين من قوات الاحتلال، فعلى سبيل المثال كان هناك شق من أولاد يعقوب قاوم الإستعمار، وآخر رحب بالسادة الجدد، وكان لهم خير معين وأفضل نصير، حيث ساعدتهم على بسط الأمن بنفزاوة، بل كان رفيقهم لإحتلال بقية البلاد (3)

وبسبب فشل المقاومة، لاذ بعض المقاتلين من الجنوب التونسي إلى الفرار نحو الأراضي الليبية، في انتظار تدخل عثماني ضد الاحتلال الفرنسي، باعتبار أن تونس إيالة عثمانية، وكذلك لجعلها قاعدة خلفية للانطلاق ضد المصالح الفرنسية (4)، وتحسباً لتدخل عثماني أو عربي انطلاقاً من إيالة طرابلس، عمدت سلطات الاحتلال إلى التمرکز بصفاقس وقابس وجرجيس (5)، ومع اليأس من النجدة العثمانية، والقضاء على المقاومة، والسعي الفرنسي الحثيث لاستقدام الفارين -ومنها منح العفو العام لهم-، عاد أغلبهم إلى ديارهم. (6)

ومع ذلك لم تستكن القبائل نهائياً، إذ بقي التذمر سيد الموقف، باندلاع انتفاضات بين الفينة والأخرى، خاصة أثناء الحربين العالميتين، واستغلال انشغال الجيش الفرنسي بجبهات القتال، ومنها انتفاضة 1915م للتضامن مع الأشقاء الليبيين في جهادهم ضد الإيطاليين،

(1) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 24. محمد ضيف الله: نوافذ على تاريخ... المرجع السابق. ص 107.

(2) سالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة... المرجع السابق. ص 39، 79-83.

(3) محمد ضيف الله: في مسألة العلاقة... المرجع السابق. ص 424.

(4) محمد ضيف الله: نوافذ على تاريخ... المرجع السابق. ص 106-109.

(5) أنظر المحجوبي: المرجع السابق. ص 48-50. وسالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة... المرجع السابق. ص 35.

(6) المرزوقي: صراع مع الحماية... مصدر سابق. ص 219. وضيف الله: نوافذ على تاريخ... مرجع سابق. ص 109.

وكذلك الثورة التي فجرها المرازيق سنتي 1943-1944م⁽¹⁾، والملاحظ هو احتضان منطقة الجنوب التونسي، لأغلب الانتفاضات ضد الاحتلال، وآخرها الثورة التونسية 1952م.⁽²⁾

4- تآزر سكان سوف والجنوب التونسي ضد الاحتلال:

أظهرت محنة الاحتلال اللحمة بين الشعبين الجزائري والتونسي، ومن أشكال تآزر السكان بين منطقتي سوف والجنوب التونسي، مشاركة بعض السوافة في الثورة التونسية، ومنهم القائد الجيلاني بن عمر⁽³⁾، والطالب العربي قمودي⁽⁴⁾، وكذلك إنضمام كثير من المقاتلين التونسيين بالجنوب لجيش التحرير الجزائري بقيادة الطالب العربي قمودي⁽⁵⁾، ومنهم القادة الطاهر لسود وعلي الهمامي⁽⁶⁾ وعبد الله البوعمراني... وغيرهم كثير⁽⁷⁾، كما كان بالجنوب التونسي أقوى فصيل "لجيش تحرير المغرب العربي"، بإمرة الطالب العربي، حيث التوانسة

(1) محمد ضيف الله: نوافذ على تاريخ... المرجع السابق. ص 114.

(2) بلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص 280. وسالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة... المرجع السابق. ص 41.

(3) القائد الجيلاني بن عمر: ولد عام 1926م، بقرية العقلة جنوب مدينة الوادي حوالي 20 كلم، حفظ ما تيسر من القرآن على يد والده، وبسبب فقره انخرط في سلك الجندية ضمن الجيش الفرنسي، بمنطقة الرمادة بين 1951 و 1953، ثم تركه، وانضم لجيش التحرير التونسي، ولما اندلعت الثورة الجزائرية جند مجموعة من الشباب من منطقة سوف، وكون منهم جيش السوافة، بقيادته إلى استشهاده يوم 20/10/1955م أثناء معركة جبل سندس بمنطقة زاريف، قرب الحدود التونسية. أنظر علي غنابزية: أدوار الكفاح المسلح في وادي سوف والجنوب الشرقي الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي 1854-1962، إصدار مديرية الثقافة بالوادي، مطبعة الوادي، الجزائر، ط1، 2016. ص 103.

(4) الطالب العربي قمودي: ولد سنة 1923 بمدينة الوادي، حفظ القرآن وشيء من العربية، ثم سافر إلى الجنوب التونسي حيث عمل بمنجم الفوسفات بالرديف، وكان ناشطاً نقابياً، فنضج عنده الوعي السياسي، شارك في الثورة التونسية، ولما اندلعت الثورة الجزائرية انخرط فيها، فكلفته قيادة الأوراس بتمويل الثورة وتسليحها، فكوّن المنظمة المدنية بوادي سوف لتمويل الثورة، وعقب وفاة القائد الجيلاني بن عمر، خلفه الطالب العربي على قيادة جيش الحدود الداعم للثورة الجزائرية بالداخل، إلى استشهاده غدرا عام 1957م. علي غنابزية: أدوار الكفاح... المرجع السابق. ص 107.

(5) حسان الجيلاني: قصة العودة، دار هومة، الجزائر، د.ط، 2011. ج1، ص 66.

(6) المجاهد علي الهمامي: من مجاهدي الثورة التونسية، وإثر وقف القتال في تونس إنضم إلى جيش التحرير الجزائري، كما كان من أنصار صالح بن يوسف، المناهضين لسياسة الحبيب بورقيبة، فتم إعتقاله والحكم عليه بالاعدام، أسوة بكثير من اليوسفيين. علي غنابزية: أدوار الكفاح... المرجع السابق. ص 107.

(7) أنظر ملحق رقم 27، ص 320. وكذلك: علي غنابزية: أدوار الكفاح... المرجع السابق. ص 102-107.

والجزائريين يقاتلون جنبا إلى جنب، والشعب التونسي يمّون الجميع. (1)

وكان لسكان الجنوب موقف من الصراع اليوسفي-البورقيبي، فأغلب سكانه رفضوا الاستقلال الداخلي الذي أسفرت عنه إتفاقية 1956/03/20م رئيس الحزب الدستوري الجديد الحبيب بورقيبة مع فرنسا، باعتبارها خطوة للأمام (2)، ووقفوا مع الأمين العام للحزب صالح بن يوسف الذي رفض الاتفاقية واعتبرها خطوة للوراء، ومع عدم انصياع الطالب العربي لقرارات مؤتمر الصومام، كان ذلك سببا في تحالف لجنة التنسيق والتنفيذ الجزائرية، مع الحرس التونسي الموالي لبورقيبة، للقضاء على اليوسفيين والطالب العربي وحل جيشه، وهنا بدأت عمليات التضييق والمطاردة إلى أن تم القضاء على المعارضة اليوسفية (3) وجيش السوافة يوم 1957/6/20، كما تم القضاء على جميع القادة المناوئين لفرض القرارات الأحادية بالقوة، ومنهم السعيد عبد الحي (4) وعبد الكريم هالي (5)، وهما من أبرز القادة الممثلين للثورة الجزائرية

(1) الطاهر عبد الله: الحركة الوطنية التونسية-رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956، ط2، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة-تونس، دت. ص 131-133. ويسر: مرجع سابق ص 276 وغنازية: أدوار الكفاح... مرجع السابق. ص 111.
(2) من المناطق القليلة بالجنوب التونسي التي ناصرت الحبيب بورقيبة كانت منطقة جرجيس. أنظر سالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة... المرجع السابق. ص 45.

(3) محمد الهادي الشريف: المرجع السابق. ص 137-138. وبلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص ص 292-293.
(4) السعيد عبد الحي: ولد عام 1927م بقمار (حوالي 20 كلم شمال مدينة الوادي)، حفظ القرآن ومبادئ العربية وبعض العلوم الدينية، ثم واصل دراسته بالزيتونة وتخرج منها سنة 1954م، له وعي سياسي مبكر، ففك كان يلتقي بالمناضل محمد العربي بن مهيدي بقسنطينة بمتجر أخيه إدريس عبد الحي، فكان النقاش بينهما حول السياسة والحركة الوطنية، كما أنه أثناء دراسته بالزيتونة كان له نشاط طلابي فعّال، لهذا بمجرد اندلاع الثورة الجزائرية، انخرط فيها ضمن المنطقة الأولى "الاوراس"، واثبت إمكانيات قيادية أهلته لأن يمسك زمام أمور الثورة على كامل التراب التونسي، إلى غاية استشهاده سنة 1957، في ظروف مأساوية. علي غنازية: أدوار الكفاح... المرجع السابق. ص 108.

(5) عبد الكريم هالي: ولد عام 1930م بمدينة قمار من منطقة وادي سوف، تلقى مبادئ التعليم القرآني واللغة العربية ببلدته، ثم انخرط بجامع الزيتونة، وتخرج منه سنة 1954م، كان له نشاط وطني حيث انخرط في حزب الشعب سنة 1950م، ونشاط في الحركة الطلابية، وعند اندلاع ثورة التحرير الجزائرية لبي نداءها، فكان من خيرة جنود الولاية الأولى، ولاخلاصه وحكمته وحسن التنظيم، انتدب لمساعدة زميله السعيد عبد الحي في قيادة الثورة على التراب التونسي، إلى استشهاده غيلة عام 1957. أنظر علي غنازية: أدوار الكفاح... المرجع السابق. ص 109.

بتونس⁽¹⁾، ومن هذا يظهر جليا مدى الترابط المتين بين المنطقتين خاصة في مواجهة الشدائد.

5- التنظيم الإداري بوادي سوف:

كانت سوف قبل التدخل الفرنسي تعيش في وضع شبه مستقل، وكان لكل قرية من قرأها مجلس أعيان يقوم على شؤونها، أما الأمور الدينية والقضاء فهي موكلة لإمام المسجد أو لشيخ زاوية⁽²⁾، فلما دخلت في حوزة الفرنسيين احتلالا، أتبع سنة 1866 لبلدية بسكرة⁽³⁾

وفي عام 1871م قسمت السلطات الفرنسية المنطقة إلى ثلاث مشيخات:

- مشيخة المصاعبة وتضم عرشي المصاعبة بفرقها (الشبابطة والعزازلة والقرافين) وعرش الشعانية.

- مشيخة الأعشاش وتضم أعراش الأعشاش وأولاد جامع وأولاد أحمد والربايح والفرجان.

- مشيخة أولاد سعود وتضم قرى: كوينين، ورماس، تغزوت، سيدي عون، الزقم.⁽⁴⁾

ثم تحولت المشيخات الثلاث سافة الذكر، إلى خمس مقيدات سنة 1885م، على رأس

كل واحدة منها قائد، تعينة السلطات الفرنسية، وهي:

- مقيدة قمار-غمرة.

- مقيدة أولاد سعود: كوينين، ورماس، تغزوت، سيدي عون، الزقم.

- مقيدة الدبيلة.

- مقيدة البهيمية (بلدية حساني عبد الكريم حاليا).

(1) علي غنابزية: أدوار الكفاح... المرجع السابق. ص 112.

(2) le Colonel Noellat: "Algerie en 1882, librairie Militaire, Paris, France, 1882. P 70 .

Gaid Zobeidi si Hocene. Op. Cit.

المقدم دوماس: المصدر السابق. ص 20.

(3) جستون كوفي: المصدر السابق. ص 31.

(4) أندري فوازن: المرجع السابق. ص 28. عبد الحميد بسر: المرجع السابق. ص 39.

- مقيدة الأعشاش والمصاعبة. (1)

وبعد توطن الحكم الفرنسي بسوف عام 1882م ببلدة الدييلة (2)، التي تأسس بها أول مركز عسكري بقيادة الضابط بلاشير Blachere، كما تم إنشاء المكتب العربي وانتدب الملازم ديپورتير Deporter من المكتب العربي ببسكرة لرأسه (3)، وهذا المكتب هو مسؤول عن الأمن العام، والعلاقات مع السكان، ومراقبة النشاط الاقتصادي، وعلى رأسه التجاري (4)، أما الوضع الأمني بالقرى والمداشر، فقد كان موكلًا إلى فرق من الأهالي يسمون دواير Deiras، وفي الصحارى إلى فرق خاصة تسمى "فرق المهارى" Maharistes لأنها تستعمل المهارى في تنقلها (5)، فلما انتقل ديپورتير إلى الجريد (6)، خلفه على المكتب العربي بوادي سوف الملازم ششيري Scheres الذي يعتبر أول رئيس مركز الوادي. (7)

وفي يوم 1885/01/17م صدر القرار الذي تم بموجبه، إنشاء ملحقة الوادي، وكانت تابعة لبسكرة، وكان القبطان جانين Janin أول قائد لملحقة الوادي، ثم عوضه النقيب أبال فارفس Abel Farges الذي استقدم الحامية الفرنسية من الدييلة إلى الوادي يوم 31 ماي 1887م، بعد أن شيد لها مبنى خاص بها "تكنة"، بجوار مبنى مكاتب الملحقة للشؤون الأهلية (8)

(1) أندري فوازان: المرجع السابق. ص 28.

(2) الدييلة: تبعد عن الوادي 18 كلم باتجاه الشمال الشرقي.

(3) أندري فوازان: المرجع السابق. ص 108 علي غنازية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال... مرجع سابق. ص 24.

عبد الحميد بسر: المرجع السابق. ص 40.

(4) C. Noellat. Op. Cit. p50.

(5) عثمان زغب: الأوضاع الاقتصادية ... المرجع السابق. ص ص 23-24.

(6) جستون كوفي: المصدر السابق. ص 72.

(7) أنظر أندري فوازان: المرجع السابق. ص 108. وإبراهيم مياشي: الصحراء ... المرجع السابق. ص 161. عبد

الحميد بسر: المرجع السابق. ص 40 رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 122.

(8) جستون كوفي: المصدر السابق. ص 72-73 إبراهيم مياشي: الصحراء ... المرجع السابق. ص 161.

ثم صدر القرار الحكومي يوم 1893/01/01م، القاضي باستحداث دائرة تفرقت وضم ملحقة الوادي إليها، حيث كانت سوف مقاطعة أهلية، أما تفرقت فقد كانت بلدية مختلطة. (1)

وفي يوم 14 أوت 1905م صدر المرسوم الذي يقسم أقاليم الجنوب، إلى بلديات مختلطة وأخرى أهلية، تم بموجبه جعل منطقة الوادي بلدية أهلية، مستقلة عن البلدية المختلطة بتفرقت، وفي نفس الوقت كانت ملحقة عسكرية تابعة للقيادة العسكرية بتفرقت. (2)

يوم 1934/04/04م صدر قرار تحويل البلدية الأهلية بالوادي، إلى بلدية مختلطة، يسيرها مجلس رئيسه فرنسي وعضوان فرنسيان، واحد عن الوادي والآخر عن قمار والضابط العسكري والقياد الخمسة عن أعراش الوادي. (3)

يوم 07 أوت 1957م صدر المرسوم الذي يقسم الجنوب الجزائري إلى عاملتين "الساورة في الجنوب الغربي، والواحات في الجنوب الشرقي"، وعمالة الواحات تضم ثلاث دوائر، الأغواط وورقلة وتفرقت، وتحتوي دائرة تفرقت مقاطعتي وادي سوف ووادي ريغ. (4)

ومن ناحية أخرى كانت منطقة وادي سوف تحت الحكم العسكري (5)، ولهذا الحكم

(1) إبراهيم مياشي: الصحراء الجزائرية... المرجع السابق. ص 161 عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية ... المرجع السابق. ص 23 جستون كوفي: المصدر السابق. ص 73.

(2) Roger Leonard: **Les territoire du sud d'Algerie "compte rendu de l'œuvre accomplie de 1947-1952"**, Imprimerie officielle, Alger, 1945. P 07. أندري فوازان: المرجع السابق. ص 29.

(3) أنظر: عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية... المرجع السابق. ص 23. و أندري فوازان: المرجع السابق. ص 29. وعبد الحميد بسر: المرجع السابق. ص 40.

(4) أندري فوازان: المرجع السابق. ص 29. عبد الحميد بسر: المرجع السابق. ص 102.

(5) بقيت سوف تحت الحكم العسكري، إلى غاية صدور القرار بتأسيس إدارة مدنية بالوادي يوم 1950/5/24م، أما تطبيق الحكم المدني رسميا بسوف فقد بدأ يوم 01 جانفي 1960م، وتعيين أول حاكم مدني بالمنطقة. أنظر مصطفى سالمي: **الدر المصفي من نقايد الشيخ سالمي مصطفى**، جمع وتصنيف وتعليق علي غنابزية، مخ، "الدي نسخة منه". ص 57. وكذلك عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية ... المرجع السابق. ص 24.

خصائصه وقوانينه، التي تكبل السكان، وتمعن في تخويفهم⁽¹⁾ وإخضاعهم لأبعد الحدود.⁽²⁾ فقد كان التنقل إلى خارج المنطقة، يستوجب الحصول على رخصة من طرف إدارة الاحتلال، ويستوي في ذلك الكل، حتى المتعاونين مع السلطات الفرنسية، ومنهم رجال الطرق الصوفية المتعاونة، مثل زيارات الشيخ الهاشمي الشريف وابنه الشيخ عبد العزيز⁽³⁾ إلى تونس، لتفقد أملاك العائلة في نفطة وتمغزة وغيرهما من مناطق الجنوب التونسي، والأمر ذاته بالنسبة للشيخ محمد الصغير التجاني عند زيارته لتونس، وكان الطلب المقدم للإدارة يتجدد مع كل زيارة، ويحدد فيه الغرض من الزيارة، والأماكن التي يقصدها، ويمنع من التنقل خلفها، إلا بإذن من الإدارة الفرنسية.⁽⁴⁾

6- التنظيم الإداري بالجنوب التونسي:

كانت أغلب المناطق الداخلية والجنوبية من تونس شبه مستقلة، وسلطة الباي هناك ضعيفة، لا تعدو الحواضر أو مركز الخليفة المعين من طرف الباي، والذي كان في كل منطقة

(1) ومازلت ألمح حالة الرعب التي كانوا يعيشونها من الفرنسي "القاورى" Gawri، فقد بقي هذا الذعر في جدي لأمي، فإلى وفاته عام 2010 كان يتحاشى الحديث في السياسة، وإن لزم الأمر فإنه يهمس في أذنك، خوفا من أن نسمعنا الجُر.

(2) علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال ... مرجع سابق. ص ص 94-95.

(3) الشيخ عبد العزيز الشريف: ولد ببلدة عميش "البياضة" بوادي سوف سنة 1898، تلقى تعليمه الأول بزاوية والده الشيخ محمد الهاشمي الشريف، ثم التحق بجامعة الزيتونة "1913-1923" التي تحصل منها على شهادة التطويع، وبها ربط علاقات مع رموز الحركة الإصلاحية الجزائرية، خاصة الشيخ مبارك الملي، تولى مشيخة الزاوية القادرية بوادي سوف بعد وفاة والده وأخيه أواخر سنة 1923، في سنة 1937 جاهر بانتمائه إلى حركة الإصلاح ومبادئ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وحول مقر زاويته بعميش والزاوية القادرية بمدينة الوادي إلى قلعة للحركة الإصلاحية، مهد الطريق لزيارة وفد الجمعية برئاسة الشيخ عبد الحميد ابن باديس في ديسمبر 1937، وعلى إثر أحداث هدة عميش الثانية، تم القبض عليه وإيداعه سجن الكدية بقسنطينة في الفترة "1938-1942"، ثم نفي عام 1953 إلى تونس، وعند اندلاع ثورة التحرير أيدى ماديا وأديبا، توفي سنة 1965 بتونس. أنظر الشهاب الجديد: الشيخ الثائر عبد العزيز الشريف، ع01، أبريل 2006. ص ص 16-17. وعلي غنابزية: دراسات في تاريخ المقاومة الثقافية بالجزائر للحفاظ على الهوية الوطنية، ط01، مطبعة مزوار، الوادي-الجزائر، 2011. ج1، ص ص 79-80.

(4) المرجع السابق. ص 95. أنظر الملاحق: رقم 16 ص 311 ورقم 17 ص 312.

طيلة العهد العثماني وأوائل عهد الحماية الفرنسية (1)، ويعد واجهة الحاكم والواسطة بينه وبين الرعية، أما فعليا فقد كانت تحكم هذه من طرف مجلس أعيانها، ويسمى مجلس أعيان القبيلة بالجنوب التونسي "الميعاد"، وهو الذي يحدد سياسات القبيلة وينظم حياتها الاقتصادية والاجتماعية، ويحافظ على تلاحم المجموعة. (2)

وعقب دخول المحتل الفرنسي، بدأ يسعى لفرض سيطرته على مختلف أرجاء البلاد، ومنها منطقة الجنوب التونسي التي كانت عصية على البايات، فبدأت هيمنته عسكرية، منها إنشاء الإدارات العسكرية بمختلف نواحيه (3)، ثم امتدت لتشمل المجالات الأخرى (4)، وقد ارتكزت سياسته لاحتواء المنطقة على ما يلي:

- تعيين العمال على المناطق، ليكون ولاءهم لسلطة الاحتلال، بدل تبعيتهم للباي، مثل تعيين الجنرال فلبار لأحمد بن بلقاسم بن حمادي (5) عاملا على نفزاوة. (6)
- إنشاء مراكز لقوات اللفيف الأجنبي، ومنها مراكز "القوم" الجزائرية وفيهم مجندين كثير وادي سوف- التي كانت مرابطة بنفزاوة منذ أواخر القرن 19م. (7)
- إنشاء مكاتب الاستعلامات لمراقبة تحركات السكان، ثم استبدل بموجب القرار المؤرخ يوم 1900/01/18م بمكاتب الشؤون الأهلية المسماة محليا "بيرو عرب"، وكانت

(1) بلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص 172.

(2) حفيظ الطباي: المرجع السابق. ص 51. سالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة ... المرجع السابق. ص 86.

(3) سالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة ... المرجع السابق. ص 88.

(4) محمد ضيف الله: نوافذ على تاريخ ... المرجع السابق. ص 112.

(5) من أسباب تعيينه في المنصب: تجربته الطويلة في إدارة المنطقة، وانتماؤه لأكبر العائلات، بالإضافة إلى أنه ينتمي لصف شداد المعادي لصف يوسف الذي كان يقود المقاومة ضد الفرنسيين. ضيف الله: نوافذ على تاريخ... مرجع سابق. ص 110

(6) محمد ضيف الله: نوافذ على تاريخ ... المرجع السابق. ص 110.

(7) محمد ضيف الله: في مسألة العلاقة ... المرجع السابق. ص 422.

- إدارة موازية للإدارة التونسية المحلية، مكونة من عمال المناطق ثم الخليفة على المستوى الثاني ثم المشايخ، ومهمتهم جمع الضرائب والفصل في القضايا الخفيفة. (1)
- تغيير عروش المشيخات بضم العروش المتنافرة تحت مشيخة واحدة، لتضمن عدم انسجامهم وتوحدهم على كلمة سواء، مثل ما حدث عام 1892م. (2)
 - إنشاء نظام المراقبات المدنية، التي صدر بشأنها المرسوم الرئاسي يوم 1884/10/4م، لمراقبة السكان الحضر، أما البدو فقد أوكلت مهمة مراقبتهم للسلطة العسكرية، قبل أن يلتحقوا بالمراقبات المدنية سنة 1894م.
 - تعيين قائد العرش بأن يكون من خارج المنطقة "أي لا ينتمي للعرش" (3)، حتى يكون طيعا في يد أولي نعمته.
 - القرار المؤرخ يوم 30 أبريل 1888م بإلغاء كل الامتيازات الجبائية للقبائل المخزنية ومنها قبيلة الودارنة. (4)
 - العمل على توطين البدو، لتسهيل مراقبتهم على كثب، وإحصائهم وتحصيل الضرائب منهم (5)، الأمر الذي أدى إلى زلزلة البناء القبلي للمنطقة. (6)

(1) محمد ضيف الله: نوافذ على تاريخ... مرجع سابق. ص 113. وسالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة... مرجع سابق. ص 90

(2) سالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة... المرجع السابق. ص 98.

(3) حفيظ الطباي: المرجع السابق. ص 57.

(4) عبد الواحد المكني: أهالي الجنوب التونسي بالحاضرة خلال الفترة الاستعمارية (الخصائص والإسهامات)، مدونة أعمال الندوة الدولية 12 حول "الجنوب التونسي من الاحتلال إلى الاستقلال 1881-1956، المنعقد بتونس أيام 7-8 ماي 2004، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، سلسلة تاريخ الحركة الوطنية، عدد 12، تونس، 2005. ص 23.

(5) حفيظ الطباي: المرجع السابق. ص 66.

(6) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 103.

- وضع أغلب مناطق الجنوب تحت الحكم العسكري⁽¹⁾، الذي كان أشد وطأة وصلفا في معاملة السكان، عبر مكاتب الشؤون الأهلية⁽²⁾، وكانت حدود منطقة الحكم العسكري من حامة قابس شرقا، إلى جنوب توزر غربا، وتغطي حوالي نصف مساحة البلاد.⁽³⁾
- تقسيم منطقة الحكم العسكري إلى ثلاث قيادات: قيادة ورغمة مدنين بالمنطقة الشرقية، قيادة نفزاوة-قبلي حيث المنطقة الغربية، قيادة مطماطة بأقصى الجنوب.⁽⁴⁾
- التضيق على تنقل من مناطق الجنوب أو نحوها، بسبب الرقابة العسكرية على المنطقة، حيث على المار ضرورة استصدار رخصة لذلك، وحتى المشايخ المعينين من طرف الإدارة، مثل طلب الترخيص من شيخ قابس ونفزاوة للتنقل والإقامة بتونس لمدة شهرين وكان الطلب سنة 1927م.⁽⁵⁾

-
- (1) عبد اللطيف الحناشي: أقصى الجنوب التونسي-من المقاومة العنيفة العفوية إلى المقاومة المنظمة (آليات خصوصيات وحدود الانتقال والانتشار)، مدونة أعمال الندوة الدولية الثانية عشر حول "الجنوب التونسي من الاحتلال إلى الاستقلال 1881-1956"، المنعقد بتونس أيام 6 و7 و8 ماي 2004، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، سلسلة تاريخ الحركة الوطنية، عدد 12، تونس، 2005. ص 242 عائشة التايب: المجموعات القبلية بأقصى الجنوب التونسي وهجرة العمل المؤقتة، مدونة أعمال الندوة الدولية الثانية عشر حول "الجنوب التونسي من الاحتلال إلى الاستقلال 1881-1956"، المنعقد بتونس أيام 6 و7 و8 ماي 2004، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، سلسلة تاريخ الحركة الوطنية، عدد 12، تونس، 2005. ص 98.
- (2) عبد الواحد المكني: المرجع السابق. ص 22.
- (3) أنظر: عميرة عليّة الصغير: نفزاوة زمن الاستعمار وجدلية الخضوع والمقاومة (1881-1956)، مدونة أعمال الندوة الدولية الثانية عشر حول "الجنوب التونسي من الاحتلال إلى الاستقلال 1881-1956"، المنعقد بتونس 6 و7 و8 ماي 2004، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، سلسلة تاريخ الحركة الوطنية، عدد 12، تونس، 2005. ص 198 وكذلك الكراي القسنطيني: التراب العسكري والمواجهة السياسية مع الاستعمار (حادثة الجرف مارس 1950) تداعياتها وخلفياتها، مدونة أعمال الندوة الدولية الثانية عشر حول "الجنوب التونسي من الاحتلال إلى الاستقلال 1881-1956"، المنعقد بتونس أيام 6 و7 و8 ماي 2004، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، سلسلة تاريخ الحركة الوطنية، عدد 12، تونس، 2005. ص 271.
- (4) عميرة عليّة الصغير: المرجع السابق. ص 198.
- (5) عبد الواحد المكني: المرجع السابق. ص ص 30-31.

ووضع منطقة الجنوب تحت الحكم العسكري المباشر، هو أعظم وسيلة للتحكم بها وإخضاعها، وذلك ببث العيون في كل مكان، وعدّ أنفاس السكان، ورصد الوارد إليها والمغادر منها، عبر جهازين:

- مكتب الاستعلامات: لمراقبة السكان وجمع أخبارهم، وإصدار رخص التنقل.
- فرقة المخازنية: للحفاظ على الأمن وحراسة الحدود.

وبالإضافة إلى ما سبق فقد أوكلت لمكاتب الشؤون الأهلية اتخاذ إجراءات ردعية ضد السكان لأبسط المخالفات، فأصبحت المنطقة شبه معزولة عن باقي البلاد، وحولها المحتل إلى منطقة نفى الوطنيين المعارضين لسياسته. (1)

والملاحظ أن النظام الإداري في المنطقتين متشابه، بتعيين قياد وشيوخ وخلفاء، وجعلهم الوساطة بينها وبين السكان، كما أن السياسة الاستعمارية التي طالت المنطقتين واحدة، مبنية على المراقبة والتضييق والقمع، الذي انتهجته الإدارة الفرنسية بوضع المنطقتين تحت الحكم العسكري عبر المكاتب العربية، والشؤون الأهلية S.A.S، وجهاز الاستعلامات.

(1) عبد اللطيف الحناشي: المرجع السابق. ص 243.

خلاصة الفصل:

في سرد الجانب التاريخي قد يظهر بعض الإطناب، أو التوغل في أعماق التاريخ، لكن المقصود هو إظهار مدى تفاعل الأحداث بين المنطقتين، والتأثيرات المتبادلة، ولأن الحاضر ليس مقطوعاً عن الماضي، وما هو إلا نتيجة حتمية لتراكم أحداث مضت، لذلك لا يمكن فهم كنهها، إلا بسبر أغوار ماضيها.

تعد منطقة الجنوب التونسي نابضة بالحياة منذ القدم، فقد شهدت حضارات قديمة، ثم تعاقبت عليها حضارات وافدة مثل الفينيقيّة والرومانية، أما منطقة سوف فهناك خلاف في تاريخها القديم، لكن الأرجح أن عمرانها كان متأخراً.

بدأ الفتح الإسلامي بمنطقة الجنوب التونسي، ثم اتسع ليشمل بقية بلاد المغرب، فكان هذا أول الوجود العربي، ثم تبعته هجرات عربية، إلا أن أبرزها الهجرة الهلالية الآتية من صعيد مصر، وتكمن أهمية هذه الهجرة، كونها صبغت المنطقة بالطابع العربي.

وإذا كان أول العرب القادمين لمنطقتي سوف والجنوب التونسي بكثرة تعداد هم بنو هلال، فإن قدوم بني عمومتهم من سليم أزاحهم عنها، ولم يبق منهم عدا بيوتات قليلة، وكذلك وفد على المنطقتين لاسيما منطقة سوف، بنو عدوان، أما طرود الذين يكثر ذكرهم في تاريخ سوف، ما هم إلا خليط من سليم وهلال والربايح غيرهم.

المؤكد أن كل الأقوام التي وفدت على سوف، كانت قبل ذلك بالجنوب التونسي، وعليه فالغالب بقاء بعضهم هناك، وهذا ما يقوي الروابط بين المنطقتين.

كان هناك تفاعل بين منطقتي وادي سوف والجنوب التونسي، يشهد على ذلك بعض الأحداث، ومنه إقحام سكان الوادي للصراع الدائر في تونس بين الإمارة الشابيية والدولة

الحفصية ثم الإيالة التونسية، وكذلك الغارات المتبادلة بين الهمامة وأولاد يعقوب من تونس، وطرود من وادي سوف.

أثناء العهد العثماني كانت القبائل بالمنطقتين تتقاد إلى مجلس أعيانها، وإذا كانت منطقة الجنوب التونسي تشهد ضعف التنفّذ العثماني خاصة في بواديها، فإن سوف كانت بمنأى عن الحكم العثماني المباشر، حيث تشهد وضعاً مستقلاً، إلا أن ما اتفق في المنطقتين، هو أن كلاهما عرفت عقلية الصفّ، حيث شهدت انقساماً داخلياً حاداً، أدى في كثير من الأحيان إلى صدامات، ففي منطقة الجنوب التونسي كانت الانقسام إلى قبائل باشية "صف شداد"، وأخرى حسينية "صف يوسف".

وتعتبر حالة التشرذم التي يشهدها العالم الإسلامي، ومن ضمنه منطقتي الدراسة، من أكبر أسباب وقوعها تحت سيطرة الاستعمار الأوربي الحديث، حيث كانت منطقة سوف الأسبق في تعرضها للاحتلال الفرنسي عام 1854م، كما كانت إحدى البوابات لاحتلال فرنسا منطقة الجنوب التونسي سنة 1881م، وبعدها لعب الاستعمار على وتر الانقسام، في توجيه سهام القوم إلى أبناء العمومة والبلد الواحد، بغية إضعاف روح المقاومة، كما أخضعت المنطقتين لنفس التقسيم الإداري، ووضعتهما تحت الحكم العسكري، الذي يعد على السكان أنفاسهم.

وبالنسبة للطابع العام للمنطقة - باستثناء أقلية أمازيغية بالجنوب التونسي - يغلب عليه الطابع العربي، مع سلامة اللغة وقربها من الفصحى، ولا غرو في ذلك والغالبية الساحقة منهم عرب أقحاح، كما سنرى في التركيبة البشرية للمنطقتين.

الفصل الثالث:

أصل السكان وتركيبتهم البشرية

أولاً- عمران المنطقة

- السكان الأوّل
- الوجود العربي
- تعرّب الأمازيغ.

ثانياً: أصل السكان

- البربر الأمازيغ
- القبائل العربية

ثالثاً: التركيبة السكانية

- العرب والبربر بالجنوب التونسي
- العرب والبربر بوادي سوف
- الطائفة اليهودية بالمنطقتين
- الزنوج بسوف والجنوب التونسي

بعيدا عن نظرية اختفاء البربر، أو نزوحهم المستمر أمام موجات الهجرات العربية المتتالية إلى بلاد المغرب العربي، فيجب الإقرار باختلاط الأجناس بالمنطقتين محل الدراسة، وانصهارها في بوتقة واحدة، ولعل السمات الجسمانية، التي تظهر من حين لآخر في بعض الأشخاص بالمنطقة، تدل على أن هناك صفات وراثية مختلفة كامنة. وسنحاول أن نتتبع الوجود البشري في وادي سوف والجنوب التونسي، وما طرأ عليه من تغيير على مرّ الدهور وتعاقب الأحقاب.

أولا- عمران المنطقة:

شهدت منطقة الدراسة وجودا بشريا منذ آماذ بعيدة، لاسيما منطقة الجنوب التونسي، حيث دلت الآثار المادية والمكتوبة، عراققتها وقدم الحياة الإنسانية بها.

1- السكان الأول:

المقطوع به أن المجموعات البشرية الأولى بالمنطقة كانوا البربر الأمازيغ، ولا يهمننا في هذا الموضوع البحث عن أصولهم، التي اختلف فيها النسابة اختلافا كبيرا ⁽¹⁾، وغدا كل فريق يحاول نسبتهم إليه، بينما انبرى مخالفوهم للطعن عليهم ودحض حججهم، فسننتطرق لها في موضعها، لكن ما يهمننا الآن هو أقوام البربر الذين استوطنوا المنطقة، وانصهروا فيما بعد بالوافدين من شتى الأجناس البشرية، أو انزروا فوق رؤوس الجبال، مكوّنين عشائر منغلقة على نفسها، محافظة على كثير من خصوصياتها، ومنها لغة التخاطب ⁽²⁾، كما هو الحال -

(1) أنظر ابن خلدون: المصدر السابق. ج6 ص 116، 120 وما بعدها. وحسن عبد الوهاب: المصدر السابق. ص15 وكذلك الدراجي بوزياني: المرجع السابق. ص17 وما بعدها. محمد الهادي حارش: المرجع السابق. ص 27-31. ومحمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص07. ومحمد العربي عقون: المرجع السابق. ص 153، 183-196.

(2) محمد الهادي الشريف: المرجع السابق. ص12.

في الجنوب التونسي - بقرى جبال مطماطة، والجبل الأبيض وجبل دمر ... وغيرها من مناطق الوجود الأمازيغي. (1)

وأبرز القبائل البربرية التي انتشرت بمنطقة سوف والجنوب التونسي، حسب الكتابات التاريخية، هي قبائل زناتة، لواتة، نفزاوة (2)، مطماطة (3)، رفجومة، مطغرة، رتاتة، هواره، زواغة، دمر، لواية، لماية، مزاتة، نفوسة ... (4)

وعلى الرغم من قدوم أجناس أخرى للمنطقة قبل الفتح الإسلامي، فقد كان تأثيرها الديموغرافي تارة منعما تقريبا مثل الوجود الوندالي، حيث لم يذكر المؤرخون وجود تصاهر واندماج بينهم وبين البربر، وضعيفا تارة أخرى كالوجود الفينيقي والروماني، حيث كان اختلاطهم بالبربر بالمصاهرة والتوالد. (5)

2- الوجود العربي:

أما الوجود العربي ببلاد المغرب، فقد كان مع جيوش الفاتحين الأوّل، وقد بلغ عدد بقايا هذه الجيوش أواخر القرن الأول والثاني هجري 200 ألف على الأقل، حيث بدؤوا في

-
- (1) بلقاسم بن محمد بن جراد: المرجع السابق. ص 34. محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 26. المرصد التونسي: تقرير حول تطاوين، المرجع السابق. ص 09. المرصد التونسي: تقرير قبلي، المرجع السابق. ص 09.
 - (2) إلى عهد قريب كانت ولاية قبلي، بالجنوب الغربي للجمهورية التونسية، تدعى بلاد نفزاوة.
 - (3) ما زالت بقايا قبيلة مطماطة بالجنوب التونسي إلى اليوم، ومنطقة وجودهم تسمى باسمهم. بلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص 34.
 - (4) أنظر الدراجي بوزياني: المرجع السابق. ص 287. والعدواني: المصدر السابق. ص 92. وأيضا سالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة... المرجع السابق. ص 24. وبلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص 34. وكذلك إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص ص 103-105، 138. والمرصد التونسي: تقرير حول تطاوين، المرجع السابق. ص 09.
 - (5) أنظر: محمد الهادي حارش: المرجع السابق. ص ص 32-33. والعوامر: المصدر السابق. ص 60، 107-117 وكذلك الحباشي: المرجع السابق. ص 07. وأيضا بلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص 38. وحسن حسني عبد الوهاب: المصدر السابق. ص 11.

تعريب المنطقة، وتوطيد أركان الإسلام فيها ⁽¹⁾، فيما سمي الهجرة العربية الأولى ⁽²⁾، وكان ضمن البعوث التي أرسلها قائد الفتح عقبة بن نافع الفهري إلى الجنوب، لنشر الدين وإيصال صوت الإسلام لتلك الربوع، جماعة من عدوان، وقد استهدفت هذه السرايا أماكن متعددة، منها وادي سوف وبلاد الجريد وما والاها، فكان هؤلاء العدوانيين، نواة الوجود العربي بمنطقة سوف ⁽³⁾، لكن هذا الخبر فيه نظر، لأن الشيخ العدوانى وهو منهم، يجعل قدومهم للجردانية شمال سوف حوالي 600هـ/1204م، واستقرارهم النهائي باللجة من بلدان وادي سوف، كان بعد غراسة النخيل في حدود 946هـ/1540م. ⁽⁴⁾

والمؤكد هو استمرار مجيء العرب للمنطقة، اختياراً مثل الآتين مع الفتوحات أو لنشر الدعوة، أو اضطراراً مثل الفارين من جهاز الحكم، سواء المظلومين، أو أصحاب القلاقل والجنايات، أو طلاب الحكم ونشر المذاهب المتعددة، غير أن هذه الهجرات بقيت محدودة التأثير، خاصة في ظل شساعة المنطقة، وتزامي أطرافها، لكن التدفق الأبرز والمؤثر للعنصر العربي إلى المنطقة، كان عبر الهجرة الموسومة تاريخياً بالهجرة الهلالية، والتي بدأت منتصف القرن 11م، ثم استمرت لقرون عديدة، وأبرز القبائل العربية الوافدة وأولها، بنو هلال ثم بنو

(1) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص ص 7-8.

(2) عبد الحميد بوسماحة: المرجع السابق. ج 1 ص 65. أما الهجرة العربية الثانية فهي الهجرة الهلالية، ومن المعروف تاريخياً أن الجزيرة العربية خزاناً بشرياً معروفاً بتصديره للهجرات الإنسانية. بوسماحة: نفس المرجع. ص ص 63-64.

(3) إبراهيم مياشي: الصحراء ... المرجع السابق. ص ص 26، 123-124 إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص ص 118-119. أحمد بن الطاهر منصوري: المرجع السابق. ص ص 13-14.

(4) أنظر محمد العدوانى: المصدر السابق. ص ص 96-103. وعلي غنازية: الشيخ العدوانى... المرجع السابق. ص ص 18-20. وأيضاً إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص ص 140، 184.

سليم (1)، ومن ثم تبعتهما قبائل أخرى، ومنها بطون من عدوان (2) وغيرهم. (3)

وما أن استتب الأمر للعرب بإفريقية (449هـ) أواسط القرن 5هـ/12م، حتى دبّ الخلاف بين الحيين من هلال وسليم، ونشبت الخصومات التي انبرت عن مواجهات عديدة، انكشفت عن تغلب سليم على كامل الجنوب التونسي ووسطه (4)، حيث يوجدون إلى الآن، بينما انحاز بنو هلال إلى الشمال التونسي، ثم اندفعوا إلى الجزائر فالمغرب الأقصى. (5)

وبالنسبة لمنطقة سوف فأول العرب الوافدين إليها هم بنو عدوان، الذين زاحموا زناتة في الجردانية حتى أجلوهم عنها (6)، وكان هذا أوائل القرن 7هـ/13م (7)، ثم تتالي قدوم العدوانيين إلى الجردانية، التي وجدوا بها سبع أديرة للرهبان الفارين من هجمة الوندال، فبنو

(1) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 07.

(2) كانت العرب من هلال وسليم وعدوان بجزيرة العرب، وكانت منازلهم من الطائف إلى ما وراء المدينة، فهلال بين الطائف وضواحي مكة، وسليم من مشارف المدينة إلى سفوح جبال نجد، ولما ضاقت عليهم الأرض، انتقل بعضهم إلى صعيد مصر، في هجرات جماعية اضطرارية، كان أولها عام 90هـ/709م، ثم تلتها دفعات إلى عام 980م، ثم بعث الوليد بن رفاعة الطرودي، إلى بني عمومتهم من عدوان يرغبهم في اللحاق بهم، كما أن العزيز بالله الفاطمي نقل بني سليم من مضاربهم، وألحقهم بإخوانهم في صعيد مصر، وحدد للجميع العدو الشرقية لوادي النيل لا يجاوزونه. إبراهيم العوامر: مصدر سابق. ص 121، 129. عبد الحميد بوسماحة: مرجع سابق. ج 1 ص 69. محمد الحباشي: مرجع سابق. ص 8

(3) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 129.

(4) لم يشر العوامر إلى المواجهات بين بني العمومة هلال وسليم، وإزاحة بنو سليم للهلاليين من مضاربهم عنوة، وإنما أورد أنهم بعد الخصومة، حول مناطق الكأ والماء، تقارعوا البلاد، فكانت لسليم الشرق (إفريقية وطرابلس) ولهلال الغرب (المغربين الأوسط والأقصى). ينظر إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 130. ابن خلدون: المصدر السابق. ج 6 ص 95.

(5) محمد الهادي الشريف: المرجع السابق. ص 16-17. أنظر بلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص 38. وسالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة ... المرجع السابق. ص 24.

(6) هذا الكلام فيه نظر، إذ من الممكن أن يكون هناك انصهار لبعض الزناتيين مع العرب وبالتالي تعرب لسانهم، خاصة مع وجود تحالف زناتي عربي، لتشابه الخصائص الاجتماعية بينهما. أنظر ابن خلدون: المصدر السابق. ج 6 ص 135 وجستون كوفي: المصدر السابق. ص 66.

(7) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 140.

حولها بيوتهم، فتأسست بذلك سبعة قصور، سميت قصور الرهبان وقصور العدوانيين وقصور النازية، ثم انتقل بعض العدوانيين إلى جلهمة⁽¹⁾، فوجدوا بها صومعة للنصارى، فأبنتوا مساكن لهم بقربها. (2)

وبعد بني عدوان وفد على المنطقة العنصر العربي الثاني أواخر القرن 7هـ/13م، وهم قبائل طرود، الذين سكنوا أولاً عقلة الطرودي⁽³⁾، وبودخان والميتة، في شمال منطقة سوف، ولما ضاق بهم المكان توغل بعضهم جنوباً، حتى وصلوا تكسبت حوالي القرن 8هـ/14م وأقاموا إزاءها، بالقرب من زريبة سيدي مستور، ثم تبعتهم بطون أخرى من طرود، فدبّ الخلاف بينهم وبين سكان تكسبت من بربر زناتة حول الماء، ووقعت بين الطرفين مناوشات أفضت إلى هزيمة الزناتيين، وإخراجهم من أرضهم وتشتتهم في الأمصار حوالي عام 818هـ/1416م. (4) أما بني سليم⁽⁵⁾ فإن هجرتهم لوادي سوف كانت في القرن 9هـ/15م حيث جاءت منهم جماعة من المحاميد والنوافلية والحوامد وذياب، وقد قدموا مكرهين، لأنهم طردوا من مكان وجودهم بالقيروان، بسبب إثارتهم للحروب ضد السلطان الحفصي. (6)

ولما حلّ السليميون بسوف، أسسوا قريتين، الأولى غربي الحجرة بالهنشير، والأخرى مكان مقبرة كوينين الجنوبية الحالية، وقد اختلطوا مع طرود وتصاهروا معهم، وتجاوروا بتقل

(1) جلهمة: قرية قديمة اندثرت، وتأسست مكانها أو بالقرب منها مدينة قمار الحالية.

(2) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 145.

(3) سبب تسمية المكان عقلة الطرودي: فالعقلة: مجموعة الآبار المتقاربة. وأثناء حفر الآبار السبعة مات عندها شداد بن حارث الطرودي، فدعيت الآبار باسمه. أنظر: ملحق رقم 12، ص 306 وإبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 155.

(4) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص ص 90، 147-149، 160-171.

(5) سنرى فيما بعد أن أصل قبائل طرود في سوف من بني سليم، وأن طروداً صفة تسموا بها في طريق مجيئهم لمنطقة سوف، وليس جداً ينتسبون إليه.

(6) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص ص 172-174.

كلُّ لمحل الآخر، غير أن أغلب طرود بقي بالوادي، وأغلب سليم بقي بكوينين. (1)

وتسامع العرب بالمنطقة فقصدوها، وازداد عددهم حتى ضجّت طرود، وندموا على فتح الباب أمام الوافدين، فعزموا على غلقه، برّد الواردين الجدد للإقامة بوادي سوف، إلا من كانت لهم قرابة بأهلها، واتفقوا مع كل السكان على ذلك، وتعاهدوا على أنه من يسمح لأحد بالدخول، يكون جزاؤه الطرد من المنطقة، وإذا كان هذا المنع يخص الجماعات الكبيرة، التي تسبب الإحراج في تقاسم الماء والمرعى، فإن ذلك لم يمنع من قدوم أفراد من حين لآخر، مثل قدوم نفر من دريد مع رجال طرود العائدين من حربهم، التي شاركوا فيها مع باي تونس، ضد أمير الشابية عبد الصمد الشابي، وسكن الدريديون بلدة الزقم واختلطوا بأهلها، وأصبحوا منهم. (2)

واستمر توافد السكان على المنطقة (3)، من أصول شتى ومناطق عدة، مثل أولاد القاضي وقدوري وأولاد الشريف من النل الجزائري، وأولاد لغدامسي من غدامس الليبية، وأولاد التواتي من توات، وأولاد عمر من الزاب، ... وغيرهم. (4)

3- تعرّب الأمازيغ:

وقد حصل انصهار كبير بين العرب الوافدين والمجموعات الأمازيغية، أدت إلى استعراب البربر بأغلب بلاد المغرب ومنها المناطق الجنوبية لتونس (5)، مثل الجبالية سكان المرتفعات الجبلية كما تشير إلى ذلك تسميتهم، المستقرين بالدويرات وشنّتي وقرماسة، فأصلهم

(1) المصدر نفسه. ص ص 174-175.

(2) نفس المصدر. ص ص 177، 189.

(3) هذه الهجرة مستمرة إلى يوم الناس هذا.

(4) علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال ... مرجع سابق. ص 270.

(5) ابن خلدون: المصدر السابق. ج 6 ص 135.

بربر من لواتة وزناتة اختلطوا مع العرب الوافدين، لكن القليل منهم بقي محافظا على دمه من الاختلاط، وهم سكان القرى المعزولة بالجبال، مثل بعض فروع قبيلة مطماطة، الذين استقروا بمرتفعات مطماطة، وتحصنوا بها اتقاء هجمات الزحفة الهلالية⁽¹⁾، أما بوادي سوف فلم يعد هناك وجود لمجموعات أمازيغية محافظة على خصوصياتها، مع وجود بعض السكان تعود أصولهم إلى القبائل البربرية.⁽²⁾

ثانيا: أصل السكان:

كان العرب أحفظ العالمين أنسابا، إذ يرفعونها إلى الجد الأول الذي تنتسب إليه القبيلة، كما أن قلة الاختلاط والمصاهرات مع غيرهم، حافظت على نقاوة أنسابهم، لكنهم اليوم لا يعلمون من أصولهم إلا جددهم الأدنى، أما بالنسبة للأمازيغ ففي جهلهم لأنسابهم حدث ولا حرج، لذلك من الصعب -إن لم يكن مستحيلا- تصنيف عروش "الفروع القبلية" لمنطقة الدراسة، وكذا تحديد أصولها.

1- البربر الأمازيغ:

هناك جدل بين النسابة والمؤرخين في تحديد أصول سكان بلاد المغرب القديم، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى، حتى أنهم لم يتركوا بقعة من الأرض، أو أمة من الأمم إلا ونسبوا لها البربر⁽³⁾، لكن الملاحظ أن تبرير الوجود على هذه البلاد، كان حاضرا لدى مختلف الأقوام

(1) أنظر محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 24، 26، 28. وتقرير منظمة الأمم المتحدة: مرجع سابق. ص 3 وسالم لببض: تاريخ شبه جزيرة ... المرجع السابق. ص 54.

(2) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 301 علي غنازية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال ... مرجع سابق. ص 267 ب. قودفروا: برنامج السكة الحديدية في أقاليم الجنوب، جزء من كتاب الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم، تر عبد القادر ميهي، إصدار دار الثقافة-الوادي، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط1، 2015. ص 132.

(3) مبارك الميلي: المرجع السابق. ج 1 ص ص 81-84.

الذين تداولوا عليها، فأما النسابة المسلمون فينسبون البربر أو بعضهم -كتامة وصنهاجة بالأخص- إلى الأصل العربي، وبالضبط إلى حمير "اليمن"، أو إلى غسان "الشام"، حيث جاؤوا من اليمن أو من الشام حوالي 3 آلاف ق.م، وهم من بقايا جيش إفريقش الذي غزا بلاد المغرب، أو من فلول جيش جالوت الذين التجؤوا إلى المنطقة، بعد هزيمتهم في معركة عين جالوت أمام العبرانيين بقيادة الملك طالوت، وب عزلتهم وتطول الزمان تبررت لغتهم⁽¹⁾، وهو ما سهل استعراهم.⁽²⁾

في حين ترّوج المدرسة الاستعمارية أن أصل البربر يعود للجنس الآري "الهند-أوربي" المنحدر من الجنس القوقازي⁽³⁾، وقد تسللوا إلى بلاد المغرب من أوروبا عبر مضيق جبل طارق، كما تصنف هذه المدرسة قبائل الجنوب التونسي إلى: القبائل العربية "عدوانية متمردة" والقبائل البربرية "وديعة مسالمة"، وأثناء سرد التاريخ تركّز على الوجود الروماني، وتصف الوجود العربي بأنه دخيل على المنطقة، والملاحظ أن الغالب على هذه الادعاءات الطابع السياسي وليس العلمي، وهذا طبعاً لتبرير الاحتلال الأوربي⁽⁴⁾، وفي نفس المضمار -أي لتبرير المنطق الاستعماري-، أرسلت دوائر الاحتلال بعثات استكشافية وصلت إلى نتيجة، مفادها أن سكان المنطقة ليسوا سوى بقايا سلاطات قديمة، يشبهون الرجل الأوربي.⁽⁵⁾

-
- (1) أنظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ / 1987م. مج1، ص62. وابن خلدون: المصدر السابق. ج6 / ص ص 117، 120 وما بعدها. وابن عبد الحكم: المصدر السابق. ص229. وأيضاً العوامر: المصدر السابق. ص103 ومحمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص07 وكذلك الدراجي بوزياني: المرجع السابق. ص17 وما بعدها. وبلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص ص 12، 34، 50.
 - (2) ينظر ابن خلدون: المصدر السابق. ج 6 ص 135. وسالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة ... المرجع السابق. ص 55. وكذلك أبو عمران الشيخ: المرجع السابق. ص 367.
 - (3) بلقاسم بن محمد بن جراد: المرجع السابق. ص 34.
 - (4) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 10. بلقاسم بن محمد بن جراد: المرجع السابق. ص 50.
 - (5) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 29.

وعلى هذا فقد لجأت سلطات الاحتلال إلى إقامة بعض المشاريع الرامية إلى إعادة إنتاج الكيان البربري وتحويله إلى مشروع سياسي، لكنها فشلت في ذلك، لعدم بقاء المجموعات التي تنعت بالبربرية، عدا مجموعات صغيرة ضعيفة التأثير. (1)

وهناك من كان رأيه في أصل البربر غير هذا ولا ذاك، بل يقول بأن السكان القدامى لبلاد المغرب خليط من أقوام شتى غير متجانسة، أتى أسلافهم للمنطقة في هجرات على فترات يتعذر تحديدها، من جهات متعددة من المعمورة، ومنها الجزيرة العربية المعروفة بتصدير المجموعات البشرية، وتكوّن منهم مزيج بشري (2)، أما الرأي الذي نميل إليه فهو رأي الشيخ مبارك الملي، وهو أن البربر أمة مستقلة، أصلهم من كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، وأن جدهم إسمه أو كنيته أمازيغ، ثم اختلطت دماؤهم ببعض الأقوام الوافدة على بلاد المغرب (3) كما قسم العرب البربر إلى البتر والبرانس، أسوة بانقسام القبائل العرب إلى عدنانية وقحطانية، وكل منهما يتجزأ إلى قبائل وعشائر شتى، لهم لغة خاصة تسمى البربرية أو "الشلحة"، تنطق ولا تكتب، ما زال يتكلم بها مناطق محدودة في الصحراء. (4)

2- القبائل العربية: (5)

يقسم النسابة العرب إلى قسمين كبيرين، هما: يمنية قحطانية عاربة (6)، ومضرية

(1) سالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة ... المرجع السابق. ص 55.

(2) الدراجي بوزياني: المرجع السابق. ص 34-36. محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 07.

(3) مبارك الملي: المرجع السابق. ج 1 ص 89.

(4) حسن حسني عبد الوهاب: المصدر السابق. ص 15.

(5) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 267-273.

(6) العرب العاربة: هي القبائل عربية الأصل وتنسب لقحطان، ومنبتها اليمن، ثم عمّت كثير من المناطق والأمصا، أما المستعربة: فأصلها ليس بعربي، ولكنها عربت بمخالطتها للعرب، وتنسب لنبي الله إسماعيل عليه السلام، الذي استعرب لنشأته بين قبيلة جرهم العربية، ومنبتها مكة ثم انتشرت في الأصقاع. (وهذا الكلام فيه نظر، يضيق المقام على سرده، خاصة وأنه باب خلاف) أنظر أبو محمد علي ابن حزم الاندلسي: **جمهرة انساب العرب**، تح عبد السلام محمد هارون، ط 5، دار المعارف، القاهرة-مصر، دت. ج 1 ص 8-9. وكذلك صفي الرحمان المباركفوري: **الرحيق المختوم**، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1420هـ/2000م. ص 10. وأيضا إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 264.

- عدنانية مستعربة (1)، وكل القبائل العربية الموجودة بسوف والجنوب التونسي أصلها عدنانية من قيس عيلان (2)، وقيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (3)، وأنسابها:
- قبائل سليم: تنسب إلى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان. (4)
 - قبائل هلال: إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان. (5)
 - قبائل عدوان: أبناء عدوان بن عمر بن قيس عيلان. (6)
 - قبائل طرود: أصلهم -حسب ابن خلدون- طرود بن فهم بن عمر بن قيس عيلان. (7)

3- إشكالية الطرود:

الحقيقة أن وجود قبيلة طرود بسوف محير، ففي حين ينسب ابن خلدون طرود إلى فهم بن عمرو بن قيس عيلان (8)، فإن ابن حزم (9) في جمهرته لم يذكر ولدا لفهم بن عمرو اسمه طرودا، وقد ذكر ذرية قيس عيلان: " فولد قيس: خصفة؛ وسعد؛ وعمرو، وولد عمرو بن

(1) يزعم بعض المؤرخين والنسابة أن هناك "عرب بائدة"، وهي العرب التي كذبت رسلها، فأبأها الله عن بكرة أبيها، لكن لو عدنا للقرآن الكريم، سنجد أن هناك ناجين من هذه القبائل، وهم رسل الله والذين آمنوا معهم، وإن كان هؤلاء الناجون قليل، فالمؤكد أن نسل قبيلتهم يتواصل بهم، وفي اعتقادنا أن الذي اندثر هو اسم القبيلة وليس وجودها.

(2) قيس عيلان: إسمه الناس، وكنيته قيس وهو الشديد في الحرب، المتحمل للضيم. أما عيلان: فهو الرجل الذي كفه ورياه فنسب إليه. إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 266.

(3) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 267، 321.

(4) أنظر محمد الهادي الشريف: المرجع السابق. ص 15. وكذلك إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 274-275، 174 وأيضا ابن خلدون: المصدر السابق. ج 2 ص 375 وج 6 ص 94.

(5) ابن خلدون: المصدر السابق. ج 2 ص 375. ومحمد الهادي الشريف: المرجع السابق. ص 15. وإبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 274-275.

(6) ابن خلدون: المصدر السابق. ج 2 ص 364، 375. وج 6 ص 107. العوامر: المصدر السابق. ص 133.

(7) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 133. ابن خلدون: المصدر السابق. ج 2 ص 375. وج 6 ص 107.

(8) ابن خلدون: المصدر السابق. ج 6 ص 107. وج 2 ص 364.

(9) المعروف أن ابن خلدون عالم اجتماع ومؤرخ، أما ابن حزم الاتدلسي فهو نسابة، كما أنه أسبق من ابن خلدون بأربعة قرون

قيس عيلان: فهم؛ والحارث وهو عدوان، وولد فهم بن عمرو: قين؛ وسعد؛ وعامر؛ وعائذ⁽¹⁾،
وحيث سرده للقبائل القيسية يذكر: عدوان وسليم وهلال وغطفان وفزارة وذبيان...، لكنه لم
يذكر طرودا.⁽²⁾

أما طرود فينسبه ابن حزم بأنه طرود بن قدامة بن جرم بن ريان بن حلوان بن عمران
بن الحافي بن قضاة، واختلف في قضاة، فليل قضاة بن عدنان، وقيل هو من حمير،
ومن بطون بني طرود: بيهس بن صهيب بن عامر بن نائل بن مالك بن عبيد بن علقمة بن
سعد بن كثير بن غالب بن عدي بن شميم بن طرود بن قدامة بن جرم، قاتل الأزارقة، وله
عقب بالشام⁽³⁾. فهل يكون من ذريته أهل سوف الشام، الذين قدم منهم جماعة إلى بلاد
المغرب وتسمت بهم وادي سوف حسب بعض الروايات؟

لكن حسب الذين تطرقوا لنسب أهل وادي سوف، من الأقدمين، يتضح أن طرود سوف
ليسوا قبيلة، وإنما تسموا بهذا الاسم نسبة لرجل منهم يدعى طراد أو طرد بن دابس⁽⁴⁾، أثناء
هروبهم من طرابلس إلى قابس حيث كانوا بقيادة مسروق بن حنظلة أو ابن عندالة⁽⁵⁾، في
قصة تشبه تسمية أولاد سعود، وفي ذكر أنساب السكان التي سنتطرق لها، يتبين أن هؤلاء
الطرود، ما هم إلا بطون من قبائل سليم وهلال⁽⁶⁾ وغيرهم.

(1) أبو محمد علي ابن حزم الاندلسي: الجمهرة، المصدر السابق. ج1، ص243.

(2) أبو محمد علي ابن حزم الاندلسي: جوامع السيرة النبوية، ضبطه وصححه عبد الكريم سامي الجندي، ط1، دار الكتب
العلمية، بيروت-لبنان، 1424هـ/2003م. ص10.

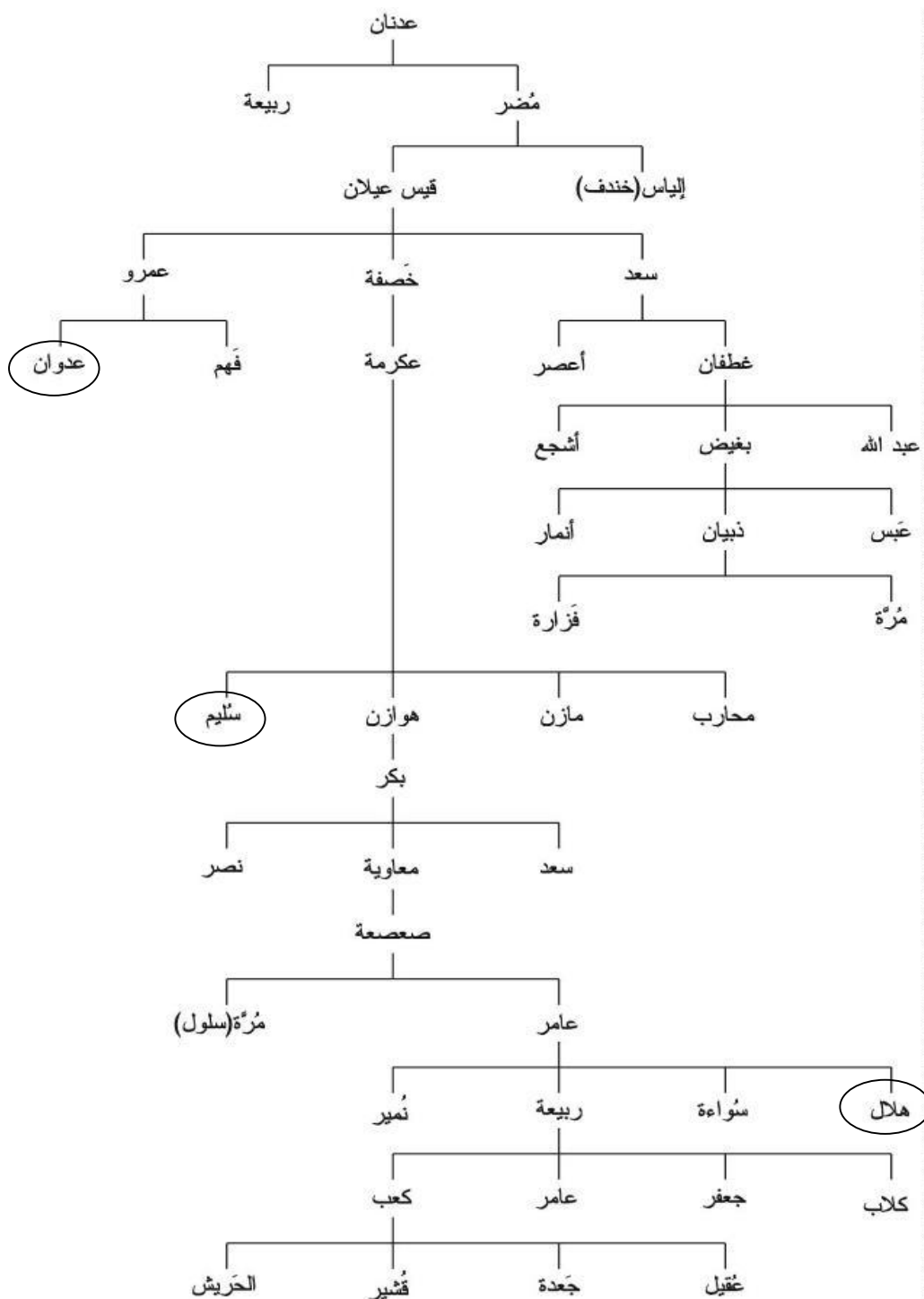
(3) ابن حزم: جمهرة أنساب... المصدر السابق. ص ص440، 451.

(4) أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء... المرجع السابق. ص09.

(5) محمد العدوان: المصدر السابق. ص ص86-87 إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 270 للمزيد حول

"طرود": ارجع إلى مبحث القبائل العربية من الجنوب التونسي إلى سوف في فصل الإطار التاريخي... من هذا البحث.

(6) هناك رواية يوردها ابن خلدون عن نسبة طرود لبني سليم أو هلال، حيث يذكر أن هناك من يعدّهم من سليم وآخرين
يجعلونهم من هلال، لكنه يفند هذه الرواية. ابن خلدون: مصدر سابق. 107/6 إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص270



شجرة القبائل العربية بسوف (1)

(1) أنجز الباحث الشجرة اعتماداً على جمهرة العرب لابن حزم والعبّر لابن خلدون والرحيق المختوم (كل الكتب سبق ذكرها).

ثالثا: التركيبة السكانية

تتكون التركيبة السكانية لمنطقة سوف ومناطق الجنوب التونسي، من عدة أجناس تمازجت عبر الزمان، أولها الأمازيغ، وأبرزها العرب.

1- العرب والبربر بالجنوب التونسي:

إن سكان تونس ومنهم سكان الجنوب، هم مزيج من البربر والفينيقيين والروم والعرب والأتراك والزنج، لكن أهم هذه الأجناس هم العرب ثم البربر الأمازيغ، كما إن أغلب المجموعات البربرية اندمجت مع العرب فتعربت⁽¹⁾، لذلك يغلب على البلاد الطابع العربي الإسلامي.⁽²⁾ وكما أسلفنا فإن السواد الأعظم، من سكان الوسط والجنوب التونسي، ينتمون إلى قبائل بني سليم، بعد أن كانت تهيمن على هذه المناطق القبائل الهلالية، لكنهم اضطروا للارتحال شمالا وغربا تحت الضغط السليمي⁽³⁾، ومع ذلك لا تخلو الساحة من وجود بعض الفروع الهلالية والبربر والزنج واليهود⁽⁴⁾، التي لم تتصهر في بوتقة العرب وبقيت محافظة على كثير من خصوصياتها.

أ- البربر بمناطق الجنوب التونسي:

البربر هم السكان الأصليون بالمنطقة، وقد ذاب أغلبهم ضمن الجنس العربي، وبقي منهم مجموعات قليلة، تتمركز بالجبال والمرتفعات، في قرى تدعى "البليديات"، منها غمراسن،

(1) سالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة ... المرجع السابق. ص 54.

(2) منظمة الأمم المتحدة: تقرير دولة تونس. ص 03. وحسن حسني عبد الوهاب: المصدر السابق. ص 11. وكذلك بلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص 38.

(3) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 25، 08. سالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة... المرجع السابق. ص 24.

(4) إن تصنيف اليهود لا يدخل ضمن الاختلاف العرقي البحت وإن كان أغلبهم بنو إسرائيل-، لأن العرب والبربر كان فيهم من كان على الديانة اليهودية واختلطوا ببني إسرائيل، مثل بعض قبيلة جراوة، ولكن إدراجهم هنا لأنهم عنصر مخالف في الدين لعموم السكان.

شني الجبل، الخمس منازل بالجبل الأبيض، قرماسة بالجبل الأبيض⁽¹⁾، سكان الدويرات بتطاوين من زناتة، وسكان مطماطة بقابس، ويعد تمركزهم بالجبال، كأغلب البربر ببلاد المغرب العربي، متحصنين بها اتقاء لهجمات الزحفة الهلالية⁽²⁾، كما ألجأهم لها الرومان من قبل، وبالتالي فتجدهم محافظين على كثير من خصوصياتهم، ومنها لغة التخاطب بينهم، إذ يتكلمون لهجة خاصة، تدعى محليا "الشلحة" التي تتطوق ولا تكتب⁽³⁾، كما أن هناك مجموعات بربرية مستعربة، وأخرى امتزجت دماؤها بالعرب، بفعل المصاهرة كما سنرى.

ب- المجموعات القبلية:

ولأن الجنوب التونسي مناطق متعددة، فسنعتمد في سرد نسب السكان حسب المناطق، كما أننا من خلال هذا البحث لن نسرّد كل العروش وفروع القبائل، وإنما أبرز المجموعات لتعطينا فكرة عن أصول السكان: (4)

ب - 1 سكان منطقة قفصة:

قفصة موطن إحدى أقدم الحضارات البدائية، وهي الحضارة القفصية⁽⁵⁾، وأبرز سكانها: قبيلة الهمامة: يكتنف نسبهم الغموض، وهم قسمان: الهمامة الشراقة ويقطنون منطقة سيدي بوزيد بوسط تونس، والهمامة الغرابية ومنازلهم في ربوع قفصة بالجهة الشمالية الغربية من الجنوب التونسي⁽⁶⁾، حيث يمثلون غالبية سكان المنطقة⁽⁷⁾، وينقسمون إلى صفيين هما:

(1) بلقاسم بن جرّاد: المرجع السابق. ص 38.

(2) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 26.

(3) حسن حسني عبد الوهاب: المصدر السابق. ص 15 محمد الهادي الشريف: المرجع السابق. ص 12 بلقاسم بن محمد بن جرّاد : المرجع السابق. ص 38.

(4) أنظر ملحق رقم 13، ص 307.

(5) محمد سحنوني: المرجع السابق. ص 119-125. محمد العربي عقون: المرجع السابق. ص 199.

(6) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 09. محمد الهادي الشريف: المرجع السابق. ص 17.

(7) حفيظ الطباي: المرجع السابق. ص 50.

- أولاد ربيعة: وهم شقين، أولاد عزيز وأولاد معمر .
- أولاد إدريس: وهم فصيلان كبيران، أولاد رضوان وأولاد سلامة ⁽¹⁾، ومن هؤلاء انبثقت عروش الهامة التي سنأتي على ذكرها.
- ومن سكان قفصة بجوار الهامة، فرع من أولاد تليل، أحفاد الولي الصالح سيدي تليل، الذي ينحدر من سلالة الخليفة عثمان بن عفان، كانوا قرب فريانة نواحي قفصة منذ القرن 15م، في القرن 19م بقي بعضهم في مواطنهم، وانتشر البقية في نواحي عديدة ⁽²⁾، منها وادي سوف حيث استقروا بمدينة قمار، ومنهم الشيخ محمد الطاهر ⁽³⁾ التليلي. ⁽⁴⁾

العرش	النسب
أولاد بالهادي، أولاد محمد، البدور، الردايدية، أولاد عبد الكريم، أولاد مبارك، أولاد سيدي علي بن عون ⁽⁵⁾ ، أولاد الحاج، الطواهر، الدوالي، أولاد مبروك، أولاد سيدي بوزيد، الحرشان، أولاد وهيبة، أولاد معمر، أولاد عليم، أولاد بوعلاق، أولاد أحمد، أولاد يوسف، أولاد بية، الزعافرية، العكارمة، أولاد سيدي خليفة، أولاد سيدي تليل، المليكات. ⁽⁶⁾	سليميين
أولاد تليل	قريشيون

جدول يتضمن أهم عروش قفصة وأحوازها

(1) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 23.

(2) المرجع نفسه. ص 19.

(3) الشيخ محمد الطاهر التليلي 1910-2003: ولد بقمار وبها نشأ حيث تلقى علومه الأولى، التحق بالزيتونة "1927-1934"، وتخرج منها بشهادة التطويع، ثم عمل في ميدان التدريس إلى تقاعده سنة 1972 حيث تفرغ للبحث والتأليف، ترك عدة مؤلفات مخطوطة، وقد عاش رحمه الله غنيا في فقره، رفيعا في دنوه، إلى أن وافته المنية بعد مرض ألزمه الفراش. أنظر محمد التجاني زغودة: الشيخ الطاهر التليلي كما عرفته، من مدونة الندوة الفكرية الرابعة، العلامة عبد القادر الياجوري، ص ص 09-22. وموسى بن موسى: إرهاصات الحركة الإصلاحية... المرجع السابق. ص 70.

(4) أبو القاسم سعد الله: خارج السرب - مقالات وتأملات، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009. ص 155.

(5) هذا العرش ينسب إلى عون بن مهلهل من سكان الزقم بوادي سوف، وله ولدين علي بن عون بقي في تونس تزوج امرأة همامية ونسله هناك، وتنسب إليه بلدة سيدي علي بن عون بأحواز قفصة الشمالية، وتتبع الآن ولاية سيدي بوزيد، أما راشد بن عون بن مهلهل فذهب للزقم، وانتقل ابنه عون بن راشد بن عون إلى المكان الذي نسب إليه، وهو قرية سيدي عون بسوف. وما زال التواصل بين بلدة سيدي عون بسوف، وسكان سيدي علي بن عون إلى يومنا هذا. أنظر مصطفى سامي: المصدر السابق. ص 103. وبرنامج قول ارث على الانترنت.

(6) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 09.

ب - 2 سكان بلاد الجريد:

بلاد الجريد سميت كذلك لاشتهارها بالنخيل، وهي منطقة ضاربة في أعماق التاريخ، حتى ليقال أن أول من بناها قسطل بن نوح عليه السلام، لذلك كانت تدعى قسطلية، وتضم بلاد الجريد: توزر⁽¹⁾ قاعدة البلاد، ومن بلداتها: نفطة، دقاش، حامة الجريد، تقع في الجنوب الغربي من تونس. (2)

وعرفت المنطقة بالعلم والأدب، حيث واشتهرت بفطاحل العلماء، منهم الشيخ إبراهيم الصمادح، والشيخ محمد الأخضر بن حسين المعروف عند المشاركة باسم (الخضر حسين)، والشيخ أبو علي النفطي، والشيخ المكي بن عزوز، والشيخ المولدي بوعرقية، فلا غرو أن تكون قبلة لطلبة العلم، لسنين عديدة وعهودا مديدة. (3)

وعرفت بلاد الجريد الاستقرار الحضري قديما، لهذا فهي تزخر بتعدد الأجناس، مع غلبة الطابع العربي، منذ دخول العرب إليها، ومنهم قبيلة الكعوب من بني سليم، الذين غيروا خارطتها البشرية. (4)

(1) توزر: مدينة واحة صحراوية، تقع في الشمال الغربي لشط الجريد، وجنوب شط الغرسة، وهي عاصمة إقليم الجريد المحاذي لمنطقة وادي سوف من جهتها الشرقية. أنظر ملحق رقم: 12، ص 306.

(2) أحمد البختري: المرجع السابق. ص ص 12، 16.

(3) المرجع نفسه. ص ص 13-14، 64، 132، 193، 211، 235.

(4) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 24.

المنطقة	العرش / العشيرة	النسب
توزر	سكانها أولاد سيدي عبيد ⁽¹⁾ ، مسغونة، القيطنة، أولاد الهادف أصلهم سوافة، الهباللة ⁽²⁾ ، الشابية، الزبدة ⁽³⁾ ، أولاد لغريسي بتوزر. ⁽⁴⁾ كثير من الألقاب في توزر موجودة بسوف منها: الهاني، حشف، قشوط، مناعي...	
نفطة	عشائر نفطة: الشرفة، بنو زيد، أولاد عيسى، بنو علي، أولاد شريف، الناصرة، الزعبيين، أولاد سيدي عبيد، المواعدة، علقمة، الزبدة، المصاعبة. ⁽⁵⁾	
الرديف	يسكنها قبيلتين هما: أولاد سيدي عبيد وأولاد بو يحي، يعيشون عيشة البوادي، ويمتهنون تربية المواشي، وزراعة الحبوب. ⁽⁶⁾	
دقاش وقراها	دقاش وقراها المجاورة مشايخها أربعة، هي: أولاد ماجد، كريس، سداة، أولاد عمر. ⁽⁷⁾	

جدول يتضمن أهم عروش بلاد الجريد

- (1) عاشوري قمعون: دور الشيخ العلامة أحمد العبيدي في الجهاد العلمي، مجلة البحوث والدراسات-المركز الجامعي بالوادي-الجزائر، ع4، محرم 1428هـ/يناير 2007م. ص 86. وأيضا المرصد التونسي: تقرير توزر، مرجع سابق. ص 45.
- (2) في إحدى زيارتي لتوزر أخبرني كثير من أهلها أن أولاد الهادف سوافة، كما أخبرني أحد الهباللة، وهو عضو في جمعية صيانة مدينة توزر أن أصلهم من الزقم وكوينين. لقاء مع يوسف النمسية، بمقر جمعية صيانة مدينة توزر، توزر القديمة، 2017/01/06 صباحا.
- (3) أحمد البخترى: المرجع السابق. ص 14. حسان الجيلاني: المرجع السابق. ج 1، ص 17.
- (4) المرصد التونسي: تقرير حول توزر، المرجع السابق. ص 20.
- (5) أحمد البخترى: المرجع السابق. ص 14. وعاشوري قمعون: دور الشيخ العلامة ... المرجع السابق. ص 86. أوغست أنطوان: المرجع السابق. ص 31.
- (6) عبد الحميد بسر: المرجع السابق. ص 132-133.
- (7) أحمد البخترى: المرجع السابق. ص 15.

ب - 3 سكان بلاد نفزاوة:

نفزاوة امتداد لبلاد الجريد ولمنطقة سوف، وأشبه المناطق التونسية بوادي سوف، خصوصا من الناحية الجغرافية والبشرية ⁽¹⁾، وهي المنطقة الوحيدة في تونس، التي توجد بها غيطان النخيل، أسوة بما في وادي سوف، كما إن آبارها وكثبانها مثل سوف ⁽²⁾، وأهم بلداتها: قبلي، دوز، تلمين...، وتتميز المنطقة بتنوع الأعراق: العرب والبربر والسود، كما يغلب عليها الطابع العربي، وهو ما يفسر غلبة السكان ذوو الأصل العربي، وأبرز مناطق البربر بها، قرية تلمين والواحات الشمالية. ⁽³⁾

وأغلب سكان نفزاوة العرب من بني سليم، وأبرز قبائلها: أولاد يعقوب في الشمال، وفي الجنوب أعداؤهم قبيلة غريب، المرازيق، الشتاوي، العجامنة، الكمايلية، أولاد بلوم وهم من المحاميد الذين جلبهم عبد الله بن الوليد بن بوزيد المحمودي. ⁽⁴⁾

وأولاد يعقوب قبيلة لا تجمعهم رابطة الدم، وإنما هي إتحادية قبلية لمجموعة عروش لا يجمعهم أب واحد، والنواة الأساسية لهذه القبيلة هم: أولاد سباع، المكاشرة، أولاد عزيزة "وجدتهم اليعقوبي"، وتتنسب إليهم عروش أخرى، ومضاربهم الواحات الشمالية لنفزاوة، لكنهم بدو حياتهم

(1) كانت لي زيارات لمناطق متعددة من الجنوب التونسي، ومنها زيارتي لقبلي ودوز في شهر جانفي 2017، فوجدتها أشبه بقاع تونس بمنطقة سوف. وقد أجريت لقاءات متعددة بأهلها، ومنهم الحاجة مباركة الودانية 80 سنة، ببيت ابنها بدوز علي بلطيف، والحاج عبد القادر قدورة خياط تجاوز السبعين من السنين ببيته ليلا، والحاج بلقاسم بن علي ولد جدي بديكان الحاج قدورة الخياط.

(2) هنري دي فاربييه: المصدر السابق. ص 153-154.

(3) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 24. المرصد التونسي: تقرير قبلي، المرجع السابق. ص 09.

(4) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 09. محمد الهادي الشريف: المرجع السابق. ص 17. هنري دي

فاربييه: المصدر السابق. ص 153. المرصد التونسي: تقرير حول قبلي، المرجع السابق. ص 09.

الترحل أغلب أيام السنة، ولا يضعنون بواحاتهم سوى في فصل الخريف، قرب نخيلهم لجني التمور، كما أنهم اشتهروا بفروسياتهم، حيث فرضوا حمايتهم على عدة قبائل مقابل ضريبة يؤدونها لهم، لذلك اختارها الحكام لتكون قبيلة مخزنية تعفى من الضرائب، مقابل مساعدتهم في توطيد دعائم حكمهم للمنطقة. (1)

أما المرازيق فهم أولاد مرزوق بن معلى بن سالم بن ... بن بهثة بن سليم، وقد طالت بهم النجعة والتنقل، إلى أن استقر بعضهم بدوز والعوينة بمنطقة نفزاوة، وكان نزولهم بدوز أواخر القرن 8 هـ تقريبا، ونزلت عائلات عربية أخرى بجوارهم تأنسا بهم، ثم اختلطوا بهم (2)، وكانوا يقيمون أيام الخريف والشتاء في دوز والعوينة، ويسبحون أيام الربيع والصيف في الفيافي بحثا عن المراعي لمواشيهم. (3)

أما قبيلة غريب فهي إتحاد من عروش مختلفة، ينتمون إلى عرب طرابلس، وأهم عروشها: الصابرية، قعود، عوينة راجح، الصلاعة، ويختلفون في الولاء، فالصلاعة والفضليين "صف يوسف"، الصابرية وقعود "صف شداد" (4)، وقد كانت غريب في خصومة مع طرود السوافة والشعانبة والطارق. (5)

(1) أنظر: محمد ضيف الله: في مسألة العلاقة ... مرجع سابق. ص ص 420-421. ومحمد ضيف الله: نوافذ على تاريخ... مرجع سابق. ص 159.

(2) محمد الهادي الشريف: المرجع السابق. ص ص 09، 18-19، 22.

(3) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 24.

(4) محمد ضيف الله: نوافذ على تاريخ ... المرجع السابق. ص 201.

(5) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 25. وأيضاً: ملحق رقم 15، ص 309.

القبيلة	العرش / العشيرة	النسب
أولاد يعقوب (1)	أولاد سباع، المكاشرة، أولاد عزيزة " وجدهم اليعقوبي "	أساس القبيلة/ سليميين
	أولاد ميرة من الهمامة	ملحق /سليم
	أولاد بوبكر والمقارحة من ليبيا	ملحق / ...
	عوين من نفات	ملحق / ...
	المهاملة ذوو الأصول الغامضة	ملحق / ...
	المخالبة	ملحق / ...
	الغيايف	ملحق / ...
المرازيق (2)	أولاد عبد النور، الجلايلة، أولاد عون، أولاد منصور، أولاد يحي، العبيدات، العبادلة، أولاد عثمان، أولاد عبد الله، أولاد نصر، أولاد عمر	سليمية
غريب (3)	الصابرية (الرحامنة وشبيب)، قعود (الجرارة، أولاد علي، أولاد نوبصر)، عوينة راجح، الصلاعة.	سليميين
الغذارة (4)	عرب من غدامس	

جدول يتضمن أهم عروش بلاد نفزاوة

- (1) محمد ضيف الله: نوافذ على تاريخ ... المرجع السابق. ص 159. محمد ضيف الله: في مسألة العلاقة ... المرجع السابق. ص 420. محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 9، 25.
- (2) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص ص 09، 25.
- (3) محمد الهادي الشريف: المرجع السابق. ص 17 هنري دي فاربييه: المصدر السابق. ص 153. محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص ص 09، 25.
- (4) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 25.

ب - 4 سكان الجنوب الشرقي (قابس، مدين، تطاوين):

وينقسم السكان بهذه المنطقة إلى قسمين، يستقر القسم الأول بالجنال وهم البربر، في حين يسيطر العرب الرجل على السهل والسفوح، فأفرز هذا نمطين مختلفين في الحياة الاجتماعية للأفراد "مستقرين-رجل"، وهذا الاختلاف ارتبط كذلك باختلاف أصولهم العرقية "عرب-بربر"، وكان العرب بمقتضى عقود "الصحة والسائبة العربية" يحمون الفصائل البربرية، مقابل دفع ضريبة لهم. (1)

لكن غالبية السكان صبغتهم عربية، فهم عرب أو بربر مستعربون أو مزيج، عدا سكان مطماطة فهم بربر، لهجتهم بربرية تسمى "الشلحة". (2)

المنطقة/القبيلة	العرش / العشيرة	النسب
جهة تطاوين ⁽³⁾	أولاد دباب أولاد شهيدة أولاد سليم الودارنة الداغرة	سليم
جهة بن قردان	التوازن فروع من قعدة	سليم
	الرياح ⁽⁴⁾	
منطقة جرجيس	أولاد دباب منهم بجرجيس المحاميد والنوايل العليا عرب طرابلس... ⁽⁵⁾	سليم
بني زيد بحامة قابس ⁽⁶⁾	الشياب، السمايحة، الحوازم، التراجمة، الخرجة، الأصابعة، الشلاخشة، الشعل، الزامزة، الجمالين، أولاد خليفة، أولاد ضو، الحرشان، أولاد بن خود ⁽⁷⁾	سليم

- (1) عائشة التايب: المرجع السابق. ص ص 99-100.
- (2) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 25.
- (3) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 09. محمد الهادي الشريف: المرجع السابق. ص 17.
- (4) محمد الهادي الشريف: المرجع السابق. ص 69.
- (5) سالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة... المرجع السابق. ص ص 24، 54.
- (6) محمد الهادي الشريف: المرجع السابق. ص 17. محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 09.
- (7) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 09.

الجزم بين قابس ومارث، غريب، أولاد موسى، أولاد نويجي، أولاد بورابج. (1)	جهة قابس	سليم
بقايا الأتراك (2)		
الحمايدة "بنو عبد الحميد"، الزيانتين "أولاد الزيتوني"، اللطيفة "أولاد عبد اللطيف"، الحميدات "أولاد أحمد"، السقايرة "أولاد عمر"، لمامنة "أولاد عبد المؤمن"، الفقائيرة، أولاد مبارك، أولاد عبد الحق، أولاد علي، أولاد عبد العزيز (4)	الحمارنة (3)	سليم
ومع الحمارنة عروش لا ينتمون إليهم بالنسب، بل ملحقين، وهم: عرش الغرارة (السراولة، الدلايس، أولاد بالعيادي، السوالم)، عرش أولاد مسلم (5) (أولاد لمين، أولاد محمد، أولاد أحمد، الرجائية)، عرش الزرايبة (6) (البواكير، المطاوي، أولاد الصغير، الشلالة) (7)	جهة قابس	سليم علي الأرجح
التوازين: أولاد حامد، أولاد بوزيد، أولاد خليفة، مزطورة. (9)	قبيلة ورغمة (8)	

(1) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص ص 09، 25.

(2) كان للأتراك العثمانيون بقابس حامية بها حوالي 370 جندي، تزوجوا بقابسيات وكوّنوا جالية تركية، يقودهم القائد الحاج ناصف الذي ينتسب إليه جميع أتراك قابس بالنسب أو بالولاء. بلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص 84.

(3) قبيلة الحمارنة: سكان مارث بقابس، فرع من بني زيد، يعود أصلهم إلى سليم علي الأرجح، وهذا يدحض نسبهم الشريف، كون انتحال الانتساب إلى العترة النبوية، عبر الأدارسة من الساقية الحمراء، هو دعوى قديمة للكثير من سكان بلاد المغرب، وينتسبون إلى حمرة أو حمران بن جابر حليف الأدارسة، وبسبب هذا الحلف ربما نسبهم البعض أو نسبوا أنفسهم للأدارسة، ويقول التجاني أن بني زيد أربعة أفخاذ من دباب، انتسبت إلى مدلول الزيادة، لا إلى رجل يدعى "زيد"، وهم: الصهبة، الحمارنة، الخرجة، الأصابعة. بلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص 174-175. سالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة... مرجع سابق. ص ص 24، 54. محمد علي الحباشي: مرجع سابق. ص 9 محمد الهادي الشريف: مرجع سابق. ص 17.

(4) بلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص 175.

(5) أولاد مسلم: أصيلي القطر الليبي.

(6) الزرايبة: أصلهم من ليبيا أو الساقية الحمراء جنوب المغرب الأقصى، لكنهم اندمجوا مع الساكنة فصاروا منهم.

(7) بلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص 176.

(8) ورغمة قبيلة اتحادية بين عروش لا يجمع بينها رابط دموي، ذوو أصول بربرية، اختلطت بقبايل عربية، كان نفوذهم على كامل منطقة قابس وما والاها، البحر والصحراء بمناطق: الجفارة، جبال الأبيض والظاهر ودمر، الوعة. أنظر ب. قودفروا: مصدر سابق. ص 132. محمد الحباشي: مرجع سابق. ص ص 26، 51. بلقاسم بن جراد: مرجع سابق. ص 37.

(9) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص ص 28، 37، 52.

قبيلة ورغمة	المهابيل: بشبه جزيرة قورين، وهم أولاد سيدي مخلوف المهبول الشريف أصيل من الساقية الحمراء، وتوطن المنطقة المسماة باسمه. (1)	
	غمراسن: غمراسن البلاد، غمراسن الحدادة. (2)	
	الخنزور (عرش ملفق من عدة طوائف): الحرارزة، الطمارة، أولاد يوسف، أولاد بلقاسم، الخمايلية، تساوة، المهابيل والتمارة وغبنتن والحوايا (الجباه، الجوامع، الملالة، أولاد عطية، المكارزة، أولاد مهدي). (3)	
	الجبالية: الدويرات، شنني، قرماسة، قطوفة، بني بركة، بني يخزر، المقدمين، سدر. (4)	
	التمارة ومدنين: بمدنين وكلاهما من سلالة سيدي علي بن عبيد أصيل طرابلس ومؤسس قصر مدنين (5)	
	الودارنة (6)	أولاد سليم (أولاد شهيدة، أولاد دباب، الدغاغرة، العجاردة، الذهبيات، المقابلة، الغفافة، المخالبة)
	الجليدات (7)	أولاد عبد الحميد (الزرقان، الحميدية، الكراشوة، العمارنة، العبابسية). جليدات تطاوين (أولاد حامد، أولاد بوراس، أولاد عبد الجليل) جليدات بني بلال (أولاد امحمد، أولاد بوجليلة، أولاد الحاج، أولاد عبد الحنين، الوطاوطة).

(1) بلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص 37. محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 27.

(2) غمراسن: خليط بين بربر وعرب، بجال غمراسن، وكانوا يرحلون ثلثي العام، ويستقرون ثلث العام في بيوتهم التي كانت على شكل مغاور في المرتفعات الجبلية. دي فاربييه: مصدر سابق. ص 91. الحباشي: المرجع السابق. ص 28، 52

(3) بلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص 37. محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 27، 52.

(4) الجبالية: سكان المرتفعات الجبلية، كما تشير إلى ذلك تسميتهم، القليل منهم أنصاف رحل، لكن جلهم مستقرين بالدويرات وشنني وقرماسة، مختلطين من بربر لواتة وزناتة مع العرب الوافدين. محمد الحباشي: المرجع السابق. ص 28، 52.

(5) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 27.

(6) الودارنة: أشباه رحل، كانت تهاجم محلات البايات. أنظر محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 27، 52. بلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص 37.

(7) الجليدات: أولاد الولي الصالح عبد الله بوجليلة. محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 28، 52.

قبيلة ورغمة	عكارة (1)	تنقسم القبيلة إلى ستة عروش أساسية: أولاد بوعلي (الزمامطة، اللهايبة، المشاركة، أولاد الحاج، الأغوال، العبايرية، الشويخات، النطاطحة، الحيف، الهنود)، أولاد سعيد (المالشة، التوازيط)، أولاد أمحمد (العبيشة، الصيودة، أولاد الوفيني، الحدادة)، الزاوية وأولاد عبد الدايم (أولاد عبد الكريم، الحوافي، الصيايحة)، الخلايفة (أولاد الجزيري، أولاد الدخلي، أولاد بن سليم، أولاد الجليدي، الغناندة، أولاد الحاج، القمودي) (2)، الموانسة (الهلة، الشنادة، العنايقة، القريرات، العواوجة) (3)
		مع عرشين ملحقين هما طيّاش (خويلد، أولاد شبل، البريكات، مرغنة، أولاد نوير، ماقورة)، وشواشين عكارة "السود" (4) (الدواشية، الطراطرية، المواكير، العكاري أو الزاوية). (5)

- (1) **قبيلة عكارة** بجرجيس تثبت لنفسها النسب الشريف، بأنهم أبناء الصياح الشريف العكاري دفين بلدة بن قردان، الذي ينتسب للأشراف الأدارسة، قدم من الساقية الحمراء بالمغرب الأقصى منتصف القرن 16م، لكن ابن حوقل النصيبي يجعلهم بربر من زناتة، وهذه الرواية اعتمدت عليها المدرسة الفرنسية، لتجعل 90 % من سكان أقصى الجنوب التونسي بربر خاصة زناتة، وهي نظرة أيديولوجية استعمارية واضحة، والعكارة كانوا رحلا قبل أن يستقروا بتعاطيهم الفلاحة والصيد البحري. أنظر سالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة... مرجع سابق. ص ص 48-54. وأبو القاسم بن حوقل النصيبي: **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، دط، 1992. ص 102. ومحمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 28
- (2) سالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة... مرجع سابق. ص ص 61-69. بلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص ص 100-102 محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 52. سالم لبيض: القضاء والقضاء... المرجع السابق. ص 131.
- (3) أولاد سعيد وأولاد محمد وأولاد بوعلي، من سلالة أبناء سيدي الصياح، والزاوية وأولاد عبد الدايم والخلايفة، فهم من سلالة مرافقي سيدي الصياح، وهما سيدي عبد الدايم جد (الزاوية وأولاد عبد الدايم) وسيدي خليف جد (الخلايفة)، وحسب الرواية الأكثر قبولا في جرجيس أن سيدي خليف والد سيدي الصياح، أما عروش الموانسة فهم أولاد سيدي مصدق، قدموا للمنطقة مع بقية عروش عكارة واندمجوا في نسيجهم الاجتماعي بالمصاهرة. أنظر بلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص ص 100-102 سالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة... المرجع السابق. ص ص 61-62.
- (4) **الشواشين**: هم السود الذين كانوا عبيدا في السابق، ويعد عتقهم حملوا ألقاب أسيادهم القدامى. أنظر سالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة... المرجع السابق. ص 74. بلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص 38.
- (5) بلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص ص 101-102. سالم لبيض: القضاء والقضاء... المرجع السابق. ص 132. سالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة... المرجع السابق. ص 74.

	النوايل السليميين، ساكنوا عكارة في منازلهم. (1)	
	عروش أخرى: الجلالطة، الربايح، الحدادة، المخالفة، الطرايفة، أولاد شبل وأولاد نوير "سليم أو هلال"، وريمة "الصوالح" (أولاد خليفة، الفقهاء، أولاد عبد الجليل، أولاد موسى، أولاد بن موليد، الشباشية، وريمة لعجيلات، وريمة جنزور)، زواغة البربرية (أولاد مبارك، أولاد مسعود، أولاد الفقيه، الشواميط، المخابشة، المسالمية)، مارغنة من الزاوية بليبيا، ماقورة من زواوة البربرية الجزائرية حماة برج جرجيس منذ منتصف 18م، البريكات، خويلد ربما من قبيلة النوايل السليمية، الشيباب من سلالة الصحابي سيدي شيبية، القويات، النفاقة، العجيلات، الزغويات. (2)	قبيلة ورغمة
سليم	السماعة، عوين، العطيات، أولاد حامد، الكرايمة. (4)	قبيلة نفات (3)

جدول يمثل أهم عروش الجنوب الشرقي التونسي (قابس، مدين، تطاوين)

والملاحظ من خلال سرد المجموعات القبلية، المكوّنة للنسيج البشري بالجنوب التونسي، هو الصبغة العربية على العموم، وغلبة الأصل السليمي بالنسبة للقبائل العربية، كما أن ما يميّزها هم ظهور العنصر البربري بجلاء، على شكل مجموعات منزوية في قرى جبلية، يسود حياتها الاستقرار، على عكس القبائل العربية أو المختلطة التي تمارس الرحلة، وأغلبهم أشباه رحّل، بالإضافة إلى وجود عناصر ذات أصول بربرية لكنها استعربت لغة وحياة، ومجموعات أخرى اختلطت بالعرب، وانصهرت معهم في بوتقة واحدة، مكوّنة معهم عنصر جديد، وإن كان يغلب عليه الطابع العربي، وأخيرا نلاحظ انقسام بعض القبائل بين عدة مناطق.

(1) سالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة ... المرجع السابق. ص ص 51-52.

(2) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 52. سالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة... المرجع السابق. ص ص 70-72.

(3) قبيلة نفات: منهم المجاهد علي بن خليفة النفاتي، أحد أبرز قادة المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي.

(4) محمد علي الحباشي: المرجع السابق. ص 09.

2- العرب والبربر بوادي سوف:

يورد العوامر في صروفه، أن جميع أهل مدينة الوادي ينتسبون إلى فرقتين عظيمتين، هما: الأعشاش والمصاعبة ⁽¹⁾، وهذا حسب وجهة نظرنا بجانب للصواب، إذ لا يعزب عن أحد من أهل المنطقة، أن الأعشاش والمصاعبة قبيلين من جملة قبائل المنطقة، وأولاد أحمد وأولاد جامع والفرجان والربايع والشعانية ... وغيرها، كلها قبائل منفصلة عن الأعشاش والمصاعبة، ولا تمت بصلة لأيٍّ منهما، والحقيقة أن ابن عامر أدري بهذا مثًا، بحكم معرفته بالأنساب، فلا ندري قصده من هذا، اللهم إن كان يريد أن كل سكان مدينة الوادي، يتبعون مقيدة الأعشاش أو مقيدة المصاعبة. لكنه لم يبيّن هذا القصد !!.

والذي يجب التنويه به ونحن نورد قبائل المنطقة، أن أفراد القبيلة لا ينحدرون كلهم من أب واحد، فكل قبيلة تتكون من عمائر وفصائل منها الأصلي، الذين تجمعهم رابطة الدم، ومنها فصائل لحقت بهم بواسطة الجوار أو الولاء أو المصاهرة... ⁽²⁾

وفيما يلي نسب السكان بشكل مفصّل، يحتوي على القبائل وفروعها، مع إيراد نسبها، والإشارة إلى الفصيل الأصلي والملحق، استقينا معطياته من عدة مراجع، أهمها كتاب الصروف، الذي يعتبر العمدّة في نسب سكان سوف وأولها، حيث أن كل من أتى بعده اعتمد عليه بشكل كبير: ⁽³⁾

(1) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 277.

(2) المصدر نفسه. ص 277.

(3) أنظر ملحق رقم 14 ص 308.

أ- قبيلة أولاد أحمد: وهو بنو أحمد بن هبيب بن بهنة بن سليم.

العميرة	الفصيلة	النسب
السوفية (1)	أولاد يوسف / أصلي	سليم وفيهم بيتان من عدوان
	أولاد شايب - أولاد حفوطة - أولاد حفصة - أولاد مصباح / أصليات	
	أولاد شبل / ملحق	هلال
	العلاقة / ملحق (2)	سليم
	أولاد الجديدي / ملحق	سليم
السوفية	أولاد ميلود / ملحق	من أمغاد غدامس (3)
	أولاد العبيدي / ملحق	أولاد سيدي عبيد من نفطة
أولاد مياسة	أصليون عدا بيت واحد	سليم (4)
	أولاد الخراز	من أولاد مولاة العرب الغرابية
أولاد جاء بالله	أصليون عدا بيتين	جاء بالله بن جارية ... بن سليم
	أولاد لعويني	من عوينة دوز بنفزاوة / سليم
	القوايد	بربر من زناتة
الأميهات	من أميه بادي قرب جبل نفوسة	
	أولاد الطالب علي - أولاد بوغزالة - أولاد نصر بن عون - أولاد مزيو - العتائية / أصليات (5)	
	- رماضين الطريفاي - أولاد عليّة / مختلطتان	
	الترايعة / ملحق	

- (1) السوفية: سمو بهذا الاسم لأنهم أول من دخل سوف من أولاد أحمد. إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 278.
- (2) العلاقة: بطن كبير من عوف بن بهنة بن سليم. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 84، 131.
- (3) أولاد ميلود: من مغراوة، أي أنهم بربر من زناتة. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 133.
- (4) رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 134.
- (5) الأميهات: من بني سليم. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 135.

الأمهات	أولاد ميداني / ملحق	من نفطة
	أولاد علي بن مبروك/ملحق	من الزاب الشرقي
	أولاد الدراجي / ملحق	من جبل الظاهر بالجنوب التونسي (1)
	الدبابشة / ملحق	من نفزاوة ومعهم أناس من نفطة
العواشير	عاشور من موالي أولاد مياسة	
	أولاد كرمادي - أولاد بلقاسم - أولاد الأطرش - أولاد العطالة - أولاد طليبة - أولاد زيد - أولاد الصغير خرخش / أصليات (2)	
	أولاد النوبلي	من نابل بتونس
	أولاد مصطفى الزبيديين	
	الكواردية	من غريب بالجنوب التونسي
	عياد بن منيع بن يعقوب... بن سليم (3)	
أولاد عياد	الزرايقة - أولاد غربي - الأمهات - أولاد مجول - أولاد مبارك - أولاد زغدود	
	سماش بن الشيخ بوجواحيف (4) النفزاوي من سليم (5)	
السوامش	ينتسبون إلى سيدي عبيد الشريف قدموا من نفطة. (6)	
أولاد الحداد		

جدول يمثل أهم عروش قبيلة أولاد أحمد بمدينة الوادي

- (1) أولاد الدراجي هلالين. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 135.
- (2) العواشير: من المرازيق أهل دوز بالجنوب التونسي السليميين. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 136.
- (3) أولاد عياد: منهم في قابس وطرابلس وبرقة إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 283.
- (4) الشيخ بوجواحيف: دفن نفزاوة بالجنوب التونسي، وله مزار بها يزار أوائل فصل الخريف من كل سنة. مبروك الشامسي: مذكرات نفيسة، مؤسسة إيمو بال المطبعة العصرية-الوادي، الجزائر، د.ط، د.ت. ص 16.
- (5) السوامش: من بني سليم، أو من بني هلال. أنظر رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 84، 138. محمد فضيل بن عمر: المرجع السابق. ص 42.
- (6) رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 133.

ب- قبيلة المصاعبة أو الأصابع:

ينتسبون إلى ذو الاصبع بن قيس بن صعصعة بن طرود⁽¹⁾، وفيهم بعض من زناتة.

المصاعبة الشبابطة		
العَميرة	الفَصيلة	النسب
الشراردة	قدموا من توزر متأخرين	
	المداخلة - الروابح - أولاد قروش - أولاد حمه الطالب - أولاد عثمان - المنانعة	
أولاد بوجديد (2)	أولاد حمانة / أصلي	
	أولاد البوهالي / أصلي	ومعهم بعض النمامشة السليميين
	أولاد حمادي / ملحق	أصلهم من سليم
	الصوابرية / ملحقين بالمصاهرة	من سليم
	المراغنية / ملحق (3)	من الطوارق أو سليم أو أشراف
	العوامر / ملحق بالمصاهرة	أشراف من سوسة حسب ابن عامر
الشوايحة	الصوالح - الكعوب - الذرايعة	من رياح الهالبيين
العيادة	هم أولاد مجول من أولاد أحمد تصاهروا مع الشبابطة	
الأبالي	الأبالي - أولاد القيطة - أولاد الدودي / أصليات	
	الأماطرية	من ماطر بتونس

- (1) المصاعبة: من سليم لكن البعض يرى أن أصولهم بربر استعربوا، أما فضيل بن عمر فينسبهم إلى طرود ثم يورد أنهم من بني سليم، وهناك من يقول أنهم مصاعبة نسبة إلى مصعب بن الزبير، أو أصابع من سليم. أندري فوازان: المرجع السابق. ص 125. جستون كوفي: المصدر السابق. ص 63، 88. محمد فضيل بن عمر: المرجع السابق. ص 107، 124. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 84، 152.
- (2) أولاد بوجديد: من سليم. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 153.
- (3) المراغنية: أشراف من الأدارسة. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 154.

لعليات	من بلدة الحضر وسط توزر (1)	
لمامنة (2)	يقول العوامر أن جدهم كان غير مسلم، فلما أسلم دعي المؤمن، ويقال إن أصلهم من جبل الظاهر بالجنوب التونسي	
المساعية	جدهم من إياضية ميزاب، ثم صار سنيا حين استقر بسوف وخالط أهلها	
الستاتة (3)	قيل إن أصلهم من البربر، وقال العوامر أنهم من هلال	
الجلابية	من البربر، أتوا من القيروان	
الزيدة / زيبيدي (4)	زيبيد هو منبه بن بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج	
	منهم من نزل بنفطة ومن ذهب للزاب ومن جاء إلى سوف	
	الحوالدية -أولاد الحاوي -أولاد الفرجاني -أولاد الفتحي -أولاد بوسنينة -أولاد القصير -البقايسة	
السواكرية	أولاد ذياب وأولاد عبد الرزاق / أصليتان	
	أولاد إسماعيل / ملحق	من مليكة إحدى قرى غرداية
	أولاد الشريف / ملحق	من أولاد عمر بسيدي عقبة أو من الزاب
	أولاد حميدة بن سعيد / ملحق	من أولاد عمر بسيدي عقبة أو من الزاب
	أولاد الداب / ملحق	أتوا متأخرين من نفطة
	أولاد العمودي / ملحق	أتوا متأخرين من نفطة

جدول يمثل أهم عروش قبيلة الشبابة "فرع من المصاعبة" بمدينة الوادي

- (1) لعليات: سليميين من توزر. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 154.
- (2) لمامنة: فرع من قبيلة المرازيق بدوز، أي من بني سليم. محمد فضيل بن عمر: المرجع السابق. ص 145 رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 154.
- (3) أولاد ستو من سليم. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 156.
- (4) عاشوري قمعون: الشيخ الهاشمي حسني (1320-1410/1902-1989) ودوره في الحركة الإصلاحية والوطنية، مجلة الباحث-المركز الجامعي بالوادي-الجزائر، ع1، يونيو 2010م. ص227.

المصاعبة القرافين: أولاد قرفة بن اثبح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال. (1)		
العميرة	الفصيلة	النسب
الشرابعة / أصلي	القطاحزة - الزغابية - القرابنة - أولاد حقانة - السوايح - أولاد غمام - الهوامل - الطرايلة - الترابعة	
القشاشطة/ملحق (2)	من أولاد سيدي عبيد بضواحي الجريد التونسي	
أولاد نصير / ملحق (3)	الوقاظة - العطالة -	من طرود أو من رياح الهلالية
	الحرايزة - أولاد ديدة - أولاد الجديد - أولاد الشيوخة (4)	
الرضوين / ملحق	من الهمامة الذين بفريانة قرب قفصة أي سليميين	
أولاد زايد/ملحق (5)	أولاد قابوسة - الجعايدة - العياشة اصلهم من قبيلة الربيع	
الحمايدة / ملحق	الحمايدة - القعايدة - العثميين / نسبهم من سليم	
الجبابنة / ملحق	أبناء جبنون بن حبش النفزاوي من نفزاوة بالجنوب التونسي (6)	
مصغونة / ملحق	الشكايمة وأولاد زقب أصلهم من الشايبية بتونس	
الأمايد (7)	أولاد القدة - الرزازقة -	أخلاط، منهم من حراطنة غدامس،
	البنائية - أولاد الناصر	ومنهم من سليم

جدول يمثل أهم عروش قبيلة القرافين "فرع من المصاعبة" بمدينة الوادي

- (1) القرافين من طرود. فضيل بن عمر: المرجع السابق. ص 114 فوزان: المرجع السابق. ص 125.
- (2) القشاشطة: أولاد أحمد بن قشوط قدم من الجريد وهو من الزغابية السليميين. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 156
- (3) أولاد نصير: من بني هلال. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 158.
- (4) الحرايزة وأولاد شيخة وأولاد أبي قرين وأولاد الجديد وبن عمر من سليم. رشيد سلطاني: مرجع سابق. ص 84، 158
- (5) أولاد زايد: من بني سليم. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 159.
- (6) الجبابنة: من قبيلة سليم. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 159.
- (7) الأمايدي "أولاد مبروكة" من سليم. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 84، 160.

المصاعبة العازلة: جدهم العزال أتى من المغرب (1)		
العميرة	الفصيلة	النسب
أولاد عزيز / أصلي	أولاد عزيز - أولاد حمد	أولاد بلقاسم بن عجال بن بلقاسم بن العزال
	أولاد احميد / ملحق	من هلال
	أولاد الدردوري - أولاد زواي - أولاد الحامدية / ملحقات / من مصغونة تونس	
	الطواهرية - أولاد كينة - أولاد الحاج البكري / ملحقات / من غدامس	
البشيرة / أصلي	أولاد بشير بن علي بن العزال	
	النقر / ملحق	من نفزاوة
	أولاد دبوب - أولاد بوزنة - أولاد الفقيري / ملحقات / من أولاد مولاة	
الطلايبة / أصلي	أولاد بشير بن علي بن العزال	
	أولاد الشريف / ملحق	
	أولاد حميدة / ملحق	من هلال
	الشرائطة / ملحق	من الهامة السليميين
	الغرايسة / ملحق	من صفاقس
	أولاد التواتي / ملحق	من توات
	الغنادرة / ملحق (2)	أخلط من أولاد سعود ومن مصغونة
	أولاد عباس بن علي بن العزال	
	الصيايفة / ملحق	من العيايشة

- (1) العازلة: إختلف فيهم كثيرا، فقليل هم أشراف أو من بني طرود لكنهم إدعوا النسب الشريف، أو هم أشراف وانضم إليهم كثير من هلال، أو من بني طرود. أنظر أندري فواز: مرجع سابق. ص 125. جستون كوفي: مصدر سابق. ص 88. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 160. محمد فضيل بن عمر: مرجع سابق. ص 118-119.
- (2) الغنادرة أصلهم من أولاد أحمد. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 161.

من جبل نفوسة	المقاولة / ملحق	العباسية / أصلي (1)
من تامزرت بالجنوب التونسي	الزراطة والزكايرة / ملحق	
من غريب بالجنوب التونسي سليميين	الصوالح / ملحق	
المحاسنة والخشارمة والكرارشة من سليم أو هلال (2)		أولاد حميد / ملحق
السود / ملحق - كان جدهم أسودا في خدمتهم وانتسب إليهم		
أصلهم من سيدي عبيد	السعديين / ملحق	

جدول يمثل أهم عروش قبيلة العزازلة (فرع من المصاعبة) بمدينة الوادي

ج- قبيلة الشعانبة:

اختلف في نسبهم طرائق قديدا، فمن قائل أنهم من سليم، أو من هلال، وهناك من ينسبهم إلى مسوفة البربرية (3)، منهم بسوف العمارنية أولاد عمران، والغدايرة أولاد غدير (4)، وهذه القبيلة حديثة القدوم إلى وادي سوف، لكننا ذكرناها هنا لارتباطها الإداري بقبيلة المصاعبة.

(1) العباسية: سليميون واغلبهم قدم من نفوسة ونفزاوة، ومنهم من يدعي النسب الشريف. رشيد سلطاني: مرجع سابق. ص 162 جستون كوفي: المصدر السابق. ص 88.

(2) من بني هلال. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 162.

(3) كانت الجباية العرشية للشعانبة مع المصاعبة، لذلك نسبهم العوامر إليهم، ثم أصبحت لهم قيادة خاصة بهم وجباية مستقلة، دون الانضمام لأحد القبيلين الاعشاش والمصاعبة. والشعانبة ينسبهم البعض إلى بني سليم، أو إلى بني هلال حسب آخرين، بل هناك من يقول إنهم بربر أمازيغ. وقد تأسست هذه القبيلة في سوف عام 1886 فقط، بتوحد بعض العائلات، التي قدمت من شعانبة ورقلة، وقد ضمت إلى المصاعبة كما أسلفنا القول. ومنهم الحاج البكري الشعنبي دفين مقبرة الشابية بالبياضة، التي تسمت به لاحقا "مقبرة الحاج البكري". أنظر إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 300-301. ورشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 84، 139. وكذلك جستون كوفي: المصدر السابق. ص 89. وأيضا محمد فضيل بن عمر: المرجع السابق. ص 42، 133.

(4) أندري فوازان: المرجع السابق. ص 125.

د - قبيلة الربايح:

الربايح جمع ربيعة، سموا كذلك لأنهم ينتسبون إلى ثلاثة أسماؤهم ربيعة، وهم: -أبناء ربيعة بن مالك بن زيد مناة -وربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة - وربيعه بن مالك ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة، أصلهم من قبيلة تميم العربية (1)، وهناك إختلاف في كونهم بني عمومة مع الأرباع الذين هم بالأغواط، أم لا يمتنون لهم بصلة (2)، ويتميزون عن باقي سكان سوف بطباعهم وملبسهم وخيامهم. (3)

والربايح أربع عشرة فصيلة: أولاد بلول (4)، الزيود، أولاد حمد، أولاد زقزوا، الرقيعات، الأفاييز، الأغواث، الدوايمية، العطائرة، الحوامد، المصابيح، أولاد مسعود، القطاطية، أولاد الحجاج. (5)

هـ - قبيلة الفرغان:

ينسبهم العوامر إلى عميرة الفقهة من عرش الأعشاش (6)، وليس هذا بصحيح، حيث أنهم قبيلة منفصلة، قائمة بحد ذاتها، وهناك من ينسبهم لبني هلال (7)، وهناك من يزعم أنهم أشراف، دخلوا سوف منتصف القرن 18م. (8)

-
- (1) رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 164. إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص ص 302-303.
- (2) فالعوامر يؤكد أنه لا علاقة بينهما، بقوله: ويعتقد بعض الناس أن الأرباع الذين بالأغواط هم ربايح، وهذا خطأ فالربايح مضربون عدنانيون، والأرباع قحطانيون، بينما ينسبهم البعض لأرباع الأغواط، وأنهم قدموا متأخرين من لرباع الأغواط، ويتميزون عن باقي سكان سوف بطباعهم وملبسهم وخيامهم، وهناك من يزعم أن الربايح والأرباع أبناء عمومة، والجميع هلاليون. أنظر إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص ص 302-303. وجستون كوفي: المصدر السابق. ص 88.
- ومحمد فضيل بن عمر: المرجع السابق. ص ص 43، 133-137.
- (3) جستون كوفي: المصدر السابق. ص 88.
- (4) أولاد بلول: أول الربايح دخولا لسوف. إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 302.
- (5) أولاد الحجاج: آخر الربايح قدوما لسوف، حيث كانوا قرب فزان، وتركوا كثيرا من إخوانهم هناك. العوامر: المصدر السابق. ص 302.
- (6) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 312.
- (7) محمد فضيل بن عمر: المرجع السابق. ص 47.
- (8) رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص ص 174، 177.

و - قبيلة أولاد جامع:

أولاد جامع بن تمون بن عبد الله بن إبراهيم بن جمع المرداسي، نسبة إلى مرداس سليم لا مرداس هلال⁽¹⁾، كانوا نواحي طرابلس ثم تنقلوا للجنوب التونسي ومنطقة سوف وغيرها، وكانت رئاسة مرداس في أولاد جامع، وفي كل المناطق التي ذكرنا، هناك بنو عمومهم لا زالوا هناك، وهذه المناطق كان يسكنها بنو هلال، لكن سليم تغلبت على هلال وأخرجوهم من هذه الديار، عدا من دخل فيهم بالمصاهرة أو الجوار.⁽²⁾

ز - قبيلة الأعشاش:

جدهم كعب بن علاق من بني سليم كانوا مع مرداس بنواحي قابس، حيث كانت رئاسة الكعوب لأولاد شيخة، وكان كعب ذا جاه ومال، وله سبعة من الأبناء أربعة لأم وهم: "أحمد، ماضي، علي، محمد"، وثلاثة لأم: "بريد، بركات، عبد الغني"، فنزع أحمد بن كعب أولاد شيخة على رئاسة الكعوب، واتصل بالسلطان أبي إسحاق فنال مراده ومبتغاه، وصارت له الرئاسة، ثم لبنييه من بعده.⁽³⁾

وكان لأحمد بن كعب جماعة من الولد، وهم: أبو الفضل "خليفة أبيه"، أبو الليل "خليفة أخيه"، قاسم، قائد، عبيد، منديل، عبد الكريم، كليب، عساكر، عبد الملك، عبد العزيز، وكان هؤلاء الإخوة وأبنائهم متآلفين، فدعوا باسم الأعشاش⁽⁴⁾، لأن المتعارف عليه بين الناس أن الشخص إذا كثرت ذريته يسمونه عش، وجمعها عشاشا وأعشاشا.⁽⁵⁾

(1) ابن خلدون: المصدر السابق. ج2، ص368 رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 84 أولاد السايح وأولاد جامع هلالية محمد فضيل بن عمر: المرجع السابق. ص 43، 132.

(2) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 304.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق. ص 98-99. هناك خلط عند صاحب الصروف في هذا الشأن. إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 305.

(4) ابن خلدون: المصدر السابق. 99.

(5) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 306.

وقيل أنهم ينتسبون إلى العشّ بن عمر بن سليمان بن محمد بن ... بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة، وبهذا يلتقون في النسب مع الرابع⁽¹⁾، كان العشّ بإحدى قرى نفاوة، وله قصة لسبب هروبه لوادي سوف، التي كانت تدعى أم الهارب كما يقول العدوانى⁽²⁾.

العميرة	الفصيلة	النسب
الفقهة	الفقيه بن العش	أو فاقا بن عاصم... بن سليم
	غنبازي، ساعي، حشية، بكيني / أصليات	
	سي العربي، الحاقة/ملحقين	من أولاد سيدي عبيد
	أولاد عطية / ملحقة	من هلال أو أشرف
	أولاد سيدي سالم، أولاد موسى، الغيلاني، الرمرام، المقزدر، الشايب، الغزال، أولاد نصر، العتاتسة، العرايزة، التوامي، أولاد الساسي، العيايش، ميعادي، بوشارب، بصة، الكرياطي، الصرايطه، بوغزالة، الهقاقة، أولاد بوكوشة / كلها ملحقة	
أولاد خليفة ⁽³⁾	خليفة بن العش	أو خليفة بن رشاش ... بن سليم
	أولاد الولابي، بوظبية، خشبية، الأفاحمة / أصليات	
أولاد حميدة / ملحقة	أولاد عمار، المانع، أولاد مسعود، أولاد مية، أولاد عائشة، الفنيك، العبيدي، ظريف، بن سعد، التريكي، الننفوف، الكلثومي، همامي، الدغمين، الجرمين/ ناماشة	

- (1) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 306. هناك من يقول: "الاعشاش طرود ثم ينتسبون إلى سليم". جستون كوفي: المصدر السابق. ص 88. محمد فضيل بن عمر: المرجع السابق. ص 122-123. وآخرين ينسبونهم إلى يربوع، ويربوع بطن من تميم. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 92، 168.
- (2) محمد العدوانى: المصدر السابق. ص 18 إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 306.
- (3) أتوا من صفاقس. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 169، 173.

جبر بن العش	جابر بن فاتك ... بن سليم	
الجبيرات (1)	أولاد البردي، البريدي، أولاد بكار / أصليات (أولاد احمد)	
	أولاد زريق، أولاد الدو، أولاد علاهم، الجبيلية، أولاد داهم، عموري، عدوكة، قماري، قدور، بية، النيد، الأرقط، السواسي، صلوبه، البلام، البشيرة، جابر، عمار بن العيد / أصليات	
	أولاد عبد المالك، أولاد محمد، أولاد سليمان. (2)	
الكساسة / ملحق	أولاد العايب، بنو كساب، أولاد عون، ميسة، قعيد، أولاد عمر، عباس، عمارة بن بية، المثر، ديدة، بوصبيع، الفريجات، أولاد جبنون (المحاريق، قزون، اللامعة، أولاد لامة).	
أولاد عيسى	عدوان أو سليم	أولاد الباهي، الخالدية، أولاد مريفة، الأباسي، أولاد الدروني، أولاد بن عيسى
العيادة	من أولاد أحمد من سليم	أولاد العيادي، المنصوري، منصور، الغقاق، أولاد العيدة، طعملة، أولاد باسي، أولاد كنيوة
		أولاد الشيخ علي، أولاد اللموشي، أولاد فرج، بن رقية، بن نجمة، الجروني، المرخي، المساسة، أولاد رويحة، بن حدي، لمي، البهيم، أولاد الهاني، الميعادي، أولاد سعد بن خليفة، أحمد باي، الحميات.
الزبدة (4)	من المصاعبة	الحساسة، أولاد زهمول، الهزلة، الدبابة، أولاد بكار، العثمين، النجار، النفيسة، الشعباني، بروبة، أولاد عمار الأعور، أولاد حمية، أولاد شتحنة
	يتصلون بنسب الشابي	أولاد محمد بن مسعود، أولاد رحال، أولاد محمد بن فرحات، أولاد الحاج صالح، الكبسي، الهوامل، القدايرة

جدول يمثل أهم عروش قبيلة الأعشاش بمدينة الوادي

- (1) الجبيرات: من بني سليم. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 84.
- (2) من بني سليم. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 84، 141.
- (3) الحليلات: من قبيلة سليم. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 172.
- (4) الزبدة: خليط من سليم وهلال. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 172.

ح- سكان بلدة الزقم:

كانت الزقم مسكنا لآل عدوان فقط، وكانت قريتين هما الرقوبة وسيدي خضير، ثم خربتا وانتقل أصحابها إلى مكان الزقم حالياً، واختلطت بغير بني عدوان. (1)

العميرة	الفصيلة	النسب
بنو خضراء	هلايون أو من بني يزقن أو من النمامشة السليميين	
أولاد حامد	حامد أخو جد أولاد أحمد (سليميين)	
	أولاد محمد وأولاد نصر والشحيمات والأعواف	
أولاد شوية	من سليم أو هلال	
	أولاد ونيس، أولاد منصور، أولاد سالم، أولاد الحاج / أصليات	
	أولاد عيشة وأولاد العروسي / ملحقتان / نسبهما إلى العياطة البهيميين (من هلال)	
الشواوي	أولاد الحاج محمد / أصلي	معهم بعض النمامشة السليميين
	أولاد عاصم / ملحق	من شباطة مصاعبة الوادي
	أولاد حمد / ملحق	حمد أخو سيدي عبد الله
	الكواكة / ملحق (2)	من دريد (جاؤوا بعد حرب الشابي)
أولاد سعيدان	أصلهم من أولاد حميدة الأعشاش (3)	

جدول يمثل أهم عروش بلدة الزقم بوادي سوف

- (1) حتى سليل هذه البلدة الكاتب أحمد منصوري، ينسب أهل الزقم إلى عدوان، لكن حين سرد أنسابهم، يتبين خلاف ذلك، حيث أن أغلبهم من سليم. أحمد بن الطاهر منصوري: المرجع السابق. ص 98-99.
- (2) الكواكة: هلايون. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 192.
- (3) أولاد سعيدان: أصلهم من بني هلال. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 192.

ط- سكان بلدة تاغزوت: (1)

بدأ عمران البلدة بالقبيلة، وهي عميرة ملفقة، والتحق بهم التاغزوتيان الذين قدما من تاغزوت "من بلاد الزاب" يعلمان الصبيان وتساهارا مع أولاد زايد، ثم تكاثر الوافدين. (2)

العميرة	الفصيلة	النسب
القبيلة / خليط، أو ملفقة	أولاد زايد / أصلي	-أولاد زايد أخو جد أولاد أحمد (من سليم)
	الأباقيز / ملحق	من بني مزروع السليميين
	التواغزيت / ملحق	من تاغزوت ببلاد الزاب
	الزعاترة / ملحق	من أعشاش الوادي
	أولاد عمران / ملحق	من عدوان
	الحطاطبة / ملحق	من سليم
	الجلالة / ملحق	مخادمة أو ناماشة
	الزبدة / ملحق	من نفطة
العرش	أولاد بركات / أصلي	من سليم
	الزوامل	أبناء عمومة مع أولاد بركات / سليم
	الكوامل / ملحق	
	المعارنة	من سليم
الصيايدة (3)	أولاد محمد الصياد	غير معروف النسب
	أولاد موسى وأولاد عبد الصادق / ملحق	
أولاد رابح	أولاد رابح التاغزوتي	من تاغزوت الزاب / سليميين
	أولاد سالم والزغابة وأولاد جاء بالله	
	أولاد فروة / ملحق	

جدول يمثل أهم عروش بلدة تاغزوت بوادي سوف

(1) معهم أولاد خليفة من بني هلال. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 189.

(2) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص ص 314-316.

(3) من بني سليم. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 190.

ي- سكان بلدة قمار:

العميرة	الفصيلة	النسب
أولاد عبد القادر	أولاد سيدي التهامي	هالليون
	أولاد صالح	أشراف
	أولاد معروف	من عدوان
	أولاد راشد	من أعشاش الوادي
		سليميين من جبل نفوسة
أولاد حميد		مصاعبة من العزازلة
السيايدة		من تاغزوت
أولاد رابح		من تاغزوت
أولاد بوعافية		بربر الأغلب من بني مرين أو من هلال
	الهمامة النوافلية/ملحق	من قفصة (1)

جدول يمثل أهم عروش بلدة قمار بوادي سوف

(1) هذا القول يعضده ما رواه التليلي وسعد الله حول نسبهما. محمد الطاهر التليلي: هذه حياتي، من إصدارات دار الثقافة-ولاية الوادي، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي-الجزائر، 2017. ص 08. سعد الله: خارج السرب، المرجع السابق. ص 155.

ك- سكان بلدة البهيمية: (1)

العميرة	الفصيلة	النسب
العيادة	أولاد فادع / ملحق	هلالين
		من أولاد أحمد / سليميين
العياطة	بنو عيار / ملحق	من دريد
	أولاد الشريف / ملحق	أصلهم من زاوية نفطة القادرية
		من وغلانة بتقرت
الغوالين / ملحق	أولاد مولاة، أبيات من طرود، وأخرى من الرايع (2)	
	أولاد علقمة	من نفطة
السواري	أولاد مولاة / ملحق	عدوانيين
	الهمامة الرضوانيين / ملحق	أو الرضوين / من قفصة
		سليميين
الوهاية		

جدول يمثل أهم عروش بلدة البهيمية بوادي سوف

(1) تم تغيير اسمها إلى بلدية حساني عبد الكريم، بعد زيارة الرئيس هوارى بومدين لها، ومن باب النكتة؛ أن أهل بلدة البهيمية احتشدوا لاستقباله باللافتات، كتب على إحداها (أبناء البهيمية يرحبون بابنها البار)، فتبسم الرئيس وأمر بتغيير اسمها، باسم الشهيد حساني.

(2) ومعهم بعض المرازيق من نفزاوة. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 197.

ل - سكان بلدة كوينين :

العميرة	الفصيلة	النسب
القوارير	أولاد لغدامسي	من غدامس
	من أولاد خليفة / الأعشاش	من أشراف المغرب
السوفية (1)	أولاد بلحسن / ملحق	من تاجرونة قرب عين ماضي
	أولاد عياش / ملحق	من الزاب الشرقي
	من جبيرات الوادي سليميين	
الجبيرات	مصغونة / ملحق	الجنوب التونسي
	الزبدة	
	أولاد حمزة / ملحق	من هلال
	العثمانية (2) / ملحق	نفطة
		سليميين
المناصير		
القوايد (3)		من سليم

جدول يمثل أهم عروش بلدة كوينين بوادي سوف

- (1) السوفية: ينتسبون إلى أولاد خليفة الهالبيين، أو من عدوان. أنظر هنري دي فارييه: المصدر السابق. ص 177.
- رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 198.
- (2) العثمانية: أشراف قدموا من نفطة. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 199.
- (3) القوايد: من طرود. هنري دي فارييه: المصدر السابق. ص 177.

م - سكان بلدة الدبيلة:

أول من عمرها الشيخ علي بن خزّان الذي أتى من المغرب الاقصى متأخرا، حيث طاف بسوف ومنها انتقل إلى تونس، ثم عاد إلى وادي سوف وسكن شرق الزقم، وبعدها انتقل إلى موضع الدبيلة الحالي حيث تناسلت ذريته هناك، ثم انضم لهم أفراد من الوادي وقمار والبهيمة والنمامشة وغيرهم. (1)

العميرة	الفصيلة	النسب
		أولاد الشيخ علي بن خزّان (2)
	أبيات من عروش الوادي وقمار والبهيمة والنمامشة وغيرهم	

جدول يمثل أهم عروش بلدة الدبيلة بوادي سوف

ن - سكان بلدة سيدي عون:

سيدي عون بن مهلهل أو بن موسى (ت1195هـ/1781م) من أشرف المغرب، طوح بين البلدان حتى بلغ الزاب، وهناك التقى بأناس من الزقم، فجاء معهم للوادي وتزوج منهم، واتسعت ذريته مع أخلاط من الزقم وقمار والبهيمة، وكانت له زيارات لبلاد الجريد معلما للقرآن، وقرية سيدي عون تحمل إسم حفيده سيدي عون الأصغر. (3)

العميرة	الفصيلة	النسب
		من أشرف المغرب
العواينية		أولاد عون بن راشد بن سيدي عون
البراهمية		أولاد إبراهيم بن راشد بن سيدي عون
العوافي / ملحق	أخلاط أغلبهم من أولاد بوعافية أهل قمار	

جدول يمثل أهم عروش بلدة سيدي عون بوادي سوف

- (1) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص ص 332-333.
- (2) الشيخ علي بن خزّان: من أشرف المغرب. رشيد سلطاني: المرجع السابق. ص 201.
- (3) علي غنابزية: مساهمات علماء ... المرجع السابق. ص 24. إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 334.

2-1 حقيقة أصل سكان وادي سوف:

عند التتبع التاريخي للأحداث، كما أوردناه في الفصل الثاني، يتبين -حسب العدوانى والعوامر- أن أول وجود عربي ببلاد الجريد ووادي سوف وما والاها، كان أثناء الفتح الإسلامي في القرن 1هـ/7م .⁽¹⁾

ثم كانت الهجرة العربية الأشد وقعا وهي "الهجرة الهلالية"، حيث كان بنو هلال السباقيين لدخول بلاد المغرب، ثم تبعهم بني سليم، فوقع الصدام بين بني العمومة، الذي أفضى إلى صراع، كان نتيجته سيطرة السليميين على الجنوب التونسي ووسطه، والأحواز القريبة -ومنها منطقة سوف-، بينما انجلى الهلاليون إلى شمال إفريقية فالجزائر والمغرب الأقصى⁽²⁾، وبعد ذلك تبعتهم قبائل أخرى ومنها بطون من عدوان وأخرى من طرود.⁽³⁾

ثم يذكر العوامر رواية تخالف ما ذكره سابقا، فيورد أن أول العرب الوافدين إلى سوف كان سنة 600هـ/1204م، لكنه يثبت أنهم من عدوان، الذين تغلبوا على زناتة، وعمرها الجردانية ثم بنو جلهمة، وبعد العدوانيين قدم للمنطقة قبائل طرود سنة 690هـ/1292م، الذين سكنوا أولا عقلة الطرودي وبودخان والميتة، ولما ضاق بهم المكان انتقلوا إلى تكسبت "مكان مدينة الوادي حاليا" وأقاموا بها منذ عام 800هـ/1398م.⁽⁴⁾

ويقّرّم العوامر الوفادة السليمية إلى سوف، فيصفهم بأنهم آخر العرب دخولا لوادي سوف، في النصف الأول من القرن 9هـ/15م، وأنهم جماعة كان استقرارهم بكوينين، والقليل بمدينة الوادي.⁽⁵⁾

(1) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص ص 118-119.

(2) محمد الهادي الشريف: المرجع السابق. ص ص 16-17.

(3) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص ص 121، 129-130.

(4) المصدر نفسه. ص ص 140، 145، 147-149، 155، 160-161.

(5) نفسه. ص ص 129، 161، 172-175.

وانطلاقاً من هذه الديباجة، وأنساب سكان الوادي كما وردت في الصروف ومراجع أخرى، التي جمعناها في الجداول المبينة أعلاه، يتبين أن هناك اضطراب في روايات العوامر، فنجد أنه ينسب أولاد أحمد والمصاعبة والربايع... وكثير من السكان لطرود (1) أو عدوان، في حين عند سرده لأنسابهم، لا يتوانى في نسبة أكثرهم لقبيلة سليم، الذين يمثلون أغلب عمائر وفصائل أولاد أحمد والمصاعبة وأولاد جامع والأعشاش وتغزوت، وكثير من سكان الزقم وقمار والبهيمة وكوينين، بالإضافة إلى الوافدين على سوف من الجنوب التونسي، وأغلب هؤلاء سليميين أيضاً، وهذا ينسجم مع كثير من سكان المناطق المتاخمة لسوف، ومنها الجنوب التونسي الذي يغلب على سكانه الأصل السليمي.

ثم يأتي الوجود الهلالي، وإن كان قليلاً فإنه الأكثر أهمية بعد بني سليم، وأهم الهلايين في وادي سوف، نجد من عرش المصاعبة: القرافين وعميرة الشوايحة وفصائل من العزازلة وهم أولاد حميميد من أولاد عزيز وأولاد حميدة من الطلايية، ومن أولاد أحمد: فصيلة أولاد شبل من عميرة السوفية، ومن قمار أولاد عبد القادر والعياطة، وأولاد بوفادع من أولاد بوعافية، وأولاد حمزة من الجبيرات.

أما عدوان وطرود الذين كان يدور حولهما تاريخ المنطقة، فلا نجد لهم في الأنساب عدا بيوتات قليلة، فمن عدوان نجد بيتان من أولاد يوسف عرش أولاد أحمد، وفصيل أولاد عمران من تغزوت، وفصيل أولاد صالح من قمار، والسواري من البهيمة، ومن طرود نجد بعض القرافين من عرش المصاعبة، وفصيل أولاد زايد من عميرة القبيلة التاغزوتية، وعميرة أولاد حامد (2) من الزقم، وبيوت قليلة من بلدة البهيمة.

(1) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 199.

(2) يقول العوامر أن حامداً هذا أخو أحمد جد أولاد أحمد، ويذكر نسبه: أحمد بن هبيب بن بهنة بن سليم، أي من سليم. فكيف يكون أخوه حامد من طرود !!!، إلا إذا كان طرود هم أنفسهم من بني سليم.

وبالإضافة إلى القبائل العربية سالفه الذكر، يوجد من بين السكان، من هم ذوي أصول بربرية مستعربة، أو مختلطة بين العرب والبربر، ومنهم القوايد من عرش أولاد أحمد، والمساوية والجلایصة من عرش الشباينة التابع لقبيلة المصاعبة.

ومن الذين اختلف في نسبهم بين العرب والبربر، نجد أولاد بوعافية في قمار وسيد عون، وإن كان القول الراجح فيهم أنهم بربر من بني مرين، ومن الزقم عميرة بني خضراء التي اختلف فيها على ثلاثة أقوال من بني يزقن أو هلال أو سليم، وعميرة الستاتة على قولين من البربر أو من بني هلال، بالإضافة إلى رواد الصحراء قبيلة الشعانبة، التي اختلف فيها؛ بين نسبتها إلى هلال أو سليم أم هي من مسوفة البربرية، وحسب ظننا فإن هذا الاختلاف، يعود إلى اختلاط وتساخر بين القبائل العربية والبربرية.

3- الطائفة اليهودية بالمنطقة:

كانت تحتوي التركيبة البشرية لسوف والجنوب التونسي على اليهود أيضا، وكان لوجودهم تأثير، نظرا لعددتهم وقوة تعاملهم مع السكان.

أ- وجود اليهود بالمنطقة:

إن وجود اليهود ببلاد المغرب قديم جدا ⁽¹⁾، حيث قدموا مع الفينيقيين، أو إثر قدوم الرومان ⁽²⁾، أو قبل الرومان حسب بعض الروايات، التي ترجعه إلى السبي البابلي، حيث قضى نبوخذ نصر على مملكتهم، فتشتت اليهود في العالمين ⁽³⁾، ومزقوا كل ممزق، لكن المؤكد هو توافد اليهود على المنطقة، خاصة عقب الأحداث العظام، مثل الفتح الإسلامي

(1) مبارك الملي: مرجع سابق. ج 1 / ص 88 غنازية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال.. مرجع سابق. ص 277

(2) كريمة عجال: يهود الجزائر ودورهم في تسهيل عملية الاحتلال الفرنسي 1830، رسالة ماستر، إشراف د. محمد

رشدي جرابية، 2013-2014، جامعة الوادي، شعبة التاريخ. ص 11-14. إبراهيم العوامر: مصدر سابق ص 169

(3) عبد الرحمان بشير: اليهود في بلاد المغرب العربي-22-462/642-1070، عين للبحوث والدراسات الإنسانية

والاجتماعية، مصر، ط 1، 2001. ص 07. محمد العدوان: المصدر السابق. ص 190.

بسبب تسامح المسلمين مع أهل الملل المخالفة⁽¹⁾، وإثر سقوط الاندلس حيث أتى منهم جمع كبير مع المسلمين الفارين، ثم تبعهم يهود من مناطق أخرى بأوروبا وأشهرهم يهود القرانا⁽²⁾ القادمين من إيطاليا.⁽³⁾

وفرّوا نحو الجنوب خوفا من الوندال، أسوة بالرهبان النصارى، وبعد مدة نزلوا بسيوف النازية مع العدوانيين، ثم نزلوا إلى الوادي واستوطنوا بسحبان وجلهمة⁽⁴⁾ أولا، وبعد حين تفرقوا في كثير من قرى سوف منها الزقم وتاغزوت وكوينين، وكونوا جالية معتبرة بلغ عددها الآلاف⁽⁵⁾، لكنهم أخرجوا منها، فأقام بعضهم بالوادي وقمار بعد بنائهما⁽⁶⁾، وفي بعض مناطق الجنوب التونسي توجد دلائل بوجودهم قبل القرن 06م، مثل معبد "الغريبة" بجزيرة جربة.⁽⁷⁾

ووجود اليهود بسوف خلف دلائل مادية، فهناك أماكن تنسب لليهود، منها: "شوشة اليهودي"، "نزلة موشي"، "سيف اليهودي"، "رحبة اليهود" بحي الأعشاش بسوق الوادي⁽⁸⁾، بالإضافة إلى بقايا معبدهم ببلدة قمار.⁽⁹⁾

(1) عبد الرحمان بشير: المرجع السابق. ص 08. كريمة عجال: المرجع السابق. ص 16.

(2) ويسمون كذلك يهود ليفورن، نسبة لمدينة ليفورنة الإيطالية.

(3) أنظر أسماء عوادي وآخرون: أوضاع اليهود بمنطقة وادي سوف من مطلع القرن 20 الى 1962 من خلال الروايات الشفوية والمصادر المكتوبة، ليسانس تاريخ، عمار غرابسة، جامعة الوادي، قسم العلوم الانسانية، 2012-2013. ص 24 وما بعدها وكذلك كريمة عجال: المرجع السابق. ص ص 19-22.

(4) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 169.

(5) أندري فوازان: المرجع السابق. ص ص 90، 128. حسب رأينا أن هذا الرقم "الآلاف" مبالغ فيه، ولا ندري من أين استقى السيد فوازان هذه الاحصائية.

(6) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 82، 169 جستون كوفي: المصدر السابق. ص 90 المقدم دumas: المصدر السابق. ص 22. L. Daviault: Op. Cit. p 07.

(7) كريستيان فرديناند إيفالد: رحلة المبعثر إيفالد من تونس إلى طرابلس، تر منير الفندري، بيت الحكمة-قرطاج، تونس، 1991. ص 94.

(8) تم تغيير اسم هذه الساحة إلى ساحة فلسطين، ومع ذلك يغلب على تسميتها "رحبة اليهود" إلى الآن.

(9) أندري فوازان: مرجع سابق. ص 90 وعثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية... المرجع السابق. ص 135 وكذلك العوامر: المصدر السابق. ص 169 موسى بن موسى: المرجع السابق. ص 178.

ب- حياتهم وعلاقتهم بالسكان:

كان اليهود بسوف ومناطق الجنوب التونسي يملكون الكثير من المنازل وغابات النخيل، وتعايشوا مع أهل المنطقة واختلطوا بهم، حتى إنه لا يمكن تفريقهم عن بقية السكان (1)، فقد كانوا يحضرون اليهود بعض احتفالات المسلمين، ومن اليهود من انتسب في الظاهر لأحد الطرق الصوفية للحصول على الحماية (2)، ويحصلون أحيانا على رتبة مقدم في الطريقة القادرية أو التجانية، للاحتماء من تعديات البعض أو لقضاء مآربهم. (3)

ويلبس اليهود مثل المسلمين، حتى لباس نسائهم لا يختلف في شيء عن لباس المسلمات، إلا أنهم لا يوشمن وجوههن (4)، وممن وثق هذا؛ الرسام جان لونوا " Jean Launois " (5)، في لوحته الشهيرة "يهودية من الوادي وطفلها"، وتبدو المرأة اليهودية في لوحته، متشحة بالسواد الذي يغطي كامل جسدها. (6)

ومن اليهود من اعتنق الإسلام، كما أنهم لا يشعرون بالاضطهاد، بسبب التسامح الديني (7)، باستثناء منعهم والنصارى كذلك - من دخول الأماكن التي يراها المسلمون مقدسة، مثل المساجد، وقرية الصحابي سيدي أبو لبابة بقابس، وفي بعض المناطق يؤدي اليهود

(1) L'administrateur "annexe d'El-oued": Op. Cit. p 04.

(2) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 169. علي غنابزية: المرجع السابق. ص 172.

(3) موسى بن موسى: المرجع السابق. ص 179. وكمثال على ذلك فقد كان للشيخ الهاشمي الشريف مقدم يهودي اسمه

يهودا براخ، لقضاء مآربه الاقتصادية. أنظر عاشوري قمعون: العلامة الموسوعي ... المرجع السابق. ص 153.

(4) أنظر: هنري دي فاربييه: المصدر السابق. ص ص 88-89. وكريستيان فرديناند إيفالد: المصدر السابق. ص 72.

J. Scelles Millie, Op. Cit. p p 143-144. وكذلك: علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال، مرجع

سابق. ص 277.

(5) جان لونوا "Jean Launois": رسام فرنسي من مواليد 22 نوفمبر 1898م في مدينة "لي سابل دولون"، زار وادي

سوف سنة 1922م، توفي بالجزائر العاصمة يوم 27 نوفمبر 1942م. كمال خزان: يهودية من الوادي-جان لونوا،

مجلة القباب-دار الثقافة بالوادي-الجزائر، ع8، ديسمبر 2014. ص 70.

(6) أنظر: الملحق رقم: 19، ص 313.

(7) فكتور لارجو: المصدر السابق. ص 64. أندري فوزان: المرجع السابق. ص 128.

شعائهم بكل حرية. (1)

زاول اليهود عدة مهن، فكان منهم صاغة وحدادون وصباغون وكتّابا... (2)، ومنهم من اشتغل بالطب الشعبي، خاصة في علاج الأسنان، وبيع الأدوية، كما اشتهروا ببيع الخمر، ومنها تقطير الكحول من التمر، وتخمير رحيق النخيل ليصبح مسكرا "اللاقي الميت" (3)، لكن أبرز مهنهم هي التجارة، حيث كان يهود قابس يسيطرون على دكاكينها (4)، كما سيطر يهود جربة على تجارة بن قردان في أقصى الجنوب التونسي، التي كان يرتادها التجار من وادي سوف (5)، وبعض نسائهم كن يبعن ويشتري الحلي، ويشتغلن في العلاجات والحروز، كما كان اليهود يمارسون الربا الفاحش (6) والغش والسوق السوداء، مما جعل بعض السكان يتحاشون التعامل معهم. (7)

وقد عمل الاحتلال الفرنسي منذ دخوله البلاد، على زرع الفتنة وبثّ الفرقة، بين سكانها، ومن هذا المنطلق منح يهود الجزائر الجنسية الفرنسية، بموجب قانون (8) كريميو (9) المؤرخ

(1) كريستيان فرديناند إيفالد: المصدر السابق. ص 71، 94. إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 169.

(2) مثل اليهودي الذي كان الكاتب الخاص لقاضي قابس. كريستيان فرديناند إيفالد: المصدر السابق. ص 78.

(3) ستون كوفي: مصدر سابق ص 90 وكريستيان إيفالد: مصدر سابق. ص 72، 95. وبن موسى: مرجع سابق 178

(4) هنري دي فارييه: المصدر السابق. ص 88-89.

(5) حفيظ الطباي: المرجع السابق. ص 53.

(6) Bataillan Belvatte: **Renseignements**, Op. Cit. pp 05-06.

(7) أنظر الملحق رقم 18، ص 312. وأندري فوازان: المرجع السابق. ص 128. وكذلك علي غنايزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال ... مرجع سابق. ص 277.

(8) **قانون كريميو**: قانون أصدرته الحكومة الفرنسية، يوم 24 أكتوبر 1870، بسعي من وزير الداخلية أدولف كريميو، ثم بموجبه منح الجنسية الفرنسية لليهود الجزائري، بصفة جماعية، مع احتفاظهم بأحوالهم الشخصية. شارل أندري جوليان: تاريخ الجزائر المعاصر، تر عياش سليمان، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ج 1، ص 465.

(9) **أدولف إسحاق كريميو 1796-1880**: يهودي فرنسي، شغل وزارة العدل الفرنسية، ثم تقلد وزارة الداخلية سنة 1870، كانت له اليد الطولى في تجنيس يهود الجزائر بالجنسية الفرنسية، ومنعهم امتيازات، عبر القانون الذي يحمل اسمه، الأمر الذي أحدث شرخا وسط الأهالي.

يوم 1870/10/24م⁽¹⁾، بغية استمالة اليهود للتعاون أكثر مع الاحتلال، لأنهم يعلمون البعد المصلحي لليهود، وفي هذا الإطار عمل كثير من اليهود بمناطق الجنوب التونسي قبل الاحتلال، على وضع أنفسهم تحت الحماية الإنجليزية أو الفرنسية أو الهولندية، ليكونوا بمعزل عن تعسف بلاط الحكم.⁽²⁾

ومع ذلك كانت علاقة يهود سوف بالسكان عادية، ثم ساءت إثر قيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين عام 1948م، ولقوا مقاطعة من بعض السكان خاصة في مدينة قمار، فرحلوا عن البلاد⁽³⁾، تحت وقع أهازيج الصغار، التي لازالوا إلى الآن يتغنون بها في ألعابهم:

فلسطين بلادنا
عاشت عاشت فلسطين
واليهود كلابنا
ماتت ماتت إسرائيل

أما في تونس فلم نجد ما يشير إلى سوء العلاقات بين الطائفتين الإسلامية واليهودية في عهد الاحتلال الفرنسي، عدا حادثة واحدة مفادها شتم يهودية للدين الإسلامي، حيث تظاهر أهل قابس ضدها، حتى أن حاكم التحقيق التونسي المهدي بن ناصر ضربها⁽⁴⁾، وعلى عكس يهود سوف، فإن اليهود بالجنوب التونسي، لم يبرحوا كلهم مناطقهم، وإنما بقي منهم عدد لا يستهان به، والدليل على ذلك وجودهم لحد الآن، وهم متعايشون مع السكان، وشعارهم في ذلك أن اختلاف الدين لا يفسد للودّ قضية.⁽⁵⁾

(1) أحلام قلعي وهدي زيتوني: يهود الجزائر من مرسوم كريميو 1870، مذكرة ماستر، إشراف د شايب قدارة، قسم التاريخ، جامعة 08 ماي 1945-قائمة، 2017-2018. ص 41.

(2) كريستيان فرديناند إيفالد: المصدر السابق. ص 89. مع العلم أن بعض المسلمين -الأثرياء- تبعهم في هذا، وأصبحوا يجاهرون بعضيان حكومة بلادهم، دون أن تحرك سكانا تجاههم، لأنهم تحت الحماية الأوربية، بموجب الامتيازات الممنوحة من الباي لهذه الدول.

(3) علي غنايزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال ... مرجع سابق. ص 277.

(4) بلقاسم بن محمد بن جراد: المرجع السابق. ص 247.

(5) تلفزيون Medi 1: يهود جربة التونسية، برنامج نظرة على العالم، المشاهدة على اليوتيوب، يوم 2016/05/27.

ج- تعدادهم وأماكن وجودهم:

كان تعداد اليهود بوادي سوف سنة 1860م حوالي 47 نسمة⁽¹⁾، ولا نعرف عن هذه الإحصائية التي أمدنا بها دوفرييه، أخص مدينة الوادي أم منطقة سوف بأكملها ؟ ثم ارتفع العدد إلى 321 نفسا سنة 1948م⁽²⁾، ثم يبدأ عددهم في التناقص تدريجيا، لهجرة الكثير منهم إلى أرض فلسطين، وبقي منهم حوالي 130 شخص عام 1953م⁽³⁾، ومع حلول سنة 1960م نزل العدد إلى 100 نسمة فقط ، كلهم تقريبا بمدينة الوادي، أما ببلدة قمار فقد كان فيها سنة 1959م يهودي واحد، وهو "ولد مرمك" الذي كان وكيلا عن أملاك 2000⁽⁴⁾ يهودي رحلوا عن المنطقة، وآخر من تبقى منهم هاجر إلى فلسطين المحتلة في جوان 1962، وأسسوا هناك كنيسا بصحراء النقب، ومنهم من رحل إلى فرنسا، وأبرزهم اليهودي "ماير" الذي أسس كنيسا لليهود الصحراء بباريس.⁽⁵⁾

أما بالجنوب التونسي فقد كان في بعض المناطق يندعم وجود اليهود، مثل نفزاوة وجرجيس، لكن حضورهم بها بدأ عقب الاحتلال الفرنسي، ليكون تعدادهم بمنطقة نفزاوة 513 نفسا سنة 1946م، أغلبهم بقبلي، ومنهم بمدينة دوز أوزيفة اليهودي وخليفة بن إسحاق، أما بجرجيس فكان عددهم 649 نسمة سنة 1921م، ليقفز إلى 1026 يهودي عام 1946م⁽⁶⁾، أما بجربة وبلاد الجريد وقابس فقد كان وجودهم سابق لدخول المحتل، فقد عاين وجودهم بتلك

(1) هنري دي فاربييه: المصدر السابق. ص 27.

(2) C. Ferry: **Tableau Numérique 1948**, Op. Cit.

(3) L'administrateur "annexe d'El-oued": Op. Cit. p 04.

(4) أندري فوازان: المرجع السابق. ص 128. هناك تضارب بين الأرقام التي سردناها وهذا الرقم، فألفي يهودي في قمار وحدها، يدعو للريبة دون شك، فمن الممكن أن يكون الكثير من هؤلاء، ملاك من خارج منطقة سوف.

(5) أندري فوازان: المرجع السابق. ص 128.

(6) أنظر محمد ضيف الله: نوافذ على تاريخ ... المرجع السابق. ص 150. وسالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة ... المرجع السابق. ص 76. محمد الهادي الشريف: المرجع السابق. ص 89.

البقاع بعض الرحالة الأوربيون، حيث كان يبلغ عددهم بقابس حوالي ألف نسمة، وفي جربة كان العدد قبل الاحتلال حوالي 600 أسرة، وكانوا يخضعون لرئيس منهم تركيه الحكومة. (1)

4- الزوج بسوف والجنوب التونسي:

بالإضافة إلى العناصر سالفة الذكر، يوجد بالمنطقة عنصر رابع، وهم الزوج المجلوبون من دواخل إفريقيا كعبيد، ويدعون محليا سواء بوادي سوف أو في تونس "الوصفان" (2)، وفي الجنوب التونسي يسمون كذلك "شواشين" مفردها "شوشان" (3)، وكانوا مشتتين بين المدن والبلدات، وعددهم قليل (4)، ثم زادوا نتيجة عمليات جلبهم، ثم تكاثرهم خاصة بعد عتقهم.

أ- وجود الزوج بالمنطقة:

كانت تجارة العبيد رائجة بغدامس (5) الليلية (6)، التي تمثل حلقة إتصال بين بلاد السودان وبلاد المغرب الأدنى والأوسط، ويتم الحصول عليهم من الأسرى بين القبائل الإفريقية

(1) دي فاربييه: مصدر سابق. ص 64، 88-89 كريستيان إيفالد: مصدر سابق. ص 74، 76، 82، 94.

(2) وصفان "دارجة": ج مفردها وصيف: وهو في اللغة الخادم، وهذا النعت كان ينطبق عليهم بصفتهم مسترقين، لكن الاسم بقي ملازما لهم حتى بعد تحريرهم، ومنهم من لا يستسيغ نعته بهذا الاسم، ومنهم من لا يرى حرجا في نعته بالوصيف، وأذكر هنا جارتنا؛ بل بمثابة أمنا، عمتي خيرة رحمها الله، كانت هي ذاتها تنعت بني جلدتها بالوصفان، وأحيانا تستعملها كنكتة.

(3) بلقاسم بن محمد بن جراد: المرجع السابق. ص 38، 175.

(4) هنري دي فاربييه: المصدر السابق. ص 27. عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية ... المرجع السابق. ص 136.

(5) غدامس: غدامس مدينة تقع في الجزء الغربي من ليبيا، وهي عبارة عن واحة نخيل، تبعد عن الحدود التونسية الجنوبية حوالي 9 كيلومتر، وعن الحدود الليبية الجزائرية غربا 15 كيلومتر تقريبا. ويقال لها مدينة القوافل لمحطتها الرئيسية من الزمن البعيد. وقد صنفها منظمة اليونسكو مدينة تاريخية. كثالث أقدم مدينة أهلة بالسكان في العالم، وقد كانت غدامس قديماً واحدة من أشهر المدن الأفريقية الشمالية التي لعبت دورا تجارياً مهماً بين شمال وجنوب الصحراء الكبرى. واسمها روماني الأصل يعني بلد الجلود. وتقسم ثلاثة أقسام: المدينة العتيقة حيث السور والجامع، وغابة النخيل، والمدينة الحديثة حيث المباني المستحدثة. وفي وسط المدينة عين الفرس. إرجع: موقع جامعة طرابلس على الانترنت:

<https://uot.edu.ly/> نبذه-عن-مدينة-غدامس. تاريخ الزيارة سبتمبر 2019.

(6) جستون كوفي: المصدر السابق. ص 120-122. Roger leselle, Op. Cit. p 07.

المتقاتلة، أو بعمليات اصطياد البشر التي تقوم بها عصابات منظمة⁽¹⁾، ومنها خطف السودانيات واسترقاقهن⁽²⁾، وبيعهن في غدامس، ثم استقدامهن لسوق ومناطق من الجنوب التونسي حيث كانت تجارتهم رائجة، خاصة بمدن: قبلي، نفطة، وجرجيس...⁽³⁾ والسوافة بحكم اشتغالهم بالتجارة، مارسوا النخاسة وأصبحوا من روادها، إذ كانوا يأتون بالعبيد، فتبتاعهم العائلات الثرية والقياد وشيوخ الزوايا للخدمة⁽⁴⁾، وكانت تجارتهم في ذلك واسعة، فقد كانوا يمارسون تجارة النخاسة بعدة أسواق، مثل سوق تقرت، ويتعاملون مع السلطان الجلابي، بإمداده بالجواري المحضيات.⁽⁵⁾

وبالنسبة لعملية جلب هؤلاء العبيد، فقد كان تجار سوف يأتون بهم من سوق النخاسة بغدامس أو من مدينة غات، وقد يغامرون ويذهبون إلى مصدرها من بلاد السودان مباشرة⁽⁶⁾، حيث يتم شراؤهم بأثمان بخسة، أو مبادلتهم بمختلف السلع مثل الملح والتمر والتبغ... وتختلف أسعارهم، حسب الجنس والفتوة والقوة الجسدية، ويضطر هؤلاء البؤساء إلى قطع الطريق من مكان تصديرهم إلى الجهة المقصودة سيرا على الأقدام، وهم مربوطون إلى جمال القافلة، والذين يأتون بهم يدعون "الجلابة".⁽⁷⁾

(1) علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من خلال ... المرجع السابق. ص 99.

(2) جارتنا عمتي خيرة: عجوز زنجية، كانت تروي لنا قصة استقدامها من بلاد السودان في قافلة، وكانت صغيرة لكنها تعي جيدا وكانت ذاكرتها تحتفظ برحلة جلبها، تنسب إلى عرش الشعانبة لأنها وزوجها من عتقاء هذا العرش، ولقب العائلة "وصيف غدير بشير". وكانت عمتي خيرة محل احترام شديد من جميع الجيران، فهي بمثابة أم لكل، صغارا وكبارا، ذكورا وإناثا.

(3) أغست أنطوان: المصدر السابق. ص 09، 28. ج. زاكون: من باتنة إلى تقرت ثم إلى سوف، جزء من كتاب الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم، تر عبد القادر ميهي، إصدار دار الثقافة-الوادي، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر. ص 31-32 المرصد التونسي: تقرير حول قبلي، المرجع السابق. ص 9 بلقاسم بن جراد: المرجع السابق. ص 38.

(4) كريستيان إيفالد: مصدر سابق. ص 89 أندري فوازان: المرجع السابق. ص 126. Bataillon, Op. Cit. p 32.

(5) أغسطس شاربونو: المصدر السابق. ص 95

(6) الحاج ابن الدين الأغواطي: المصدر السابق. ص 96.

(7) Roger leselle, Op. Cit. pp 12-14.

وبحكم الاتصال بين سوف والجنوب التونسي وغدامس عبر الطرق التجارية التاريخية، فقد كانت تجارة الرقيق مزهرة بين المنطقتين، وعلى الرغم من قانون تحرير العبيد، الذي أصدره المشير أحمد باي (1837-1855م) في تونس سنة 1846م⁽¹⁾، والقانون الفرنسي الصادر عام 1848م⁽²⁾، ثم قانون 1890م المتعلق بإلغاء تجارة العبيد، فقد استمرت التجارة بهم⁽³⁾، وفي سوف ظلت النخاسة مستمرة حتى صدور قانون 1906/07/15م⁽⁴⁾، لكن أثناء الحرب العالمية الأولى استأنفت بل ازدهرت تجارة العبيد، وآخر قافلة تدخل إلى سوف وفيها العبيد كانت في أكتوبر 1922 وبها ثلاثة منهم⁽⁵⁾، وبالقضاء على الاتجار بالبشر تلت الحركة التجارية بسوف نحو غدامس، ضربة قاصمة أدت إلى شبه شللها.⁽⁶⁾

ب- طريقة معاملتهم:

اشتهر السوافة بالمعاملة الطيبة للعبيد⁽⁷⁾، حتى إنهم لم يكونوا يحدثون أنفسهم بالهرب، ويمكن أن يكون العتق⁽⁸⁾ عاقبة أمرهم⁽⁹⁾، ومنهم من يورث عن طريق الوصية عند احتضار

(1) أوغست أنطوان: المصدر السابق. ص 09.

(2) Jocelin Bureau: La question anti-esclavagiste, conférence donnée le 14 avril 1889 dans l'oratoire protestant de Tunis, Imprimerie Franco-tunisienne, Tunis, 1889. P 08.

(3) Roger leselle, Op. Cit. p 37.

(4) أندري فوازان: المرجع السابق. ص 287.

(5) Leselle. Op. Cit. p 22. أندري فوازان: المرجع السابق. ص 127.

(6) Roger leselle, Op. Cit. p 14. Faroua. Op. Cit. p 20.

(7) ويحضرني في هذا الإطار، مثال العبد "أبو بكر" الذي كان عند جدّ جدّتي لأمي "سعد زغدي" مطلع القرن 20م، فقد كان يعتبره بمثابة ابنه، وترى مع أولاده كأنه واحد منهم، حتى أن جدّ أُمّي "عثمان زغدي" سمى ولده أبو بكر، باسم عبد أبيه الذي يعتبره مثل أحد إخوته، وكان مصيره العتق، وابتعد بالسكن إلى قرية "لبّامة" جنوب البياضة، لكنه وإخوته "الزغايدة" ظلوا يتزاوون، إلى أن رحلوا عن هذه الحياة الدنيا. لقاء مع العبد زغدي "العبد لحويّزق" أمام بيته بحي الأصنام

(8) تحرير العبيد في الجنوب التونسي أسبق من وادي سوف، حيث كانت عملية عتقهم بتونس بأمر من باي تونس المشير أحمد باي، وبهذا تعتبر تونس من بين الدول السبّاقة في العالم التي منعت بيع الرقيق. أنظر: الملحق رقم 20، ص 314

(9) أنظر: الملحق رقم 21، ص 314. أندري فوازان: المرجع السابق. ص 127.

سيده (1)، ومع ذلك يمكن أن يكون مصير أحدهم عند من لا يراعي فيهم الشفقة، فيتملك أمره أحد القساة، فيحمله مالا طاقة له به، عندئذ يمكن أن يفكر هذا العبد بالهرب إن وجد لذلك سبيلا، مثل العبد الهارب الذي لقيه هنري دوفرييه بين سوف وغدامس، لأن سيده كان يكلفه بأشق الأعمال، ويمنعه من الحضور لحفلات بني جلدته. (2)

ج- مآلهم بعد عتقهم:

وبعد تحرير العبيد بسوف، اندمجوا في المجتمع (3)، لمساواة الإسلام بين الأجناس (4)، وحملوا ألقاب العائلات التي كانت تملك رقابهم (5)، وتكاثروا بالمنطقة حتى شكلوا مجتمعا، وعلى الرغم من اختلاف أصولهم، وتباين العروش المنتسبين إليها بعد تحريرهم، فإنهم يشكلون لحمة، وكأنهم من قبيلة واحدة، يتزاورون ويتآزرون وتجمعهم إحتفالاتهم، خاصة الإحتفال السنوي الذي يقام وسط الربيع، وهي حفلة يحيونها لولي من جنسهم، يدعونه "سيدي مرزوق" أو "بابا مرزوق" (6)، وفي الجنوب التونسي تسمى هذه الحفلة "بوسعدية"، مع العلم أن سيدي مرزوق هذا دفين مدينة نفطة من بلاد الجريد، وله قبة هناك (7)، وكانت أدوات عرس بابا مرزوق تجلب من تونس (8)، وهي: البنقة "طبل" والشكشاكة أداة من حديدية تضرب ببعضها

(1) عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية ... المرجع السابق. ص 135.

(2) هنري دي فاربييه: المصدر السابق. ص 191 عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية ... المرجع السابق. ص 135

(3) أندري فوازن: المرجع السابق. ص 127.

(4) جستون كوفي: المصدر السابق. ص 120.

(5) بلقاسم بن محمد بن جراد: المرجع السابق. ص 175. Roger leselle, Op. Cit. p 44.

(6) Roger leselle, Op. Cit. p 66.

(7) أنظر إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 166. وأوغست أنطوان: المرجع السابق. ص 63 وأيضا أندري فوازن:

المرجع السابق. ص 127، 174-175 عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية ... المرجع السابق. ص 136.

(8) موسى بن موسى: المرجع السابق. ص 124.

فتصدر رنينا موافق لإيقاع الطبل، كما كانت تشهد منطقة سوف قدوم زوج من الجريد يسمون "علي دانقو" يؤدون أعمالا استعراضية بهدف جني المال ⁽¹⁾، وفي هذا إضافة للروابط البشرية والثقافية التي تجمع المنطقتين.

ووضعت الإدارة الاستعمارية لهؤلاء الوصفان، قيّادا منهم في الوادي وعميش وكوينين، يلقبون "جَدِّي"، وهذا اللقب شرفي إذ ليس له من الأمر شيء، حتى سار في سوف مثلا يقول: "قايد الوصفان لا رتب ولا حسان" ⁽²⁾، وقد تناقص عددهم، بفعل إلغاء تجارتهم، وموت بعضهم بالأوبئة، وهجرة آخرين منهم نحو التل أو الجنوب التونسي. ⁽³⁾

ومن أشهر الشخصيات الزنجية بالمنطقة الشيخ بوعلي السنّي، الذي حارب المذهب الخارجي، وناصر مذهب أهل السنة، وضريحه قرب مدينة نفطة. ⁽⁴⁾

5- الأجانب: وهم الفرنسيون الذين كانوا جنودا وضباطا ضمن جيش المحتل، وكذلك أطباء وعمال بريد ومنهم الآباء والأخوات البيض ...، ومعهم بعض الأوربيين، لكن عددهم قليل جدا، لا يكاد يذكر، لذلك ضربنا عنهم الذكر صفحا. ⁽⁵⁾

(1) جستون كوفي: المصدر السابق. ص 150.

(2) Leselle: Op. Cit. p 42.

(3) أندري فوازان: المرجع السابق. ص 99 عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية ... المرجع السابق. ص 136.

(4) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 166.

(5) علي غنايزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال... مرجع سابق. ص 278. سالم لبيض: تاريخ شبه جزيرة ... المرجع السابق. ص 76.

خلاصة الفصل:

إن البربر الأمازيغ هم أول من عمر منطقتنا الجنوب التونسي ووادي سوف، ومنهم زناتة ونفزاوة ومطماطة ونفوسة ... وغيرهم، ثم اختلطت هذه القبائل بأقوام عديدة وفدت على المنطقة، وأبرزهم الفينيقيون والرومان، لكن تأثيرهم العرقي كان ضعيفا، ولا يكاد يذكر، والدليل على ذلك أنه بمجرد انتهاء دولتهم انمحى أثرهم، على مستوى اللغة والأسماء والتركيبية الاجتماعية.

ثم وفد العرب على المنطقة بموجات متعددة، ابتداء من عملية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ثم تلاحت أفواجهم تترأ، تارة بمحض الإرادة، وأخرى إضطرارا لظروف أهمها سياسية، لكن الهجرة الأبرز، هي الهجرة القبائل القيسية، من هلال وسليم وغيرهما، من صعيد مصر إلى بلاد المغرب، التي بدأت منتصف القرن 11م، ثم توالى لسنوات طويلة، بموجات عديدة.

أول من وصل من هؤلاء العرب كانت قبائل بني هلال، ثم لحق بهم بنو عمومتهم من بني سليم، فتكاثر العرب واصطدموا بالدولة الزيرية، حيث تمكنوا من هزيمة جيشها قرب قابس، فتمكنوا من مناطق الجنوب التونسي، لكن بعد خلو الساحة للعرب، تزاخموا حول المراعي، فاختلفوا وتواجهوا وتدفعوا، وكانت الغلبة للقبائل السليمية، فاضطر بنو هلال للانتقال إلى الشمال، ثم إلى الغرب نحو المناطق الشمالية للجزائر والمغرب الأقصى، أما بالنسبة لمنطقة سوف، فأول الوافدين إليها من العرب، هم العدوانيون ثم تبعتهم أقوام من بني سليم، الذين تسموا طرودا، وبعض بطون هلال.

والهجرات الهلالية ليست كسابقتها من الأقوام الذين وفدوا على المنطقة، فقد كانت حدثا جلا غير الخريطة البشرية للمنطقة برمتها، ذلك أن البربر منهم من انزوى فوق قمم الجبال،

في قرى معزولة محافظين على خصائصهم الذاتية، مثل المجموعات التي بجبال مطماطة بالجنوب التونسي؛ وقليل ما هم، لكن أغلبهم حصل بينهم وبين العرب إختلاط ومصاهرات أفضت إلى تعريبهم ألسنتهم، خاصة مع تشابه طباعهم بالعرب، لأن أغلبهم من البربر البتر أصحاب بادية ورحلة ورعي.

من خلال تتبعنا لمختلف المجموعات القبلية لمناطق الجنوب التونسي ووادي سوف، يتبين بوضوح غلبة الأصل السليمي للسكان، وهذا يتوافق مع الروايات التاريخية التي تنص على تغلب قبائل سليم على جنوب ووسط تونس، وإزاحتها للقبائل الهلالية وغيرهم، إلا القليل ممن آثروا السلم، أو التوغل في البراري والقفار.

وزيادة على القبائل العربية المختلطة بالبربر المعربين، نجد ضمن التركيبة البشرية للمنطقتين، وجود العنصر اليهودي، حيث أن وجودهم قديم بالمنطقة، ويعيشون بين السكان بصفة عادية، رغم معاملاتهم المشوبة بالمكر والخديعة، مثل تعاملهم بالربا، وعمليات الغش التي يلجأ إليها الكثير منهم، وبدأ خروجهم من سوف بقيام الكيان الإسرائيلي، ثم خرجت بقيتهم مع خروج المحتل الفرنسي للبلاد، بسبب تجنسهم بالجنسية الفرنسية، وتعاليمهم على السكان، وتعاونهم مع الاستعمار، أما بالجنوب التونسي، فاختلف الأمر، وذلك ببقاء العديد منهم، وظلت حياتهم عادية وسط تسامح كبير من السكان، أقرته الشريعة الإسلامية الغراء.

كما يوجد بسوف ومناطق الجنوب التونسي، الزوج الذين جلبوا من البلدان الإفريقية جنوب الصحراء، بغرض عمليات السخرة، في أروقة الحكم، والزوايا، وبيوت العائلات الموسرة،

وكانوا جزءا ضمن النسيج البشري للمنطقة، وعلى الرغم من اختلاف المناطق التي جلبوا منها، فإنهم يشكلون لحمة كأنهم من قبيلة واحدة، زيادة على انتمائهم لعرش العائلة التي أعتقتهم.

ومع كل من سبق، كانت توجد ثلة قليلة من الأجانب، أغلبهم من المعمرين الأوروبيين، أو الجنود والإداريين وغيرهم من أبناء الاحتلال الفرنسي، المحتل للمنطقتين.

فالملاحظ إذا تماثل التركيبة السكانية لمنطقتي وادي سوف والجنوب التونسي، ومع الأصل الواحد لأغلب السكان، كانت الحركة بينهما دؤوبة وطبيعية، وهي التي تنعت بالهجرات البشرية.

الفصل الرابع

الهجرات البشرية بين المنطقتين

- دوافع الهجرة السوفية
- اتجاهات هجرة أهل سوف
- هجرة أهل الجنوب التونسي لوادي سوف
- الوضع الاجتماعي للمهاجرين السوافة بالجنوب التونسي
- النشاط المهني لفئة السوافة بتونس
- الضوابط المتحكمة في مهاجري وادي سوف بالقطر التونسي
- التأثير الاجتماعي والثقافي للهجرة إلى الجنوب التونسي على أهل سوف

الهجرة حركة تنقل الأفراد والجماعات بتغيير مكان الإقامة، بصفة فصلية ووقتية، أو دائمة نهائية، وتكون داخلية بالتنقل داخل القطر، أو خارجية وذلك بالانتقال إلى خارج القطر الأصلي⁽¹⁾، كما قد تكون نازحة بالتنقل من المكان، أو وافدة بالهجرة إليه، وتلعب هذه الحركة دورا بارزا في العلاقات بين المجتمعات المختلفة، من خلال التأثير والتأثير المتبادل، بين المجتمع الأصلي والأفراد الوافدين إليه.

ذهب أغلب الباحثين، إلى أن أسباب الهجرة من الديار تقوم على ركيزتين:

- أن تصبح الحالة في الوطن الأصلي لا يطيقها الفرد، أو يبدو له على الأقل أنها تفوق درجة احتمالها.
- أن يبدو للمهاجر بلدا آخر يتخذه موئلا له، ظنا منه أنه سيجد فيه ما عثر عليه وجوده في موطنه الأصلي.⁽²⁾

وبما أن حياة السوفي في بلاده أصبحت لا تطاق فقد كان على بعضهم ممن فقد الصبر على المكوث، وكانت له الرغبة الملحة في التنقل، وامتلك القدرة عليه، أن يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة، وارض الله واسعة، ومن هذا المنطلق فالهجرة إذا مقاومة سلبية للسياسة الاستعمارية.

والهجرة الجزائرية بصفة عامة نحو الخارج، أصبحت أمرا لاقتا بعد دخول الاحتلال الفرنسي للجزائر، فقد كانت صادمة للذين درسوها، لأنها كانت جماعية وكثيفة ومستمرة، خلال

(1) ناتاليا يفريموفا وتوفيق سلوم: معجم العلوم الاجتماعية مصطلحات وأعلام، ط1، دار التقدم - موسكو، بيروت، 1992، ص 283.

(2) لوثر بستودارد: حاضر العالم الإسلامي، تع عجاج نويهض، ط 4، المجلد الأول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1973. ص 323.

الحقبة الاستعمارية (1830-1962م)، وإن كانت تضعف حيناً، وتشتد حيناً آخر، وقت الشدائد والازمات، مثل سنة الاحتلال 1830م، أو عقب القضاء على إحدى الثورات الشعبية، كثورة الأمير عبد القادر عام 1947م، وثورة عام 1871م بزعامة المقراني والحداد، أو عند سنّ القوانين الجائرة، كقانون الأهالي أو التجنيد الإجباري سنة 1912م، وهذه الهجرة ليست بدعا عما ذكرنا آنفاً، من حيث الدوافع والأبعاد والخصائص.

وبالنسبة لسكان سوف فإن طابع التنقل والهجرة هو ديدنهم منذ القديم، حتى صار من سماتهم وفي تقاليدهم ⁽¹⁾، وهجراتهم هذه منها الفردية ومنها العائلية، لمزاولة الرعي أو ممارسة التجارة أو لطلب العلم... وغيرها، وبالتالي فهجرتهم لتلبية متطلباتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولتحسين أوضاعهم ليست غريبة عنهم، حتى أنه خلال خمسينيات القرن 20م كان حوالي ثلث الأشخاص الذين بلغوا سن العمل، مهاجرين إلى النل الجزائري وتونس وغيرها، وعددهم ناهز 12 ألف. ⁽²⁾

1- دوافع الهجرة السوفية:

اضطر كثير من أهل سوف للتنقل إلى خارج إقليمهم، هروبا من الواقع المعاش، وبحثا عن حياة أفضل، فانتشر الكثير منهم إلى مناطق متعددة، لعدة دوافع منها ما ذكرها أحد التقارير الفرنسية للسيد "جون بيغورو" (Jean Pigoreau) سنة 1955 حول الهجرة من ملحقة الوادي:

(1) عثمان زغب: الأوضاع الاقتصادية ... المرجع السابق. ص ص 216-217.

(2) علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال ... مرجع سابق. ص 289.

أ- الدوافع الاقتصادية: (1)

يعتبر الدافع الأهم على الإطلاق، لارتباطه بحياة الإنسان في كل آن، فقد كان قبل الاحتلال واستمر خلاله، ولا يرتبط فقط بوجود المحتل، ولا أدل على ذلك من هجرة بعض الجزائريين نحو فرنسا نفسها؛ البلد المستعمر، سعيا وراء لقمة العيش. (2)

فالسياسة الاستعمارية بممارساتها الاضطهادية تجاه السكان الجزائريين المسلمين، انطلاقا من سلب أراضيهم وتحولهم إلى خماسة فيها، وفرض الضرائب التي أرهقت كاهلهم، أو سياسة الاقتراض والاستلاف الربوي خاصة من طرف اليهود، كل ذلك أدى إلى معاناة الجزائريين ومنهم أهل سوف، بالإضافة إلى القيود التي فرضتها إدارة المحتل على التنقل والتجارة، فأصبحت البطالة في زيادة مطردة، كل ذلك ساعد في تأجيج الرغبة الملحة في الهجرة قصد كسب القوت، وإعالة أفراد الأسرة، كما كان دافعهم للهجرة ممارسة التجارة وساعدهم في ذلك الموقع القريب من ميناء قابس. (3)

ب- الدوافع الاجتماعية:

كانت وادي سوف تعاني من رداءة المعاش (4)، وصعوبة عيشها، وقلة مواردها، وعبء تكاليف خدمة النخيل خاصة في الأربعينيات بسبب غور المياه، الذي تسبب في موت العديد

(1) عبد الحميد زوزو: الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919-1939)، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985. ص ص 35-46. تركي رابح: الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم (1900-1940)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د-ت). ص ص 29-30.

(2) هجرة الجزائريين إلى تونس بين تلبية الحاجيات الاجتماعية وإحداث التكامل الثقافي في النصف الأول من القرن 14هـ/20م. (وادي سوف أنموذجا)، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التوصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس 11/10 نوفمبر 2013، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر.

(3) L'annexe de l'El-oued: rapport sur le souf (Ethnographique situation economique moyens d'organisation touristique), Art et Métiers indigènes, 1926, dans A. D. M. El, El-oued. P01 علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال ... مرجع سابق. ص 290

(4) محمد الساسي بن الحاج محمد الساسي "معامير": التقويم الجزائري العام، منشورات المكتبة التونسية، مطبعة النجاح، تونس، 1927. ص 339 Roger Leonard: Op. Cit. p154

من أشجار النخيل، وفترة الجفاف في الفترة 1939-1947م الذي أدى إلى نفق الكثير من رؤوس الماشية. (1)

بالإضافة إلى عدم تواؤم النمو السكاني مقابل التطور الاقتصادي، فقد تطور عدد السكان إلى الضعف بين سنتي 1921-1945م، بينما زاد عدد النخيل بنسبة 50 %، مع عدم توفر الغذاء بصفة كافية (2)، فقد أخبرني إبراهيم قذع (3) أنهم يأتون من الريح إلى مدينة الوادي، لشراء الغذاء ومعهم 20 أو 30 فرنك (4)، فلا يجدون ما يشترون بها.

ومن بين الأسباب الاجتماعية وجود أقارب في البلد المزمع الهجرة إليه، بالإضافة إلى الإحساس بالمذلة والدونية أمام المعمرين، جراء الفقر والحاجة، الحالة التي أصبح يعيشها كثير من السكان الجزائريين المسلمين. (5)

ج- الدوافع العسكرية والسياسية:

كثير من المهاجرين كانت هجرتهم حتمية اقتضتها حالة البطش والتتكيل أو القوانين الجائرة، مثل الهروب من الخدمة العسكرية، التي أقرها قانون التجنيد الإجباري في الجزائر سنة 1912م (6)، وبالتالي فوجود المحتل وسياسته المبنية على الظلم والاضطهاد هي المحرك الأساس في هذا النوع من الهجرة. (7)

(1) علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال ... مرجع سابق. ص 290.

(2) عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية ... المرجع السابق. ص 36.

(3) جدي لأمي من مواليد عام 1918م.

(4) في ذلك الزمان كان هذا المبلغ كافيا لشراء المؤونة.

(5) تركي رابح: المرجع السابق، ص 30. هجرة الجزائريين إلى تونس بين تلبية... المرجع السابق.

(6) Jean Pigoreau: L'émigration dans l'Annexe d'El-oued "Manuscrit", 1955. p 03.

(7) عبد الحميد زوزو: المرجع السابق المرجع. ص 46.

L'annexe de l'El-oued: rapport sur le souf (Ethnographique... Op. Cit. p 01.

د - الدوافع الحضارية:

وهي تعبير عن رفض الواقع المفروض، وهرباً من سياسة المسخ والمحور، التي كانت أبرز محاور السياسة الاستعمارية في الجزائر، بتركيزه على الجانب الحضاري، ومحاولة منه إخباء روح المقاومة، التي تنطلق دائماً من خلال الدين "الجهاد"، والتمسك بالجزور "اللغة والتاريخ"، مما دفع بالجزائريين خاصة المهزومين أو الفارين، إلى اللجوء إلى المقاومة "السلبية"⁽¹⁾، وهي الهروب بالنفس والدين.

ويدخل ضمن هذا، الهجرة الدينية ذات الطابع الروحي، التي تشجع سكان وادي سوف للهجرة إلى بلاد المشرق والحجاز، انطلاقاً من تونس، خاصة لأداء فريضة الحج⁽²⁾، ومنها ما يتعلق بالتصوف، وزيارة شيوخ العلم⁽³⁾، فقد كان للطرق الصوفية دور كبير ومحرك أساسي للتواصل الذي يتحول أحياناً إلى هجرات.⁽⁴⁾

هـ - الدوافع التعليمية:

نظراً لمحدودية مراكز التعليم بوادي سوف، فقد كان طالب العلم عادة ما يحفظ القرآن في بلدته، وبعض المتون المتضمنة لمبادئ الدين والعربية -أن تيسر له ذلك-، فإذا أراد خوض غمار العلم والتبحر فيه، شذّ الرحال إلى موطنه، حيث يطفئ لظاه في زوايا الجنوب التونسي، التي تعد ملجأ له وملاداً، لصيتها عند السكان، ومن شاء أن يستتير أكثر ذهب إلى

(1) هجرة الجزائريين إلى تونس بين تلبية... المرجع السابق.

(2) Jean Pigoreau: op. cit. pp 03, 06.

(3) علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال ... مرجع سابق. ص 290.

(4) عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية ... المرجع السابق. ص ص 216-217.

الجامع الأعظم (1) "الزيتونة". (2)

ورغم صدور قانون "جول فيري" (Jules Ferry) بتاريخ 13 فبراير 1883م (3)، الذي يتيح لبعض أولاد الجزائريين الانخراط في التعليم الفرنسي، فقد لقي هذا القانون معارضة شديدة من طرف المعمرين، خشية ارتفاع مستوى الوعي للسكان المسلمين، ويجعلهم يطالبون بحقوقهم، إذا ما انتشر فيهم التعليم (4)، فإن أغلب أبناء الجزائريين لم ينخرطوا في التعليم الفرنسي، وفروا من مدارسهم، لأسباب أهمها خشية التنصير ومقاطعة للمستعمر... (5)

وبالإضافة إلى ما ذكر في التقرير من عوامل، نجد كذلك عامل لا يقل أهمية، وهو تميّز سكان وادي سوف بالحركية خاصة في المجال الاقتصادي، ومن حيوية السوافة ما تذكره بعض التقارير الفرنسية، بوجود أحدهم في الأرجنتين، يعتقد أنه من باعة العبيد الزوج. (6)

(1) **جامع الزيتونة**: من أقدم الجامعات العلمية الإسلامية، سمي كذلك لأنه بني في موضع كان مشجرا بالزيتاتين فقطعت كلها إلا زيتونة واحدة، بني على الأرجح سنة 79 هـ، تخرج منه عبر تاريخه علماء أفذاذ، وأساطين علم يشار لهم بالبنان، منهم مؤسس علم الاجتماع العلامة ابن خلدون، والفقهاء المفسر المحدث محمد بن عرفة، وصاحب التتوير والتحرير شيخ الإسلام محمد الطاهر ابن عاشور، وشيخ الجامع الأزهر محمد الأخضر بن حسين، والزعيم المصلح عبد العزيز الثعالبي، وشاعر الحرية أبو القاسم الشابي، ومن الجزائر الشيخ، ابن باديس والابراهيم والتبسي والحسين حمادي...

حسن حسني عبد الوهاب: **أثر تاريخي معاصر لجامع الزيتونة**، الزيتونية-مجلة شهرية تصدر عن جامع الزيتونة، مج4، ج06، 06 صفر 1360/مارس 1941. ص 20. لمنجي السعيداني: **جامع الزيتونة المعمور** منارة للعلم والمعرفة على مر العصور، الشرق الأوسط-جريدة العرب الدولية، العدد 10572. الخميس 08 نوفمبر 2007.

(2) علي غنابزية: **مجتمع وادي سوف من الاحتلال ... مرجع سابق**. ص 290 عبد الحميد زوزو: **المرجع السابق**. ص 47-51. Jean Pigoreau: Op. Cit. p 03

(3) موسى بن موسى: **التغلغل الاستعماري ... المرجع السابق**. ص 198 عبد الحميد زوزو: **المرجع السابق**. ص 48.

(4) عبد الحميد زوزو: **المرجع السابق**. ص 48. هجرة الجزائريين إلى تونس بين تلبية...المرجع السابق.

(5) عاشوري قمعون: **العلامة الموسوعي حمزة بوكوشة**، مطبعة سخري-الوادي، الجزائر، ط1، 2012/1433. ص 54. علي غنابزية: **مجتمع وادي سوف من الاحتلال ... مرجع سابق**. ص 290.

(6) L'annexe de l'El-oued: **rapport sur le souf (Ethnographique...** Op. Cit. p 01.

ولهذه العوامل اضطر كثير من أهل سوف للتنقل إلى خارج إقليمهم، فكانت هجرة نشيطة جدا، رغم محاولات الحكومة الفرنسية تعطيلها، والحد منها بالمراقبة والقوانين⁽¹⁾، وقد مست الهجرة مختلف مناطق وادي سوف، حيث عرفت موجات هجرة واسعة، نحو مناطق مختلفة، أوسع اتجاهاتها بلاد تونس، خاصة مناطقها الجنوبية المتاخمة.

2- اتجاهات هجرة أهل سوف:

إن حيوية السوافة التي يعرفها بهم القاصي والداني، وسرعة تأقلمهم مكنتهم من الانتشار في كثير من مناطق المعمورة، لكن أكثرها كانت هجرة فردية، مثل هجرة محمد الصالح ميسة إلى المغرب الأقصى⁽²⁾، لكن أغلب الهجرة الجماعية لسكان وادي سوف، إتجهوا داخل القطر الجزائري، أو يَمَمُوا شطر البلاد التونسية، خاصة جنوبها، وحاضرتها "مدينة تونس".⁽³⁾

(1) عمار هلال: "أصداء الهجرة الجزائرية نحو الشرق في بعض التقارير الرسمية الفرنسية"، مجلة الثقافة، العدد 88، الجزائر، يوليو-أغسطس 1985، ص 165.

(2) محمد الصالح ميسة: كان منخرطا بالجيش الفرنسي، حيث خدم فيه بالمغرب الأقصى، تحصل على رتبة ضابط أهلي، وظل هناك بالمغرب، حيث تولى إدارة مجلة "المغرب" التي كانت تصدر من الرباط بين سنتي (1932-1938م)، وتوصف بأنها مجلة تنقيفية عمرانية أدبية، وهي أول نشرة عربية مستقلة صدرت بالمغرب الأقصى.

ويعتبر محمد الصالح ميسة صاحب فكرة الاحتفال بذكرى الجلوس الملكي كعيد وطني، تحت إسم "عيد العرش"، حيث كان ميسة أدبيا وشاعرا وناقدا، واستطاع أن ينشر فكرته عبر جريدة "عمل الشعب" التي كان يكتب فيها باسم مستعار، وهذا منذ 18 جوان 1933م. وتم الاحتفال بهذا العيد لأول مرة يوم 18 نوفمبر 1933م، تاريخ جلوس محمد الخامس على العرش، خلفا لوالده السلطان المولى يوسف، وبعد وفاة محمد الخامس، اعتلى نجله الحسن الثاني عرش المملكة يوم 03 مارس 1961م، وهو التاريخ السنوي الجديد للاحتفال بعيد العرش، قبل أن يصبح يوم 30 جويلية في عهد الملك محمد السادس بن الحسن. أنظر: محمد الحسن الوزاني: مذكرات حياة وجهاد، الناشر مؤسسة محمد حسن الوزاني، طبع مؤسسة جود للطباعة والتصوير، بيروت-لبنان، ط1، 1404هـ/1984م. ج3 صص 468 وما بعدها وطارق بنهدا: ميسة.. وقصة أول عيد عرش في تاريخ المغرب، مجلة هسبريس "أول مجلة إلكترونية مغربية". تاريخ الاطلاع: 08 أكتوبر 2019،

23:10 <https://www.hespress.com/societe/59349.html>

(3) أنظر الملحق رقم 22، ص 315.

أ- الهجرة الداخلية:

وهي تنقل السكان من وادي سوف إلى مناطق أخرى داخل القطر الجزائري، أملا في تحقيق حياة أفضل، كهجرة الشباب الذي يعاني البطالة لإيجاد عمل، وهجرة الحرفيين للبحث عن أسواق أكثر استيعابا لمنتجاتهم مثل الخياطين والنساجين، كما نجد الأغنياء الذين يودون توظيف أموالهم، بشراء الواحات المسقية في وادي ريغ وتماسين، وورقلة والزيبان...

ويتضمن هذا الاتجاه مناطق متعددة لمختلف ربوع الجزائر، خصوصا الأقاليم المجاورة لوادي سوف، وهي مناطق وادي ريغ والزاب وورقلة⁽¹⁾، وهذا لسهولة تعامل السوفي في مجال النخيل إما مالكا أو أجيرا⁽²⁾، حيث النخلة هناك لا تتطلب كلفة كبيرة، بخلاف ما يمكن أن يستنفذه من جهد ومال، في ربوع سوف، ذات الكثبان الرملية الكثيفة.

كما كانت الهجرة للمناطق التالية بشمال الجزائر، تستقطب نسبة معتبرة من مهاجري وادي سوف⁽³⁾، خاصة في المواسم التي يصبح فيها الوضع الاقتصادي راكدا، فينعكس سلبا عن المداخل، مما يجعلها غير كافية لسد حاجيات السكان بالإقليم، فتكون الهجرة في هذه الأثناء في غالبها نحو المدن الداخلية الواقعة في نطاق عمالة قسنطينة، وقد أصبحت هذه الهجرة أكثر أهمية منذ 1930م⁽⁴⁾، والدليل عن تعاضدها، يكفي تناول عينة قدر تعدادها بـ 835 شخصا، طلبوا رخصا للذهاب إلى التل الجزائري، للبحث عن العمل من 01 جانفي 1938 إلى 31 مارس من نفس السنة من بين 1000 طلب.⁽⁵⁾

بن موسى موسى: المرجع السابق. 203، 207. C. L. Bataillon, Op. Cit. p 101. (1)

C. L. Bataillon, Op. Cit. p 103. Annexe d'El-oued: **Note sur l'habitat**, Op. Cit. p 03. (2) Jean Pigoreau: Op. Cit. p 07

(3) علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال ... مرجع سابق. ص 293. Millie, Op. Cit. p 23.

(4) أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء ... المرجع السابق. ج5، ص09.

(5) هجرة الجزائريين إلى تونس بين تلبية... المرجع السابق.

وجلّ الذين يقصدون المناطق التالية عمال وحرفيون، ويمارس قسم منهم تجارة المواد الغذائية والقماش⁽¹⁾، وعندما لا يكون لديهم مالا كافيا ومعرفة بهذه المناطق التي وفدوا إليها، فهم يلجؤون إلى مهنة العتالة، حيث يشكل عمال وادي سوف في الموانئ الأغلبية خاصة في عنابة وسكيكدة⁽²⁾، ومن هذه الهجرات ما كانت لطلب العلم ولو بشكل محدود لقسنطينة⁽³⁾، أو للتدريس، مثل التعليم بمدارس جمعية العلماء، ومنهم الشيخ عبد القادر الياجوري⁽⁴⁾ والشيخ علي بن سعد⁽⁵⁾ والشيخان الأخوان لقرع "الضيف والطيب"، أو الهجرة المفروضة مثل إبعاد إبراهيم بن عامر عن الوادي ومحمد الطاهر التليلي.⁽⁶⁾

(1) Millie, Op. Cit. p 23 Régence de Tunis: **Dénombrements (1921-1926)...** P 100.

محمد الساسي معامير: المصدر السابق. ص 337.

(2) مقابلات متعددة مع محمد الصالح قدح المدعو "القانون"، والتجاني ديدو المدعو "مخاد"، وقد عملا سويا لسنتين في ميناء عنابة، ومنجم الوانزة. تمت اللقاءات في تسعينيات القرن 20م، وبدايات القرن 21م. ومحمد الساسي معامير: المصدر السابق، ص 337. Millie, Op. Cit. p 23

(3) Jean Pigoreau: **L'émigration....** Op. Cit. p13.

(4) الشيخ عبد القادر الياجوري: ولد عام 1912 بقمار، كان والده فلاحا لكنه حرص على تعليمه فحفظ القرآن الكريم، ثم واصل تعليمه بالزيتونة بين "1925-1934"، تخرج منها بشهادة التطويع، عمل بمدرسة الشيخ عبد العزيز الشريف بمنطقة عميش، حيث سجن رففته على خلفية أحداث "هدة عميش" 1938 بسجن الكدية بقسنطينة، أثناء الثورة كان يرأس لجنة قضائية تابعة للثورة، فاعتقل يوم 1956/03/29، ليخرج من السجن بعد الاستقلال، كن كثير التنقل، دائم الترحال، وقد قال عن نفسه: "لقد خطبت فوق 40 منبرا، ودخلت 13 سجنا، ولم أشارك عائلتي 30 عيدا"، توفي بوهران يوم 1991/08/12م. بن موسى: الحركة الإصلاحية بوادي سوف، مجلة الشهاب الجديد، ع01، أبريل 2006. ص10. علي غنابزية: الشيخ عبد القادر الياجوري-المصلح المجاهد، جريدة النبا، ع222، 25ديسمبر-01أكتوبر 1995.

(5) الشيخ علي بن سعد 1908-1974: علي بن سعد الملقب خرن، ولد ونشأ بقمار، ثم رحل إلى جامع الزيتونة بين "1927-1934" حيث تخرج بشهادة التطويع، درّس بمدارس جمعية العلماء في عدة مدن، أسس جريدة الليالي وطالب فيها بالاستقلال، فاتهمته السلطات الفرنسية بالجنون، كما درّس بمدرسة عميش التي أسسها الشيخ عبد العزيز الشريف، وعلى إثر أحداث منطقة عميش في أبريل 1938 اعتقل، وزجّ به في سجن الكدية بقسنطينة مع رفاقه من المدرسين، حيث مكث بالسجن ثلاث سنوات ونصف السنة. عمار عوادي: كتابات ووثائق من تاريخ وادي سوف، دار هومة، الجزائر، 2011. ص 134-135. علي غنابزية: دراسات في تاريخ... المرجع السابق. ص 70 موسى بن موسى: إرهابات الحركة الإصلاحية بوادي سوف، المرجع السابق. ص 70

(6) موسى بن موسى: التغلغل... المرجع السابق. ص ص 204-205، 208.

أما مواقع الهجرة فكانت عادة تبعا للقرية والمنطقة، فساكن قمار يتجهون نحو عنابة وسوق أهراس، وساكن كوينين نحو خنشلة وبسكرة وقسنطينة، وساكن البهيمية نحو المسيلة وبرج بوعريريج، وساكن تغزوت نحو تقرت وباتنة، أما ساكن عميش خاصة المنتمين لفرقة المصاعبة فيشكلون ثلثي مهاجري وادي سوف في مدينة الوزنة المنجمية ⁽¹⁾، فكل تركز صغير بالمهجر يجمع عناصر سكانية متجانسة.

غير أن الملاحظ أن الهجرة إلى وادي ريغ خلال جني التمر، ومناطق زراعة الحبوب مثل تبسة وبير العائر وخنشلة وقت الحصاد، عادة ما تكون هجرة موسمية مؤقتة، كأجراء ولجلب الميرة، وهذا لم يمنع من وجود هجرة عائلات سوفية بصورة دائمة لهذه المناطق. ⁽²⁾

ب- الهجرة الخارجية عدا تونس:

الهجرة إلى المشرق العربي:

الهجرة إلى المشرق العربي قديمة جدا، وأبرزها الهجرة الدينية، تلقاء البقاع المقدسة وهي رحلة الحج الموسمية، التي قد تقتزن برحلات لطلب العلم للأزهر الشريف وبلاد الشام، حيث المراكز العلمية العريقة. ⁽³⁾

أما بلدان المشرق الأكثر استقطابا لهجرة ساكن وادي سوف، فقد كانت مصر وبلاد الحجاز، وقد ازدادت الهجرة صوب البقاع المقدسة قبيل الحرب العالمية الثانية ⁽⁴⁾، حيث تعد اتجاهها جديدا للهجرة ⁽⁵⁾، وقد عثر على وثائق رسمية تؤكد الهجرة إلى المشرق، منها هجرة

(1) هجرة الجزائريين إلى تونس بين تلبية... المرجع السابق.

(2) أندري فوازان: المرجع السابق. ص ص 129-132.

(3) هجرة الجزائريين إلى تونس بين تلبية... المرجع السابق.

(4) Jean Pigoreau: Op. Cit. p 06. علي غنازية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال... مرجع سابق. ص 294

(5) وهذا من خلال عدد المهاجرين المتزايد، حيث لوحظ هجرة أسر عديدة دفعة واحدة، غالبا ما تكون من تونس أو طرابلس الغرب بشكل غير شرعي، وبتصريحات نحو تونس، دون الإفصاح عن المناطق المهاجر إليها حقيقة، وهم بذلك يحاولون التهرب من إدارة الاحتلال ومساءلاتها. هجرة الجزائريين إلى تونس بين تلبية... المرجع السابق.

15 رجلا مشيا على الأقدام إلى بيت المقدس مروراً بقفصة والإسكندرية، سنة 1908م.⁽¹⁾ والجدير بالذكر أن كثير من الهجرات للمشرق العربي تصبح دائمة، لما تتمتع به بعض من مناطقه -مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف- من قداسة تبعث في النفوس راحة وطمأنينة، فيحبذ المهاجر الاستقرار بها، وهناك وجود معتبر لجالية وادي سوف في مكة، وأكثرهم من مدينة قمار، أما المدينة المنورة فاستقر بها مهاجري الضواحي الأخرى خصوصاً من حاضرة الوادي.⁽²⁾

ومن أمثلة هجرات طلبة العلم إلى المشرق العربي، هجرة الطالب "محمد العربي ستو" المولود بوادي سوف خلال 1870م، هاجر إلى مصر حوالي 1908م⁽³⁾، حيث اشتغل مؤدياً للصبيان بالجامع الأزهر، ثم ما لبث أن زاول دراسته به سنة 1916م⁽⁴⁾، وقد ثبت اسمه في قائمة الطلبة الجزائريين بالأزهر في ذات السنة، تحت اسم محمد العربي السوفي، واحتل الرتبة الرابعة بين المصنفين في هذه القائمة.⁽⁵⁾

ولم ينحصر دور هؤلاء الطلبة في التلقي فقط، بل كان لديهم دور فاعل في نشر العلم، والقيام بجهود في الإصلاح، مثل الشيخ عمار بن الأزعر الذي هرب من السياسة الاستعمارية، فاستقر بالمدينة المنورة سنة 1354هـ/1935م، حيث يقول عن نفسه: [...] سنة 1353هـ وجدت أنا ومن هاجر معي من التلاميذ، من جلالة الملك المعظم إمام المسلمين الملك عبد

(1) عمار هلال: "الهجرة الجزائرية نحو الولايات العثمانية في المشرق العربي (1898-1915)", "مجلة الثقافة، العدد 84، الجزائر، نوفمبر- ديسمبر 1984. ص ص 98-99.

(2) موسى بن موسى: المرجع السابق. ص 210. هجرة الجزائريين إلى تونس بين تلبية... المرجع السابق.

(3) موسى بن موسى: التغلغل الاستعماري... المرجع السابق. ص 209.

(4) عمار هلال: الطلبة الجزائريين في الأزهر عام 1916، مجلة الثقافة، ع 74، الجزائر، يناير- فبراير 1984. ص 146.

(5) موسى بن موسى: التغلغل الاستعماري... المرجع السابق. ص 209.

العزير آل سعود...، كل مساعدة وإكرام إلى أن وصلنا المدينة المنورة...⁽¹⁾، والجدير بالذكر أن الشيخ ذكر أن هجرته كانت جماعية، بمعية مجموعة من التلاميذ، ثم يقول: [...] دخلت مدرسا في مدرسة العلوم الشرعية، ثم حصلت على وظيفة التدريس في المسجد النبوي، ثم انتقلت إلى مدرسة العلوم الشرعية، وإلى مدرسة الحديث...⁽²⁾.

الهجرة نحو فرنسا:

كان هذا الاتجاه من الهجرة غير مرغوب فيه، حيث كانت الهجرة إليه قسرية، من خلال التجنيد الاجباري بالقانون الصادر عام 1912م، والتأكيد عليه بمرسوم عام 1917م، أو السجن والنفي، لأن فرنسا البلد المحتل، كما أنها بلاد الكفر، ومع احتشامها لم يمنع ذلك من هجرة أفراد⁽³⁾، ممن تقطعت بهم السبل، لكنها بدأت في الانتعاش بعد الحرب العالمية الثانية، وهي هجرة وقتية نادرا ما تكون نهائية⁽⁴⁾، ومع انتعاشها النسبي بقيت قليلة وقت الاحتلال، بخلاف السكان الجزائريين بالشمال، الذين يفضلون الهجرة إلى فرنسا⁽⁵⁾، ومن أهم من هاجر إليها من مناطق سوف، العمال من الوادي وعميش، سعيا وراء لقمة العيش⁽⁶⁾، لكنها بقيت جهة أقل جذبا من المناطق الداخلية كبسكرة وقسنطينة، ومن تونس.

(1) محمد سعيد الدفتردار: من أعلام المدينة المنورة (صاحب الفضيلة العلامة المحدث السلفي الشيخ عمار بن عبد الله بن الطاهر بن أحمد الهلالي الجزائري المدرس بالمسجد النبوي الشريف عليه رحمة الله)، مجلة المنهل، ج08، السنة 35، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، شعبان 1389هـ/أكتوبر 1966. ص ص 1105-1106.

(2) الشيخ محمد الطاهر التليلي: من تاريخ وادي سوف، ص 86.

(3) L'annexe de l'El-oued: **le souf**, Op. Cit. p 01.

(4) Roger Leonard: Op. Cit. p 154.

(5) الملاحظ أن هناك هجرة واسعة للعمال الجزائريين إلى فرنسا سنة 1912م، إذ بلغ عددهم أكثر من 4000 عاملا، ليرتفع العدد سنة 1923 إلى 71028 عاملا. عبد الحميد زوزو: هجرة الجزائريين... ص ص 13، 18. Roger Leonard: Op. Cit. p 210

(6) Jean Pigoreau: Op. Cit. p 105 C. L. Bataillon, Op. Cit. علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال ... مرجع سابق. ص 294.

ج- الهجرة إلى تونس خاصة مناطق الجنوب:

إن تنقل السكان بين المناطق المتاخمة، بحكم الجوار الجغرافي، والامتداد المكاني لهو أمر طبيعي، وهو ما كان بين منطقة وادي سوف والجنوب التونسي، من هجرات يمكن إرجاعها إلى وجود الإنسان نفسه في هذه البقاع، وليست ظاهرة عابرة، أو وليدة ظروف حادثة، وفي زمن دراستنا كانت هذه الهجرة نشطة للغاية ⁽¹⁾، ومما لا جدال فيه، أن أبرز العوامل المساعدة على هذه الحركة -زيادة على الوضع الجغرافي- هو ضعف مراقبة الحدود، نتيجة الطابع الصحراوي الصعب وشساعة المساحة. ⁽²⁾

والذي يؤكد قدم هذه الهجرة، ما ورد في المصادر الإباضية، حيث لا تخلو من ذكر سوف، لمن تعرض لتنقل الشيوخ وطلاب العلم، كما أن بلدة قبلي كانت مكانا لاستراحة حجاج المغاربة قبل استئنافهم الرحلة نحو البقاع المقدسة، ومنهم سكان منطقة وادي سوف. ⁽³⁾

أما ما ذهب إليه بعضهم من أن تشابه النظام السياسي في المنطقتين بحكم سيطرة الاستعمار الفرنسي على المنطقتين، هو ما أدى إلى كثافة هذه الهجرة، فنراها نظرة تحتاج إلى تمحيص، إذ أن الاحتلال يمقت التقارب بين من هم تحت سيطرته حتى أبناء العرش الواحد، فما بالك بأعراس مختلف والقطر، بالإضافة إلى اختلاف النظام السياسي في حد ذاته، فإذا

(1) عبد الكريم الماجري: السوافة بالبلاد التونسية من خلال المصادر الأرشيفية-الأهمية العددية وإسهاماتهم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية (1860-1960)، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التوصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس 11/10 نوفمبر 2013، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر. وكذلك: أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء ... المرجع السابق. ج5، ص9.

(2) Jean Pigoreau: Op. Cit. p 03.

(3) أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر: المصدر السابق. ص ص 244، 249... وغيرها. المرصد التونسي: تقرير حول منطقة قبلي... المرجع السابق.

كانت الجزائر تعاني من أبشع أنواع الاحتلال، ألا وهو الاحتلال الاستيطاني⁽¹⁾، فإن تونس كانت ترح تحت الحماية⁽²⁾ الفرنسية، وإن كان احتلالا إلا أنه أخف وطأة.

وما يؤيد ما ذهبنا إليه أن فرنسا حاولت عرقلة الحركة بين الشعبين الجارين التونسي والجزائري، ومراقبة الحدود للتحكم في حركة السكان، من خلال سن القوانين والقرارات لتقييد ومراقبة هذا التواصل عن كثب، ومنها قرارها الصادر يوم 07 فيفري 1898م⁽³⁾، لأن هذه الهجرة كانت نشطة على الدوام، لكن الذي زاد من نشاطها، احتلال سوف وهروب السوافة من سيطرة "الرومي"، إضافة إلى رفض السكان للحدود المصطنعة.⁽⁴⁾

وأقدم إحصاء رسمي موجود يؤرخ لهذه الهجرات يعود لسنة 1860م، وهو دفتر جبائي يحصي سكان بلاد الجريد المطالبين بدفع ضريبة الإعانة⁽⁵⁾، وقد وردت في الدفتر أسماء السوافة القاطنين ببلاد الجريد، باعتبارهم معنيين بدفع هذه الضريبة، وكان عددهم آنذاك بمدينة توزر 185 نسمة، وهو ما يشكل حوالي 30 % من جملة النزلاء البالغ عددهم 613 نسمة،

(1) الاحتلال الاستيطاني: هو الاستيلاء على الأرض، واقتلاع سكانها من أراضيهم وديارهم، بالإبادة أو التهجير، فهو يسعى لتحويل البلاد التي احتلها إلى "أرض بلا شعب" ليجعلها خالصة له من دون أهلها، مثل ما فعل الاستعمار الأوربي في أمريكا، بإبادة الهنود الحمر، وفعلت فرنسا في الجزائر، ويفعل الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة.

(2) نظام الحماية: هو شكل من أشكال الإستعمار، حيث يعتمد المستعمر إلى احتلال البلاد، مع إبقاء نظام الحكم فيها، ويتحكم في المستعمرة من خلال أهلها، بوضع إدارة موازية للإدارة المحلية لتوجيهها حسب رغبته، مثل الحماية البريطانية على مصر وبلدان الخليج، والحماية الفرنسية على تونس والمغرب...

(3) عثمان زقب: نماذج من سياسة التقييد والرقابة للإدارة الاستعمارية على التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1881-1954 (وادي سوف أنموذجا)، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التواصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس 11/10 نوفمبر 2013، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر. حسان الجيلاني: المرجع السابق. ج1، ص 37.

(4) علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال ... مرجع سابق. ص 292.

(5) ضريبة الإعانة: وتسمى كذلك ضريبة "المجبي"، وهي ضريبة تفرض على الأشخاص، يدفعها الشخص على نفسه وعلى من يعولهم، وفي سنة 1867م تمت مضاعفتها عام من 36 إلى 72 ريال، فكان ذلك سببا مباشرا في اندلاع ثورة على بن غدام، التي زعزت الحكم الحسيني بتونس.

وبعد صدور الإذن باستخلاص الإعانة في 1862م تم طرح سكان البرانية بتوزر، فقد أصبحوا يؤدون هذه الضريبة لشيخ العرش الأصلي، أما النزلاء من أهل سوف فقد تم طرحهم أو إعفاؤهم من هذا الأمر نتيجة لوضعيتهم، كما أن معظمهم من الذكور، أي عمالة وافدة دون عائلات، وقد بقي عددهم 185 من الرجال. (1)

وفي سنة 1868م تورد الإحصاءات الرسمية أن تعداد السوافة في مدينة تونس ما بين 1500 و 2000 نسمة، ويعتبر هذا الرقم مرتفعا في تلك الفترة، بالنظر لتعداد السكان بسوف، الذي كان يقدر سنة 1887م في حدود 21018 نسمة. (2)

وفي بداية القرن 20م زادت الهجرة الجماعية للجزائريين نحو تونس، بسبب الفقر والمجاعات خاصة أثناء وعقب الحرب العالمية الأولى، إذ هاجرت العديد من الأسر والعائلات نحو تونس بشتى ربوعها بما فيها منطقة الجنوب، وهذه الهجرات وإن كانت من عموم مناطق الجزائر، فهي من وادي سوف أشد (3)، وكان المهاجرون من سوف يفوقون أغلب الجاليات الجزائرية عددا، الجدول أدناه يبرز هذا التفوق في مدينة تونس كمثال:

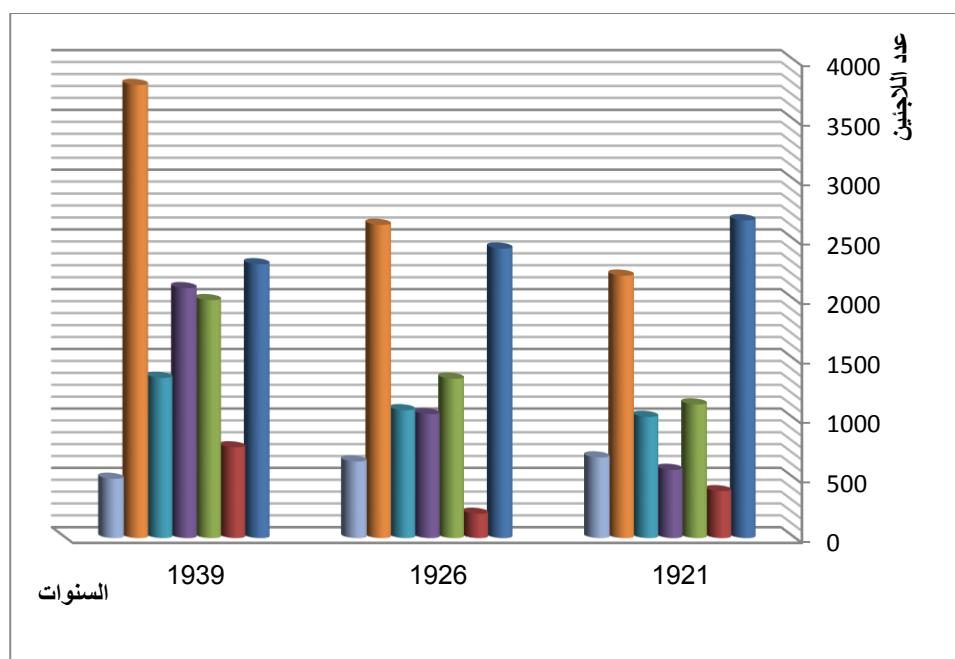
(1) عبد الكريم الماجري: المرجع السابق.

(2) Jamel Haggui: **les Algériens du sud dans la ville de Tunis pendent l'époque colonial 1881-1956 "Mozabite, Soufis, Ouarglias"**, mémoire de D. E. A., Université de manouba, Année Universitaire 2003-2004. pp 17-19.

(3) يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار الهدي عين مليلة، الجزائر، 2004. ج2، ص203
جمعة بن زروال: "هجرة زعماء الطرق الصوفية التونسية نحو الجزائر ونشاطهم السياسي والديني الشيخ سيدي علي نفطي والحاج محمد لخضر السهيلي أنموذجا، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التوصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس 11/10 نوفمبر 2013، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر. C. Bataillions: Op. Cit. p 102.

السنة الجالية	1921	1926	1939
سواقة	2668	2431	2300
ميزابية	395	205	765
وراقلة	1127	1343	2000
تواتية	575	1044	2100
عاصميون	1022	1078	1350
قسنطينيون	2205	2630	3800
وهارنة	680	646	500

جدول يبين تطور الجالية الجزائرية بمدينة تونس في الفترة (1921-1938).⁽¹⁾



أعمدة بيانية تبرز تطور الجالية الجزائرية بمدينة تونس في الفترة (1921-1938).

(1) Régence de Tunis: **Protectorat Français**, Girection de l'Intérieur, dénombrement de la population civile Tunisien le 20 avril 1926, Imprimé 1926, Tunis. P 100.

G. Marty: **Les Algériens à Tunis**, Revue I.B.L.A, N° 43 et 44, Tunis, 11ème année, 3ème et 4ème trimestres, 1948. P 302.

من خلال الأعمدة البيانية يتبين بوضوح الأغلبية العددية للجالية من وادي سوف، على أغلب الجاليات الجزائرية، إلا ما كان من القسنطينيون، بحكم قربهم من العاصمة تونس، وقوة ارتيادهم لجامع الزيتونة المعمور.

وحسب الإحصائيات التي قامت بها السلطات التونسية قبل انتصاب الحماية الفرنسية والسلطات الإستعمارية قبل عام 1921، يتبين وجود ثلاث مناطق رئيسة لتمرکز أهل سوف بتونس، وهي بلاد الجريد، ومنطقة الحوض المنجمي⁽¹⁾ بقفصة، والحاضرة تونس⁽²⁾، ولا ننسى منطقة نفزاوة التي تعتبر أكثر المناطق شبها بسوف⁽³⁾، وعلى الرغم من التشابه بين سوف ومناطق الجنوب، إلا أنها تقارب التطابق مع منطقة دوز.

و- المهاجرون السوافة بالجنوب التونسي:

في فترة الدراسة 1881-1962م كان بتونس كثير من المهاجرين من سوف بالبلاد التونسية عموما، وبجنوبها على الخصوص، وأغلبهم بالجنوب الغربي، حيث بلاد الجريد ومناجم الفوسفات، ومنطقة نفزاوة، أما باقي مناطق الجنوب فتكاد تخلو منهم، وربما يعود هذا الى السبب الاقتصادي، ثم السبب الجغرافي وهو القرب والبعد، أما وجود الكثير من أهل سوف بمدينة تونس رغم بعدها، فيرجع هذا إلى أنها قاعدة البلاد، ومعروف أن العواصم جاذبة.

(1) الحوض المنجمي: منطقة المناجم التونسية لاستخراج الفوسفات، وتقع بالجنوب الغربي، أهم بلداتها: قفصة، الرديف، المتلوي، أم العرايس، المظيلة.

عبد الكريم الماجري: المرجع السابق. L'administrateur "annexe d'El-oued", Op. Cit. p 30. (2)

(3) كانت لي زيارات متعددة لمناطق الجنوب التونسي، ومنها بلدة "دوز" بنفزاوة، حيث استضافتني عائلة "علي بلطيف".

الهجرة إلى الحوض المنجمي:

وأما منطقة الحوض المنجمي فقد ارتبطت بالإستغلال الرأسمالي لثروة الفوسفات لمحمية تونس، حيث اعتمدت شركة فوسفات قفصة ⁽¹⁾ على اليد العاملة الأجنبية، فبعد اكتشاف الفوسفات بمنطقة قفصة عام 1884م، شرعت فرنسا في التهيئة لاستغلاله، وفسحت المجال أمام الشركات الاستعمارية الاحتكارية لهذه العملية، واستولت على أراضي واسعة تابعة للمواطنين بدعوى أنها ملكية تابعة للدولة، الأمر الذي أدى إلى تذمر كبير بين السكان، وجعلهم يتمسكون بما بقي لهم من الأراضي لمزاولة نشاطهم الزراعي والرعوي، ووصل التذمر إلى الإعراض عن العمل تحت سلطة المحتل، مما جعلها تبحث عن أيدي عاملة من خارج منطقة المناجم، من أوروبيين وجزائريين ومغاربة وليبيين وتونسيين، ويرى الأستاذ الماجري أن التنوع في اليد العاملة كانت له أهداف أخرى، منها توفير يد عاملة متخصصة، وحاجة المناجم لأعداد كبيرة فاقت أحيانا سبعة آلاف عامل، وعدم حصر العمال في جنسية واحدة، حتى لا تكون منسجمة فتشكل نوع من الوحدة والقيام بإضرابات واضطرابات. ⁽²⁾

ومع بداية نشاط استخراج الفوسفات بمنجم الرديف، كان أساس عماله أجنبى وأبرزهم من أهل سوف، الذين يتقدمون على كل العمال ⁽³⁾، ولكثرة توافد العمال السوافة على مناجم الفوسفات، فقد سجلتها الذاكرة الشعبية فعام 1923 سمي عام الذهبية، وعام 1924 عرف

(1) شركة فوسفات قفصة CPG: بعد اكتشاف الفوسفات بـجبال تمغزة وقفصة التونسية، على يد البيطري الفرنسي فيليب توماس Philippe Thomas يوم 18/04/1885م، بادرت سلطات الاحتلال الفرنسية بإنشاء شركة لإستغلاله، حيث بدأت باستغلال منجم المتلوي عام 1897م، ثم منجم الرديف عام 1909م، وبعدها منجم أم العرايس عام 1919م، ويعد إنتاج الفوسفات من ركائز الاقتصاد التونسي، إذ تحتل تونس المرتبة الثالثة عالميا في تصديره. مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، مؤسسة هانيد، لبنان. ج7/ص86. عاشوري قمعون: الشيخان... مرجع سابق. 101

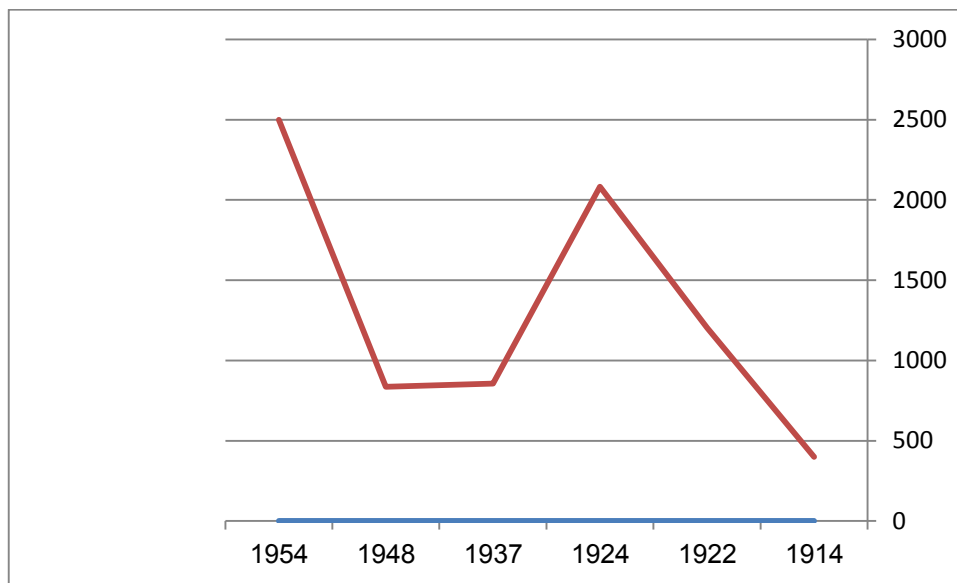
(2) عبد الكريم الماجري: المرجع السابق.

(3) المرجع نفسه.

بعام المتلوي (1)، وقد كان العمال من سوف يشكلون ربع العمالة في مناجم الفوسفات بمراكزها الخمسة "قفصة، الرديف، المتلوي، أم العرايس، المظيلة"، وأغلبية منجم المظيلة، وبقيت هذه المناجم من أهم مناطق استقرارهم: (2)

السنوات	1914	1922	1924	1937	1948	1954
عدد العمال	400	1204	2083	856	837	2500

جدول يبين تعداد العمال السوافة بمناجم الفوسفات في تونس بين 1914-1954م: (3)



منحنى بياني يوضح تعداد العمال السوافة بمناجم الفوسفات في تونس في الفترة (1914-1954)

الملاحظ من خلال المنحنى البياني أن اليد العاملة السوفية في مناجم الفوسفات، سجلت تزايداً مستمراً بين سنتي 1914-1924م، نظراً للحاجة المتزايدة لليد العاملة، ثم بدأ عدد

(1) عبد القادر ميهي: برنامج السكة الحديدية بالجنوب، مجلة القباب-دار الثقافة بالوادي-الجزائر، ع8، ديسمبر 2014. ص19

Note sur la calendrier coutumier: Op. Cit. p 01.

(2) عبد الكريم الماجري: المرجع السابق. علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال ... مرجع سابق. ص 290 هجرة الجزائريين إلى تونس بين تلبية... المرجع السابق.

(3) علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال ... مرجع سابق. ص 290. حسان الجيلاني: المرجع السابق. ج1، ص 33. هجرة الجزائريين إلى تونس بين تلبية... المرجع السابق.

السوافة في المناجم يتناقص بقوة إلى سنة 1937م حيث بلغ 856 عاملا، ويعود ذلك إلى الأزمة العالمية، التي ضربت العالم وبدأت إرهاباتها منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، ثم بلغت الأوج عام 1928م، فتراجعت مبيعات منتجات شركة الفوسفات، وخاصة سنة 1930م⁽¹⁾، حيث عانت الشركة من تقلص أسواقها، وما كادت الأزمة الاقتصادية تتجلى، حتى بدأت بوادر الحرب العالمية الثانية، ثم اندلعت في سنواتها الست، العجاف على المستوى الاقتصادي، ولما سكن العالم بعدها بدأت الحياة الاقتصادية تستعيد ألقها، فانعكس هذا تحسن شركة الفوسفات صفاقس-قفصة، على وازداد عدد العمال من أهل سوف في مناجم الفوسفات مجددا.

الهجرة إلى بلاد الجريد ونفزاوة:

وإذا كانت مناجم الفوسفات قد استقطبت عددا كبيرا من المهاجرين السوافة، فإن هذا لا يعني عدم وجودهم في مناطق أخرى من الجنوب التونسي، استحوذت على اهتمامهم، فقد وجد عدد منهم بمناطق من بلاد الجريد ونفزاوة، خاصة توزر وقبلي، ودوز التي استوطنتها عدة عائلات سوفية، تفوق 100 عائلة، منهم: الصبايعة، المعاشة، شاقوري، غزال، الغرايسة، الغدايرة...⁽²⁾ فأما الهجرة لمنطقة الجريد ونفزاوة فبحكم القرب الجغرافي، وخبرة أهل سوف في خدمة النخيل الذي يعتبر الركيزة الأولى في إقتصاد المنطقتين⁽³⁾، ومن السوافة من كان موسرا فأبتدع هناك بستانا أو غوطا أو اشتراه، ومنهم عائلة الصبايعة التي كانت لها أملاك في دوز،

(1) Dougui noureddine: **Monographie d'une grande entreprise colonial "La compagnie des phosphates et du chemin de fer de Gafsa (1897-1930)"**, Thèse de doctorat, Faculté des Sciences Humaines et Sociales de Tunis, 1991. pp 397-402.

(2) علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال ... مرجع سابق. ص 292. لقاء مع الحاج قدورة والحاجة مبروكة الودانية بدوز في جانفي 2017. لقاء مع غدير إبراهيم نورة: بالوكالة العقارية المحلية بالبياضة، حوالي 2004. "حيث تربت أمها الزاوية غدير أحمد ببلدة دوز".

(3) عبد الكريم الماجري: المرجع السابق.

وأما الرعاة من كلا الجانبين فكانت عندهم المراعي سيان في المنطقتين، يتحركون فيها بحيواناتهم كيفما شاؤوا دون قيود. (1)

الهجرة إلى العاصمة تونس:

والإتجاه إلى مدينة تونس فمرده إلى أهمية المدينة باعتبارها قاعدة البلاد وحاضرتها، وكذلك وجود جامع الزيتونة، المعلم العلمي الذي يستقطب طلاب العلم (2)، قصد مواصلة تعليمهم، بالإضافة إلى الطبقة الوسطى والدنيا وتتضمن العمال والتجار الصغار. (3)

ويمكننا القول بأن اختلاف اتجاه المهاجرين كان حسب نمط معيشتهم، فأكثر سكان الحضر كانت وجهتهم الحوض المنجمي، والمدن خاصة مدينة توزر، أما أغلب البدو فكان مكانهم المفضل هو المراعي والبادي خاصة منطقة نفزاوة. (4)

3- هجرة أهل الجنوب التونسي لوادي سوف:

وبخصوص هجرة سكان الجنوب التونسي نحو وادي سوف، فهي قليلة جدا مقارنة مع هجرة السوافة إلى تونس، ولا تكاد تذكر، وأكثر هجرة أهل الجنوب التونسي كانت نحو المناطق الشمالية لتونس، وأهم منطقة استقطبتهم هي الحاضرة تونس مثل السوافة، وقلة هجرتهم نحو سوف يعود إلى جملة من الأسباب أهمها:

- الوضع السياسي السائدة في تونس، فقد كانت مستقلة قبل سنة 1881م، ثم خضعت للاحتلال الفرنسي بصفة الحماية، وهو أقل حدة من الاحتلال الاستيطاني الموجود في الجزائر منذ 1830م، والذي أدى إلى هجرة الآلاف من الأهالي الجزائريين خارج ديارهم.

(1) حسان الجبلاني: المرجع السابق. ج1، ص 18.

(2) عبد الكريم الماجري: المرجع السابق. عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية... المرجع السابق. ص 201-202.

(3) عثمان زقب: نماذج من سياسة ... المرجع السابق.

(4) المرجع نفسه.

- قلة الموارد بسوف، ولا مطمع فيها للظفر بعمل، يساعد على تحسين ظروف المعيشة
 - افتقار منطقة وادي سوف إلى مراكز علمية، يمكن أن يلجأ إليها الشغوفين بالعلم
 - عدم وجود العائلات السابقة، خاصة من ذوي القرابة لتشجعهم على القدوم.
 - سبب أمني، وهو الهروب من مشاكل سياسية أو الحروب أو الخصومات، فقد كانت الجزائر تعاني من التضيق والرقابة والمشاكل السياسية أكثر من وجودها في تونس.
- ومع ذلك فقد انتقلت بعض العائلات، من الجنوب التونسي نحو وادي سوف، منها ما كانت هجرتها دائمة، وأشهر هذه العائلات عائلة الشريف أصحاب الطريقة القادرية⁽¹⁾، كما يخبرنا صاحب الصروف عن عائلات قدمت إلى سوف من مناطق الجنوب التونسي، ومنها من أتى في زمن متأخر جدا، ومن هذه العائلات: أولاد لعويني من دوز، أولاد الميداني من نفطة، أولاد الدراجي وأولاد دبش والسوامش من نفزاوة، الشراردة قدموا متأخرين من توزر، أولاد العمودي والرضوين والشرابطة همامة من قفصة، الزرابطة والزكايرة من تامزرت، الصوالح من غريب...⁽²⁾، والكثير من سكان منطقة قمار أصلهم من تونس خاصة من منطقة الجريد التونسي، ويورد المؤرخ أبو القاسم سعد الله والعلامة محمد الطاهر التليلي أن أصول عائلتهما من مدينة قفصة التونسية.⁽³⁾

(1) سنتناول الحديث حول هذه العائلة في فصل الطرق الصوفية - الطريقة القادرية.

(2) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. صص 282، 283، 286، 291، 294، 297، 298، 326، 330... والملاحظ هو تنوع المناطق التي قدمت منها هذه العائلات، حيث تمس أغلب مناطق الجنوب التونسي، وكذلك توزعهم على أغلب قبائل سوف وأكثر مناطقها.

(3) عائلة التليلي: أصول هذه العائلة من أولاد تليل بفريانة قرب قفصة، انحدر منهم إلى سوف العالم الفقيه أحمد التليلي، كان نسخا وهو مذكور في رحلة الورتلاني لأنه حج معه في القرن 18/12، وقد جاء بأمر من الباي علي باشا بن محمد بن علي إلى سوف معلما وقاضيا سنة 1169 هـ، وتولى ابنه قاسم قضاء قمار وتاغزوت. الطاهر التليلي: هذه حياتي. ص 08 أبو القاسم سعد الله: خارج السرب... المرجع السابق. ص 155.

ومن هذه الهجرات ما كانت إضطرابية مؤقتة، مثل التي قامت بها حوالي 500 أسرة من قبيلة الهمامة عام 1851م⁽¹⁾، الذين التجؤوا من نفطة إلى وادي سوف، هروبا من بطش جند الباي إدريس، حيث استقبلهم أهل سوف بالعطف والمواساة، إلى أوبتهم إلى بلادهم، بشفاعة قنصل فرنسا لدى الباي⁽²⁾، أضف إلى ذلك الهجرات الفردية، ففي إحصاء سكان وادي سوف الذي قامت به إدارة الاحتلال الفرنسي في 07 مارس 1926، سجل وجود 34 نسمة من القطر التونسي...⁽³⁾

4- الوضع الاجتماعي للمهاجرين السوافة بالجنوب التونسي:

كثير من أهل سوف يعيشون جزءا مهما من حياتهم بأرض تونس⁽⁴⁾، وغالبا ما يكون هذا الجزء هو زهرة حياتهم، حيث يمثل ريعان الشباب، ومن المهاجرين السوافة بتونس من يمكثون مدة ستة أشهر، ويقضون الستة أشهر الباقية من السنة بسوف⁽⁵⁾، ومنهم من يبقى أغلب السنة بتونس ولا يعود لأرض الوطن سوى في شهري نوفمبر وديسمبر لأجل جني محصول التمور⁽⁶⁾، أو في العطل لطلبة العلم.⁽⁷⁾

(1) أندري فوازان: المرجع السابق. ص 101.

(2) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 255.

(3) عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية ... المرجع السابق. ص 138.

(4) Annexe d'El-oued: Op. Cit. p01.

(5) J. Haggui: Op. Cit. pp 17-19, 22.

(6) G. Marty: Op. Cit. p230.

(7) محمد العيد قدح: الشيخ الحسين حمادي دوره الاجتماعي ونشاطه العلمي والتربوي بتونس ووادي سوف 1902-1982م. مطبعة ذويب، الوادي-الجزائر، ط1، 2013. ص ص51، 55. وعثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية... المرجع السابق. ص 201-202، 217.

تقلد بعض المهاجرين السوافة في تونس وظائف مهمة في إيالة تونس المحمية، مثل الطبيب محمد حسين بن علي الجزائري، المولود بوادي سوف سنة 1832م الذي كان طبيب الباي مصطفى سنة 1897م⁽¹⁾، لكن الغالبية منهم كانت حالتهم سيئة.

أما العمال من وادي سوف بمناجم الفوسفات، فقد كانوا في آخر الترتيب المهني المنجمي، حيث تناط بهم الأعمال الشاقة مثل تجفيف الفوسفات⁽²⁾، أو الخطرة مثل زرع الديناميت المينا Mine⁽³⁾، لتفتيت صخور الجبال، ويؤدون هذا العمل المضني بالمناجم دون أدنى شروط الصحة والسلامة، فلا ملابس واقية، ولا كمادات حامية من الغبار، ولا اغطية رأس، ولا تغذية صحية، فكانوا يموتون ببطء نتيجة غبار المناجم، وظروف العمل، وكم من عامل غشيه الكاف فقتله، أو انفجر في وجهه لغم لقي حتفه إثر ذلك⁽⁴⁾، مثل ما حدث لعمي الساسي قدع، الذي كان يشتغل بمنجم أم العرايس، وفي أواخر سنة 1958م أثناء شغلهم المعتاد، أرسل لتفحص لغم لم ينفجر، لكن ما إن اقترب منه، حتى انفجر في وجهه فأرداه قتيلا رحمه الله.⁽⁵⁾

كما كانت حياتهم بتلك البقاع فيها من المعاناة ما فيها، فقد كان منهم من يسكن الخيام، والكهوف التي حفروها على جانبي جبل خنفوس في الرديف، كسكنات بدائية إلى غاية 1928م⁽⁶⁾،

(1) علي غنازبية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال ... مرجع سابق. ص 292.

(2) عبد الكريم الماجري: المرجع السابق. Leonard Roger: Op. Cit. p154.

(3) Mine: لها عدة معاني بالعربية، منها: لغم، منجم...، وتسمى العامة شركة الفوسفات بـ"المينا"، لأنها تعتمد على الألغام في تكسير الصخور من جبال الفوسفات تمهيدا لفتحها، أو أخذوا هذا الاسم من: "مكان تحت الأرض تستخرج منه المعادن"، وهو الأقرب. أنظر بسام بركة: قاموس فرنسي-عربي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2005. ص 396. وكذلك محمد العيد قدع: الشيخ الحسين ... ص 41.

(4) حسان الجيلاني: المرجع السابق. ج 1، ص ص 38-39، 45.

(5) رواية استقيتها من البشير قدع "والدي"، وكان عمره حينذاك 15 سنة، فكانت تلك الفاجعة هي الثانية التي تلقاها في نفس عام، فقد كانت الأولى فقده لوالده موسى قدع الذي توفي أول ذلك العام "1958"، بمستشفى سوسة، بعد مرض عضال رحمة الله عليه.

(6) محمد الساسي معامير: المصدر السابق، ص 339. Dougui Noureddine: Op. Cit. p 292.

ثم اتخذوا أكواخا حقيرة مساكن لهم، من القصدير أو من الطين والخشب لا تتوفر فيها أدنى شروط الراحة، وأغلبها بغرفة واحدة تنام فيها كل الأسرة، ويكون لكل الأولاد فراش واحد من صوف، ومثله يتدثرون به، أما حين هطول المطر فحدث ولا حرج عن تلك المعاناة، فقد تهدم بعض المنازل، وكانت الإضاءة في الليل لوقت الضرورة بمصباح الكربون، والتدفئة والطهي بالحطب من الغابة البعيدة، أو شراء الفحم لمن تيسر له. (1)

وحين استلام منحة الثلاث شهور تكون الوجبة لحما مشويا، وعلى الأطفال الانتظار لثلاثة أشهر أخرى لكي ينعموا بلحم مشوي على الجمر، ويمكن أن نقدر حجم المعاناة إذا علمنا أنهم يعتبرون "شبعة من الجراد" أمنية، وفي بلدة الرديف كم أدى فيضان واديه إلى فقدان الأطفال الصغار، حين ذهبهم للمدرسة أو لعبهم جواره (2)، ومع ذلك كانت شركة الفوسفات تغض الطرف عن معاناتهم، ولم تكن تكثرث البتة بوضعهم، ولا باحتياجاتهم الأساسية. (3)

وعموما العمال العرب بما فيهم السوافة كانوا يعانون الكثير من الأمراض، كالجدري وأمراض العيون، والسل، والسعال الديكي ...، ولهذا كان السوافة بتونس من أكثر الجاليات ترددا على المستشفى المدني الفرنسي، فمن بين ستين 60 جزائري تتم معالجتهم يوميا، كان منهم حوالي خمسين 50 من أهل سوف، وهو مؤشر على مدى تدهور حالتهم، بالإضافة إلى مرادهم للحصول على المساعدات التي يقدمها المستشفى لزواره ذوي الفاقة، لأنهم حريصين على التقتير في المصاريف، بغية توفير المال، قصد شراء بعض النخيل وخدمته... (4)

(1) حسان الجيلاني: المصدر السابق. ج1، ص ص 41، 44-45، 51.

(2) نفس المصدر. ص ص 43، 49.

(3) J. Scelle Millie: Op. Cit. p 23.

(4) Marty G. : Op, Cit. P 319.

وفوق كل ذلك كان العمال العرب لا يتمتعون بنفس الحقوق والتأمين والعلاج الذي يحظى الأوروبيون به، وكانت الإصابة بحوادث العمل كثيرة، ومنها الحوادث المميتة، إضافة إلى التمييز الكبير بين العمال العرب والأوروبيين⁽¹⁾، فبينما يزرع العمال العرب تحت البيوت القصديرية، نجد أن الأوروبيين لهم حيهم الراقي⁽²⁾، أما الأجور فكانت متدنية للعمال العرب عموماً، تقدر ما بين فرنك واحد وثلاثة فرنكات لليوم في بداية القرن 20م، أما الأوروبي فكانت أجرة يومه ضعف ذلك تقريباً.⁽³⁾

وأمام ذلك الوضع المزري كان عمال وادي سوف يتحدثون هذه الصعاب، بما يميزهم من حيوية فائقة، وبما يطبعهم من تحمل للمشاق، جبلوا به من نتاج بيئتهم القاسية، وكانوا ضمن الحركات الاحتجاجية والإضرابات من أجل رفع الأجور وتحسين ظروف العمل⁽⁴⁾، وهذا نتيجة احتكاكهم بالعمال الأوروبيين والتوانسة، فمن لديهم الوعي، وكانوا ممثلين في النقابات العمالية، كوسيلة للنضال بغية الحصول على حقوقهم، مقابل الواجبات التي يؤديونها، ومنهم من تبوء مراكز متقدمة في أعلى هرم بعض النقابات، وهذا يعود بالتأكيد لعدددهم الهائل في هذه المناجم وحيويتهم، فقد كان الطالب العربي قمودي عضو الاتحاد التونسي للشغل⁽⁵⁾، وفي عام 1936م كان رئيس نقابة العمال بمنجم أم العرايس، عبد المجيد بن لخضر السوفي، وأمين المال عمر بن الهاشمي السوفي، وفي نقابة منجم الرديف كان أمين المال سوفي كذلك، والملاحظ أن عناصر العمالة من وادي سوف والتونسيين هم المسيطرون على تشكيلة النقابات العمالية بمناجم الفوسفات بتونس.⁽⁶⁾

(1) عبد الكريم الماجري: المرجع السابق.

(2) محمد الساسي معامير: المصدر السابق، ص 339. عبد الكريم الماجري: المرجع السابق.

(3) ملتقى التواصل: التواصل الاجتماعي بين وادي سوف وتونس.

(4) عبد الكريم الماجري: المرجع السابق.

(5) حسان الجبلاني: المرجع السابق. ج 1، ص 59.

(6) عثمان زغب: الأوضاع الاقتصادية... مرجع سابق. ص 204 هجرة الجزائريين إلى تونس بين تلبية... مرجع السابق

والملاحظ أن الانضباط والسلوك الحسنة، كانت السمة السائدة لدى أغلب العمال المهاجرين من سوف نحو مناجم الفوسفات (1)، ففي سنة 1936م كان تقدير انضباطهم 97.8 %، وفي السنة الموالية كانت النسبة 94 %، ولكبر عددهم استطاعوا أن يكونوا مجتمعات صغيرة يأنسون فيها ببعضهم، ويوفرون نوعاً من الحياة الاجتماعية السوفية المصغرة تسلياً لهم عن بعدهم الديار، ومن خلالها يتم التواصل مع البلد الأم من خلال الذهاب والإياب، وإرسال الأموال لعائلاتهم وتبادل الأخبار حول شؤون وأحوال وادي سوف، واستمر هذا الوضع طوال الاحتلال الفرنسي للجزائر. (2)

5- النشاط المهني لفئة السوافة بتونس

إن الإحصائيات التي ذكرناها آنفاً أنجزت لأغراض شتى، أبرزها للتحصيل الضريبي، ومن الطبيعي أنها تتناول المهن التي تعاطاها أهل سوف، بمناطق تركزهم بتونس. ففي مجال المهن تعددت نشاطات السوافة بتونس، لكن ما يميز هذه المهن أنها شاقة، كحمالين وفحامين، وعمال مناجم ومجاري، أو في بساتين النخيل، وفي رعي الماشية، أما الأقل بؤساً منهم فيشتغلون في الأسواق، والقليل منهم من الميسورين الذين يمارسون تجارة التمور والبزازة وغيرها، وأكثرهم من سكان تغزوت وكوينين (3)، ومن المهن التي عرف بها السوافة مهنة توزيع الماء الشروب، حيث يجلبون المياه من الآبار البعيدة لسقاية السكان، يطلق

(1) C. L. Bataillon: Op. Cit. p 103.

(2) حسان الجيلاني: قصة العودة، المرجع السابق. ج1، ص 36 عبد الكريم الماجري: المرجع السابق.

(3) Marty G. : **Les Algériens à Tunis**, revue I. B. L. A., n° 43 et 44, Tunis, 11ème année 3ème et 4ème trimestres, 1948. P 302. عبد الكريم الماجري: المرجع السابق.

على صاحب هذه المهنة "القرابجي" ⁽¹⁾ (Garbagie) والتي كانت صفة ملازمة للسوفي بتونس، وهي مهنة عرفوها في موطنهم الأصلي. ⁽²⁾

عموما نلاحظ أنه السوافة نوّعوا نشاطاتهم، وتكيفوا مع احتياجات السكان، وتأقلموا معهم ونافسوهم أحيانا في وظائفهم، والأكد أن هذا يعود بالدرجة الأولى إلى أعدادهم الكبيرة، والحيوية الكبيرة التي يتمتعون بها، وتحملهم المشاق بروح معنوية عالية. ⁽³⁾

6- الضوابط المتحركة في مهاجري وادي سوف بالقطر التونسي:

إن هجرة أهل وادي سوف لتونس، كانت تحكمها ضوابط تعارف عليها المهاجرون، بحيث لا يستطيع أحدهم تجاوزها أو تجاهلها إلا في حالات استثنائية، وتتمثل في:

- لا بد لأي مهاجر من وادي سوف أن يسجل نفسه في عداد المهاجرين من وادي سوف المطبق عليهم الضريبة، وهذا في قائمة محدد عليها الأسماء، وسنة الاستيطان بتونس، والمنطقة الأصلية المنحدر منها، ورقمه في قائمة الضرائب، حيث نجد فيها مثلا السيد عمر بن الحاج محمد الذي استوطن تونس منذ سنة 1869م تحت رقم: 59 في قائمة الضرائب، وهو من قرية الزقم. ⁽⁴⁾

- في المناطق التي تحتوي على جالية كبيرة من وادي سوف، يتجمعون مشكلين أحياء خاصة بهم، تدعى "نزلة السوافة" ⁽⁵⁾، أسوة بباقي الجاليات، ففي الرديف مثلا: كان هناك حي السوافة،

(1) قرابجي: كلمة مشتقة من القرية المصنوعة من جلد الماعز، وتربط لتصبح على شكل برميل أو دلو لحمل الماء.

(2) عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية... المرجع السابق. ص 201-202 عبد الكريم الماجري: المرجع السابق.

(3) عبد الكريم الماجري: المرجع السابق.

(4) الأرشيف الوطني التونسي: مجموعة E، علبه 509، ملف 252 (الشباب السوفي الزيتوني).

(5) محمد الساسي معامير: مصدر سابق، ص 339. علي غنازية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال. مرجع سابق. ص 290.. عبد الكريم الماجري: المرجع السابق.

وبجوارهم حي المراكمة "المغاربة"، وحي الطرابلسية، وحي أولاد بويحي، وحي الجريدية. (1)

- استعداد المهاجر السوفي لأداء الخدمة العسكرية بتونس بمجرد مرور سنة على وجوده بها بصفة مستمرة، وكثير منهم لا يتهرب من أداء واجب الخدمة العسكرية بتونس، بل إنها تعد لبعضهم فترة تسمح لهم بالحصول على قوتهم، وتقيهم المجاعة. (2)

- العمال السوافة في المهجر يقترون في مصروفهم (3)، ليوفروا مبالغ مالية يرسلون إلى ذويهم، للمعاش أو لرعاية نخيلهم أو شراء ملكيات من أشجار النخيل لتحسين وضعهم الاقتصادي والاجتماعي، وبذلك يرضون بالكفاف من العيش، في ظروف قاسية جدا، ساهمت منطقتهم في تدريبهم على هذا التحمل. (4)

7- التأثير الاجتماعي والثقافي للهجرة إلى الجنوب التونسي على أهل سوف:

الاجتماعي: زيادة الترابط بين السوافة وسكان الجنوب التونسي، بالتصاهر والتجاور والتعامل اليومي باختلاف أغراضه ومناسباته، فمن السوافة المهاجرين من تزوج بتونسية ومكث في تونس بصورة نهائية (5)، أو عاد بها إلى الديار، أو فارقها إذا أبت العودة معه، مثل ما فعل الشيخ محمد بن فرج الذي فارق زوجته لرفضاً أن تأتي معه إلى مسقط رأسه بوادي سوف. (6)

(1) حسان الحيلاني: المرجع السابق. ص ص 36، 49. لقاءات متعددة مع البشير قذع (أبي)، مواليد 1943م، كان يطقن بحي السوافة في بلدة أم العرايس في الفترة 1950-1963م، بسبب عمل عمي الساسي الذي كان يعول العائلة.

(2) Marty: Op. Cit. p 319.

(3) C. L. Bataillon: Op. Cit. pp 103-104.

(4) Marty G.: Op. Cit. p 319. عثمان زقّب: الأوضاع الاقتصادية ... المرجع السابق. ص ص 211، 218.

(5) J. Huggui: Op. Cit. pp 19-22.

(6) علي غنابيزة: مجتمع وادي سوف من الاحتلال ... مرجع سابق. ص ص 294-295 محمد رشدي جرابية: إنتشار الطريقة التجانية من بلاد سوف الى تونس (جهود الداعية سيدي محمد بن فرج بالجنوب التونسي أنموذجاً)، مداخلة=

الثقافي: تلقى الطلبة من وادي سوف في المراكز العلمية بمناطق الجنوب التونسي، علومًا مختلفة لم يألّفوها في الكتاتيب البسيطة ببلداتهم، خاصة الذين التحقوا بالفرع الزيتوني بتوزر، فلما عادوا أحدثوا تطورًا في المجال العلمي بالمنطقة...⁽¹⁾، وكان الطلبة المهاجرين إلى تونس، يزدادون كل عام، لاسيما بعد عودة الطلبة من تونس في العطلة الصيفية، أو المتخرجين.⁽²⁾

=ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التوصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس 11/10 نوفمبر 2013، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر.
(1) قدع: الشيخ الحسين... المرجع السابق. ص 85.

(2) J. Huggui, Op. Cit. p 87.

خلاصة الفصل:

تختلف أهداف الهجرة، ولعل أبرزها ما كان لطلب الرزق، من خلال البحث عن عمل يسترزق منه، أو لممارسة التجارة، ومنها ما كان دافعها الهروب من الظلم والحيث، والبحث عن الأمن والاستقرار، ومنها ما كان لطاعة الله وعبادته كالحج أو الجهاد أو طلب العلم الذي يعتبر أسمى العبادات.

إن حركة التنقل بين منطقتي وادي سوف والجنوب التونسي قديمة، ولم تنقطع عبر التاريخ، فأغلب سكان سوف كان مجيئهم إليها قديما عبر منطقة الجنوب التونسي، لكن في كل عصر كان هناك إتجاه معين يغلب على تلك الهجرة، وهذا نتيجة عوامل تخص كل فترة. وفي فترة دراستنا كانت الهجرة من وادي سوف إلى خارجه هي السمة الغالبة، ومن أسباب ذلك وقوع البلاد تحت الاحتلال، وضيق أهلها ذرعا بالسياسة الاستعمارية الفرنسية المبنية على الظلم والقهر، والتضييق على الناس خاصة في معاشهم، ومن ذلك التحكم بالتجارة، ويضاف إلى ذلك النمو المطرد للسكان، ووقوع كوارث طبيعية، مثل فترات الجفاف، ومحدودية الموارد.

كان من نتائج ما سبق، وقوع الكثير من أهل سوف في فقر مدقع، فكان لزاما عليهم الطلب الحثيث لمصادر الرزق خارج الديار، فكانت لهم اتجاهات عديدة يلوذون بها، لكن أبرزها الهجرة نحو منطقة الجنوب التونسي، فكانت تلك المناطق وخاصة مناجم الفوسفات، وواحات النخيل ببلاد الجريد ونفزاوة الملاذ لكثير منهم، لاسيما إذا علمنا شدة تحملهم للعمل المضني بالمناجم، وخبرتهم الواسعة في خدمة النخيل.

يضاف إلى ذلك التشابه في البنية البشرية، ووجود الأقارب ممن سبق لهم الهجرة، أو المعارف من ذوي المصاهرة، كل ذلك شجع على الهجرة إلى هذه المناطق.

كما كان للمقومات الحضارية المشتركة، بين وادي سوف ومناطق الجنوب التونسي دور في إذكاء الهجرة بين المنطقتين، ومنها زيارة المريدين لمختلف الطرق الصوفية لشيخوهم في المنطقتين، أو اتخاذ أهل سوف منطقة الجنوب التونسي كمحطة للوصول إلى المركز الروحي للمسلمين وهي بلاد الحجاز، حيث شعيرة الحج، التي يلهم بها قلب كل مسلم، وفي نفس المضمار كان من ضمن المهاجرين من سوف نحو الجنوب التونسي، طلاب العلم بعد أن ضيق عليه الاحتلال في بلادهم، محاولاً تجفيف منابع التعليم العربي الإسلامي، الضامن لبقاء هوية الجزائريين منفصلة عن فرنسا، ومحرضاً لهم على الجهاد ضده.

ونحن نبحث في هجرة السوافة نحو مناطق الجنوب التونسي، وجدناها من الكثافة بأن أصبحت أمراً لا فتاً، لكن لا يعني ذلك عدم وجود هجرة عكسية، فقد سجل إحصاء السكان من طرف إدارة الاحتلال، وجود بعض أفراد من تونس مقيمين بوادي سوف، أو قدوم بعض العائلات من الجنوب التونسي واستيطانها بسوف، لكن هذه الهجرة ضعيفة، لا تعدو أن تكون هجرة أفراد، أو بعض العائلات في أحسن الأحوال.

من نتائج هذه الهجرة زيادة الاختلاط بين سكان المنطقتين، بفعل المجاورة والمصاهرة والمعاملة، فكان التأثير والتأثر نتيجة طبيعية، خاصة في الميدان الاجتماعي من تقارب اللهجة والعادات اليومية، والتقاليد الموسمية، كما كانت هناك لحمة بين بعض العائلات.

هذا التلاحم الاجتماعي نتج عنه تأثير على الجانب الثقافي، فقد كان من المهاجرين من أهل سوف أو أبناءهم، من يزاولون تعليمهم بالمراكز العلمية بالجنوب التونسي، وبعد تخرجهم عملوا على نشر ما تعلموه، سواء بالجنوب التونسي، أو بمنطقة سوف بالنسبة للذين عادوا، وفي نفس الإطار كانت هناك زيارات متعددة لشيخ أفاضل من الجنوب التونسي لوادي سوف قصد التوعية ونشر العلوم والمعارف.

الفصل الخامس:

البعثات العلمية وزيارات العلماء

- أوضاع التعليم في الجزائر
- المنظومة التعليمية بوادي سوف
- واقع التعليم في تونس
- البعثات العلمية من سوف نحو الجنوب التونسي
- المراكز العلمية بالجنوب التونسي مقصد الطلبة من وادي سوف
- أبرز طلبة وادي سوف بالجنوب التونسي
- تأثير طلبة سوف المتكونين بالجنوب التونسي
- زيارات العلماء من تونس إلى وادي سوف
- الطرق الصوفية والتواصل العلمي

إن من أهداف الهجرة كما أسلفنا السعي لطلب العلم، وانطلاقاً من هذا الهدف كانت أعداد كبيرة من طلبة العلم، يتركون أوطانهم، ذهاباً إلى منابع العلم والمعرفة، فكانت تونس وخاصة جنوبها، قبلة لطلبة العلم من وادي سوف، ومرد ذلك إلى وجود مراكز علمية مزدهرة، أولها جامع الزيتونة وفرعه بتوزر، وكذلك زوايا توزر ونفطة...، وما تحتويه هذه المراكز تحت أساطينها، من شيوخ للعلم، أصحاب الصيت الذائع والعلم الغزير، وهو الأمر الذي كانت له انعكاساته على منطقة سوف باتساع دائرة الهجرة إليها، ولاسيما العلمية منها. ويعود افتقار سوف إلى مراكز علمية مهمة، إلى حالة البداوة التي تعيشها المنطقة، ومعاول الاحتلال الفرنسي التي عاثت فساداً في كامل القطر الجزائري، ومنها منطقة سوف، كما سنرى.

1- أوضاع التعليم في الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي:

حسب التقارير الفرنسية فإن الأمية لم تكن شائعة بين المجتمع الجزائري أثناء احتلالهم للبلاد عام 1830/1246م⁽¹⁾، وخاصة بمنطقة وادي سوف⁽²⁾، الأمر الذي لم يرض السلطات الفرنسية في الجزائر⁽³⁾، فقد كان التعليم الابتدائي يمارس على نطاق واسع في الكتاتيب والمدارس القرآنية، الخاصة والملحقة بالمساجد والزوايا، التي تؤدي دورها المنوط بها في تعليم النشء، مجاناً دون مقابل، وهذا بفضل أهل البر والإحسان، الذين أوقفوا الكثير من أملاكهم وأموالهم على العلم وطلبته.⁽⁴⁾

(1) أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1956. ص 139.

(2) J. Scelles Millie, Op. Cit. p 24.

(3) أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية... المرجع السابق. ج2 / ص60 كذلك: فرحات عباس: ليل الاستعمار، تر عبد العزيز بوباكير، دار القصبة- الجزائر، 2005م. ص 35.

(4) أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر. ص 139 مالك بن خليف: الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس، ط1، دار طليطلة، الجزائر، 1432هـ/2010م. ص ص69-70.

لكن لا يُفهم مما سبق أنه تطور في العلوم، أو في المناهج التعليمية والتربوية، فقد كان يغلب عليها طابع التخلف عموماً، لأن عملية التعليم متوارثة آلياً منذ العصور الوسطى، بالمراكز العلمية العتيقة في بجاية وندرومة وتلمسان وقسنطينة وغيرها، شأنها في ذلك شأن المؤسسات الإسلامية الكبيرة، مثل الأزهر والقرويين، أو الزيتونة الأكثر تأثيراً في الجزائر، فقد وصف الدكتور شو Shaw⁽¹⁾ التعليم بالجزائر إبان القرن 17م، وملخص تقريره أن التعليم ضحل للغاية، فالأطفال يذهبون إلى الكتاب في سن السادسة، ويمكنون به 3 أو 4 سنين يتعلمون القراءة والكتابة، وقدّر معيّن من القرآن وبعض الشعائر الدينية، والقلّة منهم يواصلون تعليمهم لمزيد من القرآن وبعض الشروح القديمة.⁽²⁾

2- السياسة الاستعمارية تجاه التعليم العربي الإسلامي

ومع حلول الاحتلال الفرنسي بدأت مرحلة جديدة من مراحل التعليم، إذ عمد الاحتلال إلى سياسة تجهيل الجزائريين، لعلّهم بأنه المحرك للأمم، المتورّ العقول والمجلي البصائر، فتوجهت إلى إخماد صوته في البلاد، وما فتئ يبذل جهده لهدمه، بمعاول منها:⁽³⁾

- **القضاء على مؤسسات التعليم:** المتمثلة في المساجد والزوايا⁽⁴⁾، إما بهدمها أو بتحويلها إلى

(1) الدكتور توماس شو Shaw, Thomas (1694-1751): طبيب ورحالة أمريكي، قام برحلة إلى إيالة الجزائر ومكث بها مدة طويلة (1783-1786م)، فجال فيها وساح، حيث اكتشف مناطق: العاصمة، البليدة، مليانة، الشلف، مستغانم، معسكر، أرزيو، تلمسان، سطيف، ميله، قسنطينة، عنابة، وانتهى بالقالة، وهكذا ترى أنه تنقل في ربوع الجزائر من غربها إلى شرقها، ودوّّن رحلته في تقرير واف إلى حكومة بلاده، تمت ترجمته إلى الفرنسية وطباعته سنة 1830م.

(2) Thomas Shaw: Voyage dans la régence d'Alger, ou Description géographique, physique, philologique, etc, Marlin-Paris, 1830. Pp 77-81.

(3) يحي بوعزيز: أوضاع في الجزائر خلال ثورة أول نوفمبر، مجلة الشهاب الجديد، عدد 03، الجزائر، 2004. ص 286

(4) لأن هدم مسجد يعني هدم مدرسة، ومكتبة، ومكان للإرشاد والتوعية، ومأوى للطلبة... وغيرها. محمد مورو: الجزائر تعود لمحمد ﷺ، المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، 1992م. ص 88.

كنائس (1) أو بيعها وكرائها. (2)

- **مصادرة الأحباس:** التي بدأت بالسطو عليها من بداية الاحتلال، ثم اتخذت منحى قانونيا بقرار دي بورمون "De Bourmont" (3) في 08 سبتمبر 1830م الذي يحدد ملكية (4) الدولة (5)، وكانت هذه الأحباس تغطي نفقات تيسير المرافق الدينية، ورواتب القائمين عليها من مديرين وقيّمين ومدرسين تكفيهم التكلف لطلب الرزق، وتعين طلبة العلم خاصة المعسرین منهم. (6)
- **إصدار القوانين المجحفة:** التي تحدّ من النشاط التعليمي الحرّ، ومنها قانون 18 أكتوبر 1892، الذي يمنع أي معلم مسلم من إدارة أو فتح مكتب لتعليم اللغة العربية إلا بترخيص مسبق، أما قانون 24 ديسمبر 1904م، فإنه وضع شروطا لفتح هذه المدارس أهمها: عدم

(1) على سبيل المثال كان بمدينة الجزائر قبل الاحتلال 112 مسجدا بقي منها 05 مساجد، وحوّل أكبرها إلى كنائس، ومنها جامع كتشاوة "حوّل كاتدرائية" وجامع علي بتشين "أصبح قديسة الانتصار"، ومنها ما حوّل إلى مراكز للشرطة وحتى اسطبلات للخيول، وهدم الباقي، ووقع نفس الشيء لزوايا المدينة، ومنها زاوية المولى حسن، وزاوية شختون...، وقس على ذلك للمؤسسات الإسلامية في باقي المدن. أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية ... المرجع السابق. ج1/ص 251 و ج2/ص 62-63 وأيضاً: عبد الرشيد زروقة: **جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913-1940)**، ط1، دار الشهاب، بيروت- لبنان، 1999/1420. ص 27.

(2) أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر. ص 140-143. أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية... المرجع السابق. ج2/ص 61. عمار عمورة: **موجز في تاريخ الجزائر**، ط1، دار ربحانة للنشر والتوزيع، القبة- الجزائر، 2002م. ص 124.

(3) **دي برمون:** عسكري فرنسي، أحد جنرالات نابليون بوناپرت، عينه الملك شارل العاشر وزيرا للحربية، قاد الحملة الفرنسية التي احتلت الجزائر 1830م، آمن السكان على أموالهم وأعراضهم وخصوصياتهم، ثم جعل المدينة نهبا لجنوده المرتزقة.

(4) وبموجبه استولى الاحتلال على أملاك الأتراك العثمانيين.

(5) يحي بوعزيز: **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954**، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007. ص 66، 67. عبد الكامل عطية: **نماذج من الرحلات العلمية للطلبة "السوافة" نحو القطر التونسي قبل اندلاع الثورة التحريرية 1954م**، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التوصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس 11/10 نوفمبر 2013، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر.

(6) أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية... المرجع السابق. ج 1/ص 252. كذلك: عبد الرشيد زروقة: المرجع السابق. ص 26 وأيضاً: رايح فلاح: **جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر 1908-1954**، (رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر)، إشراف د/عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ وعلم الآثار - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة منتوري- قسنطينة، السنة الجامعية 1428هـ/2007-2008م. ص 03.

تدريس اللغة العربية وآدابها، ولا تاريخ الجزائر وجغرافيتها، ولا المواد العلمية والرياضية، وأن يكون المدرّس مواليا لإدارة الاحتلال، وأقله ليس معارضا لها. (1)

- **محاربة اللغة العربية:** منذ وطئت أقدام الاحتلال أرض الجزائر اعتبر العربية لغة أجنبية، ولما سمح لبعض الجزائريين بدخول المدارس الرسمية، كان تعليمهم فرنسيا بحتا، فاللغة هي الفرنسية، والوطن والتاريخ هو فرنسا وتاريخها المجيد...!! (2)، وكان يريد وأد اللغة العربية وإحلال اللغة الفرنسية بديلا عنها ليكرس هيمنته على البلاد والعباد. (3)

ونتيجة هذه الإجراءات يبيّن سارتر Sartre (4)، بأن جعلت المسلمين شعبا من الأميين، بالارتفاع المهول لنسبة الأمية، التي وصلت إلى 92 % بين الرجال، أما النساء فنادرا ما تجد إحداهن تفكّ الخط، وهذا حتى العشرية الثانية من القرن 20م، وبهذا استحققت فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، لقب عهد الظلام بالنسبة للثقافة والتعليم. (5)

(1) فرحات عباس: مصدر سابق. وعبد الرشيد زروقة: مرجع سابق. ص 25-31. وأيضا عبد الكامل عطية: مرجع سابق
(2) جان بول سارتر: عارنا في الجزائر، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، دت. ص 18. وأيضا: أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر. ص ص 140-141. وكذلك: عبد الرشيد زروقة: المرجع السابق. ص 27. وعبد العزيز الشهبى: الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع. ص 37. وتركي رابح: أصول التربية والتعليم، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1990. ص 395.

(3) علي بن حراث: أسباب تركيز الرحلة العلمية الجزائرية على تونس، مداخلة ضمن الملتقى الدولي حول: التواصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس 11/10 نوفمبر 2013، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر
(4) جون بول شارل ايمارد سارتر Jean-Paul Sartre (1905-1980): فيلسوف وأدبي وناشط سياسي فرنسي، اشتهر لكونه غزير الإنتاج، وبفلسفته الوجودية، أما سياسيا فقد ناصر اليسار المتطرف، دعم سارتر الثورة الجزائرية، وباقي حركات التحرر، لكنه صمت أمام الجرائم الستالينية والانظمة الشيوعية، ودعمه المستميت للصهيونية، وله مؤلفات موالية للصهيونية، مثل كتابه "تأملات في المسألة اليهودية"، وأعلن أثناء زيارته إلى تل أبيب إن "إسرائيل" لها الحق في الوجود ويجب أن تبقى قائمة، وهو ما يفسر تكريم جامعة أورشلليم الاسرائيلية له بلقب الدكتوراه الفخرية عام 1967م، ويفسر كذلك قبوله لهذا الوشاح وقد عرف عنه رفض التكريمات، ومنها رفضه استلام جائزة نوبل في الآداب سنة 1964م. عبد الوهاب جعفر: البنيوية في الانثربولوجيا وموقف سارتر منها. دار المعارف، مصر، 1989م. ص ص 157-159. عبد القادر حميد: لماذا حُرقت كتب جان بول سارتر بالجزائر؟ مقال نشر في جريدة المستقبل الالكترونية، يوم 2010/30/02.
(5) جان بول سارتر: المرجع السابق. ص 18 وأيضا: سعد الله: الحركة الوطنية... المرجع السابق. ج 1/ ص 252.

3- المنظومة التعليمية بوادي سوف:

بالنسبة للمنظومة التعليمية في الجزائر -ومنها وادي سوف- منذ احتلالها سنة 1830م، إلى أن نالت استقلالها تنقسم إلى قسمين، تعليم رسمي حكومي، تشرف عليه حكومة الاحتلال عبر إدارة التعليم، وتعليم حرّ شعبي، ينتظم في المساجد والكتاتيب والزوايا والمدارس الحرّة.

أ- التعليم الرسمي الفرنسي:

هذا التعليم كرسه إدارة الاحتلال، بسن قوانين إجبارية التعليم ومجانيته في الطور الابتدائي⁽¹⁾، ومن هذه القوانين مرسوم 1883/02/12م بدعم من جول فيري وزير التربية الوطنية الفرنسية، الذي ينص على تطوير التعليم الفرنسي بالجزائر، لأنه يرى أن المدرسة سلاح فعال للتغلب على مقاومة الجزائريين، فانتشرت المدارس الفرنسية بربوع الجزائر⁽²⁾، في كل مكان يقطنه المعمّرون⁽³⁾، حيث يدرس بها أولادهم، وبعض أولاد المسلمين الجزائريين، الذين تتراوح أعمارهم بين 06 و13 سنة⁽⁴⁾، أما التعليم الثانوي فلم يكن له وجود في وادي سوف أثناء الاحتلال.

ومنطقة سوف لم تكن بمنأى عن السياسة الإستعمارية، ومنها في مجال التعليم، فبالنسبة للتعليم الرسمي الذي تشرف عليه حكومة الاحتلال، ظهرت أول مدرسة بالوادي عام 1886م، التي كانت تسمى "مدرسة الأهالي"، وتحتوي على أربعة أقسام وثلاث سكنات للمعلمين، لكن الاقبال عليها كان محتشما في حدود 08 تلاميذ، ثم ارتفع إلى 12 متمدرسا

(1) أحمد توفيق المدني: جغرافية القطر الجزائري، مطبعة الشريف، تونس، دت. ص ص 87-88. وكذلك: عز الدين معزة: المرجع السابق. ص ص 61-62.

(2) عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية ... المرجع السابق. ص ص 39-40.

(3) المعمّرون "les Colones": السكان الأوروبيون الذين قطنوا بالجزائر عقب احتلالها، وقد استحوذوا على خيرات البلاد واستأثروا بها دون أصحابها، الذين غدو أجراء مهانون عندهم.

(4) أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر. ص 294 وأحمد توفيق المدني: جغرافية القطر الجزائري. ص 88.

سنة 1890م⁽¹⁾، ومن سنة تأسيسها عام 1886م إلى سنة 1900م، زول بها 278 تلميذا، وفي سنة 1893 أفتتحت مدرسة أخرى بكوينين بها قسما واحدا⁽²⁾، أما في سنة 1907 فقد تم إنجاز مدرسة بقمار بثلاثة أقسام، ووصل عدد المسجلين بالمدارس الثلاث 100 تلميذ عام 1903م⁽³⁾، ويعود هذا الإحجام إلى توجس الناس منها خيفة على دينهم.⁽⁴⁾

وقبيل الحرب العالمية الثانية كان هناك ثلاث مدارس، في الوادي وقمار وكوينين، وكان بها 429 متدرسا عام 1938م، منهم 5 تلميذات: فرنسية ومسلمتان ويهوديتان، ثم زاد عدد المدارس، فزاد عدد التلاميذ الذي وصل سنة 1948م إلى 780 تلميذا.⁽⁵⁾

وبالمحصلة فمنذ إستقرار الفرنسيين بوادي سوف عام 1882م إلى خروجهم منها 1962 تم إنجاز 25 مدرسة ابتدائية ومتوسطتان، يقتصر وجودها تقريبا في أماكن وجود المعمرين.⁽⁶⁾

السنوات	1903	1938	1945	1946	1947
ع. المدارس	03	03	04	05	09
ع. الأقسام	08	08	10	14	21

جدول تطور مؤسسات التعليم الفرنسي في سوف 1903-1947م⁽⁷⁾

(1) Ecole d'indigènes d'Eloued: **Registre Matricule des élèves admis à l'école du 1886 à 1904.** السجل بمدرسة ميهي محمد بلحاج - بلدية الوادي.

(2) Ecole primaire preparatoire de garçons de Kuinine: **Registre Matricule des élèves de l'école du 01 Octobre 1921.** السجل بمدرسة ميهي محمد بلحاج - بلدية الوادي.

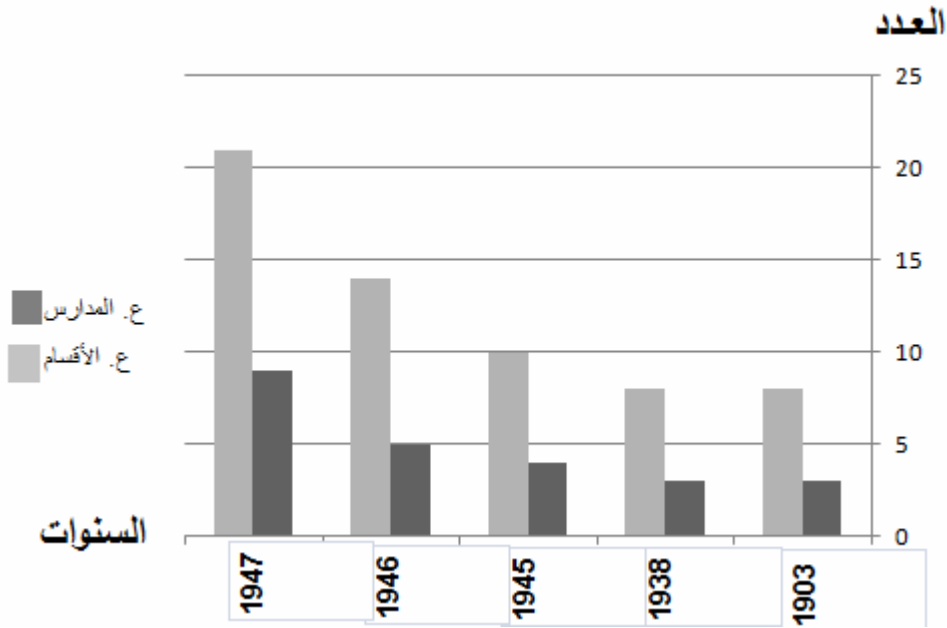
(3) Réalisation dans l'annexe d'El-oued, Op. Cit. p 79.

(4) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص13 علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال...مرجع سابق. ص 106. عبد الكامل عطية: المرجع السابق.

(5) عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية ... المرجع السابق. ص 172.

(6) محمد العيد قدع: الشيخ الحسين حمادي ... المرجع السابق. ص 33.

(7) Réalisation dans l'annexe d'Eloued: Op. Cit. p 79. La Scolarisation dans les territoires du sud: Op. Cit. pp 91-93.



أعمدة بيانية لتطور مؤسسات التعليم الفرنسي في سوف بين 1903-1947م

ومن خلال الأعمدة البيانية يظهر التطور البطيء جدا لتطور المرافق التعليمية، ففي فترة 40 سنة تم بناء 06 مدارس، أما عدد الأقسام فقد زاد بـ 13 قسما فقط.

وللتغريب في هذا التعليم عمدت إدارة التعليم إلى إدراج عملية الإطعام المدرسي، الذي استفاد منه سنة 1948م 107 تلميذ من 604، وكانت البرامج فرنسية، وأغلب المعلمين فرنسيين⁽¹⁾، منهم أندري فوازن مؤلف كتاب **مونوغرافيا سوف**، مع إتباع أساليب لغسل أدمغة التلاميذ الجزائريين، بتلقينهم ما يخالف الحقيقة، ومنها: تدريسهم تاريخ فرنسا وجغرافيتها، وتلقينهم إن بلادنا تسمى قديما بلاد الغال le guale وأجدادنا الغاليون les gualois...⁽²⁾

ومع التعليم الابتدائي الرسمي، كان هناك تعليم "فني" مهني، هدفه إيجاد يد عاملة مؤطرة رخيصة وغافلة عن المطالب، لكن لا يغشاها من الجزائريين عدا القليل منهم⁽³⁾، وبدأ

(1) Gouverneur générale de l'Algerie: **Commissariat**, Op. Cit. p 412.

(2) مالك بن خليف: المرجع السابق. ص 76. عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية... المرجع السابق. ص 174-176.

(3) المدني: **كتاب الجزائر**. ص 308-311 وجان بول سارتر: المرجع السابق. ص 22.

الاهتمام به بداية القرن 20م، حيث تم بناء وتهيئة الورشات الخاصة بدروس التمهين، في تعليم نسيج الزرابي المنشأة بمدرستي الوادي وقمار، طبقا للقرار 13 أكتوبر 1908م. (1)

وقد بدأ التعليم المهني رسميا بسوف بداية 1909م بورشة نسيج بالمدرستين المذكورتين، حيث لقي تشجيعا من الحاكم العام الفرنسي للجزائر (2)، ثم توسع حسب الأنشطة الاقتصادية المحلية المزاول، والمواد الخام المتوفرة، مثل النسيج، الحدادة، النقش على الجبس، النجارة...، أما الانطلاقة الكبرى للتعليم المهني بالوادي فكان يوم 1/10/1947م، بافتتاح مدرسة الدروس المهنية شمال محطة القطار، وبها ورشات النسيج والنجارة والحدادة ومصبغة ومخبر... الخ. (3)

إلا أن التعليم الفرنسي شهد ضعف الإقبال عليه من طرف الأهالي، خوفا على دينهم من الفرنسيين "الكفار" !!، ويقول الشيخ حمزة بوكوشة (4) في هذا الصدد: "كنا نفر من الفرنسية فرار السليم من الأجر، لأننا لقنا أن قراءة الفرنسية طريق للكفر، إن لم يكن هو الكفر بعينه"، كما لعب الشيوخ والأئمة دورا في هذا الاتجاه، مثل تدريس العوامر لكتاب "إرشاد الحيارى، وتحذير المسلمين من تعليم أولادهم في مدارس النصارى" للشيخ يوسف النبهاني. (5)

(1) الأرشيف الوطني التونسي: مجموعة A. علبة 278. ملف 1/14. عبد الكامل عطية: المرجع السابق.

(2) Académie d'Alger: **bulletin Scolaire du du département de Constantine "Enseignement primaire"**, n° 7-8-9, Juillet-Aout-septembre, Année 1912. P 277.

(3) Capitaine Ferry: **traveaux dans l'annexe, plan d'urbanisme**, (1947-1948) Op. Cit.

عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية ... المرجع السابق. ص ص 39-40.

(4) الشيخ حمزة بوكوشة 1906-1994م: ولد بوادي سوف، وتلقى تعليمه في الكتاب بين الوادي ويسكرة، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة فواصل به تعليمه بين "1924-1930"، من المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأبرز ناشطيه، اشتغل بالتعليم والتأليف والكتابة الصحفية، حيث أسس جريدة المغرب العربي بوهان عام 1937، توفي بالجزائر العاصمة وبها قبر. محمد السعيد عقيب: **جمعية الشباب السوفي الزيتوني**، مجلة البحوث والدراسات-المركز الجامعي بالوادي-

الجزائر، ع3، جمادى الاولى 1427هـ/جوان 2006م. ص 69 عاشوري قمعون: الشيخان، المرجع السابق. ص 4-43

(5) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 13 أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1998. ج 4 / ص 506.

ب- التعليم العربي الإسلامي "القرآني":

وبالموازاة مع المنظومة التعليمية الاستعمارية، توجد مراكز تعليمية أخرى، لم تصلها أيادي الاحتلال الآثمة، خاصة في المناطق النائية بالصحراء، التي بلغت قوات الاحتلال في وقت متأخر، مثل منطقة وادي سوف، والتي كان التعليم العربي القرآني بها في كتاتيب المساجد والزوايا⁽¹⁾، وإن أصبحت تعاني من تضيق إدارة الاحتلال، فقد كانت بمثابة التعليم الابتدائي لأولاد المسلمين، حسب التوجه والثقافة الأصلية للجزائريين.⁽²⁾

وقد اضطلع بهذا التعليم بعض المشايخ والعلماء، الذين أخذوا على عاتقهم همّ التعليم الأصل بالجزائر، وبذلك وضعوا بذرة الإصلاح، ثم تبعهم فطاحل في نفس التوجه، ومن العوامل التي ساعدت في ذلك؛ رحلات الحج، وعودة بعض الشباب المتتورين، الذين باشروا دراستهم أو أكملوها، في أقطار عربية، وأهمها تونس سواء في جامع الزيتونة، أو في المراكز التعليمية بالجنوب التونسي.⁽³⁾

وهذا التعليم كان يتم بطرق بسيطة للغاية، إذ يشتمل على تعليم الحروف كتابة ونطقا، وحفظ القرآن الكريم، ومبادئ اللغة العربية⁽⁴⁾، مورثة الأسلوب والمضمون، أما وسائله متواضعة، حيث يفترشون الحصير إن توفر، أو يقعدون على الرمل مباشرة، متحلقين حول الشيخ، الذي كان يقوم بالإملاء على التلاميذ آيات من القرآن الكريم، يكتبونها على ألواح من الخشب⁽⁵⁾ مطلية بطين الصلصال، ومكتوبة بالصمغ، الذي يتم تحضيره بطريقة تقليدية، ثم

(1) عثمان زغب: الأوضاع الاقتصادية ... المرجع السابق. ص 40.

(2) توفيق المدني: هذه هي الجزائر. ص 144-145. وأيضا المدني: جغرافية القطر الجزائري. ص 90.

(3) سعد الله: الحركة الوطنية... المرجع السابق. ج 2، ص 115-119 وج 4، ص 163-169. ورايح فلاح: المرجع السابق. ص 5-10.

(4) أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر. ص 144-145، وأيضا المدني: جغرافية القطر الجزائري. ص 90.

(5) Ahmed Nadjah, Op. Cit. p1080.

يكررون ما كتب على اللوح في الفترة المسائية، ويقرؤونه بأصوات مرتفعة إلى أن يتم حفظ المكتوب، ثم يمحوه في الصباح الموالي، وهكذا تتم عملية الحفظ إلى أن يتم ختم القرآن الكريم، ولا تزال هذه الطريقة المتوارثة، منتشرة في بعض مساجد وادي سوف في تحفيظ القرآن الكريم⁽¹⁾، وبين الفينة والأخرى يعطي بعض الشيوخ دروسا بسيطة في الفقه واللغة...، على حسب مستوى التلاميذ والظروف، والأهم تكوين الشيخ نفسه.

وكان الشيخ المعلم له هيبة وتبجيل بين السكان، وكذلك الصبي الذي يحفظ القرآن، حيث يولم أهله ويحتفى به⁽²⁾، بأن يطاف به في الحي بملابس جديدة، ويتم تقديمه للصلاة بالناس في صلاة التراويح، وبعد مفخرة لوالديه، وشرف للعائلة⁽³⁾، وبعض التلاميذ المتخرجين من الكتاتيب بسوف، يواصلون دراستهم في تونس خاصة بجامع الزيتونة.⁽⁴⁾

ومن المساجد التي اشتهرت بتعليم القرآن في سوف نجد، جامع الظهارة بحي المصابعة بالوادي، وجامع أولاد خليفة، وجامع جبيرات، وجامع زاوية سيدي سالم شمالي سوق الوادي، وجامع سيدي المسعود وسط سوق الوادي، وجامع الشيخ الحسين حمادي بالنخلة... وغيرها، دون أن ننسى دور الزوايا بمختلف اتجاهاتها في ذلك.⁽⁵⁾

وعن تعداد هذه المرافق التعليمية، فقد كانت منتشرة تقريبا بكل قرية وحي⁽⁶⁾، ثم طالتها يد إدارة الاحتلال بالتضييق والمنع، إلا بترخيص مسبق من القائد العسكري، وحسب التقرير

(1) أحمد مريوش وآخرون: الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007. ص 18. عطية عبد الكامل: المرجع السابق.

(2) ابراهيم شويخ: الرحلات العلمية وأثرها في الحياة الثقافية بمنطقة وادي سوف 1931-1969م، رسالة ماستر، إشراف أ. د. علي غنابزية، قسم العلوم الانسانية، جامعة الوادي، 2017/2018. ص 10.

(3) A. Nadjah: Op. Cit. p 108. علي غنابزية: دراسات في تاريخ... المرجع السابق. ص 21.

(4) Ahmed Nadjah, Op. Cit. p109.

(5) احمد مريوش وآخرون: المرجع السابق. ص 173. عثمان زقوب: الأوضاع الاقتصادية... المرجع السابق، ص 170

(6) Ahmed Nadjah, Op. Cit. p108.

السنوي لمصلحة الوادي سنة 1938م، فإن عدد المدارس القرآنية التي كان مرخصا لها، بمنطقة سوف 84 مدرسة حرة للتعليم القرآني بها 1576 تلميذ، يضاف لها أربعة مدارس تابعة للزوايا، من ضمنها اثنتان أغلقتها سلطات الاحتلال، بعيد اعتقال شيخ الزاوية القادرية بعميش عبد العزيز الشريف، وتوجدان في عميش والوادي، والأخريان هما مدرسة الزاوية التجانية بقمار وكان بها 54 تلميذا، ومدرسة زاوية سيدي سالم التابعة للطريقة الرحمانية العزوزية التي كان بها 60 تلميذا، منهم من خارج منطقة سوف، خاصة من وادي ريغ وبلاد النمامشة (1)، بالإضافة إلى المدارس الخاصة مثل مدرسة سعدودي ومدرسة القروي. (2)

4- واقع التعليم في تونس

في أواخر القرن 19م وأوائل القرن التالي، كان الجهل يسود الغالب من أهل البوادي، والأمية تجتاح الأوساط الشعبية في الحواضر، ففي سنة 1917م دُعي 1500 من الشباب التونسي للخدمة العسكرية، فكان منهم 52 فقط من يحسنون قراءة إحدى اللغتين العربية أو الفرنسية (3)، وهذا برغم نشاط جامع الزيتونة، وبقية المؤسسات التعليمية. وإزاء هذا الوضع المتردي، ظهرت الحركة الإصلاحية في النصف الثاني من القرن 19م، ببروز تحوّل فكري واجتماعي اتضح جليا أوائل القرن 20م، وذلك نتيجة مؤثرات داخلية وأخرى خارجية، أبرزها:

- احتلال فرنسا للجارة الجزائر 1830م، مما أربع الباي وعصبته من ذوي الألباب.

(1) Général P. J. André: **Confreries Religieuses Musulmanes**, Edition la maison de livre, Alger, 1956. P 277.

(2) علي غنابزية: دراسة تاريخية لمناهج... مرجع سابق. ص 70. عثمان زقب: الأوضاع... مرجع سابق، ص 170

(3) عبد العزيز الثعالبي: **تونس الشهيدة**، تر سامي الجندي، ط1، دار القدس، بيروت- لبنان، 1975م. ص 64. وأيضا: التليبي العجيلي: **الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939)**، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، 1992م. ص 251.

- دعوات الواعين للإصلاح وجهودهم في سبيل ذلك، منهم: الشيخ ابراهيم الرياحي، ومدير المدرسة الحربية الشيخ محمود قبادو، وشيخ الإسلام سالم بوحاجب، والشيخ المحقق محمد النخلي، والمؤرخ أحمد بن أبي الضياف، والوزير المصلح خير الدين باشا... إلخ. (1)
- لكن هذه المحاولات اصطدمت بعراقيل عديدة، أهمها:
- نفور شيوخ الجامع الأعظم من التقيد بالنظام والتزام التراتيب، وبقائهم على حرية التصرف كما كان أسلافهم، ومن الصعب على الإنسان ارتياد ما لم يُعوّد. (2)
- رفض الشيوخ المترمّنين للتطور، ووقوفهم بالمرصاد للإصلاح بزعمهم أنه بدعة.
- تمكن الطرق الصوفية من إحكام قبضتها على خناق المجتمع، وزاد للطين بلة تأثيرهم على بلاط الحكم، فقد سُجن عبد العزيز الثعالبي شهرين بتهمة التناول على الاولياء، وعُزل الشيخ محمد شاکر عن التدريس بتهمة التعالي على الزوايا والطرق. (3)

وبعد فرض الحماية الفرنسية على تونس، عملت سلطة الاحتلال على محاربة التعليم العربي الاسلامي، وهو ما يعد إعلاناً للحرب على مقومات التونسيين، وأبرزها الدين الإسلامي واللغة العربية، ومن بين الإجراءات المتخذة لمحاصرة اللغة العربية، استبدالها بالفرنسية في المصالح الحكومية والدواوين، وجعل اللغة الفرنسية ضرورية لمن ينشد الوظيفة العمومية،

(1) عبد العزيز الثعالبي: المصدر السابق. ص 54 وما بعدها. أنظر أيضاً: بلقاسم الغالي: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور - حياته وآثاره، ط1، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، 1417هـ/1996م. ص ص 26-32، 184. وأيضاً: محمد الحبيب ابن الخوجة: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور، الدار العربية للكتاب، تونس، 2008م. ص ص 49-54. وكذلك: التليلي العجيلي: المرجع السابق. ص ص 252-253. وجمال محمود أحمد أبو حسان: الإمام محمد الطاهر بن عاشور "سيرة ومواقف"، المجلة الاردنية في الدراسات الإسلامية، مج5، ع2/أ، 1430هـ/2009م. ص 59.

(2) محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب؟ "التعليم العربي الإسلامي"، ط3، دار سحنون، تونس، 2010م. ص ص 108، 205. أيضاً: التليلي العجيلي: المرجع السابق. ص 256.

(3) ولاحقاً ساهم إصلاح التعليم في إضعاف صولة الطرق الصوفية على المجتمع التونسي. التليلي العجيلي: المرجع السابق. ص ص 251-256.

فتهاقت عنها السعاة لطلب الرزق، خصوصا مع تراجع الزراعة والصناعة التقليدية بفعل السياسة الاستعمارية، وشيئا فشيئا أصبحت الفرنسية الأولى في البلاد بتزايد المعاملات الإدارية بها، وقد لقيت محاربة العربية وفرنسة المجتمع، معارضة شديدة من التونسيين، وحتى من المستوطنين الذين يخشون منافسة أهل البلد لهم. (1)

ومن الإجراءات الفرنسية المتخذة كذلك في هذا التوجه، عدم تمويل المدارس العربية، فقد اعتمدت هذه الأخيرة على أهل البرّ والمؤسسات الخيرية وعطاءات أولياء التلاميذ، والأدهى من ذلك هو أخذ سلطة الاحتلال من أموال وأوقاف المدارس وصرفها في غير وجهها. (2)

أما عن وضع المرأة التعليمي فقد كان كذلك سيئا جدا، فقليل من النساء من كنّ يحسنّ القراءة والكتابة وحفظ بعض سور القرآن، فيعتمدن لتعليم البنات بديارهن، وينحصر هذا التعليم في القرآن والخياطة والتطريز، وغيرها من شؤون النساء التي تعلّمنها عن أمهاتهن. (3)

كما اتسم التعليم بتونس آنذاك -في عهد الحماية الفرنسية- بتعدد بنيته وتباينها، وهذا التعدد أفرزه التنوع العرقي واللغوي والديني للسكان بتونس، ثم كان دور سلطة الاحتلال في تكريسه وتوسيعه وتقنيته، للولوج من خلاله إلى عمق الشعب التونسي وإخماد حركات المقاومة، واستمر هذا التعدد إلى استقلال تونس.

-
- (1) عز الدين معزة: فرحات عباس والحبيب بورقيبة "دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، 1899-2000"، (أطروحة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر)، إشراف د/عبد الكريم صفصاف، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2009-2010م. ص 73. أيضا: أحمد القصاب: تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)، تع حمادي الساحلي، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، 1986م. ص ص296-297.
- (2) محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب ؟ ص ص108، 205 والتلطي العجيلي: المرجع السابق. ص256.
- (3) الثعالبي: المصدر السابق. ص ص66-67. كذلك: ابن عاشور: أليس الصبح..؟ ص92. وأيضا: أحمد القصاب: المرجع السابق. ص301.

فقد كانت مدارس التعليم موزعة بين القطاع العام والقطاع الخاص، أما مدارس القطاع الخاص فهي تلك المدارس التي أنشئت بمبادرات خاصة قام بها الأهالي أو الجاليات المقيمة بتونس، ونعني بها الكتاتيب الخاصة بالمسلمين، ومدارس خاصة باليهود، أما الأوروبيون فقد كانت لهم مدارسهم ⁽¹⁾ منها الدينية وأخرى لائكية. ⁽²⁾ والهيئات التعليمية العامة فهي كالتالي:

أ- التعليم الإسلامي العربي "الزيتوني":

هذا التعليم يمرّ بمراحل تبدأ بكتاب المسجد أو الزاوية، وينتهي بالانخراط بالجامع الأعظم، وهو أبرز مواطن التعليم في تونس، ومراتبه ثلاثة؛ ابتدائية التي تنتهي بشهادة الأهلية، متوسطة بشهادة التحصيل، والمرتبة العالية تتوجّ بشهادة العالمية، وكلّها لا ترتبط بسن معينة للتلميذ، ويخرج هذا التعليم القضاة والمفتين والعدول والمدرّسين والمؤدّبين ⁽³⁾، كما يتم التعليم فيه مجاناً، حيث لعبت الأوقاف ومساعدات المحسنين من ذو البرّ، دوراً هاماً في بقائه، بإنشاء بيوت ⁽⁴⁾ لإقامة الطلبة ⁽⁵⁾، أما عن كيفية التدريس فيتخلّق التلاميذ حول الشيخ، ويصلون إلى

(1) المدارس الأوروبية الخاصة: تأسست بعدما أصبحت تونس تحتوي على جاليات أوروبية ذات تأثير اقتصادي وسياسي مهم، وعمل التنافس الفرنسي الإيطالي لاحتلال البلاد على توسيعه، إذ عملت حكومة البلدين على تشجيع إنشاء المدارس التي تعلم لغتها، بهدف التغلغل في وسط المجتمع ونشر أفكارها، لاستعمالها كورقة رابحة للفوز بالإيالة التونسية.

(2) أحمد القصاب: المرجع السابق. ص 291-293. وأيضاً: علي محجوبي: انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تع عمر بن ضو وحليمة قرقوري وعلي محجوبي، سراس للنشر، تونس، 1986م. ص 143. وكذلك: مصطفى بن تمسك: مقال بعنوان "تطور التعليم في تونس من التعدد إلى التوحيد. من موقع منتديات مكتبتنا العربية - تاريخ الاطلاع 2014/02/17.

(3) محمد بن الخوجة: صفحات من تاريخ تونس، تح حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1986م. ص 290-292. وكذلك: أحمد القصاب: المرجع السابق. ص 312-313.

(4) تدعى هاته البيوت بالمدارس، لأنها تأوي الطلاب، وأقدمها المدرسة الشماعية ثم التوفيقية، وكلاهما منذ القرن 7هـ.

محمد بن الخوجة: المصدر السابق. ص 285.

(5) محمد الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح بقريب؟ ص 108، 205 أنظر أيضاً: التليلي العجيلي: المرجع السابق. ص 256.

المائة والمئتين في بعض الدروس، وربّ درس لا يحضره غير واحد، ولهم احترام واجلال للشيخ، والمدرّس لا يحيط بأسماء تلامذته، ولا بحالة سيرتهم العلمية، ولا أيام غيابهم. (1)

ب- مدارس القرآن العصرية:

قام بهذه المبادرة الأستاذ خير الله بن مصطفى مطلع القرن 20م، بغية إصلاح الكتابات وتعميمها، لإعطاء فرص التعليم أمام الأطفال باللغة العربية لبرامج المدرسة العربية-الفرنسية، حيث أنشأ "المدرسة القرآنية العصرية" أو "الكتاب العصري"، تستعمل الكتب المدرسية المطبوعة بمصر، ثم تتالت المبادرات على شاكلتها، وشجعتها سلطة الاحتلال بضغط من المعمرين لإبعاد التلاميذ التونسيين عن تعلم الفرنسية. (2)

ج- التعليم الفرنسي:

في بداية عهد الاحتلال أحدثت سلطة الحماية، إدارة التعليم العمومي، وهذا في 28 جمادى الآخرة 1300هـ / 06 ماي 1883م، وترأسها المستشار لويس ماشويل Machuel Louis "أستاذ اللغة العربية بوهرا"، وبدورها بدأت هذه الإدارة بتوسيع نطاق المدارس الفرنسية، وهي مفتوحة أمام الأولاد الفرنسيين وبقية الأوروبيين وأطفال اليهود وبعض أبناء الأعيان، والغرض منها تمكين الفرنسيين من تلقي تعليمهم، بالإضافة إلى نشر اللغة والثقافة الفرنسية بين أوساط الجاليات الأوروبية لفرنستها فتصبح تحت النفوذ الفرنسي وبالتالي تتجنب صعوباتهم (3)، كما بدأ تعليم التونسيين منذ 1903م في المدارس الفرنسية، يتجه لتخريج يد عاملة فنية،

(1) الطاهر ابن عاشور: أليس الصبح...؟ ص ص 141-142.

(2) أحمد القصاب: المرجع السابق. ص ص 330-331. وأيضا: تقرير خير الله بن مصطفى نقلا عن: مصطفى بن تمسك: المقال السابق.

(3) ريشارد ماكن: لوي ماشويل والإصلاح التربوي بتونس خلال السنوات الأولى للحماية الفرنسية، المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر، ع03 جانفي 1975م، تونس. ص 63. وأحمد القصاب: المرجع السابق. ص ص 294، 303. وكذلك: عز الدين معزة: المرجع السابق. ص 67.

وموظفين مؤهلين خصوصا في الترجمة، وأنشئت لذلك مصلحة للتعليم المهني بإدارة التعليم العمومي، تشرف على عدد من المدارس للتدريب الزراعي والصناعي. (1)

د - التعليم الفرنسي-العربي:

هذا التعليم منه ما كان تونسي المنشأ والأهداف، كالمدرسة الصادقية (2) والجمعية الخلدونية، ومنه ما كان من إنشاء إدارة التعليم العمومي، ضمن سياسة حكومة الاحتلال، مثل المدرسة التأديبية وغيرها (3)، وهدفها هو التغلغل في وسط النشء لغويا وثقافيا، لتخريج جيل مطموس الهوية، منسلخ عن جذوره، يحتقر أجداده، ويخضع للمحتل. (4)

5- المراكز العلمية بالجنوب التونسي مقصد الطلبة السوافة:

إن ما اشتهر من المراكز العلمية التونسية، التي يقصدها طلبة العلم الجزائريين عامة، وطلبة وادي سوف بالخصوص، مركز من أشهر مراكز الإشعاع العلمي في العالم الإسلامي، وهو الجامع الأعظم "الزيتونة"، بيد أن الطلبة السوافة كان لهم مقصد آخر لطلب العلم والمعرفة، وهو المتمثل في المراكز العلمية بالجنوب التونسي، وتوجد كلها تقريبا ببلاد الجريد، وما يجذبهم إلى هذه المنابع، هو وجودها على مقربة من ديارهم، ولا تفصلهم عنه عدا يوم، الكثير منهم يطويها مشيا على الأقدام.

(1) علي محجوبي: المرجع السابق. ص 144. وأيضا: أحمد القصاب: المرجع السابق. ص ص 299-300.

(2) المدرسة الصادقية: تأسست يوم 04 ذو الحجة 1221هـ/13 جانفي 1875م، ضمن سياسة إصلاح التعليم، ومساعدة القطاع الخاص، من قبل رائد الإصلاح في تونس خير الدين باشا الوزير الأكبر (1873/1290-1877م).

(3) المدرسة التأديبية: هي مدارس أسستها سلطة الاحتلال، فتحت أولاها سنة 1905م بالعاصمة تونس، تعليمها مزدوج اللغة، موجّه لأطفال المسلمين دون غيرهم، وهدفها مهني خالص، بغية تخريج يد عاملة حسب رغبة المعمرين، وكذلك إنشاء جيل تونسي بخلفية ثقافية فرنسية. أنظر عبد العزيز الثعالبي: المصدر السابق. ص ص 62-65. وكذلك: مصطفى بن تمسك: المقال السابق.

(4) عبد العزيز الثعالبي: المصدر السابق. ص ص 62-65. وأيضا: مصطفى بن تمسك: المرجع السابق.

ويميّز هذه المدارس زيادة على تقديم مختلف العلوم والفنون للطلبة، فإنها تؤمن لهم المسكن والغذاء، عن طريق مختلف الأحباس، التي كانت عماد المجتمع الإسلامي إلى وقت قريب، كما لا ننسى في هذا المجال تبرعات المحسنين، وعليه فلا غرو إذا رأينا الاحتلال يعمد إلى محاربة الظاهرتين، لعلمه أنه بالاستيلاء على الأوقاف، والقضاء على ظاهرة التبرعات وإمداد المحسنين، فإنه يقوم بتجفيف المنابع التي تزود هذه المراكز بما يلزمها من احتياجات، وتزيد في حياتها وتواصل نشاطها، بل وازدهار عملها. (1)

ومن أبرز هذه المراكز:

- الزاوية القادرية بنفطة "لمؤسسها الشيخ ابراهيم بن احمد الشريف".
- الزاوية الرحمانية العزوزية بنفطة "لمؤسسها الشيخ مصطفى بن عزوز".
- الزاوية القادرية بتوزر "وأشهر شيوخها المولدي بوعرقية".
- المعهد الزيتوني بتوزر "المسمى جامع الفركوس".

6- البعثات العلمية من سوف نحو الجنوب التونسي:

بعدما حيل بينهم وبين نور العلم، وبسبب ضعف مناهله ببلادهم، اضطر أبناء وادي سوف الذين أتيحت لهم الفرص، إلى الاغتراب في سبيل التعليم الذي يلائم توجههم الفكري، وخلفيتهم الثقافية العربية، فكان أغلبهم يؤمّن زوايا الجنوب التونسي، وجامع الزيتونة المعمور، ولاحقا فروعها خاصة فرعي توزر ثم قفصة. (2)

(1) محمد العيد قدح: الجهود التعليمية للشيخين ابن عاشور وابن باديس - دراسة مقارنة، مطبعة نور للنشر، ألمانيا، 2017. ص 36. هجرة الجزائريين إلى تونس بين تلبية... المرجع السابق.

(2) أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م. ص 41. محمد السعيد عقيب: جمعية... المرجع السابق. ص 63.

6-1 أسبابها:

اجتمعت للهجرات العلمية السوفية، نحو المراكز العلمية للجنوب التونسي، عدة أسباب أهمها:

أ- السبب التاريخي:

إن الرحلة قديمة عند العرب، ولما جاء الإسلام أصبحت لها خصوصيات في مجالات متعددة، ومنها المجال العلمي، ابتداء من طلب العلم وتنمية المعارف وتجديدها، وتلقي الإجازات في مختلف الفنون، مروراً بجمع العلوم والآثار، مثلما فعل جامعي الأحاديث النبوية والسير...، وانتهاء بتعارف العلماء وتواصلهم، والتراث الإسلامي مليء بمدح هذه الهجرة والحض عليها، وهو ما دأب عليه أهل سوف، طلبة وعلماء بالهجرة إلى الجنوب التونسي، وبادلهم علماء الجنوب بزيارات لسوف تعارفا وتعرّفا ونشرا للعلوم.

ب- السبب الثقافي:

وهو إزدهار الحياة العلمية بتونس، فقد كانت أرحب مجالا وأكثر اهتماما⁽¹⁾، مقارنة لما عليه الحال في الجزائر عموما، ومنها منطقة وادي سوف، التي تعاني تخلفا كبيرا في هذا المجال، والملاحظ أن هذه المفارقة موجودة على مر العصور، فقد كانت تونس سباقة في هذا المجال⁽²⁾، وما وجود جامع الزيتونة، وفروعه ومنها فرع توزر وقفصة بالجنوب التونسي، إلا مظهر من مظاهر هذا السبق، وهو ما قلل من تأثير السياسة الاستعمارية على الثقافة العربية بتونس، وبالمقابل خلو الجزائر من صرح علمي بحجم الزيتونة⁽³⁾، بالرغم من وجود بعض المراكز بقسنطينة وبجاية... وبعض الكتاتيب البسيطة في المساجد، أو الزوايا الكثير منها

(1) لا يعني هذا أن هناك تطور علمي في تونس، فقد كانت كغيرها من مناطق العالم الإسلامي، تزرع تحت وطأة التخلف عموما، خصوصا بالبوادي التي تشكل أغلب منطقة الجنوب التونسي.

(2) محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب. ص 99. علي بن حراث: المرجع السابق.

(3) أبو القاسم سعد الله، أفكار جامعة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988. ص 56.

شغلها الشاغل هو ربط المريدين بالطريقة الصوفية، أكثر من اضطلاعها بسد الفراغ في المجال الثقافي، مع عملية التضييق التي مارسها الاحتلال ضد عملية التتوير. (1)

وتكتمل الحلقة بسياسة الإبعاد، التي مارسها العدو ضد كل من يلمس فيهم خطرا عليه، وهجرة الآخرين متوجهين إلى قواعد الثقافة التي تلائم تكوينهم، ولم ينصرم النصف الأول من القرن 19م، حتى لم يبق سوى القليل ممن يدافع عن المصالح الحضارية للجزائريين. (2)

ج- السبب الجغرافي:

إن المتاخمة الحدودية بين وادي سوف والجنوب التونسي، شكل ولا يزال جسرا للتواصل المستمر على مرّ العصور، فكان هذا سببا في تحول أنظار طلاب العلم من منطقة سوف، إلى المدارس التعليمية بزوايا الجنوب التونسي، قبل التوجه للزيتونة، لريّ غليلهم في تلقي مختلف العلوم. (3)

د- السبب السياسي:

طبق الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة استعمارية مقبّنة، مبنية على الحيف والجور، ومن ضمنها محاولة المسخ للهوية الجزائرية، المؤسسة على اللغة العربية والدين الإسلامي، ولا يتأتى ذلك إلا بمحاربة التعليم العربي وإتباع سياسة تجهيل ممنهجة، بالقضاء على الثقافة الإسلامية، وتجفيف منابعها، ومع وجود الاحتلال في كلتا البلدين؛ تونس والجزائر، فلا يجب التغاضي على نوع الاحتلال في تونس "الحماية"، التي هي أقل وطأة وتأثيرا من

(1) أبو القاسم سعد الله، قضايا شائكة، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990. ص 126.

(2) سعد الله: أفكار...، المرجع السابق، ص 62. وعلي بن حراث: المرجع السابق.

(3) الجابري: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900م-1962م، الدار العربية للكتاب، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس والجزائر، 1983م. ص 23. وكذلك محمد السعيد عقيب: جمعية... المرجع السابق. ص 63 وأيضاً سعد الله، تجارب...، مصدر سابق، ص 41.

الاحتلال في الجزائر "الاستعمار المباشر"، فكان هذا سببا قويا في توجيه الهجرة لطلب العلم إلى خارج الجزائر، والأقرب لأبناء سوف هو منطقة الجنوب التونسي. (1)

هـ - شهرة المراكز العلمية بالجنوب التونسي:

إن السمعة العلمية التي اكتسبها جامع الزيتونة، ومنها فرعها بتوزر، وكذلك مختلف الزوايا بالمنطقة، مثل زاوية الشيخ ابراهيم بن أحمد القادرية بنقطة، وزاوية الشيخ مصطفى بن عزوز الرحمانية بنقطة (2) كذلك، وزاوية المولدي بوعرقية القادرية بتوزر... وغيرها، جعل الطلبة السوافة يشدون الرحال إلى هذه المراكز العلمية الشهيرة، بالإضافة إلى ما تمثله هذه المدارس من مراكز جذب روحية، تهفو إليها الأفئدة، وترنو لها القلوب وتشرئب لها الأعناق. (3)

أضف إلى ما سبق كفاءة شيوخ العلم هناك، ووزنهم وشهرتهم العلمية، نتيجة تمكنهم العلمي، وخبرتهم الواسعة في هذا المجال، وتنوع المواد الدراسية، حيث يدرس الفرع الزيتوني بتوزر العلوم الحديثة كالرياضيات والفلك والكيمياء... وغيرها من العلوم (4) وإن كانت بسيطة، وبهذا نستشف التطور، الذي وصلت إليه كمنطقة الجنوب التونسي في تلك الفترة، مقارنة بمنطقة سوف التي تعاني عوزا كبيرا في هذا المجال.

(1) علي بن حراث: المرجع السابق.

(2) رغم صغر مدينة نقطة آنذاك، فقد كانت تعجّ بشيوخ العلم وحلقاته، وبها الكثير من المساجد، بلغ عددها مع الزوايا 82 مسجدا وزاوية، مما حدا ببعضهم إلى تسميتها بالكوفة الصغرى، وكذلك المدينة المقدسة للجريد. لقاء مع الشيخ حمد توية، بمنزله بقرية جلمة بلدية المقرن-ولاية الوادي، يوم 2012/01/14، 16:00 وأوغست أنطوان: المصدر السابق. ص32. لكن الأرجح أن مصدر هذه التسمية لانتشار التشيع بها قديما. محمد الصالح مرمول: المرجع السابق. ص ص 32-33. (3) محمد الشاذلي النيفر: زيتونة يكاد زيتها يضيء، جريدة الزيتونة، السنة 01، العدد 02، نوفمبر 1953. ص01. علي بن حراث: المرجع السابق.

(4) محمد علي دبّوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة العربية، ط1، الجزائر، 1971م. ج2 ص ص 16-17 علي بن حراث: المرجع السابق.

و- المهاجرون السوافة بالجنوب التونسي:

إن وجود السوافة بتونس عموما وبلاد الجريد بصفة خاصة، متن العلاقات الاجتماعية من جهة (1)، ومن جهة أخرى كان هذا مشجعا لطالب العلم على الانتقال، حيث يوجد من يأنس إليه، ويسليه البعد عن مضارب الأهل، ويتلقى منهم بعض المساعدات (2)، وفي هذا الإطار يذكر الشيخ مبروك الشامسي: أنه كان يسكن بنفطة ويدرس بالفرع الزيتوني بتوزر، وكان ضريرا ومقلا، فكان يقله سائق حافلة أصله من سوف ويدعى العربي بالشاوش مجانا أسبوعا بعد أسبوع، كما كان هناك تاجرا من سوف يسمى نصر واجده عرض خدماته على الطلاب السوافة، أن من كان موسرا يدفع ثمن المقتنيات وإلا عفا الله عنه، كما كان الطلبة النفطيين من رفقته، خير معين له وأحسن عاضدا، حيث يهيؤون طعامه وشرابه ويقومون بحاجاته. (3)

ز- الطلبة السابقين:

إن الطلبة السوافة العائدين من تونس، خاصة الذين أنهوا دراستهم، أبهروا العامة بعلومهم التي تفوق نوعا وكما، ما هو موجود لدى الشيوخ المتصدرين للتدريس في سوف، خاصة المتكونين محليا، فقد كانت معارفهم لا تعدو أن تكون تحفيظ القرآن (4) الكريم والخط، وفي أحسن الحالات تقديم بعض الدروس السطحية في فقه العبادات، فكان لهؤلاء الطلبة دور مهم في توجيه الرحلة العلمية صوب المراكز العلمية بالجنوب التونسي، حيث وجد الكثير من

(1) لعل من بين أهم مظاهر هذا الانصهار والتلاحم، والتأثير والتأثر بين المنطقتين، وجود عدة ألقاب مشتركة، ففي تونس ألقاب جزائرية منها: (سوفي، توانسة، عاشور، زلاسي، دقاشي، مسغوني، همامي، غريب،...).

(2) سعد الله: تجارب...، مصدر سابق، ص 41.

(3) مبروك الشامسي: المرجع السابق. ص ص 55-56.

(4) عثمان زقب: نماذج من سياسة... المرجع السابق.

السوافة في الفرع الزيتوني وزوايا وكتاتيب نفطة وتوزر مستقرا ومقاما لتلقي مختلف العلوم. (1) وبذلك كان عدد الطلبة بتونس يزداد من سنة لأخرى، وهذا بفضل الطلبة القدامى المتخرجين، أو الزائرين لأهلهم في العطل (2)، فيزيدون من نشر الوعي ويرغبون الشباب في الرحيل لتونس لطلب العلم، فكان لذلك أثر كبير على أقرانهم، من الذين يتوقون للتزود من مختلف العلوم، ووجدوا الأبواب موصدة أمامهم ببلدهم سوف. (3)

ح- التهرب من الخدمة العسكرية:

وهو سبب غير مباشر، يبدأ بهروب الشباب خوفا من أن يقعوا تحت طائلة التجنيد في الجيش الفرنسي، ثم لا يلبث المهاجر أن يبدأ بممارسة حياته في وطنه الجديد، التي تنتهي به أحيانا إلى طلب العلم، بإحدى الزوايا التي احتضنته في غربته. (4)

7- الرحلات العلمية بين المنطقتين:

بسبب سياسة التجهيل التي اعتمدتها السلطات الاستعمارية، والتوق للمعرفة وطلب العلم، شدّ كثير من شباب منطقة وادي سوف الرحال إلى مراتع العلم ومنابعه، وأقربها لهم منطقة الجنوب التونسي، حيث الحركة العلمية تشهد نشاطا لافتا في ذلك الوقت، بفضل نشاط الزوايا، وخاصة الزاويتين القادرية والرحمانية والفرع الزيتوني في مسجد الفركوس بتوزر، وكان كثير من أساطين العلم يجوبون تلك المراكز، حيث شكل الشباب المهاجر لأجل العلم، أشبه

-
- (1) عاشوري قمعون: العلاقات الثقافية بين منطقة سوف وبلاد الجريد التونسية، المجلة التاريخية المغاربية، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، س41، ع160، جويلية/يوليو 2015. ص149.
- (2) إبراهيم شويخ: المرجع السابق. ص ص24-25.
- (3) Haggui , op.cit , p87. ومحمد السعيد عقيب: جمعية... المرجع السابق. ص64. وكذلك مبروك الشامسي: المرجع السابق. ص51.
- (4) عبد الحميد زوزو: المرجع السابق. ص46.

بالبعثات العلمية بالمفهوم الحالي، وهي هجرات تقتصر مدة إقامتها في الغالب، على سنوات طلب العلم والتحصيل، والانتفاع من المراكز العلمية التونسية في الجنوب. (1)

وعلى الرغم من مساعدة أهل البر والإحسان، لطلبة العلم بتوفير المسكن والمعاش، فقد يضطر الطلبة إلى تأمين حاجياتهم بأنفسهم، من خلال إقدام بعضهم على استئجار بيت بصورة جماعية، وهذا بدوره يدفعهم للعمل، قصد جمع المال اللازم لتغطية المصاريف المترتبة عن اكتراء المسكن، وتوفير ما يسد الرمق من المأكل... (2)

ومن هذه الهجرات ما يمتد حتى بعد تخرج طالب العلم، وقراره مغادرة حلق العلم، بعدما تبين له أنه أخذ حظا وافرا من العلم والمعرفة، أو اضطرت الظروف لإنهاء دراسته، كالفاقة ومرض أحد الوالدين، وغيرها من الأسباب الشخصية، وما يميز هذه البعثات أن أغلبها فردية حرة، لا تتبع لأي جهة رسمية. (3)

أما الطلبة التونسيون فلم تستهويهم وادي سوف، لعوامل منها: الوضع السياسي في المنطقة التي ترزح تحت وطأة الاحتلال، لكن الأهم عدم وجود مراكز علمية كبيرة، يمكن أن تكون مصدر جذب، ولا أدل على ذلك من أن أبناء سوف أنفسهم، كانوا يغادرون ديارهم إلى الجنوب التونسي، للتزود بمختلف العلوم والمعارف. (4)

(1) علي غنابزية: دراسة تاريخية لمناهج تعليم القرآن الكريم بين الماضي والحاضر "مجتمع وادي سوف نموذجا"، مجلة البحوث والدراسات-المركز الجامعي بالوادي-الجزائر، 4، محرم 1428هـ/يناير 2007م. ص 69.

(2) محمد الطاهر التليلي: هذه حياتي، مصدر سابق. ص 23.

(3) عبد الكامل عطية: المرجع السابق.

(4) أحمد بن تيشة: الصلات الروحية بين الطرق الصوفية في بلاد المغرب أثناء العهد العثماني (الجزائر وتونس أنموذجا)، رسالة ماجستير، إشراف أ.د، محمد مكحلي، قسم العلوم الانسانية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 1435-1436هـ/2014-2015م. ص 133.

8- أبرز طلبة وادي سوف بالجنوب التونسي:

كثير من طالبي العلم من أبناء الشرق والجنوب الشرقي الجزائري، كانوا يفدون إلى زوايا الجنوب التونسي للتعليم⁽¹⁾، وتخرج منها رعيلا منهم علماء أفذاذ، طبقت شهرتهم الآفاق مثل الشيخ محمد الأخضر بن حسين والشيخ محمد بن السايح اللقاني والشيخ المكي بن عزوز وعاشور الخنقي ... وغيرهم.

وستنطرق هاهنا لذكر عينة من بعض الطلبة السوافة، الذين زاولوا دراستهم أو جزء منها في منطقة الجنوب التونسي، وكان لهم صيت في العلم، ودور في بعث الحياة العلمية بسوف وحتى بتونس، مع العلم أن كثير من الأفذاذ في هذا المجال من طواهم النسيان، ولم يبق من ذكرهم عدا الاسم، ولا يوجد معلومات حول سيرهم الذاتية أو العلمية، ناهيك بمن لم تحفظ الذاكرة الجماعية حتى أسماءهم.

وعلى ذكر أسماء هؤلاء الطلبة، فقد سبقتهم مجموعة، انتقلت لتونس بغية طلب العلم من معينه، واستوطن بعضهم هناك، ومنهم من ساهم في ربط الاتصال بين المنطقتين، وسعى لتوفير الظروف لغيره ممن حذا حذوهم، وهم يعدون بالعشرات، نذكر منهم: (2)

أ- الشيخ أحمد بن محمد دغمان:

ولد الشيخ أحمد دغمان 1876 ببلدة قمار، وفي كتاب الحي حفظ القرآن ونال بعض العلوم، ثم انتقل إلى الجريد التونسي، شأنه شأن أبناء المنطقة في القرن 19م، ومن هناك

(1) محمد السعيد قاصري: الطرق الصوفية ودورها في التواصل الحضاري والثقافي بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التواصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس 11/10 نوفمبر 2013، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر.

(2) عمار هلال: العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين 19-20م / 13-14 هـ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995. ص 83.

توجه إلى جامع الزيتونة، حيث يعتبر من أوائل طلبة سوف الذين زاولوا دراستهم بالجامع الاعظم، وبعد تخرجه زاول التدريس بمدينة الكاف التونسية، ثم استقدمته زاوية قمار التجانية مدرسا وقاضيا، وكانت له مكاتبات مع الشيخ المكي بن عزوز وتتضمن مراسلات علمية وأدبية وفقهية. (1)

ب- الشيخ الحاج أحمد بالقيم:

ولد الشيخ بالقيم عام 1840 ببلدة قمار، وبها نشأ وبدأ أول تعلمه، ثم رحل للجريد التونسي، لإكمال تعليمه الذي زاوله بزاوية مصطفى بن عزوز بنفطة، كما زاد تعلمًا للفقهاء على يد قاضي قمار الشيخ لخضر حمادة، كان يختم القرآن أسبوعيا، وقضى حياته في التدريس، إلى وفاته سنة 1328هـ/1910م. (2)

ج- الشيخ إبراهيم العوامر:

العلامة الموسوعي صاحب كتاب الصروف، رجل الدين والتاريخ والقضاء، الشاعر الأديب، الشيخ إبراهيم بن محمد الساسي بن محمد بن عامر الملقب بالعوامر، أسرته حديثة الوجود نسبيا بالوادي حيث انتسبت لعرش الشبابة من قبيلة المصاعبة، ولد سنة 1881م بالوادي، وترى في بيت متوسط الحال، إذ كان والده بائع صوف في بلدة قمار، حيث كان يصحب ابنه إبراهيم للمتجر ليستعين به وليهيئه للتجارة، وفي نفس الوقت -وكعادة أترابه- كان يحفظ القرآن الكريم، وتلقى دروسا على يد بعض المعلمين، في اللغة "متن الأجرومية"

(1) عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر-من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت-لبنان، ط2، 1400هـ/1980م. ص142 وأيضا أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي... المرجع السابق. ج4/ص498. وإبراهيم شويخ: المرجع السابق. ص17.

(2) أنظر علي غنابزية: مساهمات علماء... مرجع سابق. ص25-26. وإبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص234.

وفي الفقه "متن ابن عاشر"، فحدث تحول في شخصيته إذ أصبح مولعا بالمعرفة ينشد العلم حيث كان، ويترصد حلقاته بلهفة وشغف. (1)

ولما بلغ أشده تجلت رغبته في الاغتراف من مناهل المعرفة، فارتحل إلى نفطة بالجنوب التونسي وأخذ عن كبار مشايخها في زاوية مصطفى بن عزوز (2)، وبعد عودته إلى الوادي ربط صلاته بالشيخين عبد الرحمان العمودي (3) ومحمد العربي بن موسى، اللذين ألحا عليه مواصلة طريق العلم، الأمر الذي شجعه على الالتحاق بجامع الزيتونة، حيث تتلمذ على علمائها أمثال الشيخ النخلي والشيخ حسن بن يوسف والشيخ محمد الأخضر بن حسين، الذي زار سوف عام 1905م وكان لهذه الزيارة تأثير في تلميذه ابن عامر، منها طباعته لكتابين في نفس العام. (4)

إثر تخرج العوامر من جامع الزيتونة استقر به المقام بوادي سوف فكانت حياته حافلة بالكثير من الأعمال الجليلة نذكر منها التدريس والفتوى والإرشاد والتأليف، فقد كان يقدم دروسا في جامع سيدي المسعود ومسجد سيدي سالم ومسجد النخلة... للصغار والكبار (5)، حيث كان

(1) أنظر عاشوري قمعون: ديوان الشيخ العلامة إبراهيم بن عامر السوفي 1351-1292/1875-1932م، مديرية الثقافة، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط1، 2013. ص 11. وسعد العمامرة وأحمد منصور: أعلام من سوف، شركة مزوار للطباعة والنشر والإشهار والتوزيع، الوادي. ص30.

(2) عاشوري قمعون: العلاقات الثقافية ... المرجع السابق. ص 163.

(3) الشيخ عبد الرحمان العمودي: توفي بالوادي عام 1327هـ/1910م، كانت له مراسلات إخوانية وعلمية مع الشيخ محمد المكي بن عزوز النفطي. علي غنابزية: مساهمات ... مرجع سابق. ص24. وسالمي مصطفى: مصدر السابق. ص 20.

(4) علي غنابزية: رحلات الشيخ محمد الخضر حسين للجزائر (1903-1905) أهدافها الاستراتيجية وأثرها على الحركة العلمية بالمجتمع الجزائري، المجلة التاريخية المغاربية، منشورات مؤسسة التميمي-تونس، س41، ع 154/155، فيفري/شباط 2014. ص58.

(5) عاشوري قمعون: ديوان الشيخ العلامة ... المرجع السابق. ص 23.

يحذر المسلمين من تدريس أولادهم في المدارس الفرنسية⁽¹⁾، وأشهر تلاميذ الشيخ ابن عامر الميداني موساوي، الهاشمي حسني، لزهاري الحرزولي، حمزة بوكوشة... وغيره.⁽²⁾

كما تولى العمل في سلك القضاء في الوادي وأولاد جلال وتقرت، وكان له نشاط فكري معتبر في المنطقة، ورغم قصر حياته إلا أنه خلف ثروة علمية وأدبية ثرية، بين المطبوع والمخطوط نذكر منها: (3)

- مواهب الكافي على التبر الصافي طبع بتونس سنة 1905.

- الصروف في تاريخ سوف الذي طبع سنة 1977م.

- الجواهر الحسان في بعض ما يتعلق بالمعلمين والمتعلمين من حملة القرآن.

- رسالة منظومة في الفلك، فيها تقريبا نحو خمسمائة بيت.

- تقارير على كتاب الرحمة في الطب والحكمة.

وغيرها من المؤلفات التي تؤكد على مكانة صاحبها المرموقة، بين العلماء في سوف وغيرها، وقد توفي الشيخ ابن عامر سنة 1932 عن عمر يناهز 51 سنة⁽⁴⁾ رحمه الله.

د- الشيخ الحسين حمادي:

ولد الشيخ الحسين حمادي بالنخلة سنة 1902م، بدأ تعليمه على يد والده علي حمادي إمام القرية، ثم انتقل إلى نفطة بالجنوب التونسي لإتمام دراسته وعمره حوالي 12 سنة⁽⁵⁾،

(1) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 13.

(2) عاشوري قمعون: ديوان الشيخ العلامة ... المرجع السابق. ص 26.

(3) عبد الكامل عطية: المرجع السابق. عاشوري قمعون: ديوان الشيخ العلامة ... المرجع السابق. ص 41-53. العمارة ومنصوري: المرجع السابق. ص 32.

(4) على غنابزية وآخرون: المرجع السابق، ص 97-98 عبد الكامل عطية: المرجع السابق. عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية ... المرجع السابق. ص 177.

(5) أنظر محمد السعيد غريب: الشيخ الحسين حمادي ونشاطه التعليمي في تونس ووادي سوف، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التوصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس 11/10 نوفمبر 2013، قسم العلوم الإنسانية=

فدرس بزواوية الشيخ إبراهيم بن أحمد القادرية، حيث تلقى العلم على علماء المنطقة، القارين منهم مثل الشيخ الصمادح والشيخ محمد بن حمد...، أو الشيوخ الزوار الذين يزورون الزاوية من حين لآخر، مثل الشيخ لحبيب. (1)

وبعد مكوثه ثماني سنوات تقريبا في مجالس العلم، وبسبب العوز وقلة ذات اليد، اضطر للتوقف عن الدراسة والبحث عن عمل، يساعد به والده المتفرغ للإمامة وتعليم القرآن بالنخلة، فانتهى به المطاف إلى حي أولاد لعمامي ببلدة المكناسي، الذين طلبوا منه المكوث عندهم لتعليم أبنائهم. (2)

وفي أثناء إقامته بأولاد لعمامي، تردد على جامع الزيتونة لإتمام دراسته، فكان في حلقة واحدة مع طلبة أصبحوا لاحقا شيوخا يشار إليهم بالبنان، مثل مفتي الديار التونسية الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور، وكذلك كان معه في نفس الفترة طلبة من وادي سوف، منهم الشيخ محمد الطاهر التليلي والشيخ عبد القادر الياجوري والشيخ علي بن سعد خرن، وكانت دراسته على شيوخ أفاذ مثل: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (3) والشيخ محمد النيفر...، لكنه لم يتم دراسته بالزيتونة بسبب إضراب الطلبة سنة 1351هـ/1932م الذي وقع في الزيتونة إثر

=بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر. ومحمد العيد قدع: الشيخ الحسين حمادي... المرجع السابق. ص ص 42-45.

(1) محمد العيد قدع: الشيخ الحسين حمادي... المرجع السابق. ص ص 46-47.

(2) محمد السعيد غقيب: الشيخ الحسين... المرجع السابق.

(3) محمد الطاهر ابن عاشور 1879-1973: عالم وفقه تونسي، أصول أسرته منحدر من الاندلس، تعلم بالزيتونة، ثم أصبح أحد أساطينها، عين قاضيا مالكا سنة 1911، ثم شيخ الإسلام المالكي وشيخ الزيتونة لعدة فترات امتدت إلى ما بعد استقلال تونس، له عدة مؤلفات في العلوم الشرعية واللغوية والتربوية، أهمها تفسيره للقرآن الواقع في 30 مجلدا، وعنوانه الكامل "تحرير القول السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد"، ويسمى اختصارا التحرير والتنوير. حمادي الساحلي: المرجع السابق. ص ص 142-146. محمد عبد العزيز بن عاشور: جامع الزيتونة، المعلم ورجاله، دار سراس للنشر، تونس، 1991. ص ص 115-121. عاشوري قمعون: الشقيقان، ط1، مطبعة مزوار، الوادي، 2010. ص 15.

محنة التجنيس⁽¹⁾، فلم تقع الامتحانات، وعليه لم تحسب تلك السنة للطلبة، لكن الشيخ الحسين لم يعد للدراسة في قابل العام.⁽²⁾

وبقي حوالي 18 عاما في تونس ينشر علمه، ولم تنته رسالته تلك في تونس إلا بوفاة والده حوالي سنة 1940م، حيث أوصاه بخلافته على مسجد النخلة، فكان خير خليفة له، إذ تحمل أعباء الإمامة والتدريس والفتوى وإصلاح ذات البين ...⁽³⁾

هـ - الشيخ الصادق بالي:

الشيخ الصادق بن العيد بالي، ولد عام 1920م بحي الفطاحزة⁽⁴⁾، حفظ القرآن الكريم كاملا، على يد الشيخ علي حنكة، وعمره لم يتجاوز خمسة عشرة سنة، ورغم فقد بصره عند

(1) **محنة التجنيس**: أصدر الاستعمار الفرنسي بتونس قانونا سنة 1910، يتيح تسهيلات لمن يرغب في التجنس بالجنسية الفرنسية من التونسيين، كما فعل من قبل في الجزائر، ومن بعد في المغرب الأقصى، فأفتى كثير من العلماء بحرمته ذلك، وأثير قانون التجنيس من جديد سنة 1923 مع منح المزيد من التسهيلات، فتصدى كثير من العلماء والسياسيين لهذا القانون، وجيشوا عليه العامة، الذين منعوا دفن المتوفين المجنسين بالفرنسية في مقابر المسلمين، باعتبارهم مرتدين عن الإسلام، بناء على فتاوى لعدة أعلام من المسلمين، مما أربك سلطات الاحتلال الفرنسي، فلجأ المقيم العام الفرنسي منصيرون Manceron بالاتفاق مع الوزير الأكبر الهادي الأخوة، إلى الحيلة لاستصدار فتوى تجيز للمسلمين التجنس بالجنسية الفرنسية، شرط أن ينطق المتجنس بالشهادتين أما القاضي، فكان لهم ذلك من طرف المجلس الحنفي، أما المجلس المالكي وعلى رأسه شيخ الزيتونة الطاهر ابن عاشور فقد اشترط التخلي عن الجنسية المكتسبة، فأخفى المقيم العام إجابة المجلس المالكي ونشر إجابة المجلس الحنفي، الأمر الذي فتح الباب أما شائعات مفادها أن علماء المالكية ومنهم شيخ الزيتونة، أفتوا كذلك لصالح التجنس، فأعلن طلبة الزيتونة وعددهم آنذاك نحو 3500 طالب، أنهم مضربون عن الدروس إلى أن يتخلى الشيخ الطاهر ابن عاشور عن إدارة جامع الزيتونة، فتخلى عنها مكتفيا بمنصب "شيخ الإسلام المالكي". محمد المختار بن محمود: **حكم الله في التجنيس**، الزيتونية-مجلة شهرية تصدر عن جامع الزيتونة، مج01، ج10، ربيع الثاني 1356هـ/جوان 1937. ص ص 02-04. حمادي الساحلي: **فصول في التاريخ والحضارة**، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992. ص ص 146، 221-223، 322. طارق البشري: **حول تجديد الخطاب الديني ومشاكله**، مجلة الحج والعمرة، شهرية تصدر عن وزارة الحج، السعودية، السنة 57، ع05، رجب 1423هـ/سبتمبر-أكتوبر 2002. ص 67.

(2) محمد العيد قدع: الشيخ الحسين حمادي... المرجع السابق. ص 52.

(3) إلى أن وافاه أجله المحتوم يوم 15 أبريل سنة 1982م رحمه الله. محمد العيد قدع: الشيخ الحسين، المرجع السابق. ص 64.

(4) **حي الفطاحزة**: وهو حي يقع جنوب مدينة الوادي حوالي 10 كلم، بين بلدي البيضاء والرياح.

بلوغه السنة الثامنة من عمره، فإن ذلك لم يثن عزمه عن مواصلة دراسته⁽¹⁾، ثم اتصل بالشيخ الهادي عامرة بقرية الخبنة⁽²⁾، وأخذ عليه مبادئ في الفقه واللغة العربية.

انتقل بعدها إلى نفطة بالجنوب التونسي، مع عدد من الطلبة من أبناء المنطقة، في رحلة علمية لمواصلة تعلمهم، حيث أخذ نذرا من العلوم الشرعية على يد بعض شيوخ العلم، ومنهم الشيخ بن حمد النفطي⁽³⁾، ثم أكمل تعليمه بجامع الزيتونة، حيث تحصل على شهادة الأهلية عام 1945م، ثم شهادة التحصيل عام 1949م، وكان هدفه مواصلة دراسته لنيل شهادة العالمية، لكن انقطع عن الدروس بعد عام واحد لظروف عائلية⁽⁴⁾.

بعد إنهاء دراسته بالزيتونة رجع إلى مسقط رأسه بالفطاحزة، وبدأ نشاطه بتعليم أبناء القرية اللغة العربية والفقه الإسلامي، وشارك في نشاط جمعية العلماء الجزائريين في المنطقة، وكان من بين المؤسسين لشروع مدرسة عربية حرة بالحي، لكن اندلاع الثورة التحريرية سنة 1954م حال دون إتمامها، وفي نفس السنة انتقل الشيخ إلى بلدة الحمامات بتبسة أين تولى

(1) سعد العمارة وأحمد منصوري: المرجع السابق، ص ص 107-108.

(2) **حي الخبنة**: يقع جنوب مدينة الوادي حوالي 12 كلم، بين بلدتي الرياح والنخلة.

(3) **الشيخ محمد بن حمد النفطي**: من أعلام الجريد، وعلمائها المعدودين في الحديث والفقه المالكي وعلم الفرائض، أصول عائلتهم من وادي سوف، ولد بنفطة ودرس بها ثم بالزيتونة، تولى التدريس ببلدته نفطة، خاصة بزاوية الشيخ إبراهيم بن أحمد، ومسجد ضيف الله، قدم الشيخ محمد بن حمد إلى الوادي ودرس بها في العقد الثالث من القرن 20م، ثم استدعاه الشيخ عبد العزيز الشريف ليدرس بالزاوية القادرية بالوادي، كما درس بزاوية سيدي سالم، حيث تعلم على يديه الكثير من الطلبة، وعند اعتقال فرنسا للشيخ عبد العزيز، وغلق مدارسه أعادت الشيخ بن حمد إلى بلده نفطة، توفي الشيخ بن حمد في رجب 1383هـ/10 نوفمبر 1963م بنفطة وقد أعياه المرض. أنظر: عاشوري قمعون: العلامة الموسوعي... مرجع سابق. ص 157 ومصطفى سالم: مصدر سابق. ص 25 وإبراهيم مياشي: الصحراء الجزائرية، مرجع سابق. ص 196 وأيضا صابر سميح: مرجع سابق. ص 10. ومحمد العيد قذع: الشيخ الحسين... مرجع سابق. ص 46 وكذلك عاشوري قمعون: الشيخ الهاشمي حسني (1320-1410/1902-1989) ودوره في الحركة الإصلاحية والوطنية، مجلة الباحث-المركز الجامعي بالوادي-الجزائر، ع1، يونيو 2010م. ص 226.

(4) العمارة ومنصوري: المرجع السابق. ص 108 عبد الكامل عطية: المرجع السابق.

الإمامة والافتاء، وتقديم دروس الوعظ والإرشاد، وفي نفس الوقت تولى مهمة الإفتاء بالمنطقة إلى غاية استقلال (1) البلاد. (2)

و- الأستاذ مصباح مصباحي:

ولد الأستاذ مصباح عام 1935م بالوادي، وبها نشأ وتلقى تعليمه الأول، انتقل إلى الجنوب التونسي، ودرس في الفرع الزيتوني بمدينة توزر، حيث تحصل منه على شهادة الأهلية سنة 1956، وكان من المشاركين في إضراب الطلبة الذي دعت إليه قيادة الثورة يوم 19 ماي 1956م، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة المعمور، أين نال شهادة التحصيل، ثم أوفدته الحكومة المؤقتة إلى مصر ضمن البعثات العلمية لمواصلة مشواره التعليمي في إحدى جامعات القاهرة، فتحصل منها على شهادة الإجازة "الليسانس" (3) تخصص علم الاجتماع (4)، وله باع في بعض العلوم ومنها اللغة والتاريخ والفكر. (5)

(1) سنة 1970م عاد الشيخ إلى مدينة الوادي، وتم تعيينه إماما بمسجد العتيق الواقع وسط سوق الوادي "مسجد سيدي المسعود"، ومن الأعمال التي كان يتولاها الشيخ هي تقديم خطب الجمعة، ودروس الوعظ والإرشاد، والافتاء، والمشاركة في تأطير الندوات التكوينية للأئمة، إلى غاية وفاته سنة 2002 رحمه الله. العمامرة ومنصوري ص ص 108-109.0

(2) عبد الكامل عطية: المرجع السابق.

(3) نال هذه الشهادة سنة 1963م، وتقلد بعدها عدة مناصب، أولها أستاذ التعليم الثانوي، ثم أصبح أول مدير ثانوية بالوادي، عند تأسيس ثانوية عبد العزيز الشريف سنة 1971م، ثم تقلد مدير ولائي للتربية، إلى أن أحيل على التقاعد، وما زال ينشط بتقديم المحاضرات والمداخلات بمختلف التظاهرات التاريخية، ومنها أنه عضو ناشط ضمن جمعية التاريخ والمعالم الأثرية، وجمعية أول نوفمبر للتاريخ الفكري والثقافي وكلاهما بمدينة قالم.

(4) مصباح مصباحي: ومضات-من تجاربي التعليمية في تونس ومصر، مخطوط لدي نسخة منه سلمه لي كاتبه. لقاءات متعددة مع الأستاذ مصباح مصباحي، ببيت إبنته بحي الرمال، وغيرها من الأماكن خلال 2016-2018.

(5) في بعض اللقاءات مع الأستاذ مصباح، حاولت تحريضه على التأليف، خاصة حول تجربته الشخصية، وفي تدوين الأحداث التي كان شاهدا عليها، فوجدته معارضا لذلك، وحبته في ذلك خشيت أنه يكون دافعه في ذلك إظهار نفسه، والتباهي بماضيه، وهذا لعمرى دليل على ورع يتصف به.

وهؤلاء الطلبة هم فيض من غيض، أتينا على ذكرهم، لنستدل بهم على قوافل طلبة العلم، التي كانت تتطلق من وادي سوف باتجاه منطقة الجنوب التونسي، تحوهم العزيمة لاغتراف العلم من معينه، ويعودتهم للديار كان لهم تأثير في تطوير الساحة الثقافية بمناطقهم، بنشر ما تعلموه، وإثراء الجانب الثقافي بإنتاجهم، ومنهم من فضل المكوث بتونس، وساهموا بقوة في الحياة العلمية بشتى النواحي التي استوطنوها، ردا للجميل، وأداء للرسالة المنوطة بهم. وبالتالي شكلت الجالية الطلابية من أهل سوف في الجنوب التونسي، إضافة جديدة في رصيد المهاجرين السوافة، وهو ما زاد في تمتين جسر العلاقات الثقافية بين المنطقتين، وتعزيز أواصر اللحمة.

8- تأثير طلبة سوف الدارسين بالجنوب التونسي:

شهدت سوف حركة علمية في حواضرها الرئيسة "الوادي وقمار والزقم"، بفعل عودة طلبة العلم من الجنوب التونسي أو الزيتونة، وكان غالبيتهم مشبعين بالروح الإصلاحية، مثل الشيخ إبراهيم العوامر بالوادي والشيخ عبد الرحمان معمري بالزقم والشيخ الحسين حمادي بالنخلة، والشيخ محمد الساسي معامير والشيخ عمار بن لزعر بقمار، وهذا الأخير حضر اجتماع العلماء بنادي الترقى بالجزائر العاصمة أوائل شهر ماي 1931م، والذي تمخض عنه تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين⁽¹⁾، وبما أن الشيخ بن لزعر كان ممثلا لجمعية العلماء بسوف، يحارب الآفات الاجتماعية، والأخلاق الفاسدة، والأفكار والمعتقدات المنحرفة، كما كان يحارب التصوف المنحرف، فإن السلطات الفرنسية ضاقت به ذرعا، ولقي عنتا وحصارا من رجال الطرق الصوفية، النافذين لدى الإدارة الاستعمارية، حتى اضطر للهجرة خارج الديار، واستقر به المقام في المدينة المنورة عام 1937م.⁽²⁾

(1) علي غنابزية: النشاط السياسي... المرجع السابق. ص 34.

(2) المرجع نفسه. ص 34.

لكن الفكر الإصلاحى بدأ ينتشر فى المنطقة ولو باستحياء، إلى حين اعتناق شيخ القادرية عبد العزيز الشريف للفكر الإصلاحى (1)، فزاد نشاطها واتسع نطاقها وكثر أتباعها وزادت شعبها، وبفضل نشاطات الشيخ عبد العزيز، تم تأسيس مدارس للجمعية بعميش والوادي والزقم وقمار والرقبية، كما تم تنظيم زيارة وفد جمعية العلماء إلى الوادي فى ديسمبر 1937م يتقدمهم رئيس الجمعية الشيخ عبد الحميد ابن باديس، حيث كان لهذه الزيارة أثرها فى تذكية النهضة الفكرية والعلمية بالمنطقة (2)، لكن هذا النشاط خبا بمجرد اعتقال الشيخ عبد العزيز ورفاقه، ليتجدد بعد الحرب العالمية الثانية، لكن تركزه الأخير كان بمدينة قمار. (3)

كما أحدث هؤلاء الشيوخ ثورة علمية، بتجديدهم للمعارف، وأحياء ما اندرس منها، وتدريسهم لعلوم -رغم تواضعها- لم تكن معهودة عند طلبة العلم بسوف، فكان التعليم القرآنى هو الأساس، وبهامشه يقدمون دروسا فى العلوم اللغوية والدينية خاصة فى الفقه المالكي. (4) إضافة إلى ما سبق، كان المتخرجين من مراكز الجنوب التونسى والزيتونة، يقومون بوعظ السكان وإرشادهم، فى المساجد والزوايا، وحتى فى اللقاءات العامة، أو الخاصة فى بيوت بعض العلماء، واشتهرت هذه الظاهرة، بالحواضر الثلاث الوادي قمار والزقم (5)، وإذا بالمساجد وقد تعرضت فيها الحلقات التى تعج بالشيوخ لوضع المتعلمين على المحجة، بعد أن كانوا فى ظلماتهم يعمهون، الكثير من معلمي الكتاتيب بوادي سوف، هم خريجي المراكز العلمية ببلاد الجريد التونسى. (6)

(1) الملحق رقم: 29، ص322 وأحمد زغب: صدى الحركة الإصلاحية بوادي سوف، القباب، ع01، جوان 2004. ص26.

(2) موسى بن موسى: الحركة الإصلاحية بوادي سوف-نشأتها وتطورها (1900-1939)، رسالة ماجستير، إشراف أ.د. أحمد صاري، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، 1426-1427هـ/2005-2006م. ص 180.

(3) علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال ... مرجع سابق. ص ص 76-77.

(4) محمد العيد قدع: الشيخ الحسين حمادي... المرجع السابق. ص95.

(5) عثمان زغب: الأوضاع الاقتصادية... مرجع سابق. ص171. موسى بن موسى: الحركة الإصلاحية... ص101.

(6) إبراهيم شويخ: المرجع السابق. ص 12.

وقد أفضت جهود هؤلاء المصلحين إلى تكوين رجيل واع، ووجود قامات علمية هامة، على غرار من ذكرنا، ومنهم كذلك على سبيل المثال لا الحصر:

- فمن المتصدرين للمشهد الثقافي الذين كانوا باحاضرة الوادي الشيخ الصادق بلهادي 1875-1939م الذي عمل باش عدل بمحكمة الوادي، والشيخ الطاهر العبيدي، والشيخ الميداني موساوي إمام المسجد العتيق 1939م، والشيخ لزهاري الحرزولي (1) الذي كان حجة في الميراث، ودرّس بزواوية سيدي سالم الرحمانية. (2)

- وفي حاضرة قمار وجد بها الشيخ محمد الصالح بن الخوصي القماري، الذي علم القرآن بالزواوية التجانية، وكان يقوم بنسخ المصاحف، ويكتب القصائد، والشيخ أحمد بن القا القماري 1884-1939م، كان ضريرا، وقد درّس متن ابن عاشر في الفقه والاجرومية في اللغة. (3)

- أما في الزقم: فكان بها الشيخ محمد الساسي بن الحاج محمد الساسي الزقيمي وكنيته "معامير"، مؤلف كتاب "التقويم الجزائري" الصادر عام 1927م، والشيخ عبد الرحمان معمري إمام المسجد العتيق "مسجد العدواني"، والشيخ مسعود عباسي إمام مسجد الأصفر وكان فقيها بارزا. (4)

(1) الأزهاري بن الطالب صالح الحرزولي (1903-1986م): ولد بالوادي، حفظ القرآن بزواوية سيدي سالم، ثم درس اللغة والفقه على الشيوخ إبراهيم بن عامر والشقيقتين الطاهر وأحمد العبيدي وعثمان بن حميدة ومحمد بن حمد النفطي، سافر إلى تونس مرتين في سبيل طلب العلم، أولها بين 1931-1932، ثم عاد إلى الوادي يبتّ ما تعلمه خاصة في النحو والفقه متطوعا، وبعد الاستقلال تم تعيينه في مسجد ضواي روحه بالوادي. عاشوري قمعون: الشيخ الهاشمي حسني... ص226.

(2) عاشوري قمعون: الشقيقان، المرجع السابق 2010. موسى بن موسى: الحركة الإصلاحية... المرجع السابق. ص138.

(3) محمد الطاهر التليلي: من تاريخ وادي سوف، مخ، "لدي نسخة منه". ورقات 83-84، 91.

(4) عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية... المرجع السابق. ص 178.

وعلى الرغم من أن النشاط الثقافي كان أكثر انتشاره في الحواضر التي ذكرنا، فإنه ليس حكراً عليها، فقد شهدت بعض القرى الأخرى حركة لبعض المصلحين، ومنهم من تخرج من زوايا الجنوب التونسي، مثل الشيخ الحسين حمادي أصيل بلدة النخلة، الذي أحدث حركة علمية في بلده، يمكن أن ننعته "ثورة ثقافية"، فقد أخرجها من وهدة الجهل والامية ... (1) على أن تأثير هؤلاء تعدى منطقة وادي سوف، فقد كان لبعضهم دور في نشر العلم في مناطق عديدة بما فيها القطر التونسي نفسه، مثل الشيخ الحسين حمادي الآنف الذكر، الذي ظل حوالي 18 سنة، في حي أولاد لعمامي بالمكناسي (2)، يعلم الصبية القرآن وبعض العلوم، ولم يعد بصفة نهائية إلى بلده النخلة إلا بسبب وفاة والده الذي أوصاه بخلافته على المسجد (3)، والشيخ العروسي لغريسي (4) الذي هاجر مضطراً للجنوب التونسي، وكان مصلحاً ذا فكر نير (5)، والطالب عمارة دبيلي (6) والطالب محمد الكبير خالدي (7)، الذي كان له

-
- (1) محمد السعيد عقيب: الشيخ الحسين...مرجع سابق محمد العيد قدع: الشيخ الحسين حمادي...ص 95-99-107.
- (2) المكناسي: بلدة تقع بوسط البلاد التونسية، وتتبع حالياً ولاية سيدي بوزيد، وألاد لعمامي قرية في أحواز المكناسي. محمد العيد قدع: الشيخ الحسين حمادي... المرجع السابق. ص 49.
- (3) محمد العيد قدع: الشيخ الحسين حمادي... المرجع السابق. ص 49، 56.
- (4) الشيخ العروسي غريسي: أصيل قرية المقرن بوادي سوف، رجل علم وتقوى، وصاحب فكر مستنير، كان دائم النصيحة لأهل بلده ضد الغلو في الاعتقاد بالمشايخ والأضرحة، فيقابلونه بالصدود، ثم وصل الأمر بأن يغفروا به الأطفال يلاحقونه رمياً بالحجارة، فيلتجئ إلى قرية جلمة مستجيراً، فيكفونهم عنه رحمة لا تأييداً. لقاء مع تلميذه الشيخ حمد توبة، ببيته الكائن بحي جلمة-بلدية المقرن، يوم 14 جانفي 2004. محمد العيد قدع: الشيخ الحسين، المرجع السابق. ص 109.
- (5) محمد العيد قدع: الشيخ الحسين، المرجع السابق. ص 109.
- (6) الطالب عمارة دبيلي المدعو "عمارة بلميعادي": من سكان النخلة، هاجر إلى بلدة الرديف بالجنوب التونسي، وفتح هناك "محاضرة" أي مدرسة قرآنية، كما كان كاتباً للشيخ لخضر "شيخ الفرجان" بالرديف. لقاء مع محمد الأمين حمادي، ببيته الكائن بحي الشهداء-بلدية الوادي، يوم 27 أكتوبر 2011. محمد العيد قدع: الشيخ الحسين، المرجع السابق. ص 109.
- (7) محمد الكبير خالدي: أصيل قرية العقلة بوادي سوف، حفظ القرآن لدى الشيخ الحسين حمادي، هاجر إلى الرديف وفتح بها كتاباً، ثم عمل أمين سر الطالب العربي قمودي، ولديه شهادات مهمة حول بعض أحداث الثورة الجزائرية بتونس. لقاء مع الطالب محمد الكبير خالدي، ببيته الكائن بحي الصحن الأول-بلدية الوادي، يوم 11 مارس 2012. محمد العيد قدع: الشيخ الحسين، المرجع السابق. ص 109.

كتاب بقرية الرديف، والطالب العربي بن سعد الذي درّس بتونس في مناطق عدّة⁽¹⁾، وغير ما ذكرنا كثير.

كما كان بعض الكتاب والعلماء من وادي سوف، ينشرون إنتاجهم، ويبثون لواعجهم، ويفتقون قرائحهم، عبر الصحف وأبرزها جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مثل الشيخ حمزة بوكوشة والشيخ عبد القادر الياجوري والشيخ مصباح حويذق ... وغيرهم⁽²⁾، بينما وصل الأمر ببعضهم أن طبع بعض مؤلفاته، ومنهم الشيخ ابراهيم بن عامر الذي طبع "مواهب الكافي" و"البحر الطافح" و"المسائل العامرية" ... وغيرها، مع العلم أن إنتاجه غزير حيث أن مؤلفاته المعروفة تناهز الثلاثين، كما قام الشيخ محمد الساسي معامير (1880-1967م) بطبع "التقويم الجزائري" و"مشاهداتي في الجزائر" و"مشاهداتي في قسنطينة".⁽³⁾

9- زيارات العلماء:

تعتبر الزيارات العلمية التي يقوم بها العلماء والمشايخ من مناطق الجنوب التونسي لوادي سوف، إحدى أبرز أشكال التواصل العلمي بين المنطقتين، والمتتبع يلاحظ أن هذه الزيارات ليست بجديدة على المنطقة، فهي قديمة جدا، وذات تأثير بالغ، سواء في ربط العلاقات بين المنطقتين، أو في نشر العلم والصلاح في منطقة سوف، كما أنها تنفض الغبار الذي ران على العقول، وتبدد الجهل، وتنير المدلهفات، خصوصا في غياب الوعي لسكان المنطقة،

(1) الطالب بن علي العربي بن سعد: من عرش أولاد مبروكة، وأصله من بلدة النخلة بوادي سوف، درس بتونس، وعلى الرغم من أنه كان كفيفا، فقد كان موسوعة في القرآن - كما يقال -، درّس بعدة بقاع من تونس. محمد العيد قدع: الشيخ الحسين، المرجع السابق. ص 47.

(2) علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال ... مرجع سابق. ص 53.

(3) علي غنابزية: مساهمات علماء وادي سوف في النهضة العلمية والحركة الصحفية الوطنية 1900-1986، من إصدارات مديرية الثقافة بالوادي، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط1، 2014. ص31، 33-36. عاشوري قمعون: ديوان الشيخ ... المرجع السابق. ص 40 وما بعدها

بفعل السياسة الاستعمارية، بالإضافة إلى حياة البداوة والترحال التي يعيشونها، حيث أنهم حديثي العهد بالتحضر، الأمر الذي نتج عنه غياب مراكز الإشعاع العلمي والديني، وأبرز ما وصلنا من زيارات العلماء لمنطقة سوف قديماً، زيارة الشيخ المسعود الشابي (ت1618م)، وقبلها زيارات علماء الاباضية...

أ- الشيخ محمد الأخضر بن حسين⁽¹⁾: زار سوف 1905م، فكانت له لقاءات بأعيانها ومنهم الشيخ إبراهيم العوامر، كما ألقى دروساً في مساجدها، وحاور بعض الشيوخ في زاوية سيدي سالم وجامع سيدي المسعود والمسجد الذي أسسه والده الشيخ الحسين، وقد تركت هذه الزيارة أثراً كبيراً في المنطقة، ومنها طبع العوامر لكتابين في نفس السنة بالقطر التونسي.⁽²⁾

ب- الشيخ المكي بن عزوز⁽³⁾: زار شيخ الزاوية الرحمانية بنفطة محمد المكي بن عزوز وادي سوف، وتجول في قراها حيث درس بالزوايا والمساجد بالوادي وقمار وكوينين، وربط

(1) الشيخ محمد لخضر بن حسين: ولد بنفطة في 26 رجب 1293هـ (23 جويلية 1876) من أسرة ذات أصول جزائرية، فجدّه علي بن عمر مؤسس زاوية طولقة العزوزية، تعلم في زاوية نفطة العزوزية، ثم تابع دروسه بالزيتونة، حيث تحصل منها على شهادة العالمية عام 1902م، ومن ثم أصبح أحد شيوخ الزيتونة الكبار، من العلماء المرموقين، طبقت سمعته العالم الإسلامي، أصدر أول مجلة تونسية "السعادة العظمى" سنة 1322هـ/1904م، وقد تبنى الشيخ أفكار الإصلاح، الأمر الذي لم يرق لسلطات الاحتلال، وبسبب مضايقاتها، اضطر لمغادرة تونس عام 1912م واستقر بدمشق، مشغلاً بالتدريس والتأليف، ولما احتلت فرنسا سورية سنة 1920 غادرها فراراً من حكم الإعدام غيابياً، واستقر بالقاهرة، حيث أصبح شيخ الجامع الأزهر في الفترة: "سبتمبر 1952 إلى 07 جانفي 1954"، وتوفي بالقاهرة في 13 رجب 1377هـ / 12 فيفري 1958. محمد مواعدة: محمد الخضر حسين-حياته وآثاره، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974. محمد عمار: من أعلام الاجتهاد الإسلامي الحديث الإمام الأكبر الشيخ الخضر حسين، مجلة الدوحة، ماي 1986، ص ص 20-23 عاشوري قمعون: العلاقات الثقافية، المرجع السابق، ص 156.

(2) عاشوري قمعون: العلاقات الثقافية... ص 158. وعلي غنازية: رحلات الشيخ محمد الخضر... ص ص 56-58.

(3) المكي بن مصطفى بن عزوز: ولد بنفطة 1270هـ/1854م، تعلم بزاوية أبيه في نفطة، ثم الزيتونة والحرمين والأزهر بمصر، كان خطيباً مفوّهًا، ومن العلماء الأفاضل والأعلام المحدثين مثل ابن أخته محمد الأخضر بن حسين وعبد العزيز الثعالبي وغيرهما، له غزارة العلم، وفصاحة اللسان، وجاذبية الأسلوب، ولمواقفه السياسية طارده السلطات الفرنسية فرحل إلى طرابلس ثم إلى إسطنبول، ومكث بها إلى أن وافاه ريب المنون عام 1334هـ/1915م، زار وادي سوف وأقام بها علاقات=

علاقات وطيدة مع علمائها، وأخذ إجازة علمية عن الشيخ علي بن صابر، الذي كان يتنقل كثيرا بين سوف وبلاد الجريد التونسي⁽¹⁾، فأخذ عنه الشيخ المكي صلوات ابن ملوكة التونسي، كما كانت للمكي بن عزوز مراسلات مع مشايخ من سوف، منهم الشيخ أحمد بن دغمان، والشيخ البشير بوكوشة⁽²⁾، وأجاز الشيخ الطاهر العبيدي (1886-1968) عن طريق المراسلة من إسطنبول سنة 1886هـ، كما أجاز البشير بكوشة بنفس الطريقة وهو بالآستانة.⁽³⁾

ج- الشيخ العربي⁽⁴⁾ بن عمار⁽⁵⁾: إن قدوم الشيخ العربي إلى وادي سوف كان بفضل

=مع علمائها، ودرّس في الزوايا والكتاتيب بالوادي وكوينين وقمار. أنظر علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال... مرجع سابق. ص ص 72-73 وعاشوري قمعون: العلامة الموسوعي... المرجع السابق. ص ص 12-13.

(1) علي غنابزية: مساهمات علماء... مرجع سابق ص 25.

(2) البشير بن أحمد بن بوكوشة: ولد بمدينة الوادي خلال 1867م، حفظ القرآن في سن مبكرة، امتاز بجودة الخط، حيث نسخ من القرآن 65 نسخة من مختلف الأحجام، كان تاجرا بمدينة بسكرة، وكان تقيا ورعا حيث كان عليه دين كبير لبعض اليهود جراء الازمة الاقتصادية العالمية، فحاول بعضهم إقناعه بإنكار الدين لأنهم يهود، فرفض قائلا لهم: "لن أترك جلدي لتلتهمة النار، بسبب حطام الدنيا"، أجازته الشيخ المكي بن عزوز في حديث: "الراحمون يرحمهم الرحمن..." بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي يوم 07 فيفري 1933م على إثر مرض السكري، ودفن بمقبرة الأعشاش بالوادي. عاشوري قمعون: العلامة الموسوعي... المرجع السابق. ص 12.

(3) علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال... مرجع سابق ص 72. الشيخ عبد الحميد بن باديس: العلامة الأستاذ الشيخ المكي بن عزوز، مجلة الشهاب، ج 1، ص 13، عدد 01 محرم 1356هـ/14 مارس 1937م. ص ص 26-27. عاشوري قمعون: العلاقات الثقافية... المرجع السابق. ص 155.

(4) الشيخ العربي بن عمار: هو العربي بن أحمد بن العربي بن صالح بن عمار من أولاد عبيد، ولد يوم 1926/07/22 بتوزر، وهو صغير قدم أبوه بأسرته للسويهلة بسيدي عون معلما للقرآن وإماما، وما لبث أن توفي والده عام 1929م، فعادت به أمه إلى توزر عام 1931م، وكان اهتمامها به كبيرا، حيث أدخلته إلى زاوية الشيخ المولدي بوعرقية التي مكث يدرس بها عشر سنين، ثم التحق بجامع الزيتونة عام 1939م، وتخرج منه بشهادة العالمية، زاول التدريس بين وادي سوف وتونس إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1987م، كان شاعرا ومفسرا للقرآن الكريم. أنظر: بشيرة شكيمة: الاسهامات الإصلاحية والفكرية للمهاجرين السوافة بتونس "الشيخ العربي بن عمار أنموذجا" (1947-2015)، مذكرة ماستر، إشراف أ. رضا ميموني، شعبة التاريخ، جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي، الجزائر، 1438-1439هـ/2017-2018. ص ص 23-27 وكذلك ابراهيم شويخ: المرجع السابق. ص 67.

(5) عائلة بن عمار: نزح جدهم عبيد من توزر إلى قرية سيدي عون بوادي سوف في القرن 18م، حيث تزوج إحدى بنات سيدي عون الحفيد مؤسس قرية سيدي عون، ومن أبنائه من عاد إلى توزر، ومنهم من بقي بسيدي عون، فأما الذين عادوا إلى تونس فلقبوا بن عمار، ومن بقي منهم بسيدي عون لقبهم صالح. بشيرة شكيمة: المرجع السابق. ص 22.

العلاقات بين منطقتي وادي سوف ومنطقة الجنوب التونسي، فقد قدم جده البعيد عبيد من توزر إلى بلدة سيدي عون، وكذلك والده أحمد بن عمار ⁽¹⁾ قدم لقرية السويهلة.

أما العامل المباشر فقد كان بعض أعيان بلدة سيدي عون بوادي سوف يزاولون التجارة مع بلدات الجنوب التونسي، فاتصلوا به مقترحين عليه التدريس في بلدتهم، فوافق اقتراحهم هو، وقدّم معهم في صيف عام 1947م، حيث شرع في توعية ووعظ الكبار بالمسجد، ولما انتهى الصيف فتح مدرسة حرّة للصغار، كان مقرها بغرف المنازل، وقام بأول سابقة في سوف وهي فتح قسم للبنات.

وبجانب تدريسه للعربية والحساب والفقه وغيرها، كان الشيخ يبث الفكر الإصلاحية، الأمر الذي أثار حفيظة بعض رجال الطريقة التجانية الذين وشوا به للإدارة الفرنسية، فبدأت مضايقات السلطات الاستعمارية التي كادت أن تنتهي به إلى السجن، وفي أواخر 1951 عاد إلى تونس بعد أن تنهى إلى سمعه أن إدارة الاحتلال تنوي القبض عليه وتصفيته، فعاد إلى تونس مضطرا وأغلقت المدرسة أبوابها ⁽²⁾، وقد دام نشاطه العلمي بسوف بين سنتي 1947-1951م. ⁽³⁾

بالإضافة إلى علماء آخرين من الجنوب التونسي الذين زاروا منطقة سوف، مثل الشيخ إبراهيم البخترى التوزري والشيخ المبارك بن مازق والشيخ محمد بن السايح اللقاني، حيث جالوا في المنطقة، ودرّسوا بمساجدها وزواياها... ⁽⁴⁾

(1) الشيخ أحمد بن عمار ولد سنة 1845م، ونشأ ودرس بتوزر. بشيرة شكيمة: المرجع السابق. ص23.

(2) أنظر: بشيرة شكيمة: المرجع السابق. ص 31-48. وشويخ: الرحلات العلمية... المرجع السابق. ص 67-68.

وأيضا موسى بن موسى: التغلغل الاستعماري... المرجع السابق. ص216.

(3) إرجع إلى الملحق رقم: 24، ص 317.

(4) غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال، مرجع سابق. ص 75. وسعد الله: خارج السرب، المرجع السابق. ص157.

10- الطرق الصوفية والتواصل العلمي:

ساهمت الزوايا لمختلف الطرق الصوفية، في مظاهر التواصل العلمي بين المنطقتين، بأن جعلت العلم في متناول المجتمع، وبنشاط شيوخها وعلمائها الذين ساهموا في نشر التصوف والعلوم الدينية واللغوية، حيث صارت قبلة للطلبة والمريدين من الجهتين.

وفي هذا الإطار نرى أن الزاوية القادرية بنفطة، نجحت في تفعيل هذا التواصل، من خلال انتشار زواياها في منطقة سوف، وارتباطها بالزاوية الأم بنفطة، وقد اهتمت هذه الأخيرة بالعلم والتعليم، حيث ساهمت في تكوين وإجازة عدد كبير من طلبة العلم والمعلمين، كان من ضمنهم عدد من سكان وادي سوف، الذين أصبح لهم تأثير عند رجوعهم إلى مناطقهم، بتدريسهم لعلوم لا عهد لأهل المنطقة بها. (1)

أما زاوية مصطفى بن عزوز الرحمانية بنفطة، والتي أصبحت ذات شهرة واسعة، ومنازة للعلم والتصوف، فقد كان تواصلها متميزا مع زاوية سيدي سالم الرحمانية بوادي سوف، حيث أن هذه الزاوية أخذت أساليب التعليم ونظامه، واقتنت الكتب من زاوية نفطة، ودرس بعض علماء سوف في هذه الزاوية، بل إن مؤسس زاوية الوادي الرحمانية، الشيخ سالم الأعرج كان دائم التردد على زاوية ابن عزوز بنفطة. (2)

وفي نفس المضمار استقدمت زاوية قمار التجانية، بعض العلماء من تونس لتدريس

(1) يوسف بن حيدة: التواصل الطريقي بين الجنوب الشرقي الجزائري ومنطقة الجريد خلال القرن 19م، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التواصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس 11/10 نوفمبر 2013، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر. ومحمد ع. قدع: الحسين حمادي.... ص 95.

(2) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي... مرجع سابق. ج 3 ص 217 أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 121، 130.

أبناء الزاوية، كالشيخ محمد بن السايح اللقاني ⁽¹⁾ الذي تعلم بزاوية نفطة العزوزية، وقد درّس بالزاوية التجانية بقمار في حدود 1923م، وكذلك الشيخ عثمان النفطي الذي درّس في الزاوية في الفترة 1296-1313هـ / 1875-1892م، والشيخ محمد بن عمارة شوشان الجريدي...⁽²⁾، بالإضافة إلى زيارة شيوخ أجلاء مثل: الشيخ المكي بن عزوز الذي زار الزاوية سنة 1896م، والشيخ المبارك المازق التاغزوتي أصلاً التوزري منشأ وداراً، والشيخ السوسي التونسي، وجميعهم قدم دروساً بالزاوية. ⁽³⁾

(1) شاعر وعالم تأثر بحركة النهضة والإصلاح، من مواليد نفطة، ومن علماء الزيتونة، له عدة قصائد في الحث على النهضة والوطنية. محمد السعيد قاصري: المرجع السابق. هجرة الجزائريين إلى تونس بين تلبية...المرجع السابق.

(2) محمد الطاهر التليلي: من تاريخ وادي سوف، مخ. ص ص 70، 101 علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال... المرجع السابق. ص ص 63-64 أبو القاسم سعد الله: خارج السرب، المرجع السابق. ص 157.

(3) موسى بن موسى: الحركة الإصلاحية... المرجع السابق. ص ص 42-43.

خلاصة الفصل

اتّسم التعليم في تونس والجزائر -ومنها منطقة وادي سوف- خلال القرن 19م والنصف الأول من القرن 20م، بضحالة المادة العلمية، وقِدَم الأساليب والمناهج، وغلبة العشوائية عليه، بالرغم من وجود معلم علمي كبير في تونس "جامع الزيتونة"، وانتشار الكتاتيب في كلتا البلدين، وبفعل أساليب المحتل الهادمة للمقومات، وأولها التعليم العربي الإسلامي، استشرى الجهل وغلبت الأمية.

في ظل الاحتلال شهد البلدين تنوعا في المنظومة التعليمية، والتي كانت في تونس أكثر تعددا وأشدّ تباينا، فقد كان هناك تعليم فرنسي "التعليم الرسمي" تبنّته إدارة المحتل، وآخر عربي تشرف عليه المدارس الأهلية الحرّة والكتاتيب.

وفي البلدين بون شاسع بين التعليمين العربي والفرنسي، فالأخير متطوّر المناهج، علومه مواكبة للتقدم الحاصل، وهو مفتوح أمام ثلّة من أهل البلدين، بغرض خلق طبقة متشعبة بالثقافة الغربية، تكون لهم سندا في احتواء أهل البلاد، لكن أغلب الأهالي كانوا يهرون منه خوفا على دينهم.

أما التعليم العربي فلا يعدو كونه ترديد لمتون، وشروح على كتب وحواشي، وربما حواشي على الحواشي، في كثير من الاحيان دون وعي ولا فهم، ولا تجديد بعد غلق باب الاجتهاد، كما كان بأساليب موروثّة منذ العصور الوسطى، وأدوات عتيّدة عفا عليها الزمن، أما بالنسبة للمرأة فكان وضعها التعليمي مزري، وقليل جدا من النساء من كانت تحسن القراءة والكتابة.

وكانت سياسة المحتل في البلدين ترمي إلى تجهيل المسلمين، ونشر الأمية بينهم، ومحاربة اللغة العربية، ومنع تدريسها، حيث قامت -خصوصا في الجزائر- بالقضاء على مؤسسات التعليم، وتجفيف منابع ما بقي منها، وهي مؤسسة الأوقاف، وإصدار القوانين التي تحرم على المدارس الحرة، تدريس العربية وتفسير القرآن، وتاريخ البلاد الجزائرية وجغرافيتها، حتى أطفالوا مشاعل العلم على حد قول أحدهم.

فاضطرّ طلبة العلم من وادي سوف إلى البحث من مصادره خارج ديارهم، وأماكنه الأقرب إليهم، كانت المراكز العلمية ببلاد الجريد التونسي، فشدد إليها الرحال زرافات ووحدانا، في بعثات علمية إلى مختلف الزوايا، خصوصا بنقطة وتوزر، حيث تخرج منها علماء أفذاذ، وشيوخ أجلاء، كان لهم الفضل في تنوير البصائر، وتحرير العقول، حين عودتهم لديارهم، ولم يقتصر دورهم على نشر العلوم في منطقتهم وادي سوف، وإنما تعداه إلى مناطق أخرى، منها الجنوب التونسي نفسه، فبعضهم مكث فيه بعد تخرجه بصفة مؤقتة أو دائمة.

وبالمقابل تحمل بعض العلماء من الجنوب التونسي مسؤوليتهم، تجاه السياسة الاستعمارية البغيضة، بتنظيمهم لزيارات، نحو وادي سوف، في سعي حثيث لتبديد الجهالة، والمساهمة في نشر الوعي لدى العامة، وإحياء روح المقاومة، وزيادة تمثين الروابط العلمية، وفتحت الباب لمزيد من الرحلات العلمية، والمساعدة في عملية طبع الكتب، واستقدام العلماء وجلب الكتب والمناهج...، كما كان للطرق الصوفية دور في عملية التواصل الثقافي، ساعد عليها الارتباط الحاصل بين زوايا المنطقتين.

الفصل السادس:

الطرق الصوفية

ودورها في تمتين الروابط بين المنطقتين

- التصوف والطرق الصوفية
- الطريقة القادرية
- التواصل الطريقي القادري بين المنطقتين
- الطريقة البوعلية
- الطريقة الشاذلية
- التواصل الطريقي الشاذلي بين المنطقتين
- الطريقة الرحمانية
- التواصل الطريقي الرحماني بين المنطقتين
- الطريقة التجانية
- التواصل التجاني بين المنطقتين

بحكم الموقع الجغرافي والتماس الحدودي، تشكلت بين منطقتي وادي سوف والجنوب التونسي، حلق متينة تربط وتعزز حركية التواصل الحضاري والثقافي بين سكان التخم في المنطقتين، ومن أهمها الطرق الصوفية التي انتشرت في المنطقة -ككل العالم الإسلامي آنذاك- بشكل كبير، وساعدت على تفعيل حركة التواصل.

والروابط الروحية بين الجزائر وتونس، ضاربة بجذورها في عمق التاريخ، وقديمة قدم وجود الإنسان في هذه البقاع، لعوامل متعددة، وزاد في تنوع مجالاتها، مختلف التطورات التي عرفت المنطقة، خلال توالي المراحل التاريخية، حيث كان للتصوف الطرقي دور واضح في هذه العلاقة، فالمصادر التاريخية تشير إلى الدور الكبير الذي لعبته الزوايا والطرق الصوفية، في توطيد العلاقات الثقافية بين منطقتي وادي سوف والجنوب التونسي، والطرق التي أدت هذا الدور: القادرية والشاذلية والبوعلية والرحمانية والتجانية، ومع التطور التاريخي لنشاط هذه الطرق والزوايا، وعلاقاتها المتبادلة، أدى إلى تمثيل الأواصر والوشائج بين سكان المنطقتين.

وتختلف الطرق الصوفية من حيث الأصل والمنشأ، فمنها الواردة على المنطقة من المشرق العربي، ومنها الأصلية التي كان منشؤها بالجزائر أو بتونس، ثم انتشرت وعمت المنطقتين، بل تجاوزتهما إلى مناطق أخرى، بفعل النشاط الحثيث لشيخوها، وتنوع إمكاناتها، والدعم الذي وجدته خاصة من طرف بعض رجال الحكم لبعض الزوايا، وقد تنوع نشاط هذه الطرق، فقامت بأدوار عديدة من خلال جهود شيخوها، وزواياها الموجودة بالمنطقتين، فساهمت في توطيد الصلات بين سكان وادي سوف ومنطقة الجنوب التونسي.

وسنحاول فيما يلي التعرف على أهم الطرق الصوفية التي كانت في منطقة سوف والجنوب التونسي، وتأثيرها في توطيد العلاقات بين سكان المنطقتين، لكن قبل ذلك سنحاول إعطاء لمحة وجيزة حول التصوف وبداية انتشاره في ربوع المنطقتين.

أولا - التصوف والطرق الصوفية:

من العسير إيجاد تعريف مؤكد لمعنى كلمة التصوف، ومن بين التعاريف، يمكننا أن نختار التعريف الذي ينسب الكلمة إلى الصوف، للدلالة على لباس أهل التصوف الأوائل، إمعانا في الزهد، وعزوا عن الدنيا، وترويضاً للنفس والجسم. (1)

وظهور الكلمة فيه اختلاف، فأول من دونها كان الجاحظ (ت 255هـ/868م) (2)، عندما عرّف الصوفية بأنهم النساك، ومن هنا نلج إلى التعريف الاصطلاحي للكلمة، فسيّد الطائفة الصوفية الجنيد (ت 279هـ/809م) يعرفه: "أن تكون مع الله بلا علاقة" (3)، بينما يعرفه ابن خلدون: "التصوف من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله العكوف عن العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة". (4)

-
- (1) أبو القاسم عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية، تح خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2005. ص 312 ماسينيون ومصطفى عبد الرزاق: التصوف، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، ط 1، 1984. ص 25، 55 صباح بعارسية: حركة التصوف في الجزائر خلال القرن العشر هجري/السادس عشر ميلادي، رسالة ماجستير، إشراف أ.د. عمار بن خروف، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006/2005. ص 34-36.
- (2) أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط 7، 1417هـ/1998. ج 1 / ص 366.
- (3) أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 11.
- (4) عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، اعتناء ودراسة أحمد الزعبي، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر، دط. ص 517.

الكثير من الكتابات تسقط التصوف على الزهد، وإن كان هذا الإسقاط له ما يبرره، باعتبار أن خلق الزهد ملازم للمتصوفة الأول، أمثال الحسن البصري (ت110هـ/728م)، فإن الأمر تغير بامتزاج التصوف بالفلسفات، الواردة على العالم الإسلامي جراء اتساع الفتوحات، ومن هنا بدأت تظهر نظريات لا عهد لأمة الإسلام بها، ومنها نظرية "الفناء" لصاحبها أبو يزيد البسطامي (ت270هـ/875م) ⁽¹⁾، وجاء بعده الحسين بن منصور الحلاج (ت309هـ/922م) بنظرية "الحلول"، ثم "وحدة الوجود" لابن عربي (ت638هـ/1240م). ⁽²⁾

والتصوف منشؤه بلاد المشرق، ثم انتقل إلى بلاد المغرب بفعل رحلات الحج وطلبة العلم وزيارات العلماء، وأوله كان على يد الموحدين، وذلك بنصرة ابن تومرت لطريقة الأشعري، وبقيام دولته انتشر هذا الفكر بين الناس ⁽³⁾، كما أن الهجرات الاندلسية إلى بلاد المغرب كانت عاملا في ذلك، وأهم شخصية مثلت هذا الدور أبومدين شعيب (ت594هـ/1198م) الذي حل ببجاية ومكث بها 15 عاما، نشر فيها كتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي (ت505هـ/1112م)، وبسطه للعامة من جلّاس حلقاته ⁽⁴⁾، وهذا الكتاب مرجع مهم للمتصوفة، حتى سرى في أقوالهم: "من لم يقرأ الإحياء، فليس من الأحياء".

(1) وهي فناء الانسان عن نفسه وفقدانه للشعور بذاته عن الله. أبو القاسم القشيري: المصدر السابق. ص62.

(2) نظرية الحلول: يعرفها صاحبها بحلول الذات الالهية في المخلوقات. وحدة الوجود: أي لا موجود على الحقيقة إلا الله. أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص ص 18-19.

(3) مبارك الميلي: المرجع السابق. ج 2 / ص 347

(4) ليلي تيته: موقف بعض الزوايا والطرق الصوفية بالجنوب الشرقي الجزائري وتونس من مسألة مشاركة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التوصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس 11/10 نوفمبر 2013، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر. إبراهيم عبد الرزاق: أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، مكتبة مديولي، مصر، دت. ص 36.

بدأ التصوف في بلاد المغرب فرديا نخبويا يزاوله الخاصة، ممن لهم باع في الفكر والفلسفة، فكان لكل منهم طريق ومسلك في تصوّفه للوصول إلى المراد، ثم ما لبث أن انتشر بين العامة، وما إن حلّ القرن 10هـ/16م حتى أصبحت الظاهرة تستوعب مختلف الفئات الاجتماعية⁽¹⁾، وأصبح لكل سالك للطريق أتباع، فتحول المذهب إلى مذاهب من تأسيس الشيوخ أنفسهم، أو من طرف الأتباع من بعدهم، فتكونت الطرق الصوفية، التي هي عبارة عن منظومة سلوكية يبتدعها الشيخ، ويلزم بها أتباعه، الذين ينعنون -حسب كل طريقة- بالمريدين أو الفقراء أو الإخوان أو الأحاباب ...

وبلغ أمر التصوف الطريقي في انتشاره إلى حدّ، أنه لم يكن أحد بمنأى عن الانتساب إلى إحدى الطرق، التي كانت تتنازع البقاء والنفوذ والانتشار، ويستوي في ذلك الجاهل والمتقف، الأمي والمتعلم، الوضع والرفيع...، فقد كان الانتماء لإحدى الطرق الصوفية، ضرورة ملحة للبقاء ضمن الجماعة، كما يعد من مستلزمات العقيدة⁽²⁾، وحجتهم في ذلك قول الفقيه المالكي ابن عاشر:

في عقد الأشعري وفقه مالك * * * وفي طريقة الجنيد السالك
يصحب شيخا عارف المسالك * * * يقيه في طريقه المهالك⁽³⁾

(1) عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002. ج2، ص386 وما بعدها

(2) علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال ... مرجع سابق. ص 62. عاشوري قمعون: الشعر الصوفي في بلد سوف-الشاعران محمد بن تواتي السوفي وأحمد بن عمر السداوي، دار الثقافة، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط1، 2015. ص 15.

(3) عبد الواحد ابن عاشر: متن ابن عاشر "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين"، صححه الأستاذ الشاذلي النيفر، دط، دت. ص ص02، 26.

ومن لم ينتسب إلى طريقة بُدع وأتهم في دينه، ونعت بألفاظ قد تخرجه من الملة، مثل "قرميط" (1) أو "عصريوني" (2) أو "مبغض" (3) ...، حتى قيل: "من لا شيخ له فالشيطان شيخه"، وربما هذا الحكم مستنبط من قول أبي حامد: "... فمن لم يكن له شيخ يهديه، قاده الشيطان إلى طريقه لا محالة" (4)، وسرت عادة بناء الأضرحة والقباب والمزارات، وكلما أُلِّم بأحدهم مصيبة أو أراد منفعة، إلتجأ لأحدها متبركا به متضرعا، رجاء تحقيق مراده، انطلاقا من الاعتقاد في الشيخ، ويكثر هذا لدى العامة خاصة النساء، وقد يكون عند بعض المتعلمين (5) تقوم الطرق الصوفية على ثلاثة ركائز: الشيخ والمنهج والمريد، ومن خصوصياتها: الانعزال والنسب والفتح، سواء أكانت حقيقة أم إدعاء، حيث يختلي الشيخ الشريف مدة، في منطقة معزولة، فيأتيه الفتح الرباني، أو العلم اللدني على حد تعبيرهم. (6)

وللطرق الصوفية وظائف عديدة متداخلة، متضادة أحيانا، فمن أدوارها جهودها في القيام بعملية التعليم والتربية، ومع ذلك فقد كان منها ما هو مصدر للبدع والخرافات، مما جعل الأمر برمته موضوع انتقاد للحركات الإصلاحية، ومن الزوايا من كانت مدعما للانتفاضات

(1) أي من أتباع القرامطة. والقرامطة: فرقة شيعية قتلت المسلمين، وسرقت الحجر الأسود، الذي بقي عندهم 20 سنة بين (319-339هـ)، كان مقرها منطقة البحرين على خليج العرب، وأعيد إلى مكانه بالكعبة بأمر من الخليفة الفاطمي. عبد

الرحمان بن الجوزي: القرامطة، تح محمد الصباغ، المكتب الاسلامي، دمشق وبيروت، ط5، 1981/1401. ص18

(2) بسبب أنه أتى بأمر محدث، خارج عن المألوف، لأنه ينتقد الطرق الصوفية، التي كانت محل الاعتقاد السائد الراسخ، حيث يرون ذلك مخالف للشرع الذي يعتقدونه بالتوارث، ويتعصبون له، وهو في طياته رفض للتجديد، وهذا ديدن كل الكبار مع معتقداتهم، حيث لا يريدون الترحزح عنها. عاشوري قمعون: الشيخ الهاشمي حسني... المرجع السابق. ص215.

(3) بزعمهم أنه يكره أولياء الله الصالحين.

(4) إبراهيم بن عامر: المصدر السابق. ص20. عبد القادر عيسى: حقائق عن التصوف، دار العرفان، حلب-سوري، ط16، 1428هـ/2007م. ص ص56-57.

(5) أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص38.

(6) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي... المرجع السابق. ج1، ص489.

الشعبية ضد الاحتلال⁽¹⁾، ومنها من تعاون مع الاستعمار⁽²⁾، الذي استغل سلطتها الروحية التي تستمدّها من الدين، وتعمل على سلب إرادة المريدين، "فالمرید أمام الشیخ کالمیت بین یدی غاسله" !.

ثانيا - الطريقة القادرية:

الطريقة القادرية أول الطرق الصوفية في العالم، وأقدمها انتشارا في الجزائر، تنتسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (471-561هـ/1079-1166م)⁽³⁾، الفقيه الزاهد دفين بغداد، الذي لقب بسلطان الصالحين وأعظم الأولياء⁽⁴⁾، ظهرت بالعراق وانتقلت بعدها إلى مناطق مختلفة من العالم الإسلامي، ومركزها الروحي زاويتها الأم ببغداد، وقد وضع الشيخ الجيلاني لطريقته سبع دعائم: المجاهدة، التوكل، حسن الخلق، الشكر، الصبر، الرضا، الصدق.⁽⁵⁾

وورد هذه الطريقة: الإستغفار "استغفر الله" مائة مرة، التسبيح "سبحان الله" مائة مرة، الهيلة "لا إله إلا الله" مائة مرة، الصلاة على النبي وآله وصحبه مائة مرة، وتسمى هذه الأذكار بالورد الكبير، منها ما يقرأ خمس مرات في اليوم عقب كل صلاة فرض، ومنها ما يقرأ مرة في الأسبوع عقب صلاة العصر ويسمى الوظيفة، كما أن القادرية المقربين يقرؤون الفاتحة بعد

(1) أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص34.

(2) كثير من الطرق الصوفية دجنته السلطات الاستعمارية، ولهم علاقات وطيدة بالادارة الفرنسية، وأصبحوا أداة طيعة لها في السيطرة على المواطنين، كما أن بعض زعمائها كانوا مصدر بعض الآفات الاجتماعية التي يحاربها الإصلاحيون، ومنهم جمعية العلماء، لذلك ناصبوا العداء واتهموا شيوخها بالكفر واعتدوا على بعضهم. أحمد زغب: المرجع السابق. ص 25.

(3) عمار هلال: الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، بمناسبة الذكرى الثلاثين للثورة التحريرية 1984، الجزائر، دت. ص 109 إبراهيم عبد الرزاق: المرجع السابق. ص 33-34.

(4) أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 41.

(5) إبراهيم مياشي: الصحراء الجزائرية ... المرجع السابق. ص 203.

الصلوات الخمس، والتكبير "الله أكبر" مائة مرة، ويتلون سورة ياسين، وغير ذلك من الأدعية والأذكار التي تعتبر دعامة الطريقة. (1)

1- الطريقة القادرية في الجنوب التونسي ووادي سوف:

إن دخول الطريقة القادرية إلى الجزائر كان مبكرا وبعده طرق، أولها طريق الشيخ أبي مدين شعيب دفين تلمسان (ت594هـ/1198م) (2)، حيث تتلمذ على الشيخ الجيلاني الذي علمه التصوف وألبسه الخرقة، بالإضافة إلى قدوم إبراهيم بن عبد القادر الجيلاني الذي استقر بالاوراس وأسس زاوية منعة، كما كان لتلاميذ أبي مدين دور هام في نشر هذا الأمر ولعل أبرزهم، محي الدين بن عربي وأبي الحسن الشاذلي... (3)

ودخول الطريقة إلى تونس كان في وقت واحد مع دخولها للجزائر، وبنفس الوساطة أي عن طريق أبي مدين شعيب عند مروره بها، قافلا من المشرق إلى بجاية في القرن 12هـ/12م (4)، لكن الانتشار الواسع للطريقة القادرية بالقطر التونسي، كان على يد أبي الحسن علي الشايب بن عمر (ت1199هـ/1778م)، الذي أنشأ زاوية قادرية ببلدة منزل بوزلفة (5)، وكان من مريديه رأس الدولة الحسينية الباي حمودة باشا (1196-1229هـ/1781-1813م) (6)، وهو ما ساعد في انتشار هذه الطريقة، وبعد وفاة الشيخ علي الشائب، سار تلميذه وخليفته الإمام محمد

(1) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي... المرجع السابق. ج 4 / ص 43.

(2) عاشوري قمعون: الشعر الصوفي... المرجع السابق. ص 18-19. إبراهيم عبد الرزاق: مرجع سابق. ص 33-3.

(3) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي... المرجع السابق. ج 4 / 58 ليلي تيته: المرجع السابق.

(4) أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 80.

(5) منزل بوزلفة: مدينة تقع حوالي 40 كلم جنوب شرق مدينة تونس. برنامج قوئل ارث على النت.

(6) يوسف بن حيدة: المرجع السابق.

المنزلي⁽¹⁾ (ت1248هـ / 1832م) على خطاه، ببناء عشرات الزوايا، لاسيما أن مشيخته على الطريقة طالت حوالي نصف قرن من الزمان.⁽²⁾

وبالنسبة لوصول الطريقة للجنوب التونسي، فتمّ على يد الشيخ أبي بكر بن أحمد الشريف⁽³⁾ تلميذ الإمام المنزلي، حيث ساح في البلدان داعيا للطريقة، فانضم إليه عدد كبير من قبيلتي الفراشيش وماجر، وأسس زاوية قادرية بتوزر عام 1816م بإيعاز من شيخه المنزلي⁽⁴⁾، وبعد وفاة أبو بكر الشريف تولى شؤون الزاوية أخوه محمد ثم ابن عمه يوسف ثم ابنه الشهير محمد المولدي بوعرقية⁽⁵⁾ بن أبي بكر الشريف، الذي كانت زاويته مقصدا لأهل سوف.⁽⁶⁾

(1) الإمام محمد المنزلي: محمد بن محمد (بفتح الميم) بن فرج، اشتهر باسم الإمام المنزلي نسبة إلى بلدة منزل بوزلفة، قدم جدّه الأعلى من مصر إلى تونس آخر القرن 6هـ / 12م، ولما رآوا فيه الفقيه الصالح ولّوه الإمامة والخطابة بجامع البلدة، وبقيت إمامة الجامع في عقبه يتوارثونها خلفا عن سلف، حتى إنّ أسرته اشتهرت بعائلة الإمام.

لم تحدد المصادر تاريخا لولادة الإمام المنزلي، ولكننا نجد ذكرا لتاريخ وفاته، وقد تلقى في أول عهده تعليما تقليديا جمع فيه بين فقه الشريعة وآداب العربية، ثم لم يلبث أنّ اهتم اهتماما بالغا بالتصوّف حتى صار شيخا للقادرية بعد وفاة الشيخ علي الشايب بن عمر المنزلي الذي بنى زاوية خاصة بهذه الطريقة، وقد أتم تلميذه محمد المنزلي بناءها، ويعتبر الإمام المنزلي شيخ القادرية وناشرها بتونس في القرن 13هـ. عاشوري قمعون: ديوان العلامة... المرجع السابق. ص62

http://www.mawsouaa.tn/wiki/محمد_المنزلي الموسوعة التونسية المفتوحة الخميس 15 أوت 2019، 18:24

(2) عاشوري قمعون: ديوان العلامة ... المرجع السابق. ص62.

(3) الشيخ أبو بكر بن أحمد الشريف: أحد تلامذة الإمام محمد المنزلي، أسس زاوية نفطة القادرية، ثم انتقل إلى توزر وأوائل القرن 13هـ، وأسس فيها زاويته ومسجده، وهناك تزوج وأنجب أولادا منهم الشيخ المولدي بوعرقية، حيث خلف أباه على زاوية توزر، بعد أن توفي عام 1256هـ / 1840م، ودفن بزوايته وعلى ضريحه قبة موجودة إلى الآن. عاشوري قمعون: ديوان العلامة، المرجع السابق ص62.

(4) يوسف بن حيدة: المرجع السابق.

(5) الشيخ المولدي بوعرقية: أبو عبد الله محمد المولدي بن أبي بكر بن أحمد البوزيدي الحسني الشريف، ولد عام 1252هـ / 1836م، نشأ يتيما في كفالة عمه محمد بن أحمد، حفظ القرآن وتلقى بعض العلوم على يد فطاحل من شيوخ الجريد التونسي، كانت أخلاقه مرضية، عطوفا على الفقراء والمحتاجين، أثنى عليه العامة والخاصة، ومنهم صاحب الصروف الشيخ إبراهيم بن عامر السوفي، حيث مدحه بقصائد متنوعة، مدونة في زاوية توزر، توفي عام 1335هـ / 1917م ودفن بزوايته. عاشوري قمعون: ديوان العلامة... المرجع السابق. ص63. أحمد البخترى: المصدر السابق. 133-137.

(6) عاشوري قمعون: ديوان الشيخ العلامة... المرجع السابق. ص29.

أ- زاوية نفطة :

تأسست هذه الزاوية سنة 1251هـ/1835م، أو سنة 1845م، على يد الشيخ إبراهيم بن أحمد الشريف⁽¹⁾ تلميذ الشيخ المنزلي، وأصبحت هذه الزاوية تتمتع بنفوذ واسع في منطقة الجريد، بارتفاع عدد أتباعها وتوسع نشاطها.⁽²⁾

وشهدت هذه الزاوية نقلة نوعية في عهد شيخها الأول إبراهيم بن أحمد، بفضل جهوده الحديثة، حيث عمل على توسيع إنتشارها، وزيادة أنصارها، حتى قيل أن تأثير زاويته وصل إلى غدامس وغات وعين صالح وتوات وتيديكلت، وله أتباع في بلاد الطوارق وعلى رأسهم الشيخ عابدين، وبعد وفاة الشيخ إبراهيم خلفه على زاويته بنفطة نجله الأكبر الشيخ محمد الكبير، أما بقية أولاده فقد تفرقوا في الأنحاء، وأسسوا فيها زوايا، فأسس الشيخ محمد الهاشمي بن إبراهيم زاوية في عميش بوادي سوف، بالإضافة إلى نيابته لأخيه على الزاوية الأم بنفطة، وأسس الشيخ الحسين بن إبراهيم زاوية بقمار- ويبدو أن العملية مزاحمة للزاوية التجانية-، وأنشأ أخوهم الشيخ محمد الإمام زاوية في صحن الشعانية بالرباح، كما أسس ولدين من أبناء الشيخ إبراهيم زاويتي تبسة والرويسات بورقلة.⁽³⁾

-
- (1) الشيخ إبراهيم بن أحمد الشريف النفطي (1229-1292هـ/1813-1875م): ولد بنفطة وبها توفي، نشأ يتيما في كفالة جده للأم، الشيخ بن ضيف الله، وتتلّمذ على الشيخ أبي بكر الشريف دفين زاوية توزر القادرية، أسس عدة زوايا قادرية، منها زاوية نفطة بالجنوب التونسي، كما وضع أسس زاوية عميش بوادي سوف، التي أتمها فيما بعد نجله محمد الهاشمي الشريف، كان للشيخ إبراهيم تأثير كبير في أقاصي الجنوب الجزائري والليبي، وترك عدة أولاد بلغ عددهم 13 ذكرا و 03 إناث، أشهرهم الشيخ الهاشمي صاحب زاوية عميش. عاشوري قمعون: دور عائلة الشيخ إبراهيم بن أحمد الشريف في الحركة الوطنية الجزائرية، مجلة البحوث والدراسات-المركز الجامعي بالوادي-الجزائر، ع3، جمادى الاولى 1427هـ/جوان 2006م. ص ص72-73.
- (2) أنظر أوغست أنطوان: المصدر السابق. ص 75 والتليلي العجيلي: المرجع السابق. ص 78 وغيرها. وكذلك عاشوري قمعون: الشيخان، المرجع السابق. ص ص 57-58.
- (3) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج4، ص ص 47، 50-51. عاشوري قمعون: الشعر الصوفي...مرجع سابق. ص 28

أما في تونس فقد أسس إخوتهم ثلاث زوايا، حيث أنشأ الشيخ محمد العربي زاوية قفصة، والحاج أحمد زاوية قابس، والشيخ محمد الأزهر زاوية الكاف⁽¹⁾، وقد سهلت الإدارة الفرنسية انتشار هذه الفروع الكثيرة⁽²⁾، حيث كان تأسيسها بترخيص من الفرنسيين، كما أن هناك شخصية فرنسية لعبت دورا في هذه العملية، وهو الضابط دبورتر *Deporter*⁽³⁾، هذا الشخص كان يعمل بوادي سوف، وربط علاقات صداقة مع الشيخ محمد الكبير بن إبراهيم شيخ زاوية نفطة⁽⁴⁾، لكن دور هذا الضابط في نشر الطريقة، كان في إطار تبادل المنافع، فعمله كان لاستعمال نفوذ القادرية في توسع فرنسا بالصحراء، وتثبيت سيطرتها على المناطق التي احتلتها... كما يدخل ضمن هذا الإطار إصدار الكثير من شيوخ الطرق الصوفية بالجزائر -ومنها القادرية-، بيان يناصر فرنسا ضد ألمانيا والدولة العثمانية، أثناء الحرب العالمية الأولى⁽⁵⁾، مع الدعاء لفرنسا بالانتصار، وانتقادهم الدولة العثمانية لدخولها الحرب مع ألمانيا، وبالتالي حصلوا على مدح الفرنسيين⁽⁶⁾، ومنها امتداح تقرير الوادي 1915-1916، والأمر ذاته عندما تلبدت غيوم الحرب العالمية الثانية، حيث دعمت أغلب الطرق الصوفية فرنسا ضد ألمانيا.⁽⁷⁾ وهنا يمكننا ملاحظة الضغط الذي كانت تعانيه الطرق من الإدارة الاستعمارية.

(1) محمد السعيد قاصري: المرجع السابق.

(2) ظلت فرنسا راضية عن هذه الطريقة وزواياها بعد ذلك؛ حتى التحق شيخها بوادي سوف الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي بركب الحركة الإصلاحية ونبذ البدع والخرافات، وحول زاويته إلى معهد لتعليم الإسلام واللغة العربية، فأغلقت فرنسا زاويته وزجّت به في السجن؛ ذلك أنها كانت تشجع جانب الدجل والدروشة في الزوايا، أو الزوايا المداينة والمتعاونة معها، وترى في زوايا العلم والمعرفة خطرا على وجودها، ومناهضة لسياسة التجهيل والتغريب التي كانت تنتهجها.

(3) الضابط "دبورتير *Deporter*": ابن أحد المستوطنين الفرنسيين في قسنطينة، ولد بفرنسا، تعلم العربية في الوادي وتوزر، ثم دخل مصلحة الشؤون الأهلية، وعمل سنوات في صحراء الجزائر وتونس، سيما في بسكرة ووادي سوف وغرداية وتوزر وقابس وقبلي، ومن مهامه توليه إدارة المكتب العربي في الوادي 1881م، ومن هناك شارك في الحملة ضد تونس واحتلالها عن طريق البريد وتمغزة، وعمل فترة في جهاز الاستخبارات بتونس، وأثناء عمله في الوادي وتوزر ربط علاقات صداقة مع محمد الكبير بن إبراهيم شيخ زاوية نفطة، وكان يدعى "المواطن الصحراوي". سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج 4، ص 50.

(4) محمد السعيد قاصري: المرجع السابق.

(5) علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال ... مرجع سابق. ص 33.

(6) Gouvion, Op. Cit. p 62.

(7) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج 4، ص 242-243، 336. وأبحاث وآراء... المرجع السابق. ج 5. ص 45.

ب- زاوية عميش:

هذه الزاوية وضع أسسها، الشيخ إبراهيم بن أحمد⁽¹⁾، ثم أتمها ابنه محمد الهاشمي⁽²⁾، بتوجيه من أبيه، فقد إستقر الشيخ الهاشمي عند أخواله بعميش⁽³⁾ حوالي سنة 1887م، وهناك جدّد الزاوية القادرية التي وضع أسسها أبوه من قبل⁽⁴⁾، والتي أصبحت من أهم وأشهر فروع القادرية بالجنوب الجزائري، حيث قام الشيخ الهاشمي بتجنيد الأتباع ونشر الطريقة في أقصى الجنوب، وربط علاقات مع بلاد السودان بواسطة التجار السوافة الممارسين التجارة الصحراوية. والحقيقة أن الشيخ الهاشمي يعتبر ذو فكر مستتير، فقد كان كثير الظهور في الحياة العامة للسكان، عكس أغلب شيوخ الطرق الصوفية، كما اشترط في الذي سيقوم مقامه من أبنائه على شؤون الزاوية، أن يكون من خريجي الزيتونة⁽⁵⁾، وبذلك سنّ سنة جديدة على أهل الطرق الصوفية، كان لها أثر كبير على مستقبل الزاوية، بيد أنه اصطدم مع إدارة الاحتلال فيما يسمى "هدة عميش الأولى"⁽⁶⁾ يوم 1918/11/15 بسبب التجنيد الاجباري⁽⁷⁾، ويبدو أن الشكوك كانت

(1) Marthe et Edmond Gouvion: **Kitab Aayane el-Maghariba**, Imprimerie orientale Fontana freres, Alger, 1920. P 41.

(2) الشيخ الهاشمي الشريف: ولد سنة 1853 بنفطة التونسية، تلقى تعليمه الديني الإسلامي على يد والده، شيخ الطريقة القادرية على منطقة الجريد التونسي، انتقل إلى وادي سوف وأسس بها زاوية قادرية بناحية عميش عام 1880، حيث أصبح شيخ القادرية بالجنوب الشرقي الجزائري، واستمر في ذلك إلى أن توفي عام 1923، وهو دفن في مدينة البياضة بوادي سوف. ص 448. عاشوري قمعون: دور عائلة إبراهيم بن أحمد... المرجع السابق. ص 76-79.

(3) عميش: اسم قديم لبلدة البياضة حاليا، وتقع حوالي 08 كلم جنوب مدينة الوادي، وأحيانا يطلق الاسم على كل الجهة التي تقع جنوب مدينة الوادي.

(4) علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من خلال... المرجع السابق. ص 177 وعاشوري قمعون: دور عائلة... المرجع السابق. ص 73 وأيضا سعد الله: أبحاث وآراء... المرجع السابق. ج 5، ص 27.

(5) أنظر عاشوري قمعون: دور عائلة... المرجع السابق. ص 77-78. وعثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية ... المرجع السابق. ص 196. وأحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 115.

(6) عاشوري قمعون: دور عائلة... المرجع السابق. ص 79. خلد شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكرياء هذا الحدث في إيلادته بقوله: وضرغامها الهاشمي الشريف * * * * * يذيق بواز العذاب الأليم

(7) غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال... ص 40 عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية. مرجع سابق ص 196

تحوم حوله على الدوام، ففي تقرير صادر من باريس يوم 1916/03/16 ورد بأن المرباط سي الهاشمي على علاقة بالطرابلسي سليمان الباروني ضد الطليان⁽¹⁾، فتم نفيه بعد الهدية، ثم سمح له بالعودة إلى الديار، لكنه التزم الصمت حتى وفاته يوم 1923/9/15.⁽²⁾

وبعد وفاته تولى مقاليد زاويته، نجله الشيخ عبد الرزاق المتحصل على شهادة التطويح، من جامع الزيتونة، لكن مشيخته لم تدم سوى ستة أشهر، فقد عاجله ريب المنون، فخلفه على الزاوية من بعده أخوه الشيخ عبد العزيز الشريف (1899-1965م) من خريجي الجامعة الزيتونية⁽³⁾، وكان أبرز من تولى مقاليد الزاوية القادرية بالوادي، حيث وسع أملاكها حتى نعت "ملك التمر" لكثرة نخيله⁽⁴⁾، وحول زاويته إلى مدرسة إصلاحية، ورغم أن الفرنسيين قد قضوا على هذه التجربة التي قام بها الشيخ عبد العزيز، فإن أبناء الزاوية واصلوا التقليد الذي سنه الشيخ الهاشمي، فكانوا من المتعلمين في الزيتونة وفي غيرها، وبذلك استفادت منهم الحركة التعليمية بعد الاستقلال.⁽⁵⁾

وأول الأمر كانت علاقة الشيخ عبد العزيز، مع إدارة الاحتلال حسنة -أو هكذا كانت تبدو-، بيد أنه بعد إيباه من رحلة الحج انضم إلى صفوف الحركة الإصلاحية، التي تمثلها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبالتالي مكّن الجمعية من الدخول إلى وادي سوف من بابها الواسع في سبتمبر 1937م، ورغم تحذير الشيخ ابن باديس للشيخ عبد العزيز من التصادم مع الإدارة الفرنسية أو الموالين لها، إلا أنه نظم مظاهرة لاستقبال المدير العام للشؤون الأهلية

(1) عاشوري قمعون: دور عائلة... مرجع سابق. ص 77. عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية... مرجع سابق. ص 195

(2) علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال... المرجع السابق. ص 41-43.

(3) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ج 3، ص 235-236. قمعون: دور عائلة... المرجع السابق. ص 80.

(4) علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال... مرجع سابق. ص 41-43.

(5) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ج 3، ص 235-236.

يوم 1938/04/12م، بمطالب أهمها: - رفع الظلم على الأهالي - فتح المساجد التي أغلقت - عدم التدخل في الشؤون الدينية للسكان... وعرفت هذه الهبة محليا "هدة عميش الثانية"، فلم يرق ذلك لسلطات الاحتلال، التي سارعت إلى اعتقاله ورفاقه من العلماء المصلحين. (1)

ومن أسباب تحول الشيخ عبد العزيز: - طبيعته الثائرة - عنفوان الشباب - دراسته بالزيتونة - احتكاكه بالإصلاحيين - علاقته برجال السياسة والحركة الوطنية التونسية ومنها مراسلات الحزب الدستوري الجديد له - إحاطته بالأحداث في المشرق الإسلامي. (2)

وقد أحصى الفرنسيون أتباع الطريقة القادرية في الجزائر سنة 1906 بـ 25.000 خوني و33 زاوية (3)، وحسب ما ورد في الأرشيف التونسي، فإن عدد زواياها بتونس عام 1364هـ / 1925م، 109 زاوية، وعدد أتباعها 117.681 من المريدين. (4)

أما في وادي سوف فقد ازداد انتشار هذه الطريقة، فقد كانت نسبة مريديها بالنسبة للسكان حوالي 7.5 % سنة 1897م، ليصل إلى 14 % سنة 1945م. (5)

(1) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: ماذا تعرف عن سوف؟ بعد الاعتقال الضغط والاضطهاد، جريدة البصائر، السنة 03، ع 112، 06 ربيع الأول 1357 / 06 ماي 1938. ص 01. وجريدة البصائر، السنة 03، ع 134، 07 أكتوبر 1938. ص 01. وكذلك: حول مساجين العلماء-هل في سجن الكدية ما يذكرنا بـ (الباستيل)؟ جريدة البصائر، السنة 04، عدد 178، 11 أوت 1939. ص 01 وأيضاً عاشوري قمعون: دور عائلة... المرجع السابق. ص 82 وسعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج 4 ص 55.

(2) علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال ... مرجع سابق. ص 45-46.

(3) ليلى تيته: المرجع السابق.

(4) الأرشيف الوطني التونسي: مجموعة D. علبة 97. ملف 14/03.

(5) عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية ... المرجع السابق. ص 195.

2- التواصل الطريقي القادري بين المنطقتين:

إن تأسيس الزوايا القادرية بوادي سوف من رحم زاوية نفطة، لهو عنوان بارز لعملية التواصل بين المنطقتين، دون أن نغفل أن زاوية نفطة بالجنوب التونسي، كان لها نفوذ على الزوايا بالجهات المجاورة لها بالجزائر، وأبرزها زوايا عميش والرياح وقمار بسوف. (1)

بالإضافة إلى زيارات الشيخ الهاشمي بن إبراهيم، المتكررة للزاوية الأم بنفطة، أو لتفقد أملاكه ونخيله بالجريد التونسي، وكذلك الأحباس التي أسسها في مدينة تونس لتموين تعليم الطلبة المعوزين بجامع الزيتونة (2)، مثل زيارته في جوان 1909م، حيث كان مرفوقا بعشرة أشخاص كانوا طلبة في زاويته. (3)

واستمر هذا التواصل مثل زيارات الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي وإخوته، بين الفينة والأخرى لنفطة وتمغزة، والمرة الوحيدة التي تم فيها رفض منح ترخيص لنائب القادرية بالذهاب إلى تونس، كانت أثناء الحرب العالمية الثانية، والشخص الممنوع هو الشيخ محمد الصالح بن الشيخ الهاشمي شيخ الطريقة القادرية بالوادي، لزيارة إخوته الاثنين بتونس وكذا لأجل العلاج، وكان هذا الرفض من خلال وثيقة صادرة بتونس في 18 جويلية 1941م، وعللت المصادر الأمنية التونسية أسباب المنع، بمواقف عائلته السياسية، التي تتضمن عدوانية تجاه فرنسا، بدليل تحريض أبيه الهاشمي لتجنيد السوافة في الحرب، خلال ح.ع. 1 (1914-1918م) (4)، كما أن أخوه الشيخ عبد العزيز كان من أقطاب الحركة الإصلاحية بسوف، ومعجبا بالشيخ

(1) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج 4، ص 47.

(2) الارشيف الوطني التونسي: مجموعة D. علبة 178. ملف 12/5D "déplacement de personnages religieux"

(3) الارشيف الوطني التونسي: مجموعة D. علبة 178. ملف 5/1 أنظر أيضا ملحق رقم 16، ص 310.

(4) عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية ... المرجع السابق. ص 220.

عبد الحميد بن باديس، بالاضافة إلى أن عائلته تنتمي إلى العائلات التي لها تأثير كبير على أوساط السوافة في تونس. (1)

ويظهر التواصل كذلك من خلال قيام زاوية الوادي، بشراء القمح لفائدة الزاوية القادرية بنفطة، مساهمة منها لأجل تلبية حاجيات مريديها وطلبتها والطبقات المحتاجة، حيث بلغت الكمية التي تم اقتناؤها 200 قنطارا سنة 1946 لترتفع إلى 500 قنطارا سنة 1947م (2)، دون أن ننسى انتشار مدائح الطريقة بين المنهقين، وفي هذا الإطار نذكر أن انتشار أمداح محمد بن تواتي (3) السوفي القادري في نفطة وتوزر وقفصة، أكثر من انتشارها في بلده سوف، وكان هذا المدايح في تواصل مستمر مع سكان نفطة (4)، وذكرنا ابن تواتي كمثال فقط، وإلا فإن إنتشار المدائح والقصائد الصوفية بين المنطقة منتشر معروف. (5)

ومن صور التواصل أيضا؛ الجانب التعليمي، حيث ساهمت زاوية نفطة في تكوين وإجازة عدد كبير من طلبة العلم من وادي سوف، الذين أصبح لهم تأثير عند رجوعهم إلى مناطقهم، بتدريسهم لعلوم لا عهد لأهل المنطقة بها، ومنهم الشيخ الحسين حمادي، الذي كان حلقة تواصل وثيقة بين المنهقين، حيث نشأ وترعرع وتعلم بزاوية نفطة، وبعد تخرجه حوالي سنة 1921م، تولى التدريس بمنطقة المكناسي بتونس حوالي 18 سنة، ثم عاد سنة 1940م

(1) الأرشيف الوطني التونسي: مجموعة D. علبة 178. ملف 15/5D.

(2) المصدر نفسه.

(3) الشاعر محمد بن تواتي: ولد في بلدة كوينين بوادي سوف، وكانت فترة حياته قبيل أو أثناء القرن 19م، ويبدو من خلال شعره أنه كان قليل الثقافة، لكنه قوي الاعتقاد في شيخه عبد القادر الجيلاني، حيث خصه بأغلب قصائده، التي يتغنى بها إلى الآن إخوان الحضرة القادرية بسوف وخارجها، خاصة بالقطر التونسي. عاشوري قمعون: الشعر الصوفي، مرجع سابق. ص 14، 19.

(4) عاشوري قمعون: الشعر الصوفي ... المرجع السابق. ص ص 14، 19.

(5) حسان الجيلاني: المرجع السابق. ج 1، ص 20.

إلى وادي سوف ليواصل رسالة تجلية البصائر⁽¹⁾، ومن الذين تلقى عنهم الشيخ الحسين حمادي العلم بزواوية نفطة، الشيخ محمد بن حمد السوفي أصلا النفطي مولدا ومنشأ، وكان من حين لآخر يزور الزاوية القادرية بالوادي ويلقي الدروس.⁽²⁾

ولأن الشيخ محمد الهاشمي يدعوا إلى العلم ويدعمه، فقد كانت زاويته بعميش مهمة بالتعليم القرآني، وتبعث حفظة كتاب الله إلى زاوية نفطة، وزاوية الشيخ المولدي بوعرقية (ت1336هـ/1915م) بتوزر لإتمام دراستهم⁽³⁾، وكان للشيخ المولدي مريدين بسوف يتجاوزون زاوية نفطة، ويزورونه ويأخذون عنه ومنهم العوامر صاحب **الصروف**.⁽⁴⁾

ونظرا لتأثير الطريقة القادرية في المنطقة، وتمتع مشايخها بنفوذ مادي وأدبي على أتباعهم، وما يشكله من خطر على السلطة الإستعمارية في المنطقة، فقد حاولت هذه الأخيرة إضعاف الطريقة وغيرها من الطرق، من خلال التدخل في تسمية مشايخ الطرق، بفرض إجراءات إدارية يجب توفرها في المترشح لخطبة مشيخة الطريقة، حتى تكون لها الحرية في اختيار مرشحين موالين لها⁽⁵⁾، كما وضعت حداً لانتقالات المشايخ من خلال سن قوانين تحدد وسائل التنقل، مثل المنشور المؤرخ يوم 09 جانفي 1913م بتونس، والذي وضّح لمشايخ الزوايا ونوابهم، الأعمال القانونية التي يلزمهم إتمامها قبل الانتقال من الدوائر المقيمين بها"، وسعت إلى التنفذ داخل الطريقة من خلال استخباراتها، كما هو الشأن بالنسبة للمضابط ديپورتير Deporter، الذي ربط علاقات صداقة مع الشيخ محمد الكبير بن إبراهيم شيخ زاوية نفطة،

(1) محمد العيد قدع: الشيخ الحسين... المرجع السابق. ص 49.

(2) علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال... مرجع سابق. ص 63-64.

(3) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج 3، ص 234-235.

(4) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 21.

(5) يوسف بن حيدة: المرجع السابق.

وحصل منه على شهادة مقدم للطريقة القادرية كان يستخدمها عند الحاجة، ويتنقل بين الأرجاء على أنه قادري، حتى أن الناس كانوا يعتبرونه مسلم قادري، وبالمقابل رخص ديورتر لأبناء الشيخ إبراهيم تأسيس زوايا لهم في الجزائر⁽¹⁾، وهذا بهدف توظيف القادرية لخدمة الإستعمار، وضمان هدوئها، للقضاء على خطورة الطرق الصوفية على المصالح الاستعمارية.⁽²⁾

ثالثا - الطريقة البوعلية:

البوعلية طريقة متفرعة عن القادرية، ظهرت في الجنوب التونسي، وتنسب إلى مؤسسها الشيخ أبو علي الحسن بن إبراهيم⁽³⁾ (493-610هـ/1099-1214م)، كان زنجيا قدم من سجماسة إلى القيروان ثم استقر بنفطة، وبها توفي وقبر⁽⁴⁾، بعد أن بلغ السابعة عشر بعد المائة من السنين، كان من أصحاب وتلاميذ أبي مدين شعيب دفين تلمسان، ويدعى بوعلي السني النفطي، وسبب تسميته بالسني تعود لنصرته مذهب أهل السنة ضد المذاهب الأخرى⁽⁵⁾ خاصة المذهبين الاباضي والشيوعي، وقد كان لها إتباع بالشرق الجزائري ومنها منطقة سوف⁽⁶⁾، وانتشارها بسوف كان بواسطة الشيخ محمد بن ناصر النفطي (1800-1895م)، الذي وفد على الوادي وأسس عام 1850م خلوة أو زاوية شمال نزلة أولاد أحمد، وعام 1890م شيّد

(1) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج 4، ص ص 51-50.

(2) التليلي العجلي: الطرق الصوفية... المرجع السابق. ص 78. يوسف بن حيدة: المرجع السابق.

(3) هناك من ينسبه كالاتي: أبو علي حسن بن محمد بن عمران الحسيني النفطي. أحمد البخترى: المرجع السابق. ص 64

موسى بن موسى: التغلغل الاستعماري... المرجع السابق. ص 63. سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ج 4، ص 274

(4) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 166.

(5) أحمد البخترى: المرجع السابق. ص ص 64، 67. إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 166.

(6) أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص ص 51، 101.

أتباعه مسجدا بجوار الزاوية، سموه مسجد سيدي بوعلي⁽¹⁾، ولما توفي الشيخ بن ناصر النفطي دفن بالركن الجنوبي الغربي من المسجد، ويمكن أن يكون مكان زاويته، وللوعلية شطحات غربية في حضرته، كإلهام النار والزجاج والمشي على الجمر.⁽²⁾

ومن أتباع الشيخ بوعلي السني، سيدي مرزوق الزنجي الذي كان خادما له، ثم استقل عنه، والزنج من الجنوب التونسي وسوف يجلبونه، ولهم احتفال سنوي يقام يوم الاثنين أواسط شهر مارس من كل سنة بوادي سوف، ويجمع الأسر الزنجية المختلفة من أقاصي البلاد وأدناها، يقال له "ملعب بابا مرزوق"⁽³⁾، وفي الجنوب التونسي تدعى هذه الحفلة "بوسعدية"، وهذه الحفلات ذات بعد روعي، بتقديم الزيارات والصدقات، وطلب البركة من القائمين عليها، مثل تمرير العصا المعقوفة التي يضربون بها الطبل على حلق الصغير، لحفظه أو شفائه، لكنها ليست طريقة صوفية فلا زوايا ولا شيوخ ومقدمين ولا أصول أو أوراد، كما أن الزنج منقسمون بين الطرق الصوفية الأخرى، إذا فالأمر لا يعدو كونه تكتل عرقي للمحافظة على النسيج الاجتماعي وقيمه الحضارية.⁽⁴⁾

(1) علي غنازية: مجتمع وادي سوف من خلال ... المرجع السابق. ص174.

(2) موسى بن موسى: التغلغل الاستعماري... المرجع السابق. ص 63.

(3) ابراهيم العوامر: المصدر السابق. ص166 Roger leselle, Op. Cit. p 66 موسى بن موسى: التغلغل الاستعماري، المرجع السابق. ص64.

(4) موسى بن موسى: التغلغل الاستعماري... المرجع السابق. ص 65.

رابعاً - الطريقة الشاذلية:

الشاذلية طريقة شاذلية (1) أسسها الشيخ أحمد بن مخلوف الشاذلي، الراجح أن حياته امتدت بين (835-898هـ/1431-1492م)، وهو أصيل بلدة الشاذلية بالساحل التونسي (2)، طوّحته المقادير بين عدة مناطق، إلى أن استقر بالقيروان حيث أعلن بها طريقته، وبعد وفاته خلفه على الطريقة ابنه محمد الكبير الشاذلي ت900هـ/1494م لمدة ثلاث سنين، تولى بعدها الخلافة أخوه الشيخ عرفة بن أحمد الشاذلي ت949هـ/1542م، الذي أسس الإمارة الشاذلية بالقيروان عام 942هـ/1535م، التي تواجهت مع الدولة الحفصية، خصوصاً في خضم تحالف الحفصيين مع الأسبان ضد العثمانيين. (3)

لكن من سوء طالع هذه الإمارة، أن ظهورها تزامن وظهور الأتراك العثمانيين بالمنطقة، وسعيهم لضم هذه الرقعة للخلافة العثمانية، ف وقعت بينهم حروب طويلة مدة 123 عام، استمرت حتى بعد سقوط الإمارة الشاذلية، في رقعة جغرافية كبيرة مست أغلب الأراضي التونسية الغربية شمالاً وجنوباً، ودخل في هذا الصراع بعض قبائل إيالة الجزائر، ومنهم طرود بوادي سوف، وانتهى هذا الصراع باندحار الشاذليين سنة 965هـ/1557م على يد درغوث باشا العثماني، في زمن محمد بن أبي الطيب بن أحمد بن مخلوف الشاذلي (911-968/1505-1560) (4)، الذي ساءت سيرته في أهل القيروان، فاستجدوا بالعثمانيين للقضاء عليه (5)، ولم تفلح محاولة

(1) ينكر علي الشاذلي انتساب الشاذلية للشاذلية، ويقول بأن الشاذلية طريقة متميزة لتمييز أصولها الفلسفية. علي الشاذلي:

تاريخ الشاذلية خلال العهدين الحفصي والعثماني، دار نقوش عربية، تونس، ط1، 2015. ص 106.

(2) علي الشاذلي: مرجع سابق. ص 11 شعيب نوار: الطريقة الشاذلية ودورها الديني وأثرها الاجتماعي في وادي سوف، مذكرة ماستر، إشراف أ.د. علي غنايزية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الوادي، الجزائر، 1438-1439هـ/2017-2018م. ص 22

(3) علي الشاذلي: المرجع السابق. 41، 195، 207، 209 ... وغيرها.

(4) المرجع نفسه. ص 323-346 ... وغيرها.

(5) شعيب نوار: المرجع السابق. ص 29.

محمد الزفزاف بن عرفة الشابي، في إحياء إمارتهم ببلاد الجريد التونسي بداية من 968هـ/1560م إذ استولى على توزر وقفصة، حيث أطاح به حيدر باشا عام 1576م وبذلك

انتهت فصول الإمارة الشابية سياسيا. (1)

وبعد سقوط دولتهم تفرق الأحفاد في الأمصار، خاصة بالبوادي، حيث نزل أول الأمر أولاد عبد الصمد الشابي بقفصة، ومنهم من استقر بجبال ورغمة، أما أولاد محمد المسعود الشابي فقد نزلوا ضواحي توزر، حيث استقروا عند "عين النشوع" بحامة الجريد (2)، وتواصل تطوافهم لفترة، ومنهم من أثر الاستقرار بجبل ششار ووادي مشنتل قرب الشريعة وتليجان وجارش والميتة وسوف بالجزائر، أما بتونس فقد استقروا بنفطة وتوزر وبلاد الهمامة والفراشيش وصراط، حيث شمل نشاطهم الجنوب الغربي التونسي، والجنوب الشرقي الجزائري. (3)

وقد انتشرت الطريقة في تونس، وكان لها أتباع في مناطق من الشرق الجزائري، ومنها وادي سوف بواسطة جماعة من طرود، حيث أخذ منهم الشيخ عرفة الشابي عهدا لما وفدوا إليه في القيروان، حتى أن طرود قاتلت إلى جانب الشابي ضد باي تونس. (4)

ومن أهم المؤسسات الدينية للشابية، بيت الشريعة التي تم إنشاؤها في القرن 11هـ على عهد عرفة الشابي، وهي بمثابة مؤسسة دينية متنقلة تصحبهم في رحلاتهم، ومكان لتلقي هبات الأتباع وصدقاتهم في شكل عادة قارة لم ينقطعوا عنها (5)، والتي ساعدتهم في القيام بنشاطهم.

(1) علي الشابي: المرجع السابق. ص 352 وما بعدها وكذلك شعيب نوار: المرجع السابق. ص 31.

(2) يوسف بن حيدة: المرجع السابق.

(3) علي الشابي: المرجع السابق. ص 31-32 وأحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 101، 103.

(4) إبراهيم العوامر: المصدر السابق العدوانى: المصدر السابق. ص 180-181.

(5) علي الشابي: المرجع السابق. ص 32. يوسف بن حيدة: المرجع السابق.

وعندما استقروا في توزر لعبت مؤسسة بيت الشريعة ⁽¹⁾ دورا هاما، حيث مثلت منارة هداية للقبائل التونسية والجزائرية، واهتمت بتدريس مختلف العلوم للطلبة الوافدين إليها، كما كانت بمثابة محكمة للتقاضي بين الخصوم، ومركزا لنشر المعرفة، وشكلت همزة وصل بين منطقة الجريد والجنوب الشرقي الجزائري، واستمرت في مهمتها التربوية إلى سنة 1859م. ⁽²⁾

وقد عرفت هذه الطريقة أواخر القرن 19م تراجعاً، جراء المنافسة مع الطرق الأخرى، حيث بدأت تفقد مناطق نفوذها، هذا التراجع جعل شيوخها يجنحون إلى سياسة المهادنة، ويدخل في هذا الإطار موقفها من الاحتلال الفرنسي لتونس 1881م، فقد كان سلبياً ⁽³⁾، حيث تذكر الأدبيات الفرنسية ⁽⁴⁾: أنه بوصول الجنرال فيليب "philibert" إلى توزر ونواحيها فرّ أهلها مذعورين، فكان الشيخ بن جدو رأس الشابية الواسطة بينهم وبين الفرنسيين، حيث أعادهم إلى ديارهم، وإضافة إلى نقص الأتباع، فقد طرأ عليهم ما وقع في توزر من سوء في الأحوال الاجتماعية، حيث أصاب مواشيهم الفناء فأصبحوا يعانون من الفقر والإحتياج، وهذا ما أثر على مداخل وموارد الطريقة، وهناك أيضاً التنافس حول مشيخة الطريقة، حيث رفض بعض الأتباع سنة 1896م الإعتراف بمشيخة الحاج محمد بن إبراهيم الشابي، ومنذ ذلك الوقت انقسم أتباع الشابية بين شيوخين متنافسين متصارعين ⁽⁵⁾، وتطور الصراع بين أفراد العائلة

(1) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج4، ص 276.

(2) علي الشابي: المرجع السابق. ص 32.

(3) محمد الأمين بلغيث: الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشابية، دار كتاب الغد للنشر والتوزيع، جيجل-الجزائر، ط2، 2007. ص98.

(4) يوسف بن حيدة: المرجع السابق.

(5) المرجع نفسه.

حول الشيخ القادم "الخليفة"، مما أحدث خلافا داخل الطريقة، أفقدها تأثيرها وأدى إلى تراجع أتباعها، وكادت تختفي تماما في تونس بعد 15 سنة من الإحتلال. (1)

تقوم الطريقة الشاذلية على ثلاثة أصول: الشريعة، التوحيد، الأخلاق الصوفية (2)، ومن لم يكن على الكتاب والسنة فهو كالبهيمة أو أضل سبيلا (3)، ويقوم ورد الشاذلية على: الاستغفار مائة مرة، الهيلة مائة مرة، الصلاة على النبي المختار مائة مرة بعد صلاة الفجر، ويطلق على الذكر عندهم اسم السبعين أو السبعينية. (4)

التواصل الطريقي الشاذلي بين المنهقين:

يعتبر التواصل الشاذلي الأقدم بين الطرق الصوفية، ويبدأ منذ زيارة الشيخ مسعود الشاذلي لوادى سوف بداية القرن 17م -وكان قبل ذلك سياسيا بين طرود وعرفة الشاذلي-، وقد كانت المنطقة في ذلك الوقت تعيش في جهالة وبعد عن تعاليم الإسلام، باعتراف العدوانى وهو ابن المنطقة (5)، لهذا طاف الشاذلي عدة أماكن لتعليم الناس أمر دينهم، وبدأ تطوافه باللجة حيث درس الشيخ عون بن موسى، ثم رحل إلى تكسبت حيث أكرمه العشّ اليربوعى الذي أتى كذلك من الجنوب التونسى، وبالضبط من نفزاوة، ثم ذهب الشيخ المسعود إلى غنام وتغزوت فجلمة ثم كوينين، حيث نشر الإسلام والشاذلية على حد تعبير العدوانى (6)، وظل المسعود الشاذلي

(1) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج4، ص277.

(2) أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 51 شعيب نوار: المرجع السابق. ص 23.

(3) علي الشاذلي: المرجع السابق. ص 304-305.

(4) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي... المرجع السابق. ج 4 / ص 276 شعيب نوار: المرجع السابق. ص 24.

(5) أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 107 محمد العدوانى: المصدر السابق. ص 111-116.

(6) محمد العدوانى: المصدر السابق. ص 117-138.

يتردد على سوف حتى وفاته سنة 1619م⁽¹⁾، وبعد وفاته كان ابنه الشيخ علي الشابي يأتي لزيارة المنطقة، ثم ظل أحفاده يأتون لوادي سوف كل عام لجمع الزيارت، وهي عبارة عن هبات وصدقات المريدين.⁽²⁾

وعندما يأتي الشابيون إلى سوف كان منزلهم منطقة قمار، حيث ينصبون خيمة غربي المدينة، وهي بمثابة "بيت الشريعة"، لتلقي هبات وصدقات الأتباع، ثم تحول مكان الخيمة مسجدا، جعلوا في قبلته عصا ثم خشبة ثم حجرا، وصار الناس يتبركون بالحجر، لهذا أخرج من المسجد سنة 1354هـ/1935م لئلا يتخذ كالوثن⁽³⁾، والمساجد التي تحمل إسم الشابي، المسجد العتيق بسوق الوادي، ومسجد في مدينة قمار.⁽⁴⁾

وكان للشابية أتباع بالدبيلة وقمار ولهم شيخ يمثلهم⁽⁵⁾، وبعض العائلات مازالت تحمل إسم الشابي⁽⁶⁾، كما استقرت بعض العائلات الشابية بقمار، حيث وقعت بينهم وبين أهل قمار خصومات حول المسجد، تدخل فيها بيت الشريعة بالجريد، عبر مراسلتهم المؤرخة بعام 1305هـ/1887م⁽⁷⁾، وظل شيوخ الشابية بالجريد على علاقة مع أهالي سوف، كما ظل بيت الشريعة جسرا روحيا وأداة تواصل بين الجنوب التونسي ومنطقة سوف.⁽⁸⁾

(1) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 192.

(2) أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 107.

(3) محمد الطاهر التليلي: من تاريخ وادي سوف، مخ ورقة 68.

(4) موسى بن موسى: التغلغل الاستعماري... المرجع السابق. ص 91 أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 107.

(5) آخر شيخ للشابية بسوف كان إبراهيم الشابي من الدبيلة وتوفي بقمار وبها قبر سنة 1998. أحمد بن تيشة: ص 111

(6) Ahmed Nadjah, Op. Cit. p 125.

(7) علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من خلال ... المرجع السابق. ص 185.

(8) أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 112.

خامسا - الطريقة الرحمانية:

مؤسس هذه الطريقة هو محمد بن عبد الرحمن الجرجري⁽¹⁾ الزواوي الأزهري، سليل أسرة صوفية وعلمية (ت 1208هـ / 1793م)⁽²⁾، وليس هناك اتفاق على تاريخ ميلاده، ويمكن أن نختار تاريخ 1133هـ / 1720م بقرية بوعلاوة⁽³⁾، وهو من عرش قشتولة في قبيلة آيت إسماعيل، تلقى تعليمه في زاوية الصديق وأعراب بالأربعاء نايت ايراثن، وفي مدينة الجزائر، وفي سنة (1152هـ / 1739م) توجه إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج، ومكث بمصر فترة طويلة، تردد خلالها على جامع الأزهر لمتابعة تعلمه، وتلقى خلالها تعاليم الطريقة الخلوتية⁽⁴⁾ على يد الشيخ محمد بن سالم الحفناوي، حتى أجازته وألبسه الخرقة الصوفية.⁽⁵⁾ وبعد غياب لأكثر من الثلاثين عاما عاد إلى الجزائر عام (1183هـ / 1769م)⁽⁶⁾، حيث انتصب لنشر تعاليم ومبادئ الطريقة الخلوتية، فنسبت إليه بتسميتها "الرحمانية"، فأسس بآيت

(1) من أهم مصادر التعريف بعبد الرحمن الجرجري مخطوط: فاكهة الحلقوم من نبذة قليلة من أحوال القوم ل: علي بن عمر الطولقي، المخطوط بخزانة الرباط للمخطوطات. عباس كحول: الجريد التونسي القاعدة الخلفية للزوايا العزوية والمقاومة الوطنية في الجنوب الشرقي الجزائري، مداخل ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التوصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس 11/10 نوفمبر 2013، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر.

(2) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج 1 / ص 506-507.

(3) عباس كحول: المرجع السابق. أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 57.

(4) الخلوتية: طريقة صوفية فارسية في سندها تنسب إلى الشيخ محمد بن نور الخلوتي (ت 780هـ - 1378م) ومؤسسها الحقيقي الشيخ يحيى الشرواني (ت 868هـ)، وتقوم على احترام المرشد، وتتبع من مدارس متعددة، كالسهروردية، والملاطية، انتشرت في مصر. أنظر سبنسر ترمينجهام: الفرق الصوفية في الإسلام، ترجمة ودراسة وتعليق عبد القادر البحراوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 1997. ص 129. ومحمد زاهد الكوثري: البحوث السنية عن بعض رجال أسانيد الطريقة الخلوتية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2004. ص 22. وأيضا: أبو الوفا التفقازاني الغنيمي: مدخل إلى التصوف الإسلامي، دارالثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1979. ص 245.

(5) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج 1 / ص 507. وأبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة فونتانة، الجزائر، 1906. القسم الثاني ص 450-451.

(6) كمال بوغديري: الطرق الصوفية في الجزائر-التجانية نموذجا دراسة انثروبولوجية بمنطقة بسكرة، أطروحة دكتوراه، إشراف أ.د. ميلود سفاري، قسم علم الاجتماع، جامعة الدكتور دباغين-سطيف، الجزائر. 2015/2014. ص 248.

إسماعيل زاويته، وسرعان ما كثر أتباعه ومريدوه، فانتقل إلى مدينة الجزائر لتوسيع دائرة دعوته من جهة، وتجنب مضايقات المرابطين الآخرين بالقبائل من جهة أخرى، وهو ما واجهه أيضا بزاويته الجديدة في الحامة، حيث تحرك خصومه وأتهموه بالزندقة، لكنه انتصر عليهم وأفحمهم في المناظرة، وأصدر المجلس العلمي المالكي برئاسة الشيخ علي عبد القادر بن الأمين فتوى لصالحه سنة 1764 م⁽¹⁾، لكن هناك من يرى أن الفتوى كانت ضده⁽²⁾، فزادت شهرته واجتمع له أتباع كثر، وقبل وفاته بيومين من عام 1793م عاد إلى مسقط رأسه وأملى وصيته⁽³⁾، وكان قد ترك شروحات ووصايا وقصائد ومخطوطات⁽⁴⁾، وأعطى إجازات لكثير من الشيوخ ومنهم بلقاسم بن محمد المعاتقي، والشيخ العابد بن الأعلى الشرشالي، وحتى الشيخ أحمد التجاني تتلمذ على يديه وأخذ عنه⁽⁵⁾.

دفن الشيخ محمد بن عبد الرحمان بزاويته بآيت إسماعيل، لكن أتباعه بالحامة قاموا بنقل جثمانه ودفنوه في مقبرة سيدي امحمد بالعاصمة، وقد يكون ذلك بتحريك من السلطة العثمانية، لمراقبة الطريقة وأتباعها عن كثب، فعرف ببوقبرين⁽⁶⁾، أي صاحب القبرين⁽⁷⁾.

(1) عباس كحول: المرجع السابق.

(2) كمال بوغديري: المرجع السابق. ص 248.

(3) علي بطاش: لمحة تاريخية عن منطقة القبائل حياة الشيخ الحداد وثورة 1871، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 2010. ص 64. عباس كحول: المرجع السابق.

(4) ماجدة القاسمي الحسني: الطريقة الرحمانية أركانها وأصولها، دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير، إشراف د. عمار جيل، كلية أصول الدين، جامعة الجزائر، 2000. ص 371.

(5) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج 1، ص 507.

(6) عباس كحول: المرجع السابق.

(7) أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 58.

توفي ابن عبد الرحمان دون أن يخلف ذكورا، فاستخلف على زاويته الشيخ علي بن عيسى المغربي الينبعي⁽¹⁾، وأوصى مريديه بإتباعه⁽²⁾، وبقي الشيخ ابن عيسى المغربي على رأس الزاوية الرحمانية حوالي 43 سنة، من عام 1208هـ/1793م إلى وفاته عام 1251هـ/1836م، عاصر خلالها الإحتلال الفرنسي.⁽³⁾

أما خليفة الجرجري الذي عينه خارج جرجرة هو الشيخ عبد الرحمان باشتارزي الكرغلي⁽⁴⁾، مؤسس زاوية قسنطينة، وناشر الدعوة في الشرق الجزائري، وقد أعطى عهد الطريقة بالجنوب للشيخ محمد بن عزوز البرجي، الذي نال التربية والسلوك والاجازة، من شيخ الطريقة عبد الرحمن الجرجري، وبعدها أكمل على يد الشيخ باشتارزي.

ويعتبر الشيخ ابن عزوز مؤسسا لطريقة جديدة تعرف بالعزوية الرحمانية⁽⁵⁾، حيث قام بالتخفيف من قيود الخلوتية، وشكلياتها في تسليك المريد الجديد، كما يتميز أتباعها بسبحة بيضاء في أعناقهم، وبتسليمهم على بعض بتشابك أيديهم مرتين بكيفية مختلفة.⁽⁶⁾

وبدوره خلف الشيخ ابن عزوز مقدمين انتشروا بالمنطقة وخارجها وهم: الشيخ علي بن عمر مؤسس زاوية طولقة، والشيخ عبد الحفيظ الخنقي مؤسس زاوية الخنقة بخنقة سيدي ناجي،

(1) من أصول مغربية تولي زاوية أيت إسماعيل خلفا لمحمد بن عبد الرحمن مدة تزيد عن 40 عاما من 1793 إلى 1863م، وهو زوج لالا خديجة التي ولدت له لالا فاطمة نسومر الشهيرة. عباس كحول: مرجع سابق. يوسف بن حيدة: مرجع سابق.
(2) أنظر عباس كحول: المرجع السابق. وأيضا مختار فيلالي: نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الغرافيك للطباعة والنشر، باتنة-الجزائر، 1976. ص 63.
(3) يوسف بن حيدة: المرجع السابق.

(4) الشيخ عبد الرحمن بن الباشتارزي الكرغلي: هو عبد الرحمان بن أحمد بن حمودة بن مامش باشتارزي الجزائري المنشأ والقسنطيني الدار، وهو خليفة عبد الرحمان الجرجري الأزهري على الشرق الجزائري وصاحب زاوية الرحمانية بقسنطينة، توفي 1806م. عباس كحول: المرجع السابق.

(5) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج 4 / ص 146.

(6) يوسف بن حيدة: المرجع السابق.

والشيخ المختار بن خليفة مؤسس زاوية أولاد جلال، والشيخ الصادق بن الحاج مؤسس زاوية لقصر "سيدي المصمودي" بأحمر خدو والشيخ مبارك بن خويدم البوزيدي. (1)

وعلى يد هؤلاء الشيوخ ظهر مقدّمين زادوا من انتشار الرحمانية، ومنهم الشيخ محمد بن بلقاسم مؤسس زاوية الهامل ببوسعادة، الذي أخذ عن المختار الجلالي، وكذلك الحاج علي الحمالوي مؤسس زاوية العثمانية قرب شلغوم العيد والذي أجازه الشيخ الحداد، وفرع وادي سوف الذي أسسه الشيخ سالم الأعرج بن محمد الذي أخذ عن الشيخ علي بن عمر. (2)

ولم تأت سنة 1897، حتى عدّ لها المختصون الفرنسيون 25 فرعا، لكل فرع منها شيخ مستقل، والكثير منها لا يعترف بسلطة الآخر عليه، خاصة فروع قسنطينة والخنقة وبوسعادة (الهامل) وطولقة ووادي سوف ونفطة، ومردّ ذلك -ربما- لبعدها عن الزاوية الأصل، بخلاف الشيخ الجعدي وأتباعه في المعاتقة ونواحيها الذين ظلوا على ولائهم لهلزاوية الأم. (3) بعد ثورة 1871م أضطهدت الطريقة الرحمانية، وهدمت زواياها الواقعة في المناطق الثائرة، وتفرعت إلى فروع وفقدت مركزيتها بعد هدم زاوية صدوق بزعامة الشيخ الحداد، ونفي زعمائها إلى خارج الجزائر، وجزء منهم نفي إلى تونس (فرع المقرانيين)، ومع ذلك كانت أكثر الطرق انتشارا بين الجزائر وتونس. (4)

أما بخصوص الإحصائيات ففي عام 1299هـ/1882م كان للطريقة الرحمانية 220 زاوية، يؤطرها 754 مقدما، ويؤمها 96.161 إخواني، أما في سنة 1315هـ/1897م فإن

(1) عباس كحول: المرجع السابق.

(2) أنظر عبد العزيز شهبوي: المرجع السابق. ص 130 وسعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج 4/ ص 146-147.

(3) محمد السعيد قاصري: المرجع السابق.

(4) ليلي تيته: المرجع السابق.

زواياها بلغت حوالي 177 زاوية، يشرف عليها 873 مقدما و 849 شاوشا، ومريديها 165.213 إخواني⁽¹⁾، لهذا كانت تعتبر من أوسع الطرق انتشارا في الجزائر أثناء العهد الاستعماري، ثم تراجع هذا النفوذ كثيرا إثر الدعوة الإصلاحية التي نشرتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وورد الطريقة الرحمانية هو: "لا اله الا الله هو حق حي قيوم قهار" في كل وقت، الصلاة الشاذلية وهي "اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم" خاصة من عصر الخميس إلى عصر الجمعة، سواء أكان طاهرا أم غير طاهر، وفي هذه المدة يذكر "اللهم صلي على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم" 80 مرة، ويشترط أن يكون على طهارة عند ذكر مرة واحدة على الأقل⁽²⁾، وكذلك من أورادهم الاستعاذة والإستغفار والشهادتين، وقراءة الفاتحة وبعض الأدعية.⁽³⁾

ومن ركائز الرحمانية: التعليم، التصوف، الجهاد، المساواة بما فيها النساء، العزلة، الخلوة، الصيام، الذكر، الصلاة، الحضرة.⁽⁴⁾

1- انتشار الطريقة الرحمانية بالجنوب التونسي:

دخلت الطريقة الرحمانية إلى تونس عبر زاوية الكاف بالشمال، ثم عبر زاوية نفطة بالجنوب التونسي، فأما الأولى فكانت بتوجيه من مؤسس الطريقة نفسه، وكان بناؤها حوالي عام 1206هـ/1785م أو قبل ذلك بسنة واحدة، على يد الشيخ أحمد بن علي بوحجر أصيل

(1) Louis Rinn: op.cit. p 480.

أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 60-61.

(2) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج 4، ص 174 كمال بوغديري: المرجع السابق. ص 249. أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 59.

(3) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي... المرجع السابق. ج 1، ص 506.

(4) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج 4، ص 144.

بلدة عين تموشنت، وكانت الممثل للطريقة الرحمانية بتونس إلى سنة 1846م، ففي هذه السنة أسس الشيخ مصطفى بن محمد بن عزوز البرجي (ت1283هـ/1865م) ⁽¹⁾ زاويته الشهيرة بنفطة ⁽²⁾، وأجرى تغييرا على الطريقة، بأن خفف من قيودها الموروثة عن الخلواتية، فنسبت الطريقة إليه، فدعيت الطريقة الرحمانية " العزوزية "، واشتهرت زاويته شهرة واسعة، وانتشر صيتها في الأنحاء، خاصة قبل الاحتلال الفرنسي لتونس عام 1881م، وبالأذات في عهد مؤسسها الشيخ مصطفى ابن عزوز، الذي حاز على هيبة ونفوذ حقيقي ونجح في جذب أتباع كثر للطريقة، حتى غدت زاويته محبا للرحمانيين، وأصبحت له مكانة لدى السلطة الحاكمة الممثلة في البايات، حيث كانوا يجلبونه، ويسبغون حماية الدولة على زاويته بنفطة ولكل من يلتجئ إليها. ⁽³⁾

كان للشيخ مصطفى بن عزوز أولادا عدة، منهم من بقي في الجزائر، ومنهم من انتقل إلى تونس وأسس بها زوايا، وهم الحفناوي الذي خلفه على زاوية نفطة، ومحمد الذي أسس زاوية بالقيروان، والمكي بن عزوز الذي هاجر إلى المشرق وعمل في نطاق الجامعة الإسلامية...، ومن تلامذة مصطفى بن عزوز نذكر عبد الحفيظ الخنقي مقدم الرحمانية في خنقة سيدي ناجي ونواحيها، الذي أبقى على ولائه لفرع العزوزية الرحمانية بنفطة. ⁽⁴⁾

(1) مصطفى سالمي: المصدر السابق. ص 20.

(2) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج4، صص146-147. وأوغست أنطوان: المصدر السابق. ص 76 وكذلك عبد العزيز شهيبي: المرجع السابق. ص126.

(3) محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان 1982. ص379 أحمد بن تيشة: المرجع السابق. صص89-90، 117.

(4) محمد حاج عيسى الجزائري: نبذة عن تاريخ الطرق الصوفية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 2011. ص15

ترجع بعض المصادر سبب شهرة زاوية نفطة، لكونها مدرسة للتعليم، ويكمل خريجها تعليمهم بجامع الزيتونة، ثم يتولون الوظائف كالقضاء والتعليم، بالإضافة للدور الديني والإجتماعي، ومن أشهر خريجها الذين وفدوا إليها من الجزائر: المكي بن عزوز ومحمد الأخضر بن الحسين وعاشور الخنقي، كما لا بد بها بعض الثوار أمثال ناصر بن شهرة وشريف ورقلة ونزل فيها محي الدين بن الأمير عبد القادر بين (1870م-1871م)، الذي حاول تجديد المقاومة أسوة بأبيه لكنه فشل في ذلك. (1)

وفي إطار انتشار الرحمانية بتونس أسس محمد بن عزوز بن الحفناوي بن عبد الحفيظ زاوية تمغزة، وأسس بوبكر بن خالد زاوية توزر سنة 1846، وأسس إبراهيم خريف زاوية محمد التبان بنفطة سنة 1845م (2)، إضافة إلى زوايا أخرى أغلبها مرتبطة بالزاوية الأم بنفطة. (3) وقد بلغ عدد الفروع التابعة لزاويتي طولقة ونفطة في الربع الأخير من القرن 19م خمسة وثلاثون زاوية (4)، كما وصل عدد أتباعها 114.761 مريدا عام 1346هـ/1925م، وقد أعطى هنري قارو إحصاء للطريقة الرحمانية سنة 1906م، حيث قدر مريدي زاوية نفطة 13.000 إخواني. (5)

(1) ينظر علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من خلال ... المرجع السابق. ص 46 وأيضاً محمد حاج عيسى الجزائري: المرجع السابق. ص 16.

(2) عبد العزيز شهيبي: المرجع السابق. ص 178.

(3) يوسف بن حيدة: المرجع السابق.

(4) ماجدة الحسني: المرجع السابق. ص 167-168. عباس كحول: المرجع السابق.

(5) التليلي العجيلي: المرجع السابق. ص 46 أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 90.

2- الطريقة الرحمانية بوادي سوف:

تأسست الزاوية الرحمانية بوادي سوف عام 1206هـ، على يد الشيخ سالم العايب "الأعرج" بن محمد بن أمحمد السالمي⁽¹⁾ دفين القيروان، الذي ولد عام 1184هـ بالوادي، ونسبت له الزاوية فسميت زاوية سيدي سالم، وكان السالمي قد أخذ الطريقة والإجازة عن علي بن عمر الطولقي⁽²⁾، لذلك كان هذا الفرع تابعا لزاوية طولقة، وفي ذات الوقت على صلة وثيقة بزاوية نفطة⁽³⁾، فقد كان مؤسسها على علاقة وطيدة بشيخها مصطفى ابن عزوز، لدرجة أن الطريقة الرحمانية تسمى في سوف العزوزية، وتقدم الزاوية دروسا لطلاب العلم، أبرزه التعليم القرآني، حيث كانت مقصدا للطلاب حتى من خارج المنطقة خاصة من بلاد النمامشة⁽⁴⁾، الذين تكفل لهم الزاوية الإقامة والمعاش، وقد وصل عددهم 70 طالبا⁽⁵⁾، توفي الشيخ سالم العايب عام 1277هـ⁽⁶⁾، وبعد وفاته تولى شؤون الزاوية ابنه الشيخ محمد الصالح، وفي سنة 1860م زار الرحالة الفرنسي هنري دوفيرييه الزاوية ووصفها في رحلته⁽⁷⁾، وقد كانت علاقات هذه الزاوية تتسم بالسياسة والليونة، فلم تتصادم مع الإدارة الاستعمارية⁽⁸⁾، ولا مع الطرق الأخرى.

(1) عثمان زغب: الأوضاع الاقتصادية ... المرجع السابق. ص 197. عباس كحول: المرجع السابق.

(2) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج 3، ص 217. الحفناوي: تعريف الخلف ... ج 2، ص 399.

(3) أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 60.

(4) G. P. J. André: Op. Cit. P 277.

(5) عثمان زغب: الأوضاع الاقتصادية ... المرجع السابق. ص 197 أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 60.

(6) مصطفى سالمي: المصدر السابق. ص 20 عباس كحول: المرجع السابق.

(7) هنري دوفيرييه: المصدر السابق. ص 154.

(8) عثمان زغب: الأوضاع الاقتصادية ... المرجع السابق. ص 197.

كانت الطريقة الرحمانية العزوزية تنصدر الطرق الصوفية الأخرى، انتشارا بوادي سوف مطلع القرن 20 م، فقد كانت نسبة انتشارها سنة 1892م حوالي 14.7 %، وإلى سنة 1945م بقيت النسبة تقريبا نفسها، فقد قدرت 14.4 %.⁽¹⁾

3- التواصل الطريقي الرحماني بين المنطقتين:

يظهر التواصل الرحماني العزوزي من خلال الرحلات والزيارات المتبادلة، بين زاويتي نفطة وسيدي سالم بالوادي، إذ أن نشاط شيوخ الطريقة المكثف بين المنطقتين، كان له أثر في تمثيل العلاقات وشدّ الأواصر، وفي ذات الوقت في عملية الإشراف على الزوايا بالجهتين⁽²⁾، ومنها زيارة شيخ الزاوية الرحمانية بنفطة محمد المكي بن عزوز لوادي سوف، وتجوّله في قراها، حيث ربط علاقات مع علمائها.⁽³⁾

وقد كان لزعماء الطريقة الرحمانية العزوزية بالوادي، علاقات مع مريدين لهم في تونس، وفي هذا الإطار حصل الشيخ محمد العربي السالمي من زاوية سيدي سالم بالوادي، على ترخيص للسفر إلى مدينة تونس لمدة ثلاثة أشهر في 26 جوان 1926م⁽⁴⁾، وفي نفس الإطار كان الشيخ محمد الصالح بن سيدي سالم (1263-1335هـ/1846-1916م)، كثير التردد على زاوية نفطة الرحمانية.⁽⁵⁾

(1) سعد الله: أبحاث... مرجع سابق. ص 13، 25 عثمان زغب: الأوضاع الاقتصادية... مرجع سابق. ص 197.

(2) يوسف بن حيدة: المرجع السابق.

(3) علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال... مرجع سابق. ص 72. عبد الحميد بن باديس: مجلة الشهاب يوم 14/03/1937... المرجع السابق. ص 26-27.

(4) الارشيف الوطني التونسي: مجموعة D. علبة 178. ملف "personnages religieux". 15/5D. أنظر ملحق رقم 17 ص 311.

(5) عاشوري قمعون: دور العلامة... المرجع السابق. ص 117.

ومعظم الزوايا الرحمانية ومنها زاوية سيدي سالم بسوف، ترتبط ارتباطا وثيقا بزوايتي طولقة العثمانية ونفطة العزوية، وكان ولاء شيوخها لمصطفى ابن عزوز، ويبدو أن هناك تنافس بين الزاويتين، فبعد إحتلال تونس عمل الفرنسيون على الوقعة بينهما، وتذكية التنافس الحاصل بين الحفناوي بن عزوز من زاوية نفطة والحسين بن عثمان شيخ زاوية طولقة، وانتهى الأمر إلى الانفصال بين الزاويتين، وبقيت الخصومة بين زاويتي طولقة ونفطة حتى بعد اختفاء الحسين والحفناوي. (1)

كما لعبت الزاوية الرحمانية بالجريد التونسي دورا في دعم المقاومة الجزائرية أثناء فترة الاحتلال، حيث تحولت إلى مركز تجميع لكل المضطهدين الجزائريين الفارين والمطرودين، إذ لاذ بها بعض الثوار من رموز المقاومة، أمثال الناصر بن شهرة وشريف ورقلة، كما نزل فيها محي الدين بن الأمير عبد القادر بين 1870-1871 حين زار المنطقة بدعوى الجهاد (2)، والتقى فيها هؤلاء المقاومون لتدارس مشاكل بلادهم، ومحاولة تجديد وتنظيم المقاومة ضد السيطرة الفرنسية، كما تناولت بعض التقارير الفرنسية تسرب البارود الإنجليزي إلى الجزائر عن طريق الجريد، ودور التونسيين في ذلك، إضافة إلى حملات الجمال التي كانت تجتاز الحدود التونسية الجزائرية بقوافل إلى بلاد سوف، بحكم قرب بلادهم من منطقة الحدود (3)، والانتماء الروحي.

(1) عباس كحول: المرجع السابق. محمد حاج عيسى الجزائري: المرجع السابق. ص 14.

(2) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج 4، ص ص 146-147. عبد العزيز شهبي: المرجع السابق. ص 126.

(3) يوسف بن حيدة: المرجع السابق.

سادسا - الطريقة التجانية:

الطريقة التجانية أحدث الطرق، وهي أصيلة الجزائر، غير وافدة مثل الطرق الأخرى، أسسها الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن سالم التجاني، نسبة إلى أخواله قبيلة التواجنة أو بني توجين، وهو من مواليد عين ماضي بالأغواط عام (1150هـ / 1737م) ⁽¹⁾، تلقى تعليمه الأول على يد أبي عبد الله محمد بن أحمد التجاني ⁽²⁾، ثم ارتحل إلى فاس، وتلمسان، وتونس، والقاهرة، ومكة، والمدينة، وبغداد، وأخذ الطريقة القادرية والطيبية والرحمانية والناصرية والمدنية والخلوتية، ومن هنا يؤكد البعض أنه خلال رحلاته كان يتلقى الأذكار والأوراد، أكثر من تتبعه للعلوم الشرعية، لكن آخرين يرون أنه حضر مجالس العلوم ⁽³⁾، وقد درّس التجاني في تونس كتاب **الحكم العطائية** لابن عطاء الله السكندري، وحقق في ذلك نجاحا جعل باني تونس يطلب منه التدريس بالزيتونة، لكن الشيخ التجاني رفض ذلك وواصل طريقه للحج. ⁽⁴⁾

في سنة 1196هـ / 1781م ذهب الشيخ التجاني إلى بلدة بوسمغون التي تقع جنوب غرب مدينة البيض، حيث إنعزل عن الناس، لكنه كان يتردد على عين ماضي مسقط رأسه، ومن بوسمغون صدع بدعوته لطريقته الجديدة، وقد اتخذ من عين ماضي مقرا للطريقة، لكنه أجبر على ترك بلدته نحو المغرب الأقصى سنة 1787م أو 1789م بعد مضايقات من قبل السلطة العثمانية، ممثلة في الباي عثمان حاكم بايلك وهران، فرحب به ملك المغرب السلطان

(1) موسى بن موسى: التغلغل... المرجع السابق. ص 39.

(2) عمار هلال: الطرق.. المرجع السابق. ص 119 غانمي عمرو سعيد: الطريقة التيجانية ودورها في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، المؤتمر الدولي "الإسلام في إفريقيا، 06-07-2006م"، جامعة إفريقيا العالمية، ليبيا. ص ص 200-201.

(3) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي... المرجع السابق. ج 1 ص 510. عبد الرحمان الجيلاني: المرجع السابق. ص 52.

(4) Louis Rinn: op. cit. p 418.

أبو الربيع سليمان بن محمد، ويبدو أن ترحاب السلطان المغربي مرده لدواعٍ سياسية، نكاية بالعثمانيين، وكسرا لشوكة الطرق الأخرى خاصة القادرية، حتى أنه أسكنه قصر المريا، وخصص له راتبا محترما، وظل في فاس إلى أن توفي عام 1230هـ/ 1815م⁽¹⁾، وتوسعت هذه الحركة في الجنوب الجزائري وبلاد السودان وأواسط إفريقيا، ومناطق أخرى من العالم.⁽²⁾ وقد أحصى الفرنسيون للطريقة التجانية عام 1299هـ/ 1882م 17 زاوية، يشرف عليها 100 مقدم، و11.982 مريد، وفي سنة 1315هـ/ 1897م ارتفع عدد الزوايا إلى 32، يؤطرها 09 وكلاء و165 مقدا، ب 25.323 تابعا للطريقة.⁽³⁾

وقبل وفاته عهد الشيخ التجاني بخلافة طريقته، للحاج علي التماسيني شيخ زاوية تماسين، التي أصبحت المقر الرسمي للتجانيين، وبعد وفاته بتسعة أشهر عاد إبنه إلى زاوية أبيهم بعين ماضي، وتوارثوا مشيختها، أما زاوية تماسين فمازالت بإشراف ذرية الشيخ التماسيني.⁽⁴⁾ ما يميز التجانية أن مؤسسها يعتبرها خاتمة الطرق، وهو خاتم الأولياء⁽⁵⁾، كما أنه يؤكد أن طريقته ليست إمتدادا لأي طريقة أخرى، فقد ظهر له الفتح الأكبر ببلدة بوسمغون، وهو رؤيته للنبي(صلى الله عليه وسلم) يقظة لا مناما، حيث أمره بترك جميع الطرق، واستقى من لدنه أورد الطريقة، ومما هو غير معهود في الطرق الأخرى، فقد اشترط التجاني على أتباع طريقته عدم الإنخراط في أي من الطرق الأخرى، ويندرج تحتها عدم زيارة أي وليّ، ولا أي من القبور بنية التبرك.⁽⁶⁾

(1) أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 62 محمد رشدي جراية: المرجع السابق. عمار هلال: المرجع السابق.

ص125 موسى بن موسى: التغلغل الاستعماري... المرجع السابق. ص40.

(2) جمعة بن زروال: المرجع السابق. ورشدي جراية: المرجع السابق. وعمار هلال: المرجع السابق. ص122-125.

ليلى تيته: المرجع السابق. Louis rinn: op.cit. pp 271-273. (3)

(4) أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص64.

(5) يوسف بن حيدة: المرجع السابق.

(6) غانمي عمرو سعيد: الطريقة التيجانية ودورها... المرجع السابق. ص 209 محمد بن عبد الله: الفتح الرباني

فيما يحتاج إليه المريد التيجاني، مطبوعات الحاج عبد السلام، مصر، دت. ص23.

وأوراد الطريقة كما يلي:

المعلوم: ورد يومي يؤدي مرتين بعد صلاتي الصبح والعصر، وألفاظه: (1)

الاستغفار 100 مرة - الصلاة على النبي الأفضل بصيغة الفاتح 100 مرة وألفاظها "اللهم صل على سيدنا محمد، الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره، ومقداره العظيم" - الهيلة 100 مرة. **الوظيفة:** تقرأ مرة في اليوم، إما صباحاً أو مساءً، ومن قرأ فيهما كان أفضل، ويمكن أن يؤديها المريد في أي وقت حسب ظروفه، ويشترط فيها طهارة المكان، وهي:

الفاتحة - صلاة الفاتح - الاستغفار بصيغة "اسغفر الله العظيم الذي لا اله إلا هو الحي القيوم" 30 مرة، صلاة الفاتح 50 مرة - الهيلة 100 مرة - جوهرة الكمال 12 مرة وصيغتها "اللهم صل على الرحمة الربانية والياقوتة"، وكل الذكر يؤدي بالطهارة المائية أو الترابية، لكن جوهرة الكمال لا تؤدي إلا بالطهارة المائية. (2)

الهالة (الهيلة): تؤدي مرة في الأسبوع بين العصر والمغرب:

تبدأ بالتعوذ، البسملة، الفاتحة، الاستغفار 03 مرات، صلاة الفاتح 03 مرات، ثم الهيلة، والأصل أن حلقة الذكر هذه تستمر إلى غروب الشمس، لكن الآن محددة بعدد من 1000 إلى 1600 مرة، تختتم بالآية "إن الله وملائكته يصلون على النبي..." (الأحزاب: 56)، ثم الدعاء بما شاء متوسلاً بالنبي والأنبياء والصحابة والشيخ التجاني والأحباب، ثم تختتم بالفاتحة وصلاة الفاتح. (3)

(1) أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 62.

(2) غانمي عمرو سعيد: الطريقة التيجانية ودورها... المرجع السابق. ص 209 أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 63

(3) أنظر محمد العربي بن محمد السائح الشرقي العمري التجاني: بغية المستفيد لشرح منية المريد، ضبط وتصحيح عبد الوارث محمد علي، دارالكتب العلمية، بيروت، 2002. ص ص 266، 269. وكذلك غانمي عمرو: المرجع السابق. ص ص 208-209 وأيضاً أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 63.

أ- أهم زاويتين للطريقة:

- زاوية عين ماضي:

تقع بلدة عين ماضي في جنوب سلسلة جبال العمور، على بعد 72 كلم غرب مدينة الأغواط، وهي موطن الطريقة التجانية، حيث بدأت نشاطها بعد رجوع الشيخ أحمد التجاني من قرية أبي سمغون (1196هـ / 1782م) ⁽¹⁾، وقد قامت هذه الزاوية بدور كبير في نشر الطريقة، عن طريق تعيين الخلفاء والمقاديم في مختلف الجهات. ⁽²⁾

- زاوية تماسين:

تقع هذه الزاوية بحي تملاحت جنوب غرب بلدة تماسين ⁽³⁾، حيث تأسست عام (1214هـ / 1798م)، من طرف الحاج علي بن عيسى التماسيني (1180-1260هـ / 1767-1844م)، وكان اتصال التماسيني بالشيخ التجاني بواسطة محمد الساسي القماري من وادي سوف ⁽⁴⁾، وما زالت مشيخة هذه الزاوية في ذريته إلى يوم الناس هذا، وقد ساهمت في نشر تعاليم الطريقة بالجنوب الجزائري والجنوب التونسي وبلاد السودان، وغيرها من المناطق. ⁽⁵⁾

1- انتشار الطريقة التجانية في وادي سوف

إن اتصال السوافة بالشيخ التجاني كان مبكرا بواسطة محمد الساسي القماري ورفقائه، الذين أسسوا أول زاوية للطريقة التجانية في العالم، وذلك بمدينة قمار ⁽⁶⁾، وأشرف على تأسيسها

(1) زيزاح سعيدة: ظاهرة الطرق الصوفية بالجزائر "الطريقة التجانية نموذجا"، الملتقى الدولي الحادي عشر، التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، العدد الاول، منشورات جامعة أدرار، المطبعة العربية، غرداية-الجزائر، 2008. ج2، ص374

(2) زيزاح سعيدة: المرجع السابق. ص 374. أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 64.

(3) تقع تماسين حوالي 14 كلم جنوب مدينة تقرت.

(4) Gouvion, Op. Cit. p p 56-65. C.Noelat, Op. Cit. p 100.

(5) زيزاح سعيدة: المرجع السابق. ص ص 386-387. أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 64.

(6) قمار: تقع شمال مدينة الوادي، وتبعد عنها بحوالي 18 كلم.

محمد الساسي القماري عام 1204هـ/1789م⁽¹⁾، بأمر من شيخ الطريقة نفسه، وكان قد التقاه بعين ماضي، فأخذ عنه الطريقة، وأمره بنشرها ببلدته، ثم تتالى تأسيس الزوايا التجانية بسوف وأهمها، زاوية تاغزوت وزاوية عميش وزاوية الوادي.

وبتولي الشيخ محمد العيد بن الحاج علي (1230-1292هـ/1815-1875م) مقاليد زاوية تماسين -التي كانت تتولى مشيخة الطريقة-، بنى مسجدا ومنازل للعائلة التماسينية بقمار، لتبدأ رحلة الشتاء والصيف بين تماسين وقمار⁽²⁾، وأضحت زاوية قمار تحت رعاية شيوخ زاوية تماسين، حيث يمكثون بها ستة أشهر في السنة، ومنها يديرون الطريقة.⁽³⁾

وأشهر شيوخ زاوية قمار محمد العروسي بن محمد الصغير بن علي التماسيني المكنى "حمّ عروسي" (1260-1330هـ/1844-1912م)، الذي ولد بقمار⁽⁴⁾، تولى مشيخة الزاوية عام 1310هـ/1893م⁽⁵⁾، وكان دبلوماسيا ماهرا ذا تأثير⁽⁶⁾، إلا أن الشيوخ من بعده كانوا أضعف منه، وتقوم الزاوية بتحفيظ القرآن الكريم، حيث كان يزاول بها 54 تلميذ تعليمهم عام 1938م، أما مريدي الطريقة فقد كانت نسبتهم بسوف عام 1892م حوالي 12 %، لترتفع النسبة إلى 16.3 % سنة 1945م.⁽⁷⁾

(1) موسى بن موسى: التغلغل الاستعماري... المرجع السابق. ص 40.

(2) المرجع نفسه. ص 41.

(3) مقابلة مع غريسي علي (مكلف بالبحث بالزاوية تماسين التجانية) ببيته بحي الأصنام-الوادي، في شهر مارس 2018. وأيضا علي غنازية: مجتمع وادي سوف من خلال ... المرجع السابق. ص 178.

(4) Gouvion, Op. Cit. p 62.

(5) أنظر موسى بن موسى: التغلغل مرجع سابق. ص 41-42 وسعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج 4، ص 231

(6) Gouvion, Op. Cit. p 62.

(7) سعد الله: أبحاث وآراء... ص 13، 29. عثمان زغب: الأوضاع الاقتصادية... مرجع سابق. ص 192-193.

وكانت زاوية قمار -كغيرها من زوايا الطرق الأخرى- على علاقة حسنة مع الإدارة الفرنسية، ويدل على هذا إصدار الكثير من شيوخ الطرق الصوفية بالجزائر، بيان يناصر فرنسا ضد ألمانيا والدولة العثمانية، أثناء الحرب العالمية الأولى، وانتقادهم الدولة العثمانية لدخولها الحرب مع ألمانيا⁽¹⁾، ولا عجب في ذلك إذا علمنا العلاقة السيئة بين السلطة العثمانية بالجزائر والطريقة التجانية منذ تأسيسها، والتي كانت السبب وراء انتقال مؤسسها الشيخ التجاني من بلده، ولجؤه إلى المغرب الأقصى، ثم الصدام الذي وقع بين الطرفين بعد عودة نجلي الشيخ من المغرب، ومنذ ذلك الحين لم تصطدم الزاوية التجانية بالجزائر مع أي نظام سياسي قائم في البلاد، كما نستشف الضغط الذي تعانيه هذه الطرق من طرف الإدارة الإستعمارية.

وتكرر الأمر عندما لاحت نذر الحرب العالمية الثانية في الأفق، حيث دعمت أغلب الطرق الصوفية فرنسا⁽²⁾، كما إستغلت السلطات الفرنسية بالجزائر نفوذ الطرق، لتثبيت سيطرتها على المناطق التي احتلتها.⁽³⁾

2- الطريقة التجانية في الجنوب التونسي:

دخلت الطريقة التجانية إلى تونس على يد الشيخ علي حرازم (ت1214هـ/1800م)، عندما وفد على تونس عام 1796م، وذلك بأن أقنع الشيخ إبراهيم الرياحي⁽⁴⁾ بترك الشاذلية

(1) Gouvion, Op. Cit. p 62.

(2) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي. ج 4، ص ص 242-243، 336. وأبحاث وآراء...المرجع السابق. ج 5. ص 45.

(3) علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال... مرجع سابق. ص 33.

(4) الشيخ إبراهيم الرياحي (1180-1266هـ/1766-1850م): أبو إسحاق إبراهيم بن عبد القادر الرياحي، ولد بتستور حيث قدمت أسرته قديما من الاندلس، تعلم ببلده ثم بالزيتونة، ثم تصدر للتدريس، وغدا من أشهر شيوخها، كما تقلد عدة مناصب في الدولة، وله عندهم حضوة عظيمة، له عدة تأليف أغلبها حواشي على كتب. للتوسع أحمد ابن أبي الضياف: الإتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الدار العربية للكتاب، 1999. ج 4 ص 7 ص ص 73-82.

والانخراط في التجانية⁽¹⁾، وفي سنة 1225هـ/1804م قصد الشيخ الرياحي بلاد المغرب الأقصى، في سفارة من باي تونس حمودة باشا، إلى ملك المغرب السلطان أبي الربيع سليمان⁽²⁾، فالتقى هناك بالشيخ التجاني الذي أجاز به بتلقي الطريقة التجانية، وبحكم مكانته العلمية وعلاقته بجهاز الحكم، انتشرت الطريقة لدى الطبقة الحاكمة، ومنهم: الباي محمد الصادق وأخوه علي باي⁽³⁾، وعند بعض شيوخ الزيتونة وطلابها ومنهم الشيخ محمد النيفر، وتركز انتشارها في الشمال والشرق، وبحكم العلاقات الوطيدة بين زاوية تماسين وبلاط الحكم الحسيني⁽⁴⁾، فقد أغدقوا عليها الهدايا والتسهيلات لبناء الزوايا.⁽⁵⁾

فتأسست زاوية الشاوش صالح بباجة سنة 1846م، وزاوية طرنجة عام 1855 وكان قد اشترى أرضها الحاج علي التماسيني، وزاوية بينزرت سنة 1860م، وزاوية صالح التجاني بوعرادة 1864م، وزاوية باب منارة 1866م التي اشترى الأرض التي أقيمت عليها شيخ زاوية تماسين محمد العيد التجاني، وزاوية باب المغارة سنة 1875م، وهذه الزوايا وغيرها ساهمت في انتشار الطريقة في كثير من ربوع التونسية.⁽⁶⁾

أما انتقال الطريقة إلى الجنوب التونسي، فكانت البداية بمنطقة الجريد بالجنوب الغربي،

(1) أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 85.

(2) تلمساني بن يوسف: الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر 1782-1900، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، إشراف ناصر الدين سعيدوني، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1998/1997. ص 107-108. محمد رشدي جرابية: المرجع السابق.

(3) أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 124.

(4) الأرشيف الوطني التونسي: مجموعة D. علة 178. ملف 1/3.

(5) تلمساني بن يوسف: المرجع السابق. ص 108 أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 86.

(6) لقاء مع غريسي علي ببيتته، المرجع السابق. ليلى تيتة: المرجع السابق. أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 87.

بإيعاز من شيوخ تماسين، وتأسس زوايا منها زاوية توزر حوالي 1274هـ/ 1858م على يد الهادف بن محمد الهادفي، على إحدى الروايتين⁽¹⁾، ولما حل الشيخ الطاهر بن عبد الصادق القماري السوفي بتوزر نزل بها، ثم قبر فيها فنسبت إليه، وزاوية الشيخ إبراهيم بن محمد السوداني زاوية دقاش⁽²⁾، إضافة إلى زاوية أخرى بتوزر في أولاد حافظ، وزاوية في العبيدة تدعى زاوية الباي، لأن محمد الصادق باي خصها ببعض أشجار النخيل، وكان لعائلة السوداني دور كبير في ذلك.⁽³⁾

وبالنسبة للجنوب الشرقي فيعود الفضل لإنتشار الطريقة التجانية للشيخ محمد بن فرج الفرجاني القادري ثم التجاني⁽⁴⁾، حيث أجازة شيخ زاوية تماسين محمد حمه، وكلفه بالتوجه إلى منطقة تطاوين بالجنوب التونسي لنشر الطريقة هناك⁽⁵⁾، ولأجل ذلك قام برحلتين، جمع

(1) أما الرواية الثانية لتأسيس هذه الزاوية، فتؤكد إن مؤسسها الأخوين إبراهيم وعبد الله السوداني، وكانا قد أتيا بالطريقة التيجانية من المغرب وبثاها بتوزر. غريسي علي: **الطريقة التجانية في الجنوب التونسي** - أعلامها وزواياها، إصدار الزاوية التجانية-تماسين، مطبعة سيب بكونين-الوادي، الجزائر، ط1، 1435/2014. ج 1، ص ص80-81.

(2) علي غريسي: **الطريقة التجانية... المرجع السابق**، ج 1، ص ص80-98.

(3) يوسف بن حيدة: **المرجع السابق** وعلي غريسي: **الطريقة التجانية... ج 1 ص 29**. أحمد بن تيشة: **مرجع سابق**. ص 87

(4) **محمد بن فرج**: محمد بن أحمد بن فرج الفرجاني السوفي القادري ثم التيجاني، كان أبوه ينتقل بين بلدته قرية النخلة بوادي سوف، وبلدة نفطة التونسية، ولد محمد بن فرج عام 1266هـ/ 1850م بالنخلة، ونشأ في أسرة ميسورة الحال، ولما بلغ السابعة رحل مع أبيه إلى بلدة نفطة واستقر بها، وبزاوية نفطة القادرية حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ العلوم اللغوية والشرعية، ثم التحق بالزيتونة حيث أتم تعليمه. وبعدها سكن بالقيروان مدة طويلة، مدرسا وإماما بأحد مساجدها، وتزوج هناك بامرأة رزق منها بنت، وفي سنة 1905م قرر العودة إلى مسقط رأسه، لكن زوجته فضلت البقاء فسرّحها، ورجع إلى بلدته النخلة واستقر بها، وتزوج بابنة محمد = عمامرة (البهلي)، الذي كان يسكن بقرية قطاي (تبعد عن المقرن 14 كم شمالا)، وغير مقر سكناه من النخلة إلى قطاي، وفي سنة 1366هـ/ 1947م، توفي الشيخ ابن فرج عن عمر يناهز 97 عاما، ودفن بقريته.

كان الشيخ ابن فرج يتردد على قرية قطاي، بغية زيارة أصهاره وتفقد نخيله، فتعرف فيها على مقدم الطريقة التيجانية علي بن حميد الجامعي فكانا يتحاوران، وفي أحد الزيارات أعاره كتاب جواهر المعاني لمؤلفه علي حرازم، وبهامشه كتاب الرماح لعمر بن سعيد الفوتي، فلما قرأه قرر سلوك الطريقة التيجانية، بدل طريقته الأصلية "القادرية"، فلقبه محمد حمه شيخ زاوية تماسين بالتيجاني. أنظر: مجموعة من المريدن، **ومضات من حياة المقدم سيدي محمد بن فرج التيجاني**، مخطوط بمكتبة زاوية الحمادين بلدية المقرن، الجامعة الصيفية، 2007. الورقة: 02. وكذلك جارية: **المرجع السابق**.

(5) أنظر الملحق رقم 38، ص 328.

فيهما مريدين كثر، وأقام عليهم مقدمين منهم.

قام ابن فرج برحلته الأولى إلى الجنوب التونسي عام 1912م، وكانت السلطات الاستعمارية قد ضيّقت على تنقل الأشخاص، بين مستعمرتيها الجزائر وتونس، ففرضت على كل من أراد التنقل بين البلدين، أن يستصدر ترخيصاً من الحاكم الفرنسي، بطلب يذكر فيه سبب الزيارة، فإذا كان غرض الزيارة يثير الشكوك، لم يمنح الترخيص، لذا فإن طالب الترخيص يستعمل التموهية لصرف النظر عن المقصد الأساسي من الزيارة، وتكون الحجة غالباً الجانب الاقتصادي الذي هو قوام الحياة البشرية، لذلك كان طلب الترخيص من طرف الشيخ ابن فرج للسفر نحو تونس مشفوعاً بحجة بيع التمر⁽¹⁾، واتصل خلال رحلته هذه بأعيان البلاد وعلمائها، على رأسهم الزيتوني سعد بن الحاج نصر كادي الجليدي العدل، الذي جعله معينه في الدعوة، وعيّنه خليفة له في غيابه، كما اتصل ببعض شيوخ القبائل، وأقنع بعضهم بالإنخراط في الطريقة التجانية، وأجاز في هذه الرحلة حوالي 28 مقدماً من مختلف جهات الجنوب: تطاوين، مدينين، قابس، جرجيس، غمراسن، الرمادة.⁽²⁾

أما رحلته الثانية فقد كانت في الفترة من شهر ماي إلى أوت 1916م، وخلال هاته الرحلة تم تأسيس أول زاوية تجانية بالمنطقة، كما أجاز أثناءها مقدمين للطريقة، وبعد هاتين الرحلتين حاول الشيخ محمد بن فرج زيارة تطاوين مرات عديدة، لكن الإدارة الفرنسية لم تمنحه الترخيص⁽³⁾، لكنه ظل في تواصل مع أهل المنطقة بواسطة الرسائل.⁽⁴⁾

(1) التليلي لعجيلي: الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881-1939، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، 1992، ص 85. محمد رشدي جراية: المرجع السابق.

(2) أنظر الملحق رقم 39، ص 329. وأيضا محمد رشدي جراية: المرجع السابق.

(3) محمد رشدي جراية: المرجع السابق.

(4) أنظر الملاحق: رقم 40 ص 330، ورقم 41 ص 331، ورقم 42 ص 332.

ومع أن العلاقات بين الدولة الحسينية والطريقة التجانية، يسودها الوداد فقد شهدت البلاد انتفاضة، قادها أحد مريدي الطريقة ضد السلطة الحاكمة، وهو علي بن غدام الذي تزعم الانتفاضة الشعبية ضد السلطة الحسينية عام 1864م، التي كادت أن تؤدي بنظام الحكم، ولم تستطع السلطة القضاء عليها بالمواجهة المباشرة، وإنما بإعمال الحيل وتفرقة القبائل، والاعتماد على المرابطين وأعيان البلاد. (1)

وأُتباع الطريقة حسب الأرشيف التونسي عام 1346هـ/1925م كان عددهم 16.094 من المريدين، منهم 6.560 تابع في مناطق الجنوب، بعد أن كان 40 ألف مريد عام 1312هـ/1891م. (2)

3- التواصل الطريقي التجاني بين المنطقتين:

كان للطريقة التجانية بالوادي علاقات متينة مع بلاط الدولة التونسية، وهناك مراسلات كثيرة بين الجانبين، ومنها وثيقة مكتوبة بخط اليد العربي بالأرشيف الوطني التونسي صادرة عن محمد العيد التجاني بزاوية قمار مؤرخة في أوت 1893م، وموجهة إلى أمير الأمراء الوزير الأكبر محمد العزيز بوعتور، وتتضمن رسالة تعزية مع الدعاء والمديح لسلالة العائلة الحسينية والدولة التونسية (3)، وهذا دون شك يزيد من انتشار الطريقة في أرجاء البلاد، ومنها منطقة الجنوب، و"الناس على دين ملوكهم".

(1) عبد الجليل التميمي: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816-1871، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972.

عدة صفحات منها ص 69. الهادي شريف: المرجع السابق. ص 98.

(2) الأرشيف الوطني التونسي: مجموعة D علبة: 97 ملف: 03/03 أحمد بن تيشة: مرجع سابق. ص ص 87-88.

(3) عثمان زقب: نماذج من سياسة... المرجع السابق.

وكان للزوايا المنتشرة في المنطقتين أثر في التواصل التجاني، حيث كان لزوايا قمار وتماسين تأثير على الأتباع في تونس، فقد كان شيوخ الطريقة يقضون نصف السنة بزوايا قمار هم وأهلهم، ونصفها الآخر بتماسين، ومن كلا الزاويتين يصرفون شؤون الطريقة. (1)

ومن هذه العلاقات إجازة الشيخ محمد العيد التجاني لعبد الله السوداني من توزر، ومحمد السماوي من قفصة بصفتها مقدمي الطريقة بالجريد التونسي، ورسالته إلى الوزير الأكبر مصطفى خزندار، يطلب منه فيها إحترام أولاد السوداني ببلاد الجريد، ورسائل كثيرة ومتعددة من شيوخ تماسين وقمار إلى مقدميهم بالجنوب التونسي. (2)

ومن أبرز أشكال التواصل بين المنطقتين، أنه عند توسع أملاك الزاوية التجانية بتونس، جعلوا وكلاء لأملاكهم في كل منطقة، بعضهم من تونس وآخرين من وادي سوف، ومن بلدة قمار بالخصوص، فمن التوانسة عائلة السوداني بتوزر، ومحمد بن احمد العبيدي القفصي، وأحمد الزين بن محمد التوزري والحاج احمد بن عبد الحفيظ الدقاشي (3)، ومن سوف الحاج محمد بن عمار القماري والحاج الصغير بن احمد بن سعد بن جحيدر القماري بدقاش، وأكبر وكيل لأملاك الزاوية بتوزر عائلة العصمة (4)، أصيلة مدينة قمار بوادي سوف، ومنهم أحمد بن بلقاسم، وأخوه عمار بن بلقاسم الذي ولد بقمار 1845م، وتوفي بتوزر عام 1922م، ومحمد بن احمد بن بلقاسم ت 1959 بتوزر (5). حتى وقعت الشحنة ضد عائلة العصمة من

(1) مقابلة مع علي غريسي: المرجع السابق.

(2) علي غريسي: الطريقة التجانية... المرجع السابق، ج 1 مطبوع، ج 2 تحت الطبع. (يحتوي الكتاب على مجموعة كثيرة من رسائل شيوخ تماسين لمقدمي الطريقة بالجنوب التونسي) أحمد بن تيشة: المرجع السابق. ص 122-123.

(3) علي غريسي: الطريقة التجانية... المرجع السابق. ج 1، ص ص 92-93.

(4) نسبة إلى جدهم أحمد بن العصمة.

(5) علي غريسي: الطريقة التجانية... المرجع السابق، ج 1، ص ص 94-95.

أهالي توزر، توعزها رسالة الشيخ أحمد التجاني التماسيني إلى غيرة الأهالي منهم، لقيام هذه العائلة لعملها أتم القيام، ولا يتنازلون عن حق الزاوية كبيراً أم صغيراً⁽¹⁾، بينما يردّها أهالي توزر إلى استئثار الزاوية بكثير من أملاكهم، تحصلت عليها وقت الأزمات حسب زعم بعضهم. يعتبر الشيخ محمد بن فرج الفرجاني السوفي أحد الذين عملوا على نشر الطريقة التجانية في الجنوب التونسي إنطلاقاً من وادي سوف، وبهذا يعتبر عمله ضمن حلقات التواصل الهامة بين وادي سوف والجنوب التونسي، وكثير من التجانيين من الجنوب التونسي يزورن سنوياً قبر الشيخ ابن فرج بقطاي التابعة لبلدة المقرن، كما يزورون نجله سي العروسي⁽²⁾ بمرزاقة من بلدة حاسي خليفة، فقد كانوا يعتقدون في ابن فرج إعتقاداً كبيراً، ربما يفوق اعتقادهم في شيخ الطريقة نفسه، حتى أن مداحهم يخاطبه:

بن فرج بيك رضينا أما الشيخ بينك بينه

(1) المرجع نفسه. ج 1، ص 95.

(2) كما أن ابنه المقدم العروسي ابن فرج كان إلى وقت قريب، يذهب لهذه الزوايا كل عام، يجلب الزيارة المتأتية من تبرعات مريدي الطريقة.

خلاصة الفصل:

ومما تقدم نستخلص مدى الارتباط الوثيق بين منطقة وادي سوف والجنوب التونسي، من حيث التأثير الثقافي والروحي المتبادل، الذي أدى إلى انتشار وتوسع الطرق الصوفية، وإنشاء الزوايا في المنطقتين، إنطلاقاً من بعضها، فالقادرية والشاذلية والبوعلية، انتقلت من الجنوب التونسي إلى وادي سوف، أما التجانية فكان انتقالها كان طريق شيوخ تماسين، الذين كانت لهم إقامة شطر السنة بزاوية قمار بواحي سوف، ومنها يديرون شؤون الطريقة، وأبرز من نشرها كان الشيخ محمد بن فرج الفرجاني التجاني السوفي، الذي نشر الطريقة بالجنوب الشرقي وأقصى الجنوب.

ثم كان لهذه الطرق دور كبير في استمرار التواصل بين المنطقتين، من خلال الزيارات المتبادلة، للشيوخ بدافع نشر الطريقة، أو تفقد الأملاك، أو للمريدين كزيارة التماس للبركة، ومن بين أشكال التواصل، الرسائل التي ما فتئت جيئة وذهاباً، بين شيوخ الطريق ومقدميهم أو مريديهم، وكان غرضها توجيهات، إجازات، ... وغيرها.

وكذلك الزيارات التي كان يقدمها الأتباع في شكل أعطيات نقداً أو عينا، وكذا دعم السلطة ممثلة في بايات تونس، وقد مكنت هذه الثروة العديد من مشايخ الطرق من زيادة نفوذهم على أتباعهم، مما جعل السلطات الإستعمارية تسعى إلى مصادرتها أو فرض ضرائب عليها، بهدف عزل هذه الطرق وإضعافها أو احتوائها، حتى لا تتجح في جمع الأتباع والقيام بعمل عسكري ضدها، كما قامت بتوجيه الطرق للاستفادة من هيمنتها على الأتباع.

ويكمن تأثير الطرق الصوفية في هذه العلاقات، لقوة انتشار التصوف بين الناس، فأصبحت لشيوخه مكانة عظيمة بين العامة، وتعددت زواياه، وهذا يتبع كذلك مدى انتشار

الطريقة، لهذا كان التواصل عبر الطريقتين الشاذلية والبوعلية ذا شأن ضعيف، لمحدودية انتشار هاتين الطريقتين، أما الطرق القادرية والرحمانية والتجانية، فبحكم الانتشار الواسع لها بالمنطقتين، فقد لعبت دورا هاما في التواصل، وتقوية الروابط الاجتماعية والثقافية بين وادي سوف والجنوب التونسي.

خاتمة البحث

نتائج وتوصيات

الخاتمة

بعد هذه الرحلة البحثية، التي سلطنا فيها الضوء، على عدة جوانب من التاريخ المحلي، لمنطقتي وادي سوف والجنوب التونسي، قصد توضيح مدى ترابط المنطقتين، في الفترة محل الدراسة (1881-1962م)، خلصنا إلى نتائج عديدة، وعلى أساسها قدمنا عدة توصيات، يمكننا استعراضها في الآتي:

أولاً - النتائج:

- أن منطقتي وادي سوف والجنوب التونسي، تمثلان امتدادا جغرافيا، وتماثل في الخصائص الطبيعية؛ التضاريسية، المناخية والنباتية، وقد كان لهذه الأوضاع الجغرافية، أكبر الأثر في تأسيس عملية التواصل، وإقامة الروابط بين المنطقتين منذ القدم، وتواصلها على مدى العصور اللاحقة، بشكل يجعلها صعبة التفكك.
- كانت منطقة الجنوب التونسي أهلة بالسكان منذ وقت سحيق، وبشهد على ذلك وجود الحضارة القفصية على ترابها، بينما منطقة سوف تعتبر حديثة استقرار العمران مقارنة بها.
- عمرت وادي سوف انطلاقا من الجنوب التونسي، وكل الأقوام التي وفدت على سوف، مرت بمنطقة الجنوب، والمؤكد أنه بقي منهم هناك مجموعات، بمناطق متعددة، إذ هو من طبيعة الرحلة، فمن الرحالة من يحلو له المقام بمكان ولا يريد أن يبرحه، ومنهم من يمكنه نتيجة ظروفه الخاصة.
- بحكم علاقة الجوار وطول الحدود بين المنطقتين، فقد كان التنقل بينهما يتم بصورة جماعية أحيانا، وهذا يخص البدو الرحل، الذين يجولون تلك المناطق المتاخمة، وراء الكلاً والماء لأنعامهم، بحرية تامة، ولم يكن لديهم تصور لحدود حازمة، وهو أمر حتمي فرضته الظروف الجغرافية والتاريخية، ولا يخضع للحدود الإدارية، بل لتحالفات القبائل

- أو سطوتها، وقد كان العرف يتيح للمجموعة القبلية التي أصاب الجفاف أراضيها، أن تنتقل إلى الأرض المطيرة، في تكافل يتيح للناس مواجهة أحداث سنوات المسبغة.
- إن تغلب قبائل سليم على بلدات وفيافي الجنوب التونسي، وإزاحتها لأغلب القبائل خاصة الهلالية، كان له انعكاس على منطقة سوف، باعتباره امتداد لمنطقة الجنوب التونسي.
- مع محدودية الموارد بسوف، والتضييق الفرنسي، والنمو الكبير للسكان، كانت منطقة الجنوب التونسي متنفسا حقيقيا لسوف، عوضها على انحسار تجارتها مع غدامس، التي فقدتها خاصة بعد تحرير العبيد، وعمليات المراقبة والتقنين الفرنسية، لتوجيهها قصد الانتفاع منها بالضرائب وغيرها.
- نستشف كذلك قوة الروابط بين المنطقتين من حيث تعدد المسالك بينها: سوف-نفطة-توزر، وسوف-نفزاوة، وسوف-نفطة، وقد كانت هذه المسالك أكثر نشاطا من خط سوف-بسكرة.
- إن تشابه الأوضاع المحلية الإدارية والسياسية، بين المنطقتين على مدى المراحل التاريخية، أوجد تأثيرا وتأثرا من كلا الجانبين، حيث لم يكن بالإمكان تجاوز أو تجاهل الأحداث، التي تقع في منطقة دون أن تدلي المنطقة الأخرى بدلوها تجاه تلك الأحداث، ومنها إقحام طرود من وادي سوف للصراع الدائر بين حكام تونس، والإمارة الشابية.
- باستثناء أقلية في الجنوب التونسي التي لديها لهجة أمازيغية، فإن لغة التخاطب بين أهل سوف والجنوب التونسي عربية قريبة للفصحى، وكذلك مخارج الحرف العربية عندهم سليمة، والطابع العربي واضح في تفكيرهم وثقافتهم، وعوائدهم وتقاليدهم، وهو ما سهل عملية التواصل، واستمرار الترابط.

- مما يظهر من الطابع العربي بالمنطقتين، هي حالة الانقسام بين صفين، فقديما كانت القبائل العربية منقسمة إلى قيسية عدنانية ويمنية قحطانية، وهو ما كان بوادي سوف حيث انقسمت إلى كتلتين أساسيتين وهما (طرود، وأولاد سعود)، أدى إلى التناحر والتناحر بين القرى والعشائر، والتقاتل بالعصي والدبابيس وحتى بالخناجر، كما كان يقع بين " الزقم والبهيمة، تغزوت وقمار، ... "، والأمر ذاته كان بمناطق الجنوب التونسي، حيث كان الانقسام القبلي إلى شقين " قبائل باشية، وأخرى حسينية "، وكانت هذه الانقسامات تؤدي بالمنطقة إلى غارات وصدامات، تكون نتيجتها مجازر رهيبة أحيانا، وفي ظل عقلية الصف التي تعيشها المنطقتين، لعب الاستعمار على وترها في توجيه سهام القوم، إلى أبناء العمومة والوطن الواحد، بغية إضعاف روح المقاومة، وإخماد جذوتها.
- كل العرب الوافدين على سوف، مروا بعدة أماكن آخرها الجنوب التونسي، ولهم في كل منطقة مروا بها بقايا إلى الآن، وإذا فكثير من سكان الجنوب التونسي، تربطهم مع سكان سوف وشائج القرى وروابط الدم، ساهمت في توطيد الروابط الاجتماعية بين المنطقتين.
- يغلب على التركيبة البشرية السكان ذوي الأصل العربي، وفدوا على المنطقة بموجات عديدة، في أوقات مختلفة، مكونين مجموعات بشرية، منها ما يربط بينها النسب، وهي العناصر الأصلية في القبيلة، ومنها ما يربطها بالعشيرة الولاء والنصرة والإجارة، ومن هنا يصعب تحديد أصول فروع القبائل بدقة، ويزيد في هذه الصعوبة؛ استعراب بعض العناصر الأمازيغية.
- عند تناولنا للفصائل الملحقة بقبائل وادي سوف، وجدنا منها ما كان أصله أمازيغي، وكثير منها ينحدر من منطقة الجنوب التونسي، وتحديدًا من بلاد الجريد أو نفاوذة، الأمر

- الذي يجعل الأواصر والروابط بين المنطقتين قوية ومتينة، من المستحيل أن تنفصم عراها، وإن ضعفت في أوقات ولظروف.
- بالإضافة للعرب والبربر الأمازيغ، يوجد ضمن المكوّن البشري في المنطقتين، أقلية يهودية لها خصوصياتها، لكنها تعيش بسلام وتقاوم مع باقي السكان، بالإضافة إلى الزوج الذين استقدموا عبيدا، ثم تحرروا من رق العبودية، وكونوا مجموعات يجمع بينها الإحساس بالانتماء لنفس العرق.
 - أكثر السكان بالمنطقتين ينحدرون من قبيلة بني سليم، ثم ذوي الأصل الهلالي، وقليل من عدوان وطرود، وهذا يدحض المتداول أن سكان وادي سوف كلهم من طرود وعدوان، ويرجع هذا على ما يبدو؛ إلى نقل نفس الرواية دون انتباه.
 - حصول انصهار عائلي كبير بين المنطقتين، الذي يتجلى في المصاهرة بين الأسر من وادي سوف ومناطق الجنوب التونسي، خاصة بلاد الجريد، وهو ما وسّع ومثّن من الروابط الاجتماعية، لعلّ من نتائجها؛ وجود عدة ألقاب مشتركة واسعة الانتشار في سوف ومنطقة الجنوب التونسي.
 - إن وحدة الأصل السليمي لأغلب سكان المنطقتين، بالإضافة إلى تشابه التركيبة البشرية، جعل عملية التواصل، والتنقل بحرية بينهما، فكانت الهجرة من إحدى المنطقتين إلى الأخرى، أمرا ميسورا واعتياديا.
 - كما أن الظروف الجغرافية والمناخية لمنطقة سوف الطاردة للسكان، غرست في أهلها سمة الحركية والحيوية، في حركة دؤوبة لسد احتياجاتهم، من الأقطار المجاورة وحتى البعيدة، مع تطور النمو السكاني، وزيادة الاحتياجات.

- يضاف إلى ما سبق من عوامل هجرة أهل سوف، إلى منطقة الجنوب التونسي، هو الظلم الاستعماري الذي مس جميع الميادين، ومنها فرضه التجنيد الإجباري على شباب سوف، والتضييق على الناس في معاشهم ...
- أبرز الأقاليم التي مستها حركة تنقل السوافة، كانت منطقة الجنوب التونسي، حيث كانت هذه الحركة مستمرة وحثيثة، لا تكاد تتوقف، وإنما كانت في زيادة مطردة.
- لا غرو في أن تتركز هجرة السوافة إلى منطقة الجنوب التونسي، إذا أدركنا عراقا ومثانة الروابط التاريخية المشتركة بين المنطقتين، وتواصلها على مر الزمن، ماضيا وحاضرا.
- المناطق التي كانت تستهوي أهل سوف بالجنوب التونسي في فترة الدراسة، كانت حسب الأهمية؛ مناجم الفوسفات ثم بلاد الجريد ثم نفزاوة، ويعود ذلك إلى القرب الجغرافي، والتشابه البيئي والبشري خاصة مع بلاد نفزاوة، والحصول على مورد مالي من خلال العمل في أحد مناجم قفصة، أو خدمة النخيل بتوزر ونفزاوة، أو طلب العلم ببلاد الجريد.
- لعبت العوامل الثقافية دورا هاما، في حركة التنقل بين المنطقتين، وأبرزها البعثات الطلابية من سوف نحو بلاد الجريد، لاسيما نفطة، لطلب العلم والترقي فيه، في ظل شحّ مصادره بوادي سوف، بسبب طبيعة الكثير من السكان في حياة التبدّي "من البادية"، ويضاف إليها معاول السياسة الاستعمارية الرامية إلى تجهيل المجتمع، بمحاربتها التعليم العربي الإسلامي، مع وجود مراكز علمية مهمة في بلاد الجريد التونسي.
- بلغ المهاجرين من أهل سوف إلى الجنوب التونسي، من الكثرة حتى أنهم كونوا في أماكن إقامتهم تجمعات صغيرة، تحاكي حياتهم بموطنهم الأصلي سوف.
- وصل تأثير هذه الهجرة إلى سوف نفسها، بفضل زيارات المهاجرين، المؤقتة لاكتحال أعينهم برؤية الموطن والأهل والأقارب، أو النهائية بتطبيق حياة الغربة عن الديار، عند

- التوقف عن الدراسة، أو بعد جمع مقدار من المال وشراء بعض أشجار النخيل....، وأبرزها عودة للمهاجرين من أهل سوف بالجنوب التونسي، كانت غداة استقلال البلاد من ربة الاحتلال الفرنسي الغاشم، وهؤلاء العائدين عادة ما يتم نعتهم محليا "اللواجي".
- من التأثير الاجتماعي لهذه الهجرات زيادة الترابط بين السوافة وسكان الجنوب التونسي، بالتصاهر والتجاور والتعامل اليومي، أما التأثير الثقافي فيبرز من خلال تكون طلبة سوف في زوايا بلاد الجريد، وبعودتهم إلى الديار نشروا علومهم بين تلاميذهم، وفي نفس الإطار تدخل المجهودات التي بذلها علماء الجريد في نشر الوعي بين أهل سوف من خلال زياراتهم للمنطقة.
- الملاحظ أن الرحلة العلمية كانت من وادي سوف منطلقا، وإلى الجنوب التونسي مقصدا، والعكس بالنسبة لزيارات العلماء، فقد كانت بتحريك العلماء من الجنوب التونسي، حيث يقصدون سوف لنشر الوعي بين أهله.
- إن رحلة أبناء سوف في طلب العلم لم تقتصر على منطقة محددة من القطر التونسي، لكنها في الغالب تبدأ بالجنوب التونسي.
- يفضل أغلب الطلبة من وادي سوف مراكز الجنوب التونسي، مع وجود مراكز علمية بالجزائر، مثل بسكرة وقسنطينة التي شهدت نهضة علمية، والتي كان من ثمارها تأسيس معهد ابن باديس، وهذا لأسباب أبرزها: القرب الجغرافي فنطقة من بلاد الجريد التونسي لا تفصلها عن سوف سوى 129 كلم، بينما تبعد عنها بسكرة 220 كلم، أضف إلى ذلك العامل التاريخي، حيث ترسخ الرحلة بين سوف ومناطق الجنوب التونسي، خاصة بلاد الجريد، وهذا ما يؤكد قوة الروابط بين المنطقتين.

- تعرف الطلبة أثناء وجودهم بالجنوب التونسي، على فضاء جديد مكنهم من اكتساب المعارف والمهارات، ورغم سياسة التسلط الاستعماري، والفاقة وقساوة الظروف الطبيعية، أثبت أبناء سوف جدارتهم، في التحصيل العلمي، كما كان لهؤلاء الطلبة دورا فعّالا في تمتين عرى وروابط الأخوة بين سكان المنطقتين.
- ساهم الطلبة السوافة مساهمة فعالة في الحياة العلمية، بالمنطقة وما جاورها بعد عودتهم من المهجر كنخبة مثقفة، حيث قاوموا السياسة التعليمية الفرنسية، فحافظوا على شخصية الأمة الجزائرية بصبغتها العربية والإسلامية من الذوبان والانحلال، إلى غاية استعادة السيادة الوطنية، وبعد الاستقلال كانوا المسؤول الكفاء، والإطار الناجح، الذي تحمل عبء معركة البناء والتعمير.
- كما كان لزيارات العلماء المتبادلة خاصة من الجنوب التونسي إلى وادي سوف أثر في التواصل، هذه التنقلات التي كانت بحكم الأصل أحيانا، وبحكم الروابط الروحية عبر الطرق الصوفية أحيانا أخرى، أو الإحساس بالواجب تجاه أهل الملة الواحدة وعلاقات الجوار، فكانت زياراتهم بذرة مبكرة لحركة الإصلاح، وإرهاصا لنهضة فكرية بتجديد العلوم، ونشر الوعي، وتشجيع الطامحين للسير في هذا الطريق بخطى وثيقة ومستبصرة، فاستطاعت هذه المنطقة النائية، بين كثبان العرق الشرقي أن تنجب ثلة من العلماء كانوا روادا في القيام بحركة علمية وفكرية بالمنطقة، وكانت سببا في إستماتة المجتمع أمام مخططات السياسة الاستعمارية في المجال الثقافي.
- إزاء السياسة الاستعمارية المبنية على التجهيل وتزييف تاريخ المنطقة وجغرافيتها، والرامية إلى طمس هويتها، فإن الجزائريين ومنهم أهل سوف لم يبقوا مكتوفي الأيدي، بل أخذ طلاب العلم على عاتقهم، إحياء ما اندرس من التعليم العربي الإسلامي، وتجديد قديمه

والنهوض به، ولم يفتّ في عضدهم سعي الاحتلال بكل الوسائل لإخماد جذوة الإسلام عبر القضاء على اللغة العربية بهاته الربوع، وهو ما مكن من تكوين نخبة ذات توجه عربي إسلامي، أبقى للأمة هويتها وانتمائها الحضاري.

- كان لمختلف الزوايا لشتى الطرق الصوفية، من خلال الوظائف المتعددة التي أنيطت بها، دور في نشر التعليم الديني، بوادي سوف انطلاقاً من الجنوب التونسي، من خلال البعثات الطلابية التي كانت ترسلها -الطريقة القادرية بالخصوص-، وباستقدام الشيوخ للتدريس بالزوايا، وكذلك باقتناء الكتب، واستجلاب طرق التدريس، مثلما فعلت زاوية سيدي سالم من زاوية الشيخ مصطفى بن عزوز بنفطة.

- كانت الروابط القديمة والدائمة بين المنطقتين، سببا في الإنتشار الواسع للطرق الصوفية خارج الحدود الجغرافية، والانتقال السلس والسريع بين وادي سوف ومناطق الجنوب التونسي، وبالمقابل ساهمت الظاهرة الصوفية في شكلها الطرقي في زيادة تمتين الروابط الثقافية، وعززت الصلات الروحية، ووحدة الإنتماء ...، حيث صارت الزوايا الأم قبلة المريدين من الجهتين.

- كان انتشار التصوف بطرقه المتعددة من الجنوب التونسي إلى وادي سوف، فزاوية الشيخ إبراهيم بن احمد بنفطة، كان لها الجهد الأكبر والسعي الحديث في نشر القادرية بربوع وادي سوف، وكانت الزوايا القادرية بمنطقة وادي سوف، على صلة وثيقة بالزاوية القادرية بنفطة، التي تعتبر الزاوية الأم لهاته الزوايا، وكذلك البوعلية، ثم الشابية التي أتى بها للمنطقة الشيخ مسعود الشابي ثم ابنه الشيخ علي، وواصلت ذريته القدام إلى وادي سوف، وتنشيط بيت الشريعة بقمار وضواحيها، أما الطريقة الرحمانية العزوزية وإن لم تأت إلى سوف إنطلاقاً من الجنوب التونسي، فقد كانت زاوية الشيخ مصطفى بن عزوز

الرحمانية بنفطة ذات تأثير على زاوية سيدي سالم الرحمانية بوادي سوف، والاستثناء الوحيد هي الطريقة التجانية، التي كان الفضل في انتشارها القوي بالجنوب التونسي انطلاقاً من وادي سوف، بفضل تدعيم شيوخ التجانية لمختلف الزوايا والمقدمين التجانيين، ومنهم عائلة سوداني بالجريد، كما كان للشيخ محمد بن فرج السوفي حظ وافر في نشر الطريقة بالجنوب الشرقي التونسي وأقصى الجنوب، ثم كانت هاته الزوايا تحت سلطة شيوخ الطريقة التجانية، الذين يوجهونها من قمار تارة، ومن تماسين تارة أخرى.

- أرادت السياسة الاستعمارية بأهدافها المضبوطة والمدرسة بدقة، أن تقسم عرى الوحدة، وروابط التواصل بين الشعبين في المنطقتين، والقضاء على كل أشكال التعاون مما، لتتمكن من السيطرة، وإخفاء روح المقاومة وجذوة الجهاد، لكن ذلك أدى إلى ظهور تواصل وتعاون وتضامن أقوى، وهو ما تجلّى في تحول الجنوب التونسي إلى مأوى لسكان سوف، كما كان هناك تآزر بين السكان في المنطقتين، مثل المشاركة في العمل المسلح أثناء الثورتين التونسية والجزائرية، وتدعيم الثوار، وتقاسم لقمة العيش...

- يتضح لنا من خلال هذه الدراسة، أن الروابط الاجتماعية والثقافية بين منطقتي الدراسة قديمة قدم الانسان فيها، وما فتئت تتطور مع توالي العصور، وتعاقب الدهور والأيام، حيث قد عرفت ازدهارا وانتعاشا، وزادت الأحداث التي مرت بها المنطقتين في مدّها وجزرها في تشكيل جسور، كان نتائجها روابط متينة وراسخة لا تزول بمرور الأزمان.

وفي آخر المطاف، وبعد سعيينا إلى حل الإشكال الذي طرحناه في المقدمة، نأمل أن نكون أمطنا اللثام على بعض الحقائق، من خلال إجابتنا عن التساؤلات المطروحة، بتوضيح ما غمض، وتحليل ما استعصى، ولئن لم يكن جوابنا عنها بصفة مفصلة، فإن ذلك يعزى إلى تقديمنا للجوانب الأهم، وإهمال بعضها التي يمكن أن نجد الإجابة عنها في مواقع أخرى، كما

يعود ذلك لاتساع الموضوع وتشعبه، وهو ما أدى إلى هيمنة الطابع الإخباري والتاريخي على جزء كبير من هذه الدراسة، بالإضافة إلى ما تتطلبه عملية الاستغراق في التحليل من الربط بجوانب أخرى، قد تخرج عن الموضوع الأساسي، وتحدث قطيعة في تسلسل الدراسة، بغض النظر عن الإطالة.

ومن نافلة القول؛ نشير إلى أن كل عمل إنساني -حتما- يعتريه النقصان، الذي هو سمة الإنسان نفسه، ومنه هذه الدراسة المتواضعة، التي نرجو لها النقد، من قبل الباحثين والمهتمين، الذي يزيد - بلا ريب - من إثرائها. وهذا البريد الإلكتروني للتواصل: Fadrod077@gmail.com

ثانيا - التوصيات:

في نهاية هذه الدراسة، وتعميما للفائدة، ارتأينا تقديم اقتراحات، نسوقها للمسؤولين والأساتذة الباحثين والطلبة، علّها تساعد في إثراء تاريخ المنطقة، وتضيء زوايا جديدة منه:

- إن هذه الدراسة المتواضعة، التي نراها؛ دون المستوى المأمول الذي تراءى لنا حين إختارنا عنوانها، قد سلطنا نوعا ما الضوء على جانب مهم من التاريخ المحلي المشترك لمنطقتي وادي سوف والجنوب التونسي، ومع ذلك فإن هذا الموضوع أوسع من أن تحتويه دراسة واحدة، مهما كان مستواها، وأكبر من أن يفيها حقها باحث واحد مهما علا شأوه، لهذا فإنني أهيب بالمشرفين على البحث العلمي، والباحثة من القطرين إيلاء أهمية لهذا الجانب من الدراسات.

- العمل على ترجمة الوثائق والرحلات والتقارير والأعمال... الأجنبية، التي تتناول تاريخ المنطقتين، حتى تزيد المادة المصدريّة للباحثين.

- ترغيب الطلبة بالبحث في التاريخ المحلي للمنطقة، لاسيما المشترك مع الأقاليم المجاورة، وتكليفهم بإنجاز بحوث بعناوين مدروسة بعناية، ذات مصادر متاحة، حبذا لو تكون جزئيات صغيرة حتى لا يأخذ الطالب السأم عند إنجازها، نتيجة اتساعها أو افتقارها للضرورة من المادة العلمية.
- عقد ملتقيات وندوات مغاربية، وحتى دولية إذا تسنى الأمر، لبحث القضايا التاريخية المشتركة، بما يخدم حاضر الأمة، ويبني مستقبلها بخطط مدروسة، ورؤى واضحة المعالم والأهداف.
- على الباحثين في تاريخ وادي سوف، إبراز تأثير وتأثر المنطقة، مع الأقاليم المجاورة، الأمر الذي يسمح بإظهار الوحدة الحقيقية، واللحمة بين شعوب المغرب العربي.
- إنجاز أعمال "بحوث، لقاءات، مشاورات، ندوات..."، مشتركة مع الباحثة من القطر التونسي، وحبذا أبناء الجنوب، تبحث في التاريخ المشترك، وتعمل على جمع مختلف الوثائق المحلية، والمخطوطات ووثائق الأرشيف...، ووضعها في متناول الباحثين.
- كما أنصح الطلبة -خاصة الذين هم على أبواب التخرج-، باختيار ميدان التاريخ المحلي، بدل البحوث العامة التي أشبعت بحثا.

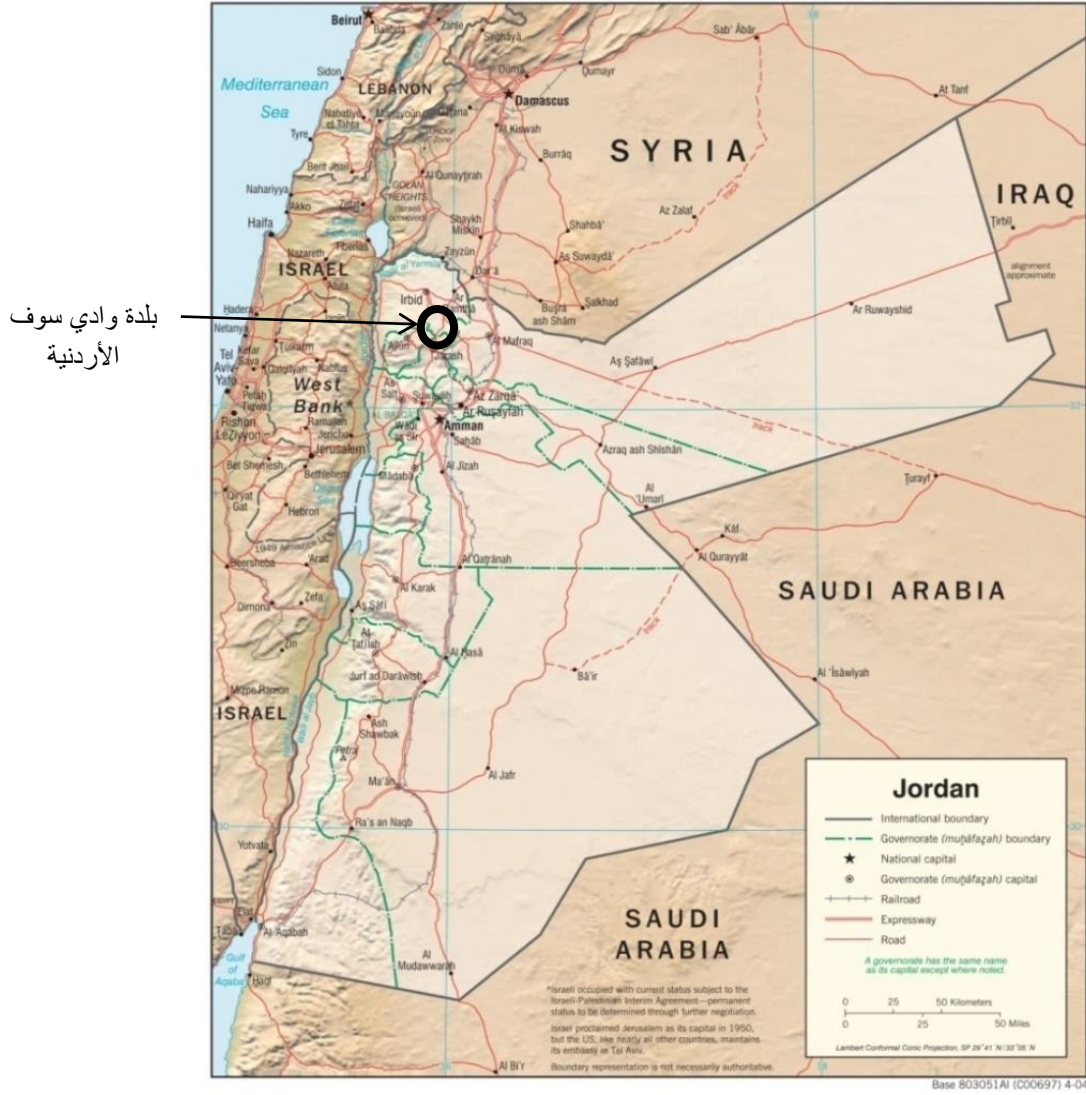
والله من وراء القصد

وهو الغلام إلى سواء السبيل

الملاحق

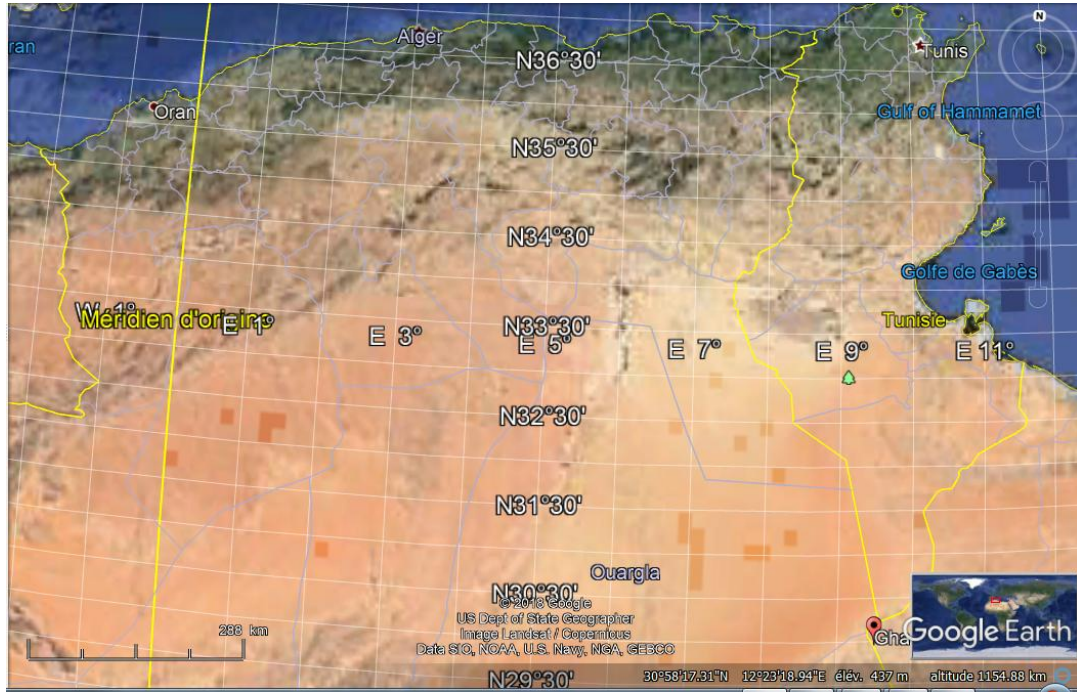
أغلب الملاحق المدرجة نراها ضرورية، في صميم البحث وتخدمه، وقد أحلنا لها القارئ في
طيات الدراسة، استشهدا أو توضيحا أو زيادة للمعارف...

ملحق رقم 01: خريطة الأردن وفيها إشارة لمكان بلدة وادي سوف التابعة لمحافظة جرش
بلدة وادي سوف – قضاء عجلون - محافظة جرش - المملكة الهاشمية الأردنية: حيث من الممكن أن
أول العرب الوافدين على وادي سوف الجزائرية أتوا من هذه البلدة.



المصدر: عهود عبد الله محمود عودة: المرجع السابق. ص 16 وما بعدها، وأطلس العالم على النت.

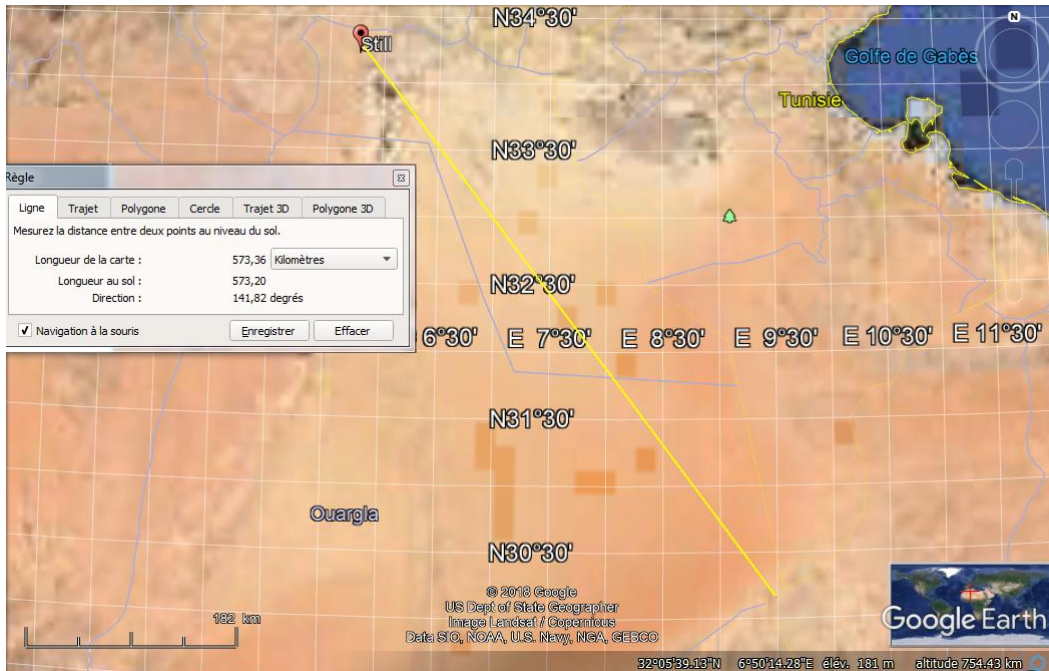
ملحق رقم 02: خريطة تبين خطوط الطول ودوائر العرض لمنطقة الدراسة



المصدر: برنامج قوقل إرث على الانترنت

ملحق رقم 03: خريطة تبين طول منطقة وادي سوف

يتبين من خلال الخريطة أن طول منطقة سوف 574 كم، وليس 620 كم كما هو متعارف عليه.



المصدر: برنامج قوقل إرث على الانترنت

ملحق رقم 04: طرق وادي سوف إلى خارجها سنة 1953م

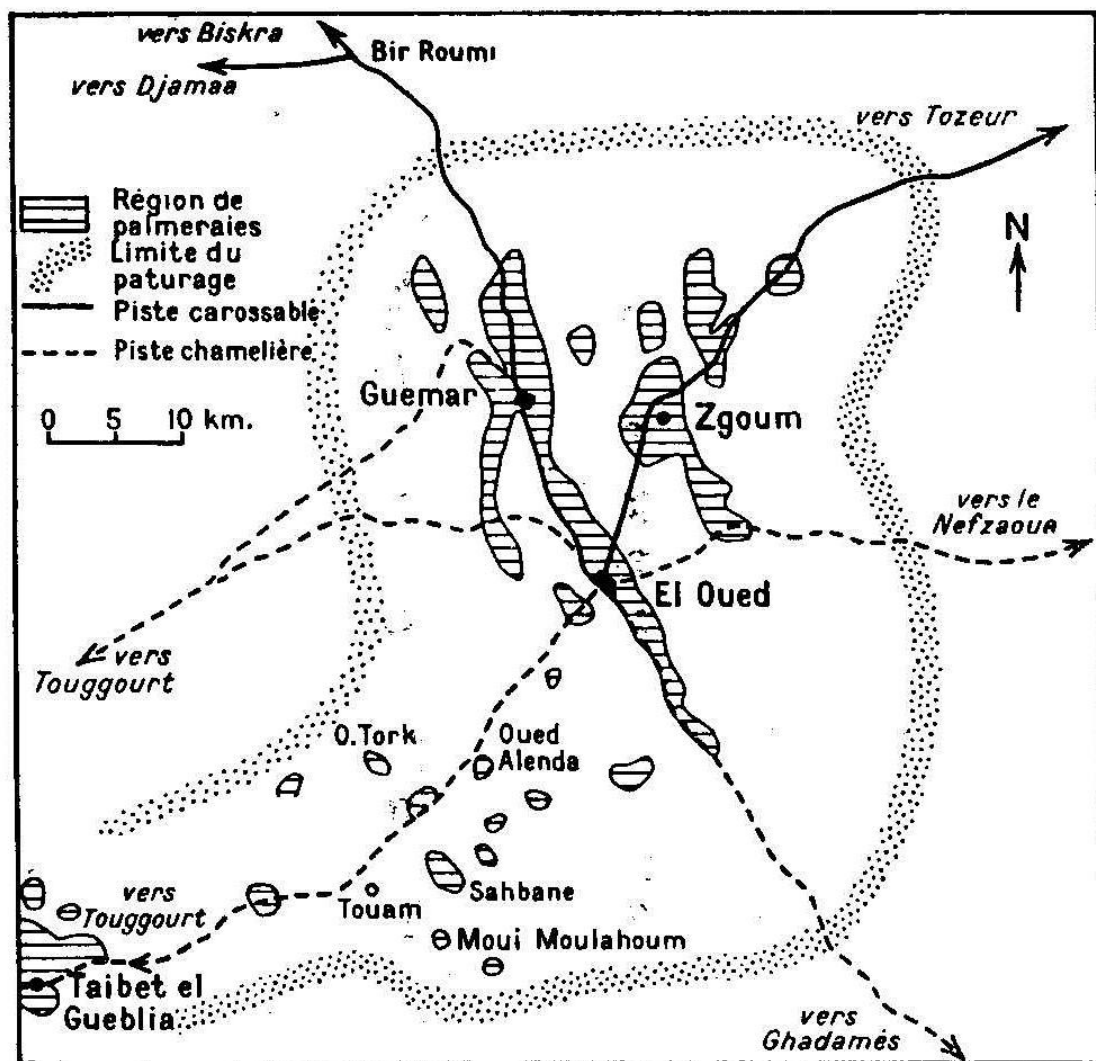
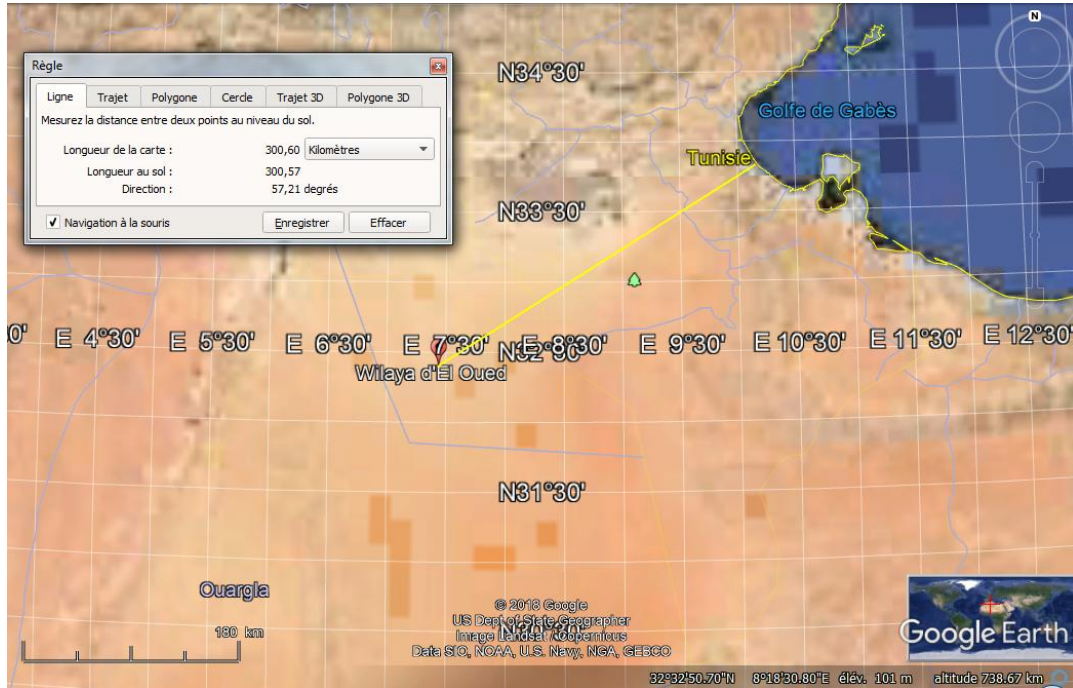


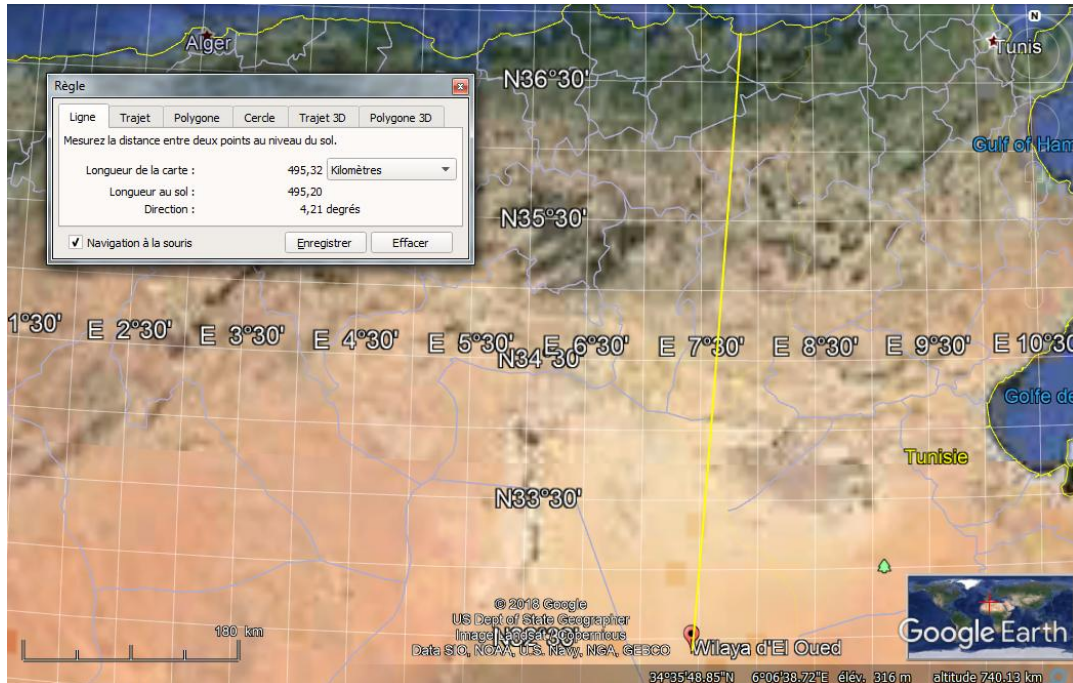
Fig. 4. — Limites de la destruction du paturage autour du Souf

ملحق رقم 05: خريطة تبين بعد مدينة وادي سوف عن خليج قابس



المصدر: برنامج قوقل إرث على الانترنت

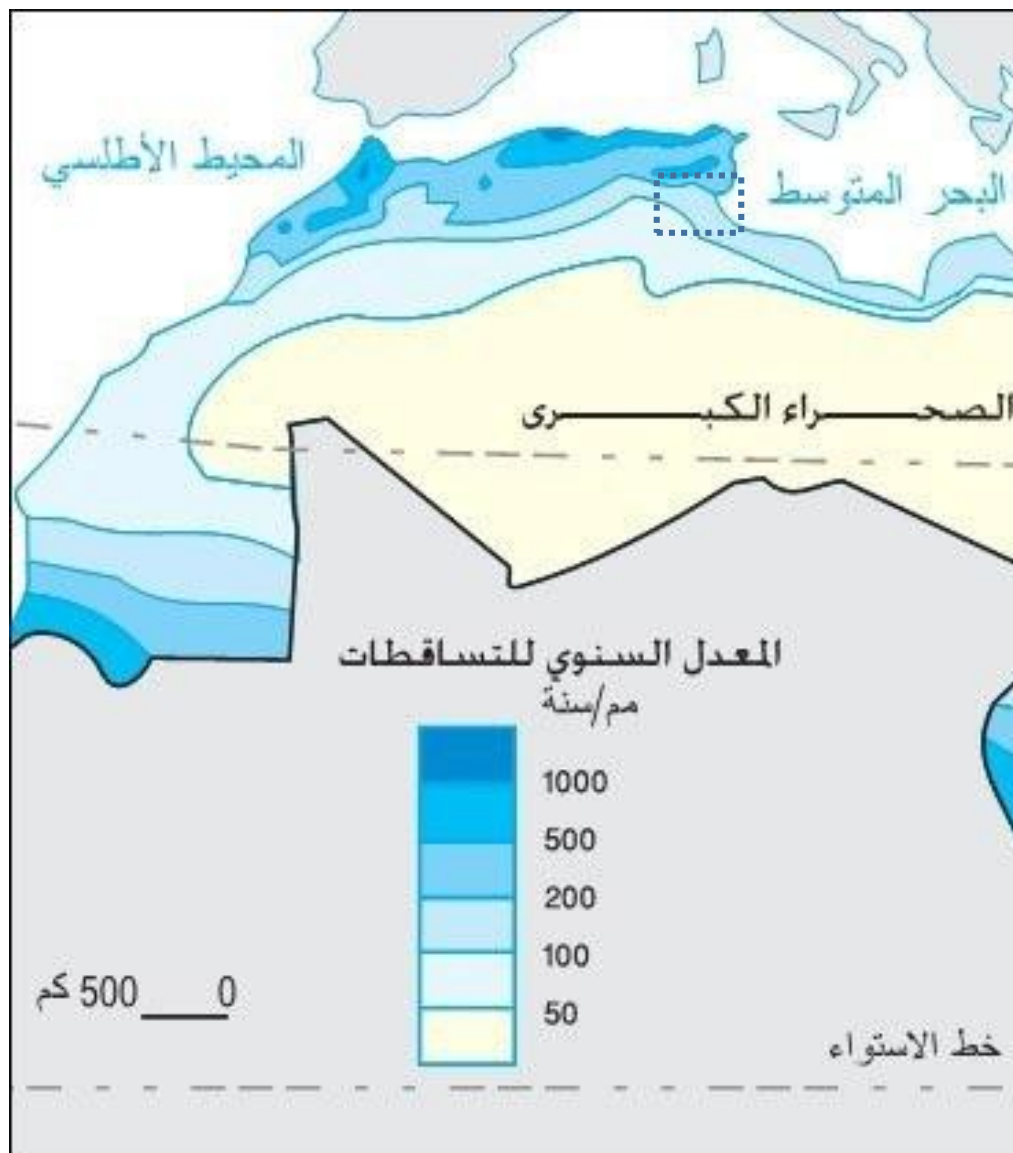
ملحق رقم 06: خريطة تبين بعد منطقة سوف عن أقرب ساحل جزائري (مدينة عنابة)



المصدر: برنامج قوقل إرث على الانترنت

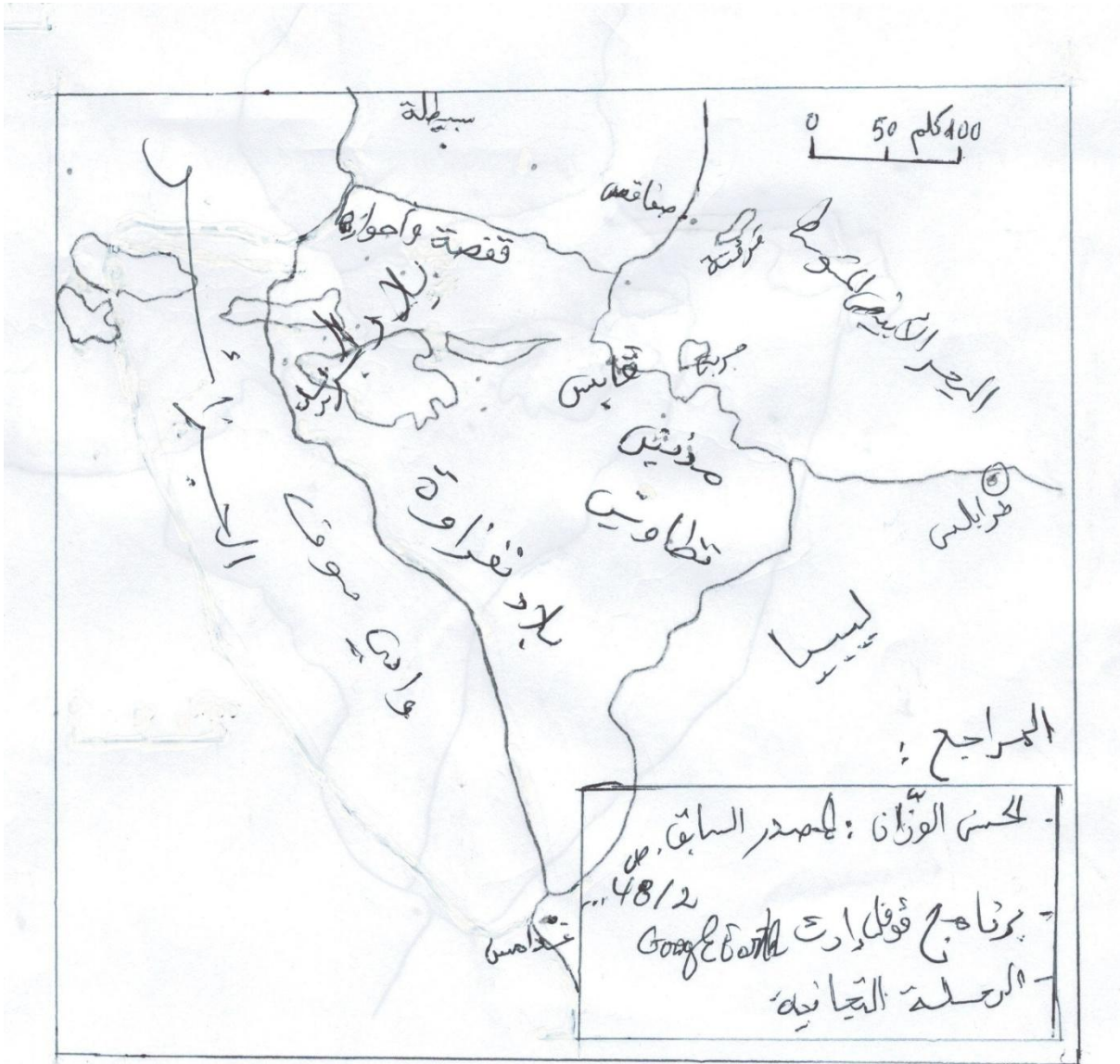
من خلال الخريطتين يتضح أن البحر خليج قابس أقرب إلى سوف من الساحل الجزائري.

ملحق رقم 07: خريطة التساقط بالمغرب العربي (منطقة الدراسة عليها إطار)



تبيّن الخريطة أن كميات التساقط متقاربة في منطقة الدراسة، وذلك يوحي إلى تشابه الخصائص المناخية.

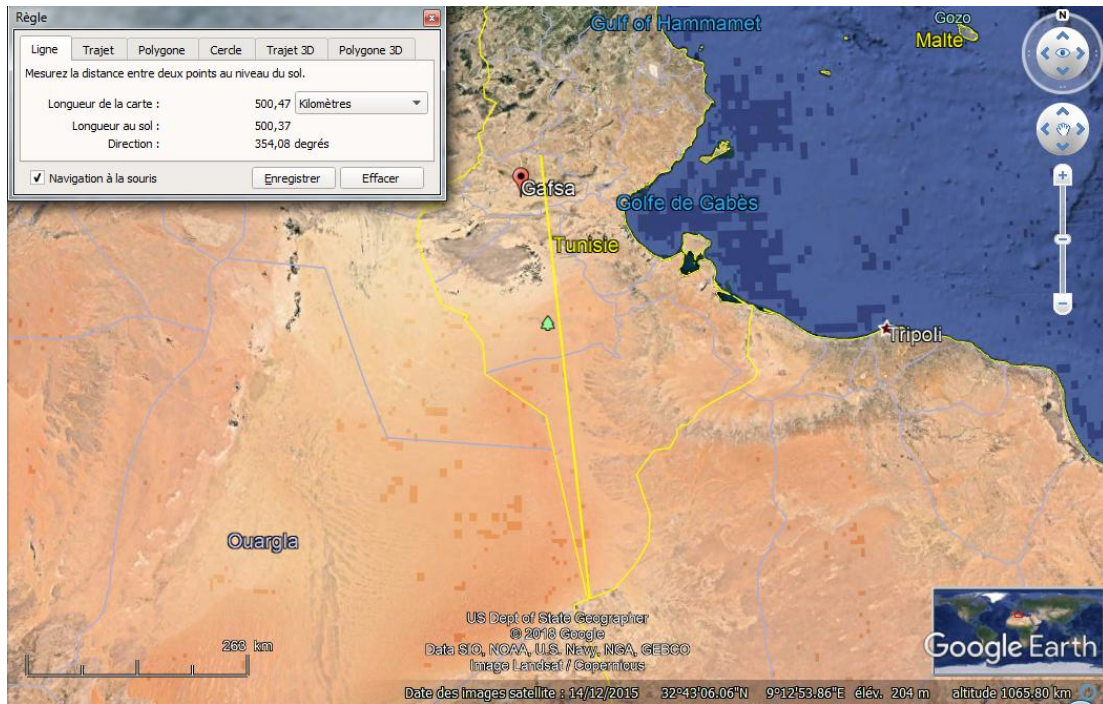
ملحق رقم 08: خريطة تبين منطقة الجنوب التونسي وأقاليمها



أقاليم منطقة الجنوب التونسي

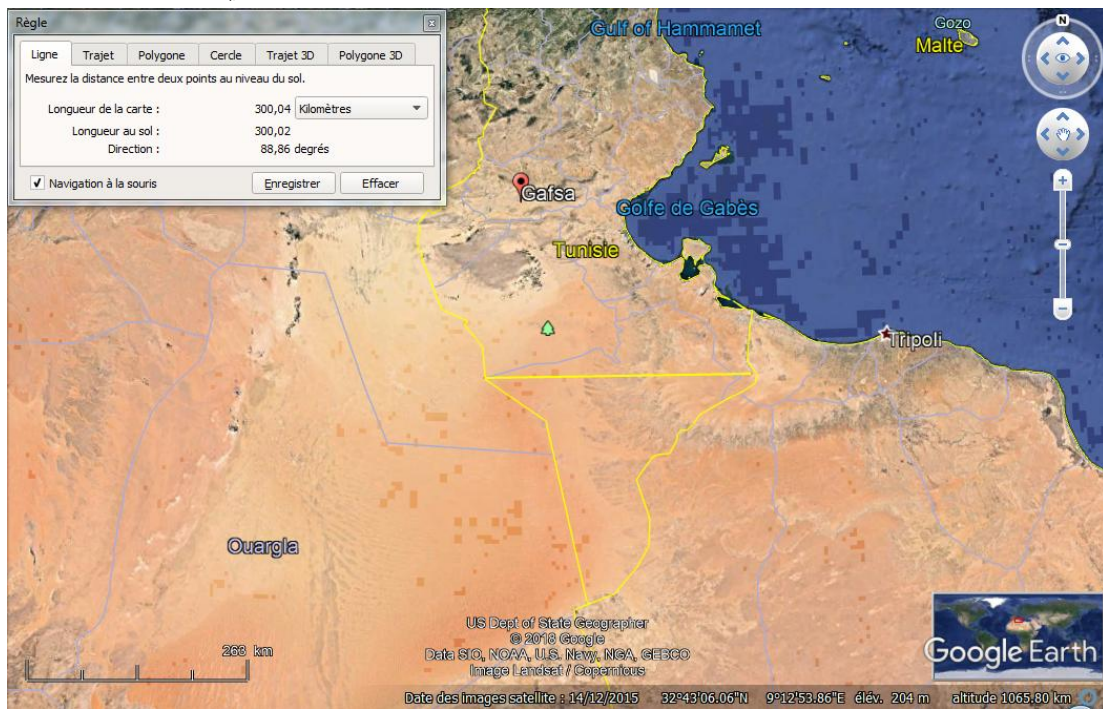
الخريطة أنجزت من طرف الباحث

ملحق رقم 09: خريطة تبين طول منطقة الجنوب التونسي



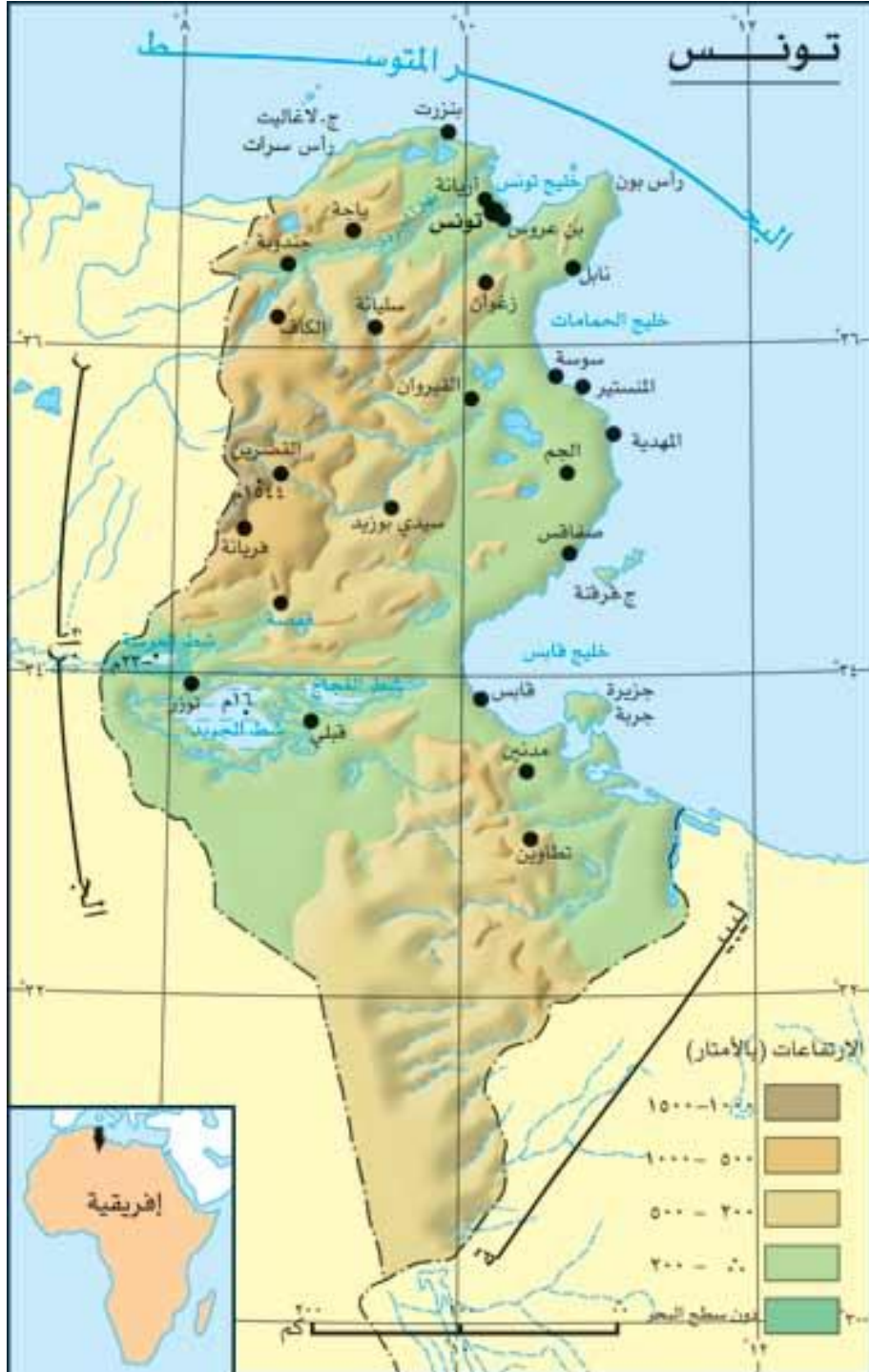
المصدر: برنامج قوقل إرث على الانترنت

ملحق رقم 10: خريطة تبين عرض منطقة الجنوب التونسي

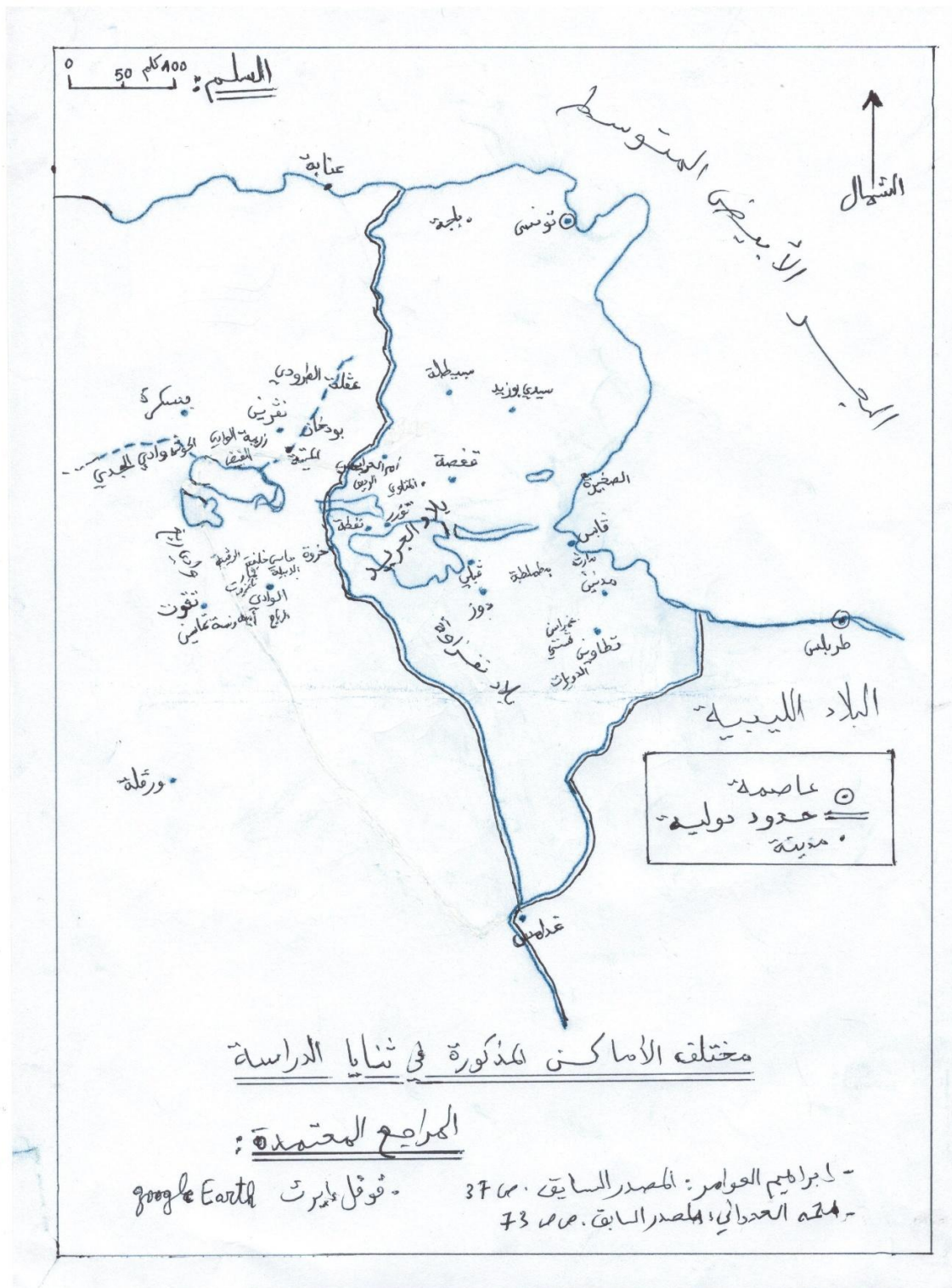


المصدر: برنامج قوقل إرث على الانترنت

ملحق رقم 11: خريطة تمثل تضاريس البلاد التونسية

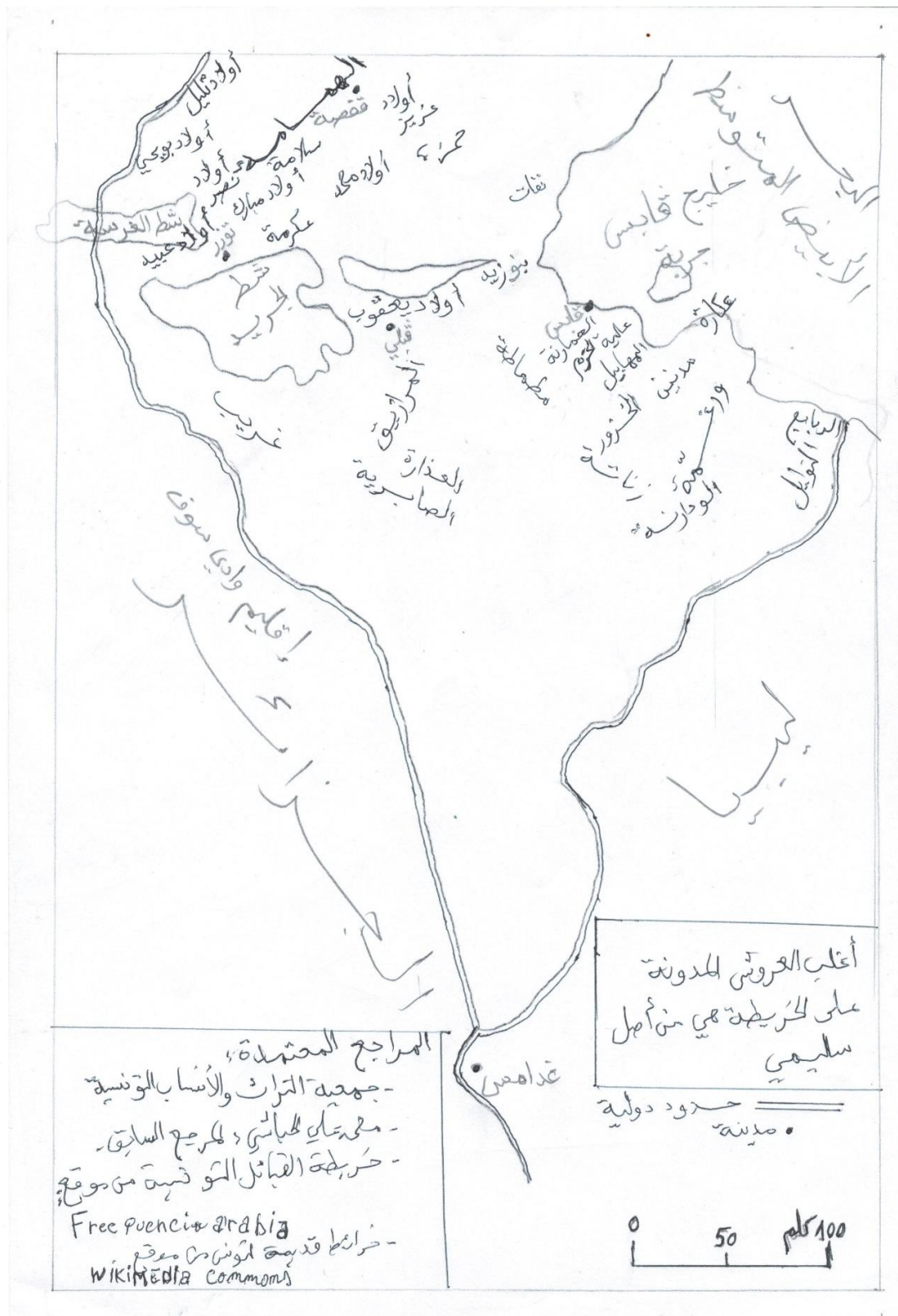


ملحق رقم 12: أهم الأماكن المذكورة في هذا البحث



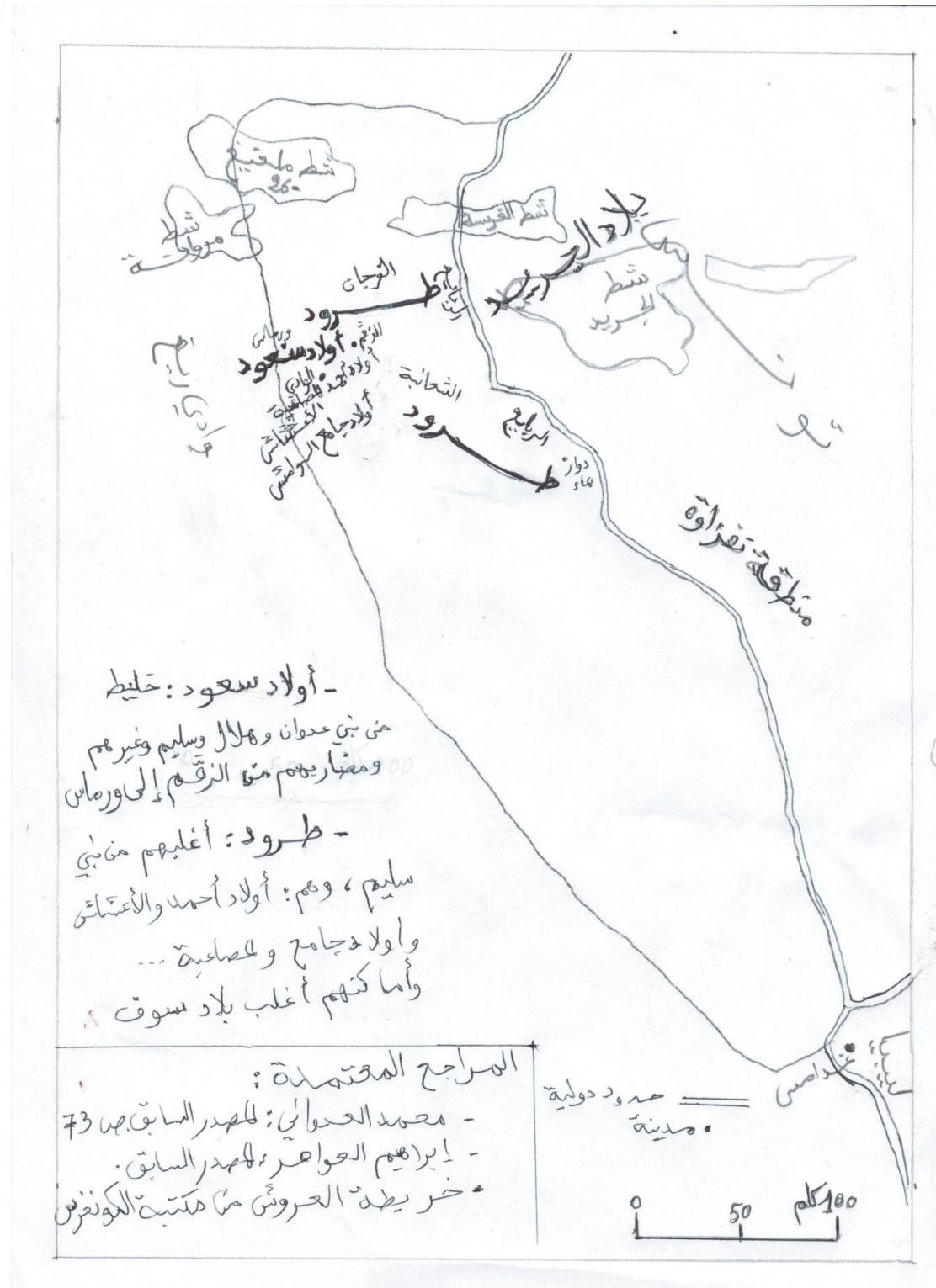
الخريطة أنجزت من طرف الباحث

ملحق رقم 13: أهم عروش وقبائل الجنوب التونسي



الخريطة أنجزت من طرف الباحث

ملحق رقم 14: أهم عروش منطقة وادي سوف - الجزائر



الخريطة أنجزت من طرف الباحث

ملحق رقم 15: مراسلة الوزير الأعظم محمد العزيز بوعتور، تخص قبائل طرود من وادي سوف وقبائل غريب بالجنوب التونسي

رضی اللہ عنہ سیدنا مولانا خورشید علی دہلوی

ائمہ سے یہ تجارتی انحصار و اشتراک اس ضمن میں ملاحظہ فرمائیے کہ انہ
 اصلاح علیکم و بعد انہ انجیلکم ان مل نہ بتوجہ نہ عمل لافہ اور محالہ
 ای اخیری ان ہوئی ہے رخصتہ اس میں ہر کلمہ طیب نہ الاطلاع علیہ
 میں نظر التمسین العلانیہ تجارتیہ وغیرہ میں لکھ رہے ہیں انتہ
 المصلحتہ بعد ان کہ خاصہ نہ وجوب رخصتہ اس میں انصار ایہ
 و تکلیف اہل ایجمتہ ان مذکورین بان یکون باید یہ بغافہ بیان
 الحیدانات اپنے چلیڈ نہ ہند ابیع وغیرہ دانیہ لکوی نہ حقیقہ
 سواہان ابیع باسوان اعترافہ انترسیم اور اسوان اعترافہ اعترافہ
 باہر ان ہوئی عملکے جاریہ مع انذکرین علی غرض کہ یہاں چلیڈ
 و اصلاح نہ انہم ای رب تعالیٰ ہم الامراہ تجارتیہ و عورتوں اور زبیر الایہ
 رہنہ اللہ تعالیٰ ہے

رقم ۱۲۱
 ۱۸۶۱

تجارتیہ و عورتوں

الأول والثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر والعشرون

المصدر: الأرشيف التونسي مجموعة A، علبة 277، ملف 4.

ملحق رقم 16: طلب ترخيص بالسفر للشيخ الهاشمي الشريف برفقة طلبة من الأهالي.

GOVERNEMENT GENERAL
de l'Algérie
SERVICE DES AFFAIRES INDIGÈNES
ET DU
PERSONNEL MILITAIRE
N° 1329.

REPUBLICQUE FRANCAISE
SECTION D'ETAT
ARRIVÉE
21 JUNE 1909
N° 39-82
Alger, le 17 JUNE 1909

Le Gouverneur Général de l'Algérie
à Monsieur le Résident Général de France
TUNIS

19 JUNE 1909

Demande de permis de
voyage de Si El Hachemi
ben Brahim, Naïb des Kadria
de Touggourt

J'ai été saisi d'une demande formulée par Si El
Hachemi ben Brahim, Naïb des Kadria de Touggourt, qui
désire se rendre à Tunis pour affaires personnelles.
Il serait accompagné de dix indigènes, étudiants dans sa
sacula, et dont les noms suivent :

El Moradj ben Gamaoune, d'El Oued
Laid ben Hamida, des Acheches (El-Oued)
El Hachemi, frère de Laid ben Hamida, des Acheches
Mohammed ben Béchiri, des Acheches
Osmen ben Seghir, des Acheches
Kilani ben Zakhaf, des Acheches
Bachir ben Larbi, des Messaaba
Mohammed ben Bousaiane, des Messaaba
Abdallah ben Amor, de Guémar
Taher ben Hacer, des Acheches .

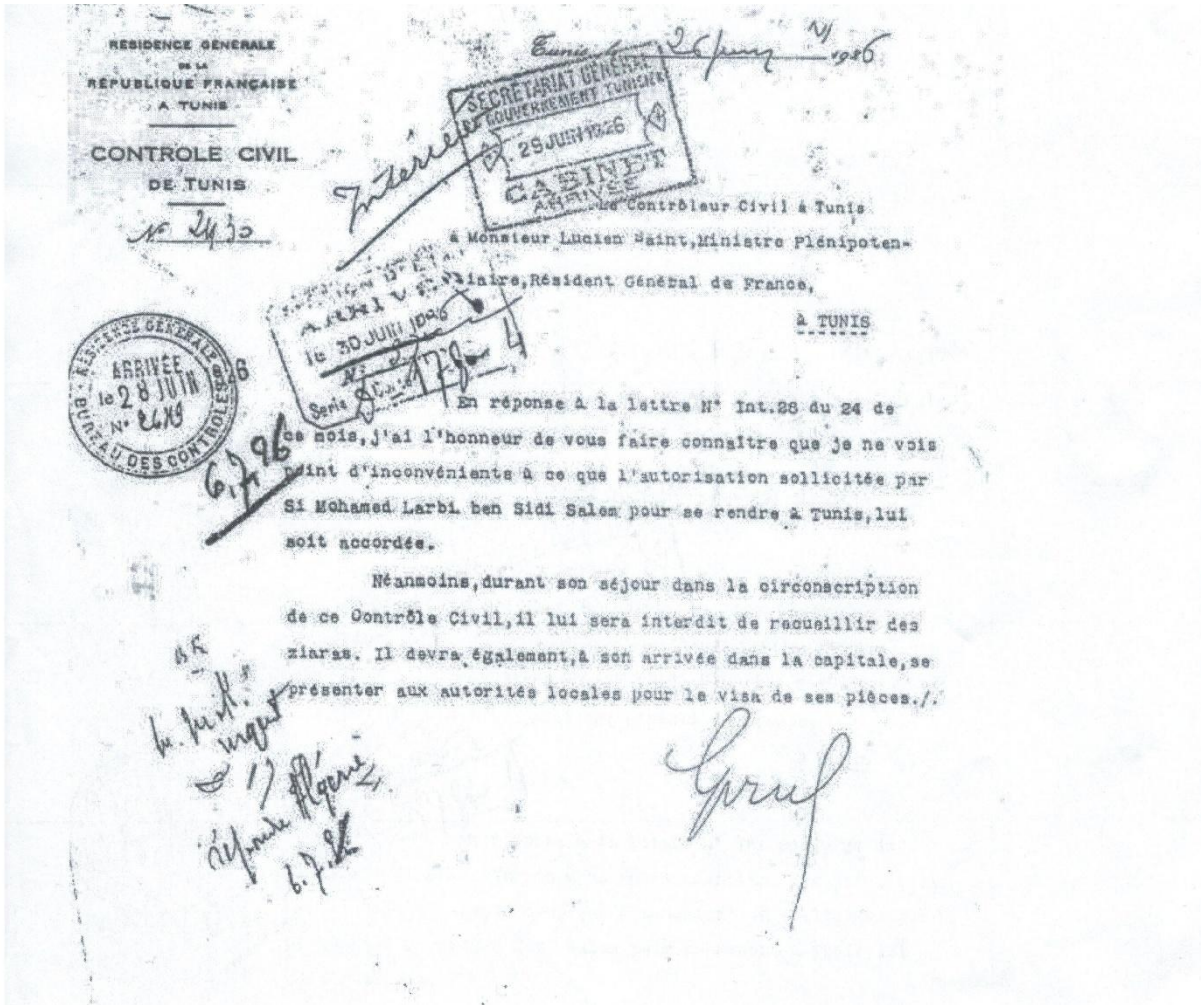
J'ai l'honneur de vous prier de vouloir bien me faire
connaître si vous voyez un inconvénient à ce que l'auto-
rication sollicitée par ce personnage religieux lui soit
accordée . La durée de son absence serait de trois
mois ./.

P. LE GOUVERNEUR GÉNÉRAL.
Le Secrétaire Général du Gouvernement

de Tunisie

المصدر: الأرشيف التونسي مجموعة D، علية 178، ملف 5/1.

ملحق رقم 17: مراسلة المراقب المدني بتونس، بقبول زيارة شيخ الطريقة الرحمانية بسوف محمد العربي بن الشيخ سالم العايب في 26 جوان 1926م.



المصدر: الأرشيف التونسي مجموعة D، علبة 178، ملف 34/4.

ملحق رقم 18: تقرير إقتصادي لخليفة جرجيس سنة 1925م، يصف فيها الحالة الاقتصادية التي وصلت إليها الجهة، بسبب تدخل بعض أعضاء الطائفة اليهودية في النشاط الاقتصادي المحلي.

المرجع: تقرير عدالة أهالي جزيرة جرجيس الاقتصادية في شهر نوفمبر سنة 1925

- 242 -

ان خالة أهالي جزيرة جرجيس وسكانها الآن في بلاد الحبش باردة الحارث
وكانوا على حثيث غلة زراعتهم وحدثوا في هذا الموضع على صلبة وافر من الزيتون
وسهم الرابطة زينة تيسر ريد من فركسات ال فركسات وتسعون فيع تجدارا
يرسلون بيدهم جوبوا الى الخارج بواصلة الكيوتات برا وبرا وركت العلب
بكر ومنهم من يوصف جيد لا عمل قريب وسهم اللقم زينة تسعون فيع
ويجسد بلبلاد عكس معاصر لفر حب الزيتون في العكس الحارث عنده
واحد السمت ما سكرته اهلية والانب في فروع فاعيش الاربع حيث
ان المعاصر لا كند في لا خزنه الثمن في حب الزيتون التي يرفع عصره
والاهلي امتداد الحزوة الاربع وغرس الزيتون واهم انبال زائد عن الاملا
العبادة اسوة غرمة الاربع ايم الفيل الزيتون غير انه يعوز
فلت الاربع
من عبيد البلاد كايعة اليهود المتخوذت عن خيرات البلاد
وثر زينة بسبب معاملة الاهلي بالرعي بصورة جاحشة
وصارت هاتئ الطابعة هم المترجمين والهاب النوبة في البلاد
وغالبهم من عواذيت الصوف والعبادة والاهلي كلبا ملكا
اليهود وقرحت عندهم الاهلي وصارت هاتئ الطابعة تتبادر
عن قيراء حوايز الزيتون في الاهلي والشهر فيهم صاروا هلاك
جرا فحدثوا عليهم بالرفعة معاملة الربى وهوان الاهلي المسكنة
عندما يظلم المعاملة في المربعين يعطيه المربعين في المربعين في الله
ويوثق له املكه ومنحلول اجل المربع والمربع الاهلي ميسلا الخلاء
فيمنع المربعين الى خيلته يتولى بها للاعتناء عند هذا الاهلي بالقر في الله
وذلك بانك انك الاهلي حتى يجعل في ذلك (بيعه وانفاله) وهوان الاهلي
بيعه المربعين ملكه في الغور التي عليه المربعين في حجة ترقية والمربعين يعلم الله
كتبلا خراجا يعطيه جيد بنز جميع الملك المبلغ لربه عند ما يرجع له في
على اجل معين وهكذا يتوهلون بهاته المرفعة حرا بغير ربه امر الله
ضليعة جرجيس وكتب في نوفمبر 1925

وثيقة عدد 8 : تقرير إقتصادي لخليفة جرجيس
الأوضاع بالمنداق بتاريخ نوفمبر 1925
المصدر : 1 - و سلسلة 550 ، مندوق 24

المصدر: سالم ليض: تاريخ شبه جزيرة جرجيس، المرجع السابق. ص 242

ملحق رقم 19: لوحة للرسام الفرنسي جون لونوا بعنوان: يهودية من الوادي، وإبنها

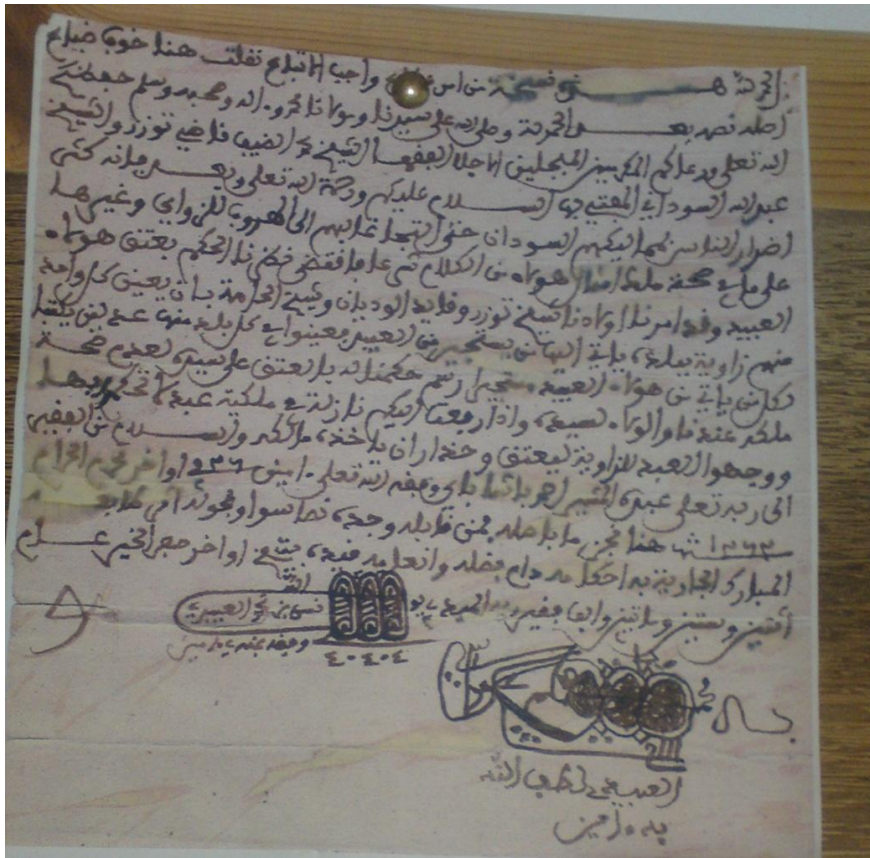
الملاحظ من خلال الصورة، أن لباس الطائفة اليهودية بوادي سوف لا يختلف عن لباس المسلمين، وصاحب الصورة شاهد عيان، زار المنطقة ورسم مشاهداته.



المصدر: كمال خزان: المرجع السابق. ص 70

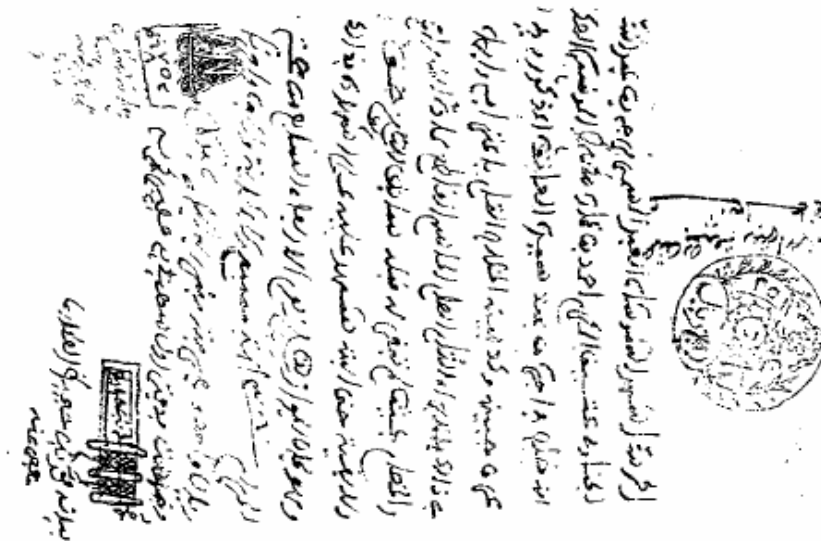
ملحق رقم 20: أمر أحمد باي بعثت عبيد توزر

لم يكتف أحمد باي بسبقه على المستوى العالمي في إصدار قرار منع العبودية، بل إن عمل على تطبيقه ومتابعة ذلك.



المصدر: جمعية صيانة مدينة توزر

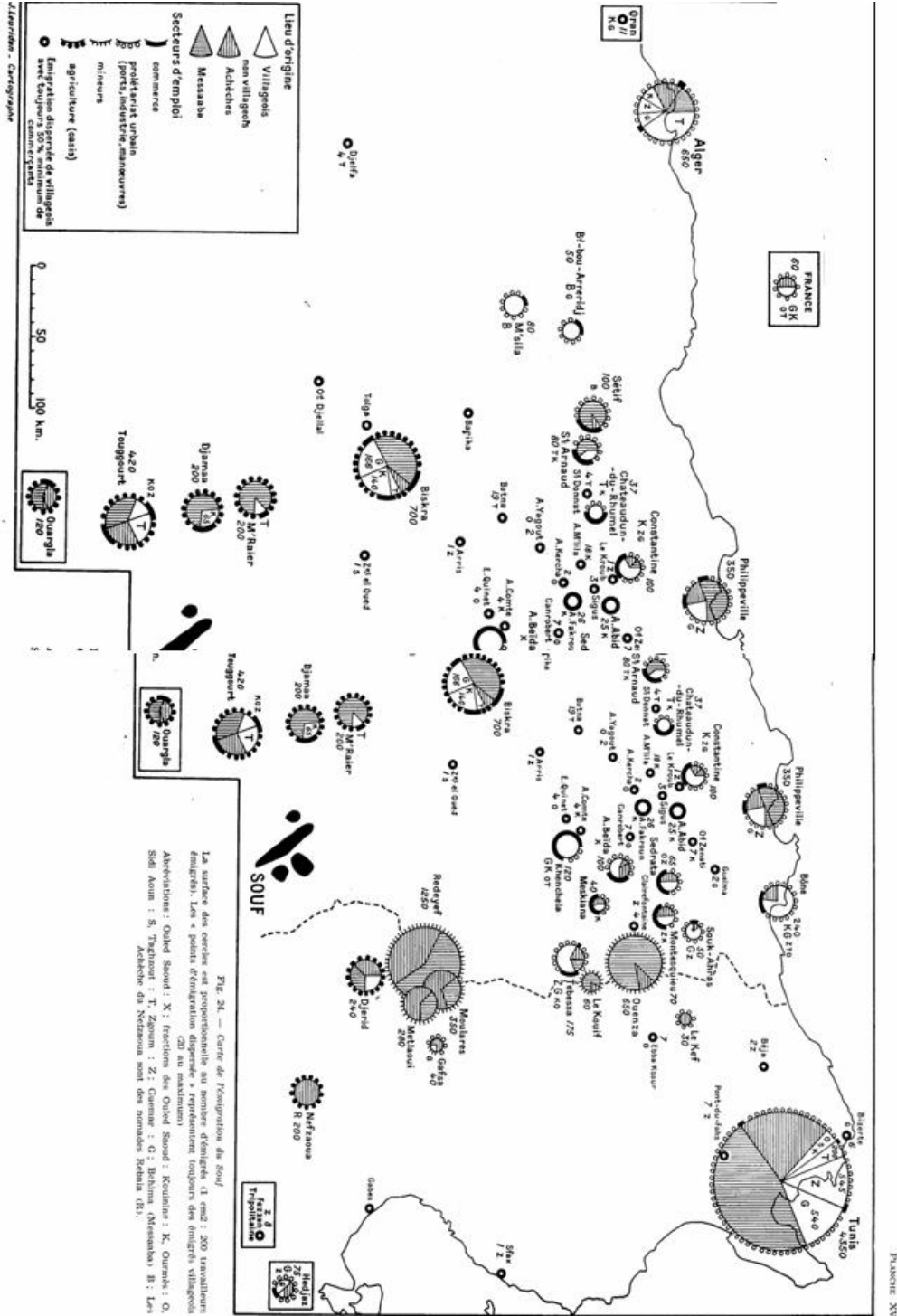
ملحق رقم 21: عقد عتق مملوك



المصدر: سالم ليض: تاريخ شبه جزيرة جرجيس، المرجع السابق. ص 237

ملحق رقم 22: خريطة تبين هجرة السوافة

هذه الخريطة تبين أماكن هجرة السوافة بالجزائر وتونس، والظاهر أن أقواها كانت تجاه مدينة تونس، والدقيق في الخريطة أنها تصنف المهاجرين حسب قبيلتهم ومهنتهم.



المصدر: C. L, Bataillon: op.cit, p8

ملحق رقم 24: رسالة الشيخ العربي بن عمار من باردو بتونس، إلى إبراهيم بن عمارة بسيدي عون، يتحدث فيها عن دوره

التعليم بمنطقة سيدي عون في الفترة 1947-1951

يا بني الواديين ومجشبي عن مسيرتي والتجارب السياسية. وكان حافزا معنا الشيخ إبراهيم والفايد الأمين ونيسا عني جميع الشيوخ. وانتصروا في المعركة بعد ما كان الله تعالى، وقسمنا جميع أعمالنا على أحسن ما يرام. وقد أخذنا بعض الديار بعض أو هبنا إياها وجعلنا أدرس فيها لأطفال بنين وبنات، وكان من ضمنهم زويتة فينيك عيشة بنت المرحوم بلقاسم بن الأمين. وكانت من المكالمات الجيديات، ولست أدري هل بقيت كما فطنت على ما تعلمت؟ وقسمت الأكلال إلى ثلاث طوائف: الصغار والكبار والمتوسطون، وجعلت لكل طائفة وقتنا محييا، وأيا الرجال جعلت لهم المسجدا يتلقون فيه كل مساء دروسا في الفقه وفي التفسير من التوجيه وفي السيرة النبوية، وبقيت على هذا العمل أربع سنوات، وقد ركزت على التوجيه والتفقه في الدين والتخلص من الخرافات والأوهام. وفي نهاية سنة 1951 رجعت إلى تونس، وهذا من فضل الله، لأنني لم أكن في سنة 1954 لو توفقت تصغيثا من طرف الاستعمار المعين، فهذا مدروسة سيدي عون التي سألت عنها، فهي ليست بالمدروسة بالمعنى المعروف التي تشرح عليها الحكومة أو جمعية الوفاء، وعندما أنشيت دراستي، نجاع الزيتونة دخلت ميدان التعليم إلى أن جعلت على المعاش سنة 1954، وقبل ذلك بتقبل شروعت في كتابتي تفسير للقرآن الكريم إلى أن أكملت في سنة 1954، وكان فيه كتابات تفسيرية كانت أودعت منه نسخة إلى دار الكتب الوطنية، كما أن لي ديوان شعري بدأت نظمته سنة 1946 وهو الآن في المطبعة في انتظار الطبع، ولذا وقع الآن بطبعه فسأجدي لك منه نسخة، وهذا هو هنا بعض صفحاته المطبوعة فالطبع عليها، وهذا هو لنا الأصل المطبوع فيه شيايب القرية وكلها المتصرفة في أن يتجملوا الأمانة ويوا صلوا الدعوة وفتح البصائر بين المذكور وبنات من أهل القرية حتى يتفتح القضاء التزام على الجهاد والقيمة ومكانه بالتأليف ليصبحوا أقال قروية يشرك فيها بالبنان.

و 1951م عابرك أيضا الذين المزمع وعدا فأكبر وكان الأثر جويها. من أياكم العزير عابرك

حمدا وصلاة وسلاما باردو 9/3/50هـ

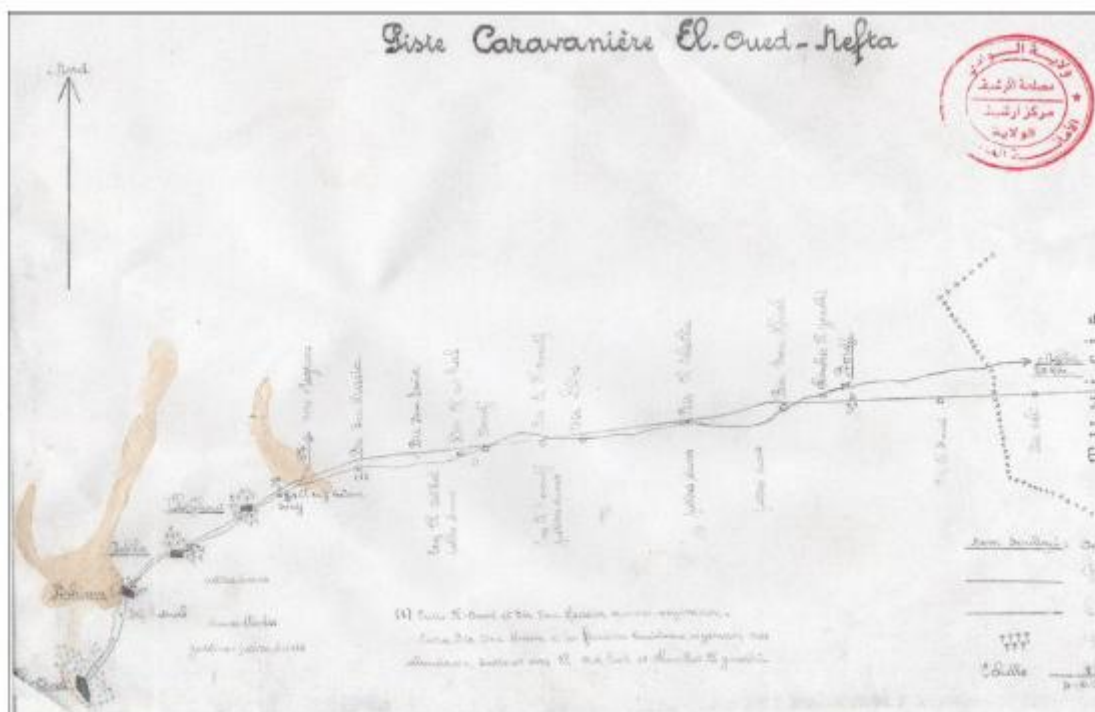
ابننا الفاضل، المكاتب البايح، السيد إبراهيم بن عمار سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، وبعد

فقد وصلنا رسالتكم الكريمة من طرف صديقنا الكريم، وإفينا الكريم، السيد الحاج أحمد العيد بوقرقة، وهي معبرة عما تمنطون عليه سريركم الطيبة من حبيب وتقدير، وإننا أشكركم المتشكر الجزيل، على ثنائكم الجميل، وأرجو أن أكون مستحقا له، وأهلا لأن أعظم بفضلكم شدا، ونعمتكم بدورنا بحلول عيد الأضحى المبارك، أهله الله عليكم وعلى أهل القرية بكل غيرة وبركة، وصحة وعافية، وبلوغ المقاصد، وأني أشكركم وأفكر أهل القرية على اعترافكم بحسب ما قدمت به من تضحيات لتتوسر عقول أهل القرية، وتعريفهم بمفهوم الإسلام الصحيح، وتطهيرهم من لوثة الضلال والاهتمام.

وأعلم أيضا الابن الكريم أنني في سنة 1947م - سنة ميلادك - كنت طالبا لجامع الزيتونة المعروف، وتقدمت إليه السنة الأولى من تعليمه العالي (السنة العاشرة)، وفي أثناء العطلة الصيفية من ذلك السنة قررت القيام بزيارة للقرية صعبة المشي جباليا، بلقاسم أمه الله في أفهامه، على نية الرجوع إلى تونس بعد العطلة لإكمال شهادتي الأجنبية والمصروف على شهادتي العالمية ولكنني عندما وجدت أهل القرية على حالة يرثى لها من الجهل والتخلف - إلا من رحم ربك - قررت البقاء بها، وحرصت نفسي من الوظيف بتونس، وسألت الله تعالى مكافئة الجهل، وتخليص أهل القرية من مضاهير التخلف بجميع أنواعه، فالتفت أهل القرية حولي إلا التخليص منهم، وقد تعاطف معنا ووقف بجانبنا شيخ القرية حسبي إبراهيم، والفايد الأمين الزيتوني رحمهما الله رحمة واسعة، وقد واجهتنا صعوبات كثيرة يمكن يتفوقون ضد الإصلاح وقد جاءنا الحاكم العسكري مرقين إلى القرية، واستند عابري

المصدر: بشيرة شكيمة: المرجع السابق. ص ص 73-74

ملحق رقم 25: طريق القوافل بين وادي سوف ونقطة، ومسافات المراحل



256

STAPES ENTRE POUSSOIR ET TOLEUR

1ère étape.....	Touggourt - M'Saitla.....	26km.	24 km.
2ème d°.....	M'saitla- Pargjane.....	24km.	20 km.
3ème d°.....	Pargjane-Moulet-el-Kaid.....	20km.	23 "
4ème d°.....	Moulet-el-Kaid- EL-OUED.....	20km.	28 "
5ème d°.....	EL-OUED - Debila.....	20km.	20 "
6ème d°.....	Debila - Bir-el-Adal.....	27km.	27 "
7ème d°.....	Bir-el-Adal-Chouchet-el-Joudi.....	20km.	20 "
8ème d°.....	Chouchet-el-Joudi-Bir-el-Adi.....	16km.	17 "
9ème d°.....	Bir-el-Adi - Nefta.....	26km.	26 "
10ème d°.....	Nefta- POUSSOIR.....	24km.	24 "
Total.....		226 kms.	226 kms.

وزارة الداخلية
مصلحة التوشيف
مركز التوشيف
الولاية

المصدر: أرشيف ولاية الوادي

ملحق رقم 26: معلومات حول القياد وعائلاتهم

<u>CAIDS et leurs FAMILLES</u>	
(En général, il n'est pas tenu compte des ascendants et de la domesticité)	

<u>BEN MOUSSA Abdelghani Bachagha Tribu Achèche</u> 2 femmes: 1°) OBEIDI Sakina bent Tayeb 2°) OGGUI Tebeur bent Laid 8 enfants Au total: famille de 10 personnes présentes.	11
<u>BEN MOUSSA Boubakeur Caïd tribu Achèche.</u> 2 femmes: 1°) BEN MOUSSA Azouzia bent Ahmed 2°) 5 enfants Au total: famille de 7 personnes présentes.	8
<u>MASRALI Hamida Caïd Tribu Messaaba</u> 1 femme : MASRALI El Atra bent Abdelaziz 2 enfants. Au total: famille de 3 personnes présentes.	4
<u>LALLALI Lakhdar (Agba, Tribu de Goumar</u> 2 femmes: 1°) KHALIPA Yamina bent Ammar 2°) 4 enfants Au total: famille de 6 personnes présentes.	7
<u>ZOUBEIDI Lemine (Bachagha Tribu Ouled Saoud</u> 1 femme: ACHOURI Zohra bent Mohammed 8 enfants. Sa mère. Au total: famille de 10 personnes présentes	11
<u>ZOUBEIDI Hocine Caïd Tribu Débila-Béhima</u> 1 femme: BOUAKKA Houria bent Mahmoud 8 enfants. Sa belle-mère Au total: famille de 10 personnes présentes.	11

المصدر: أرشيف متحف المجاهد - ملحقة الوادي

ملحق رقم 27: صور لبعض المناضلين التونسيين الذين دعموا ثوار الجزائر في قتالهم ضد قوات الاحتلال الفرنسي



الهادي بن صالح المكري
الهادي بن صالح المكري مناضل تونسي، كان من المشاركين في
المعركة التي قادها الشهيد صالح رشاشي في 21 جانفي 1956م



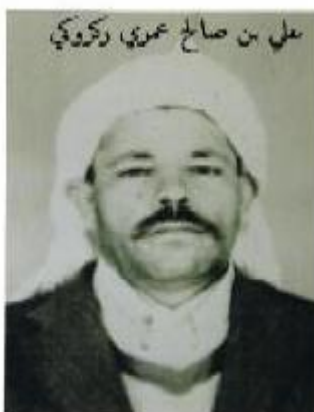
مسمود البالي
مسمود البالي زكروكي مناضل تونسي، كان يلبس السلاح
من الملوحي إلى الجبل الذي يحسره به الجيش



محمد الصالح المكري بن جمال مناضل تونسي شارك
في المعركة التي قادها الشهيد صالح رشاشي في 21
جانفي 1956م



راجح البالي زكروكي
الشايب راجح البالي زكروكي مناضل تونسي، صاحب المزرعة
التي تقع في بيجوة (تحت) جبل اوردب التي تكن المهاددون
يجهزون بها الأسلحة والمؤونة والأدوية... الخ.



علي بن صالح عمري زكروكي
علي بن صالح عمري زكروكي مناضل تونسي، شارك مع
الجزائريين في معركة غام 1956م التي يلازمها حكمة
العروسي في رواية معركة "الزرقعة" 18 جانفي 1956م



محمد الملكي عرفاوي
محمد الملكي عرفاوي مناضل تونسي، شارك في
المعركة التي قادها صالح رشاشي 21 جانفي 1956م،
وبعد انتهاء المعركة تظاهر بالموت فلم تضطر عليه
القوات الفرنسية.

المصدر: نبوية شباح: المرجع السابق.

ملحق رقم 29: خطاب الشيخ عبد العزيز الشريف أثناء زيارة وفد جمعية العلماء لوادي سوف

(يظهر تحوله إلى الاتجاه الاصلاحى)

الله
لم يبع
والذى نوح
وهذا الحق
حيث سأل
يقبل سؤاله
بل أجاب
الله على غيره
اني اعطيتك ان
فلم يقف
من قبل الله
جواب الرسا
أسألك ما ليس
اسكن من
فبين
يقع انه تكذب
لم قدرة على
هذه الدنيا
يلعبون من هذا
آخرين
والله ان
من سنة سيد الم
اثقوا الله
امسوها والقولوا
بأنفسكم فغير الله
ان الله لا
بأنفسهم ككلمة
نعمته وما ذلك
السعادة
محطة بكم وأتم
تترككم
الدجالين تعرض
تقات الذباب
ان الامر
البارك يستر
الظلمات والنور
أمن يعلم الله
أصى الناس
أيها الاخ
معاونكم فلا

منة ٤

المائر

في وفد الجمعية بالجندوب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
أما بعد
اخواني وبنى وطني الاخراء
اشكروا الله كثيرا على ان شرفكم بزيارة
جمعية علماء المسلمين الجزائريين لبلادكم
فهيحيى لوطكم هذا جانيكم الحق وزعت
الباطل ان الباطل كان زهوقا جانيكم السعادة
الدينية والاخروية فقوموا من مراتبكم فقد
طال نومكم واستمروا دعوة الداعي وقد امكم الى
وطنكم
جانيكم التذير فلا عذر بعد اليوم وحل
فيكم علماء العالمون ورثة الانبياء فيا ساداتكم
فما عليكم الان تسعوا بصنيع بذكركم لاورهم
ولواهم الغالية وما لاورهم ولواهم الاحياء
السنة وامانة البينة
فالاورهم هي الاوامر القرآنية ولواهمهم
هي ما نسبت عنه السنة المحمدية فان
نعمتكم فانا نصرتم القرآن العظيم والسنة
النبوية وان خلائكم غلظت عمدا غير البرية
فهم قد بلغوا لستم الامانة بالدعوة الى الدين
الاسلامي الصحيح
الهم فلتشهد فقد دعت جمعية العلماء الى
الدين وسعت في تبليغ سنة سيد المرسلين
فان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم
فلها
اخواني وبنى وطني الاخراء
عظمت فينا والله أكثر من كل الدس مصيبة الجبل
والجود وتبست فينا والله مصيبة الحرافات
والركود
تعالوا ننزق نبل الجبل ونهجم على داعي

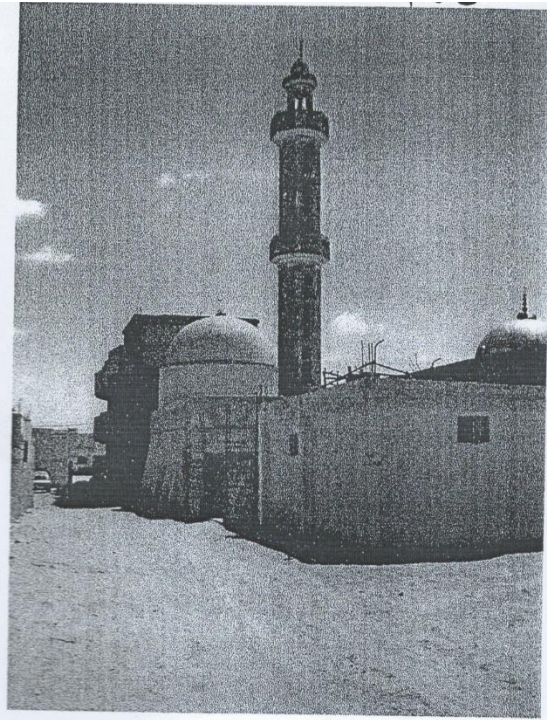
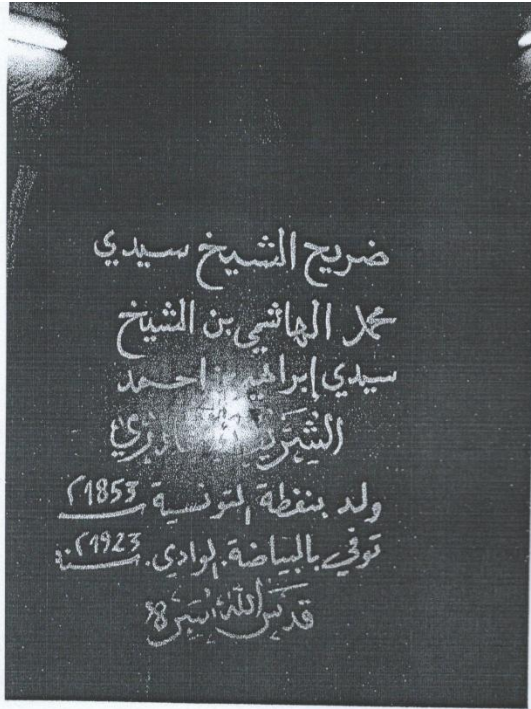
قوبل الوفد أينما حل ولا سيما قسرى سوف . بالخطب الحارة والتعاضد
المحبية . كلما زحج به وتقدير لاساميه الذبية والاجتماعية والعزاز بالقبات على
بذل جمعية العلماء وتخليق للأمل عليها بعد الله تعالى .
ولتبقى البريدة عن أمالينا في نشر كل ما يرد عليها لتقصير من تلك الخطب
والتعاضد على خطبة واحدة هي خطبة الشيخ عبد العزيز بن الشيخ الماشي التي
ألقاها في الورد بصفته من أهله . قل حفظه الله

الحرفات ونكرم نفود الجود
فكيف بكم يا اخواني اذا جاء الله من كل
امة بشييد وجهه بسعد على الله عليه وسلم شيئا
عليكم وعلى أعمالكم يوم القليلة
ما يكون جوابكم أنقولون لم يبلغ لنا
العلماء لار الله بلنا الشريعة كما ينبغي وتقدر الطائفة
ويبيرا صراط ربنا مستقيما وفصلوا الايات لقرم
يلسكون
وضرركم طريق السنة والحرا طيكم
في الدعوة اليها وحلركم من البدع والخرافات
وطاللا عابركم علينا
وان هذا صراطي مستقيما فاتبوه ولا
تفروا السبل فتفرق بكم عن بيته ذلكم وصاكم
به لعلكم تتقون
فأعيتهم رحمتكم الله على الدعوة الى الدين
واصلاح الامة وآدموا الذين يصلون عن سبيل
الله ويرفوها عوجا فقد هدموا السنة
واستبدوا بالله واهبوا ان الارض قد
يورتها من يشاء من عباده والعاقبة للعتيق اعلموا
ايها المسلمون انيكم ودوسوا بقدامكم الحرافات
والخدجيل فيرى الله حكمكم ورسوله والمؤمنون
وسردون الى عالم النيب والشهادة فيبيكم بما كنتم
تعملون
اعلموا ايها الاخوان على الله وتوكلوا
على الله ترجعوا الى الله واستعينوا بالله والتجروا
الى الله
والر سكتوا الاحاد على المخلوق والائكل
على المخلوق والتوجه الى المخلوق فان المخلوق لا
يضر ولا ينفع وان كان من اشرف المخلوقات
فقد تسلككم بالاوليه وترسكم الله ولستم بيم
واعرض عن الله والتجأت اليهم في الشكائد ونسيم

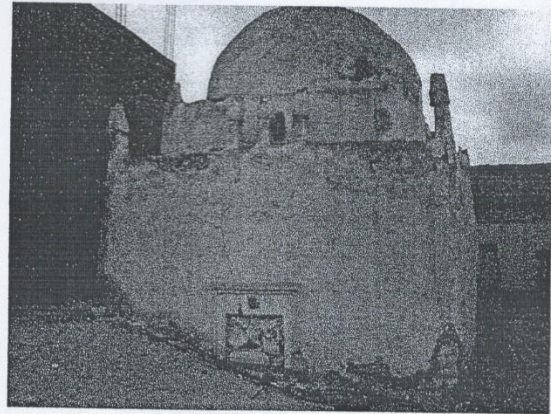
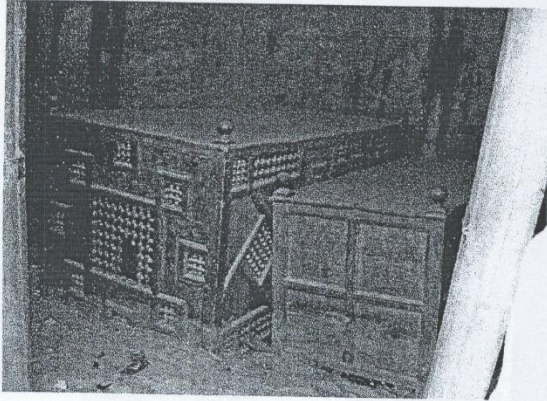
المصدر: جريدة البصائر: لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ع95، 12 ذي القعدة 1356هـ / 14 جانفي 1938م. ص 04

- 323 -

ملحق رقم 30: من أقدم الزوايا القادرية بسوف - الجزائر



صورة زاوية الشيخ محمد الهاشمي الشريف وضريحه



صورة زاوية الشيخ الإمام الشريف وضريحه

ملحق رقم 31: الزاوية القادرية "الشيخ المولدي بوعرقية بتوزر - تونس



ملحق رقم 32: مسجد الزاوية بتوزر - تونس



ملحق رقم 33: زاوية سيدي سالم الرحمانية بوادي سوف-الجزائر



المصدر: شبكة مزامير آل داوود القرآنية على الانترنت

<https://www.mazameer.com/vb/threads/134344/page-34>

ملحق رقم 34: الزاوية الرحمانية بنفطة- تونس



المصدر يوسف بن حيدة: المرجع السابق.

ملحق رقم 35: بوابة الزاوية التجانية بقمار - وادي سوف - الجزائر

الصورة قديمة قبل تجديد الزاوية

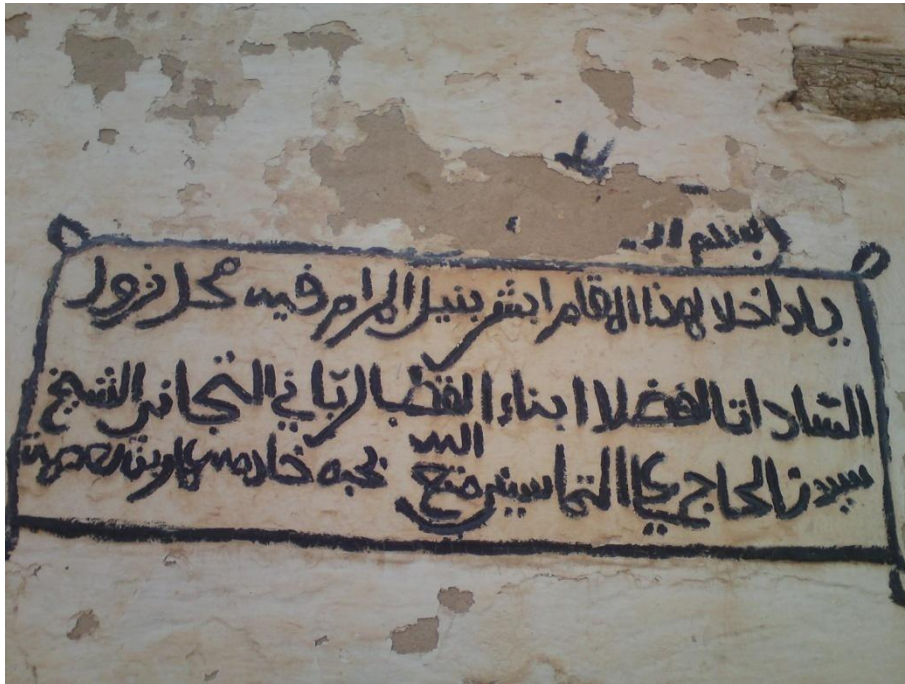


المصدر: موقع ابن عربي للدراسات العرفانية والصوفية [/https://al-sufia.com/article](https://al-sufia.com/article)

ملحق رقم 36: الزاوية التجانية بتماسين - الجزائر



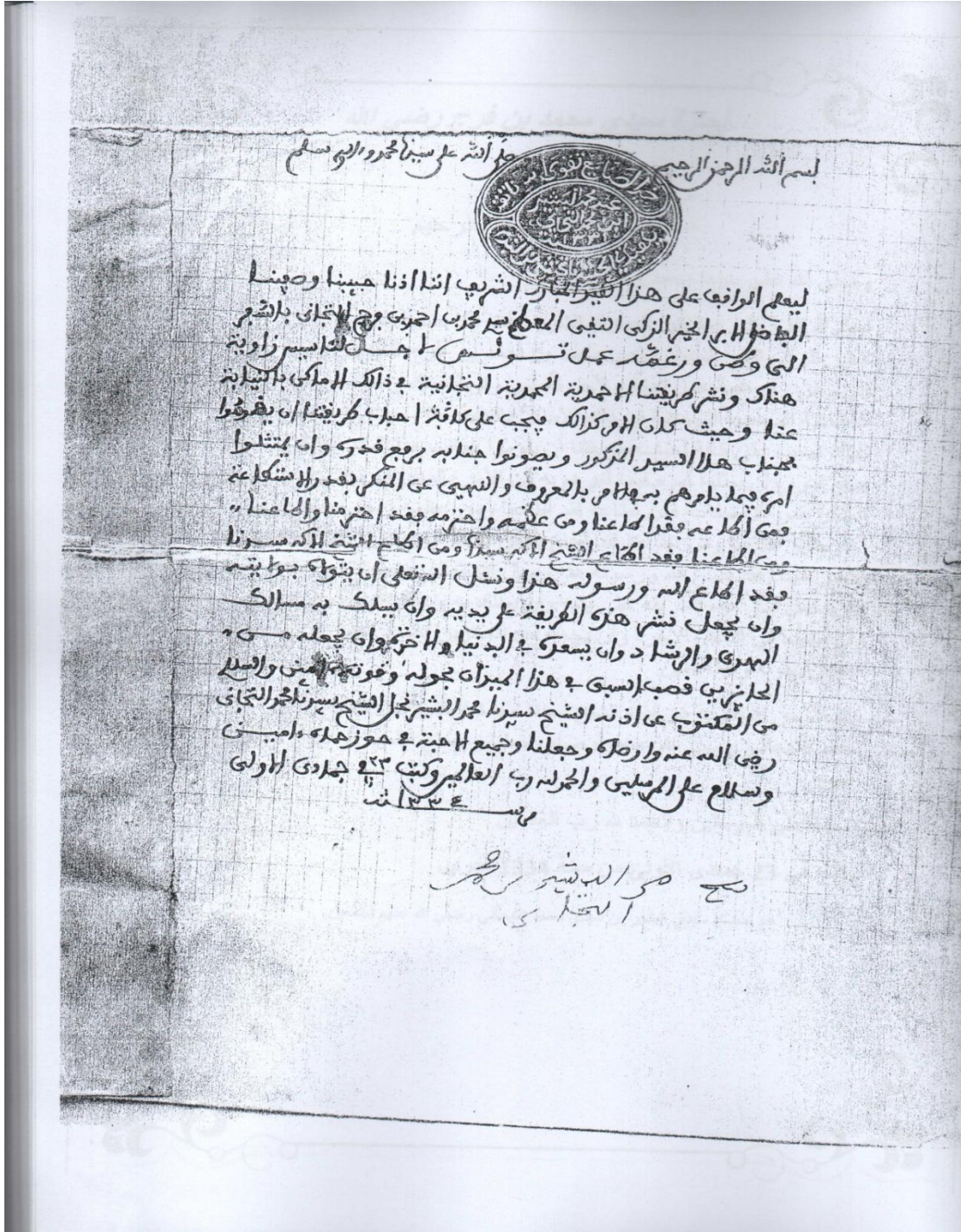
ملحق رقم 37: مقر إقامة شيوخ الزاوية التجانية التماسينية أثناء وجودهم بتوزر



النقط الباحث الصورة في شهر أوت 2016

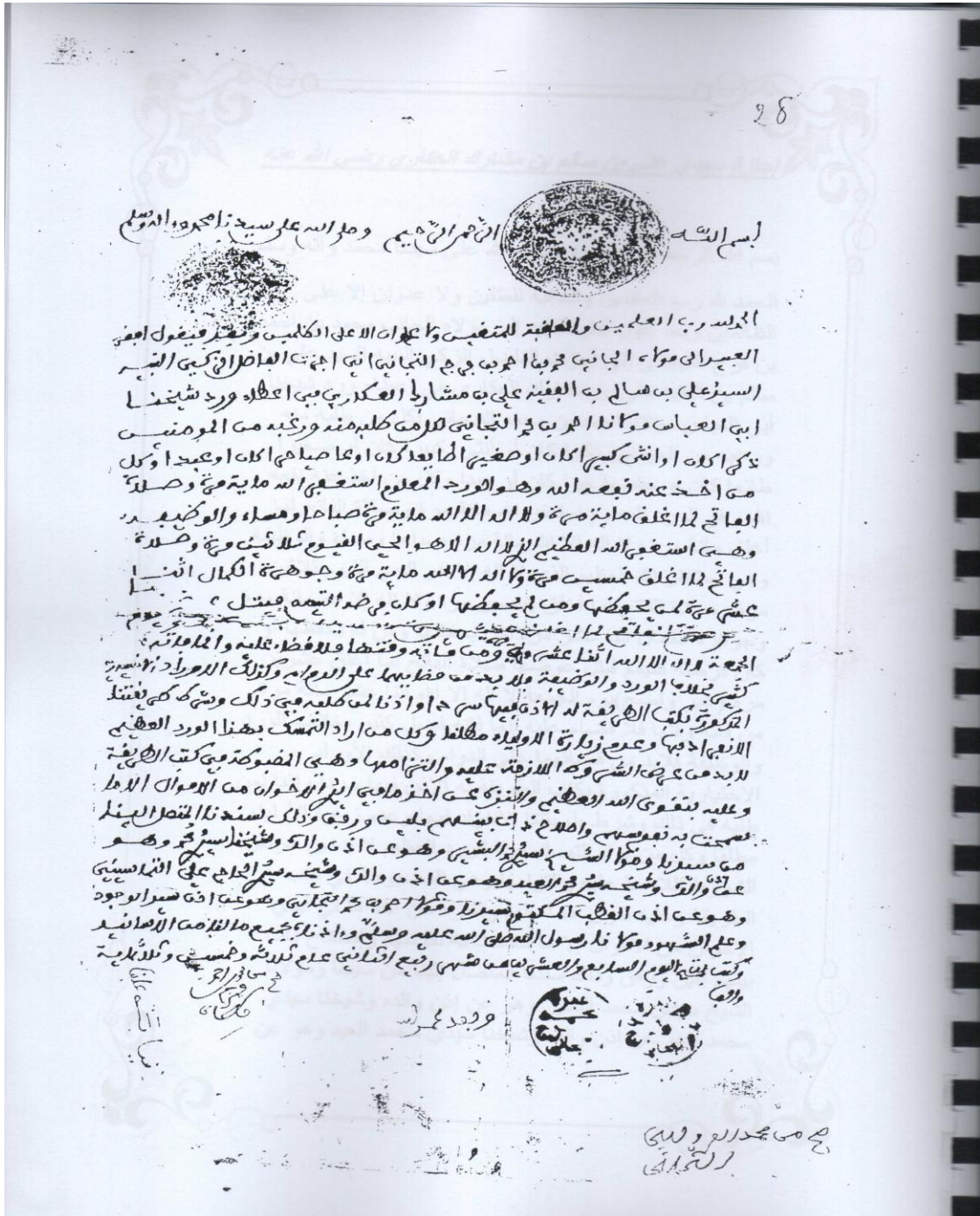
ملحق رقم 38: إجازة الشيخ محمد البشير بن محمد التجاني للشيخ محمد بن فرج السوفي

ويظهر من خلال الوثيقة أنه إذن له بالسفر الى ورغمة بجنوب تونس وبناء زاوية بها.



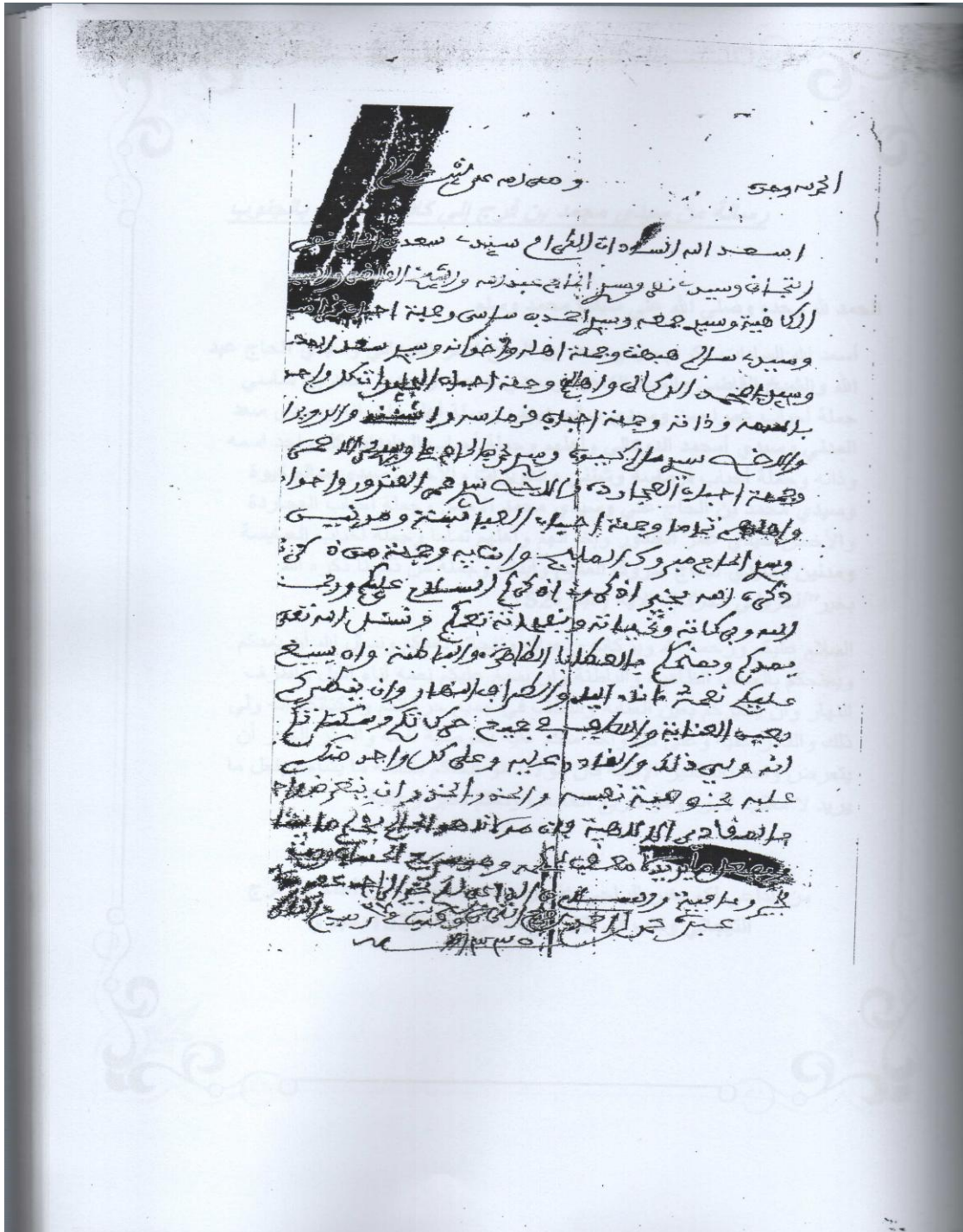
المصدر محمد رشدي جرایة: المرجع السابق.

ملحق رقم 39: إجازة الشيخ محمد بن فرج السوفي للشيخ علي بن سالم بن مشارك العكاري التونسي.



المصدر محمد رشدي جراية: المرجع السابق.

ملحق رقم 42: رسالة من الشيخ محمد بفرج الى كافة التجانيين بالجنوب التونسي



المصدر محمد رشدي جراية: المرجع السابق.

ملحق رقم 43: كلمات في لهجة سوف والجنوب التونسي أصولها تركية

الصفحة	الكلمة	شرحها
09	طزينة	التعداد 12 من كل شيء
14	باتاس	رجل دين مسيحي
16	خزناجي	متولي أمور الخزينة
18	بقلاوة	نوع من البسكويت المنزلي
18	بالاك	إيّاك
18	بالة	رفش
19	البابلك	الحاكم
28	تارزي	خياط
37	حولي	حايك: تلبسه النساء للتستر عند خروجهن من البيت
39	خيشة	قماش خشن للتغطية الخارجية
39	دادا	مربية الأطفال
40	دبوس	عصا غليظة للقتال
41	دربوكة	آلة موسيقية إيقاعية
42	دوبارة	أكلة شعبية من الحمص أو الفول يضاف إليه الطماطم والفلفل
42	دوزان	أدوات ضرورية لأي حرفة مثل الحدادة أو السباكة..
45	زردة	أكلة دسمة مشبعة
46	زرناجي	عازف على آلة موسيقية نفخية (غايطة)
46	زلابية	تحلية، تحضر من دقيق القمح المخلوط بكثير من الماء، وينضج في الزيت الساخن، ثم ينقع في العسل.
47	زوالي	فقير
48	سبسي	غليون
52	شرشيف، شراشف	حواشي غير مستوية للقماش من ستار ونحوه
52	شرشر	السائل إذا انسكب بغزارة

57	طابية	تحديد مساحة أرضية - عادة ما تكون مزرعة - بحوف ترابية عالية.
57	طاس	إناء يستعمل للشرب
57	طاوة	صفيحة حديدية لإنضاج الرغيف الرقيق
57	طابلة	أصلها مائدة اللعب، ثم أصبحت تطلق على كل طاولة
59	طنجرة	وعاء يستعمل لطبخ المرق ونحوه
68	قربي	كوخ
68	قربيلة	بندفية تقليدية لضرب البارود
69	قرقاف	مهنة طرز للنساء
70	قفطان	نوع من القماش
70	قمارجي	لاعب الميسر
71	مكاس السوق	جامع الضرائب من تجار السوق
71	قهواجي	بائع القهوة
74	كامنجة	آلة موسيقية وترية (آلة الكمان)
75	كشك	دكان صغير
78	لبلابي	حمص ينضج لوحده، بطريقة معينة، ويقدم مع الشاي، أو يؤكل لوحده كالمكسرات
79	ماينة	كلمة تستعمل للتذمر من الشخص، أو للتعجب.
81	معدنوس	بقدونس
82	ملوخية	أكلة معروفة
83	نغارة	التي تغير "من الغيرة"
83	نني	تقال للصغير طلبا لنومه

المصدر أنجز الباحث هذا الجدول اعتمادا على: محمد بن أبي شنب: المصدر السابق. صفحات متعددة.

بيبليوغرافيا الأطروحة

أولا - المصادر:

أ- أرشيف وثقايد وتقاير ومخطوطات:

- 1 الأرشفة التونسية، لا سيما الوثائق الآتية:
 - مجموعة A، علبة 277، ملف 4.
 - مجموعة A، علبة 278، ملف 1/14.
 - مجموعة D، علبة 97، ملف رقم 03/03.
 - مجموعة D، علبة 178، ملف 5/1.
 - مجموعة D، علبة 178، ملف 1/3.
 - مجموعة D، علبة 178، ملف 34/4.
 - مجموعة D، علبة 178، ملف 12/5D "déplacement de personnages religieux".
 - مجموعة D، علبة 178، ملف 15/5D.
 - مجموعة D، علبة 178، ملف 15/5D "personnages religieux".
 - مجموعة E، علبة 509، ملف 252. (الشباب السوفي الزيتوني).
- 2 أرشفة ملحقة متحف المجاهد بالوادي، الجزائر.
- 3 أرشفة ولاية الوادي، الجزائر.
- 4 التليي محمد الطاهر: من تاريخ وادي سوف، مخطوط، لدي نسخة منه.
- 5 سالمي مصطفى: الدر المصفي من ثقايد الشيخ سالمي مصطفى، جمع وتصنيف وتعليق علي غنابزية، مخ، لدي نسخة منه.
- 6 مجموعة من المريدين، ومضات من حياة المقدم سيدي محمد بن فرج التجاني، مخطوط بمكتبة زاوية الحمادين بلدية المقرن، الجامعة الصيفية، 2007
- 7 المرصد التونسي للبيئة والتنمية المستديمة: التقرير الجهوي حول وضعية البيئة بولاية تطاوين، أوربيس للطباعة، تونس، 2014.
- 8 المرصد التونسي للبيئة والتنمية المستديمة: التقرير الجهوي حول وضعية البيئة بولاية توزر، أوربيس للطباعة، تونس، 2014.
- 9 المرصد التونسي للبيئة والتنمية المستديمة: التقرير الجهوي حول وضعية البيئة بولاية قبلي، أوربيس للطباعة، تونس، 2014.

- 10 المرصد التونسي للبيئة والتنمية المستدامة: التقرير الجهوي حول وضعية البيئة بولاية مدنين، أوربيس للطباعة، تونس، 2014.
- 11 مصباح مصباحي: ومضات-من تجاربي التعليمية في تونس ومصر، مخطوط لدي نسخة منه سلمه لي كاتبه.
- 12 منظمة الأمم المتحدة-الصكوك الدولية لحقوق الانسان: تقرير دولة تونس، 1994.
- 13 Académie d'Alger: **bulletin Scolaire du du département de Constantine "Enseignement primaire"**, n° 7-8-9, Juillet-Aout-septembre, Année 1912.
- 14 L'administrateur "annexe d'El-oued", **Monographie**, archive de direction moudjahidine d'El-oued.
- 15 Annexe d'El-oued: **Note sur l'habitat**, archive de direction moudjahidine d'El-oued.
- 16 L'annexe d'El-oued: **rapport sur le souf (Ethnographique situation économique moyens d'organisation touristique)**, Art et Métiers indigènes, 1926, dans A. D. M. El, El-oued.
- 17 Bataillan Belvatte: **Renseignements sur la propriété (les cultures, le crédit et la situation commerciale) dans l'annexe d'El-oued**, 05 Novembre 1929.
- 18 Ecole d'indigènes d'Eloued: **Registre Matricule des élèves admis à l'école du 1886 à 1904.** السجل بمدرسة ميهي محمد بلحاج - بلدية الوادي
- 19 Ecole primaire preparatoire de garçons de Kuinine: **Registre Matricule des élèves de l'école du 01 Octobre 1921.** السجل بمدرسة ميهي محمد بلحاج-بلدية الوادي
- 20 Capitaine Ferry: **travaux dans l'annexe, plan d'urbanisme**, (1947-1948).
- 21 Jean Du bief: **Le climat du Sahara**, tome1, institut des recherches sahariennes, université d'Alger,
- 22 Jean Pigoreau: **L'émigration dans l'Annexe d'El-oued "Manuscrit"**, 1955.

- 23 Lucien Daviault: **une region du sud Constantinois "le Souf"**, document photocopie, 1940-1941.
- 24 G. Marty: **Les Algériens à Tunis**, Revue I.B.L.A, N° 43 et 44, Tunis, 11ème année, 3ème et 4ème trimestres, 1948.
- 25 **Note sur la calendrier coutumier Employé dans le souf**, 12 Octobre 1961, Debila, archive de wilaya d'El-oued.
- 26 Roger Leonard: **Les territoire du sud d'Algerie "compte rendu de l'œuvre accomplie de 1947-1952"**, Imprimerie officielle, Alger, 1945.
- 27 Capitaine Roger lesselle: **les Noires du Soiuf**, supplement au bulletin de liaison Saharien, S D.
- 28 Gaid Zobeidi si Hocine: **Histoire succinct de l'Administration du Souf dans les deux dernieres siecles avant l'Ariveé des Français**, 1952, Direction de Moudjahidine el-Oued.

ب- الكتب باللغة العربية والمعرية:

- 29 ابن أبي شنب محمد: **الكلمات التركمية المستعملة في اللهجة الجزائرية**, الدار القديمة جولي كاريونال، الجزائر، 1922.
- 30 ابن أبي الضياف أحمد: **الإتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**, الدار العربية للكتاب، 1999. ج 4 ص 7 ص 73-82.
- 31 ابن الأثير عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري: **الكامل في التاريخ**, تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ/1987م.
- 32 ابن الجوزي عبد الرحمان: **القرامطة**, تح محمد الصباغ، المكتب الاسلامي، دمشق وبيروت، ط5، 1981/1401.
- 33 ابن حزم الاندلسي أبو محمد علي: **جمهرة انساب العرب**, تح عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة-مصر، دت.

- 34 ابن حزم الاندلسي أبو محمد علي: **جوامع السيرة النبوية**، ضبطه وصححه عبد الكريم سامي الجندي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1424هـ/2003م.
- 35 ابن حوقل النصيبي أبو القاسم: **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، دط، 1992.
- 36 ابن خلدون عبد الرحمان: **تاريخ ابن خلدون "العبر"**، تح سهيل زكار و خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 08 أجزاء، 1421هـ/2000م.
- 37 ابن خلدون عبد الرحمان: **المقدمة**، اعتناء ودراسة أحمد الزعبي، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر، دت.
- 38 ابن الخوجة محمد: **صفحات من تاريخ تونس**، تح حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1986م.
- 39 ابن الخوجة محمد الحبيب، **شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور**، "3 أجزاء"، الدار العربية للكتاب، تونس، 2008م.
- 40 ابن عاشور عبد الواحد: **متن ابن عاشور "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين"**، صححه الأستاذ الشاذلي النيفر، دط، دس.
- 41 ابن عاشور محمد الطاهر: **أليس الصبح بقريب؟ "التعليم العربي الإسلامي"**، ط3، دار سحنون، تونس، 2010م.
- 42 ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله: **فتوح مصر والمغرب**، تح عبد المعمر عامر، شركة الأمل للطباعة والنشر، مصر، 1999.
- 43 الأغواطي الحاج ابن الدين: **مجموع رحلات**، تح أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011.
- 44 إيفالد كريستيان فرديناند: **رحلة المبشر إيفالد من تونس إلى طرابلس**، تر منير الفندري، بيت الحكمة-قرطاج، تونس، 1991.
- 45 التجاني أبو محمد عبد الله: **رحلة التجاني**، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1981.
- 46 التليلي محمد الطاهر: **من تاريخ وادي سوف**، مخ، "لدي نسخة منه".
- 47 التليلي محمد الطاهر: **هذه حياتي**، من إصدارات دار الثقافة-ولاية الوادي، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي-الجزائر، 2017.
- 48 الثعالبي عبد العزيز: **تونس الشهيدة**، تر سامي الجندي، ط1، دار القدس، بيروت-لبنان، 1975م.
- 49 الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر: **البيان والتبيين**، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، ط7، 1417هـ/1998.
- 50 حسان الجيلاني: **قصة العودة**، دار هومة، الجزائر، دط، 2011.

- 51 الحسيني الزبيدي محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، تح علي هلاي، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1407هـ/1987م.
- 52 الحفناوي أبو القاسم محمد: تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة فونتانة، الجزائر، 1906.
- 53 الدرجيني أبو العباس أحمد: طبقات المشايخ بالمغرب، تح إبراهيم طلاي، مطبعة البعث-قسنطينة، الجزائر، 1974.
- 54 المقدم دوماس: الصحراء الجزائرية-دراسات جغرافية إحصائية وتاريخية، جزء من كتاب الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم، تر عبد القادر ميهي، إصدار دار الثقافة-الوادي، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط1، 2015.
- 55 دي فارييه هنري: مذكرات الطريق-رحلة في الواحات الجزائرية والتونسية، 1860-1861، تر عبد القادر ميهي، من إصدارات دار الثقافة-الوادي، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط1، 2014.
- 56 دي لهارب: في الجنوب الجزائري-عبر جبال الاوراس وفي واحات سوف، جزء من كتاب الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم، تر عبد القادر ميهي، إصدار دار الثقافة-الوادي، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط1، 2015.
- 57 زاكون ج.: من باتنة إلى تقرت ثم إلى سوف، جزء من كتاب الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم، تر عبد القادر ميهي، إصدار دار الثقافة-الوادي، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر.
- 58 سارتر جان بول: عارنا في الجزائر، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، دت.
- 59 الشامسي مبروك: مذكرات نفيسة، مؤسسة إيموبال المطبعة العصرية-الوادي، الجزائر، د.ط، دت.
- 60 عباس فرحات: ليل الاستعمار، تر عبد العزيز بوباكير، دار القصبة-الجزائر، 2005م.
- 61 عبد الوهاب حسن حسني: خلاصة تاريخ تونس، تح حمادي الساحلي، دار الجنوب، تونس، 2015.
- 62 العدوان محمد: تاريخ العدواني، تحقيق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، طبعة خاصة، الجزائر، 2011.
- 63 العوامر إبراهيم: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق الجيلاني العوامر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1397/1977.
- 64 العياشي عبد الله بن محمد: الرحلة العياشية 1661-1663، تح سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي-الإمارت، 2006.
- 65 الفيروزآبادي محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، دار الهدى-عين مليلة، الجزائر، 2011.
- 66 القشيري أبو القاسم عبد الكريم: الرسالة القشيرية، تح خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2005.

- 67 قودفروا ب.: برنامج السكة الحديدية في أقاليم الجنوب، جزء من كتاب الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم، تر عبد القادر ميهي، إصدار دار الثقافة-الوادي، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط1، 2015.
- 68 كات أ.: رحلة عبر الصحراء، جزء من كتاب الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم، تر عبد القادر ميهي، إصدار دار الثقافة-الوادي، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط1، 2015.
- 69 كوفي جستون: غراسة النخيل في سوف "مذكرات 1900-1901"، تر عبد القادر ميهي، من إصدارات دار الثقافة-الوادي، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط1، 2013.
- 70 كوفي جستون: مذكرات حول سوف والسوافة، تر عبد القادر ميهي، من إصدارات دار الثقافة-الوادي، مطبعة الرمال-الوادي، الجزائر، ط1، 2016.
- 71 لارجو فكتور: الصحراء الجزائرية-صحاري العرق، جزء من كتاب الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم، تر عبد القادر ميهي، إصدار دار الثقافة-الوادي، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط1، 2015.
- 72 المدني أحمد توفيق: جغرافية القطر الجزائري، مطبعة الشريف، تونس، دت.
- 73 المدني أحمد توفيق: هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1956.
- 74 "معامير" محمد الساسي بن الحاج محمد الساسي: التقويم الجزائري العام، منشورات المكتبة التونسية، مطبعة النجاح، تونس، 1927.
- 75 الوارجلاني أبو زكرياء يحي بن أبي بكر: سير الأئمة وأخبارهم، تح أسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1984.
- 76 الوزان الحسن: وصف إفريقيا، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط2، 1983.
- 77 الوزاني محمد الحسن: مذكرات حياة وجهاد، الناشر مؤسسة محمد حسن الوزاني، طبع مؤسسة جود للطباعة والتصوير، بيروت-لبنان، ط1، 1404هـ/1984م.

ت- الكتب باللغة الأجنبية:

- 78 Ahmed Nadjah: **le Souf des Oasis**, Edition la maison des livres, Alger, 1971.

- 79 C.L. Bataillon: **Le souf monographie**, institut de recherche sahariennes, université d'Alger, 1953.
- 80 Charles Etienne Lutaud: **Expose de la situation generale de Territoire du Sud**, lypographie Adolphe Jordan, 1908.
- 81 Docteur Escard: **Etude médicale et climatologique sur le pays d'El-oued Souf**, publié dans les Archives de médecines militaire, T7, 1886.
- 82 Général P. J. André: **Confreries Religieuse Musulmanes**, Edition la maison de livre, Alger, 1956.
- 83 Gouvion Marthe et Edmond: **Kitab Aayan El-Maghariba**, Imprimerie orientale Fontan a frères, Alger, 1920.
- 84 Gouvernement Generale de l'Algerie: **le terittoire du sud de l'Algerie**, Imprimerie Algerienne, Alger, 1929.
- 85 Jeanne Scelles Millie: **Contes Sahariens du souf**, Maisonneuve et larose, Paris, France, 1964.
- 86 Jocelin Bureau: **La question anti-esclavagiste**, conférence donnée le 14 avril 1889 dans l'oratoire protestant de Tunis, Imprimerie Franco-tunisienne, Tunis, 1889.
- 87 Luis Rinn: **Histoire de l'Insurrection de 1871 en Algerie**, Alger, 1891.
- 88 Marc-Robert Tomas: **Sahara et communaute**, presses universitaires de France led, Paris, 1960.
- 89 le Colonel Noellat: **l'Algerie en 1882**, librairie Militaire, Paris, France, 1882.

- 90 Régence de Tunis: **Protectorat Français**, Girection de l'Intérieur, dénombrement de la population civile Tunisien le 20 avril 1926, Imprimé 1926, Tunis.
- 91 Souad Selami: **Touggourt Esquisse Historique**, les imprimeries du sud, Ouargla, Algerie, 1998.
- 92 Thomas Shaw: **Voyage dans la régence d'Alger**, ou Description géographique, physique, philologique, etc, Marlin-Paris, 1830.

ثانيا - المراجع:

أ- الكتب المطبوعة:

- 93 ابن عاشور محمد عبد العزيز: **جامع الزيتونة، المعلم ورجاله**، دار سراس للنشر، تونس، 1991.
- 94 البخترى أحمد: **الجديد في أدب الجريد**، الشركة التونسية للتوزيع، 1973.
- 95 بركة بسام: **قاموس فرنسي-عربي**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2005.
- 96 بستودارد لوثرو: **حاضر العالم الإسلامي**، تع عجاج نويهض، ط 4، المجلد الأول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- 97 بسر عبد الحميد: **الشهيد القائد الطالب العربي قمودي**، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط1، 2014.
- 98 بشي إبراهيم العيد: **تاريخ مختصر لأهم حضارات الشرق القديمة**، دار هومة، الجزائر، 2007.
- 99 بشير عبد الرحمان: **اليهود في بلاد المغرب العربي 22-462هـ/642-1070م**، عين للبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط1، 2001.
- 100 بطاش علي: **لمحة تاريخية عن منطقة القبائل حياة الشيخ الحداد وثورة 1871**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 2010.
- 101 بلغيث محمد الأمين: **الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشاذلية**، دار كتاب الغد للنشر والتوزيع، جيجل-الجزائر، ط2، 2007.
- 102 بن جراد بلقاسم: **قابس عبر التاريخ**، مطبعة الخدمات الشريعة-قابس، تونس، 2001.
- 103 بن خليف مالك: **الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس**، ط1، دار طليطلة، الجزائر، 1432هـ/2010م.

- 104 بن عبد الله محمد: الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني، مطبوعات الحاج عبد السلام، مصر، دت.
- 105 بن عمر محمد فضيل: تاريخ وأنساب المصاعبة-أولاد أحمد-الأعشاش-الفرق الهلالية، مطبعة الرمال-الوادي، الجزائر، ط2، 2016.
- 106 بوزياني الدراجي: القبائل الأمازيغية، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.
- 107 بوسماحة عبد الحميد: رحلة بني هلال إلى الغرب-وخصائصها التاريخية، الاجتماعية والاقتصادية، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
- 108 بوعزيز يحي: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.
- 109 بوعزيز يحي: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار الهدي عين مليلة، الجزائر، 2004.
- 110 التجاني محمد العربي بن محمد السائح الشرقي العمري: بغية المستفيد لشرح منية المريد، ضبط وتصحيح عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.
- 111 تركي رابح: أصول التربية والتعليم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1990.
- 112 تركي رابح: الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم (1900-1940)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د-ت)
- 113 ترمنجهام سبنسر: الفرق الصوفية في الإسلام، ترجمة ودراسة وتعليق عبد القادر البحراوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 1997.
- 114 الجابري محمد الصالح: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900م-1962م، الدار العربية للكتاب، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس والجزائر، 1983م.
- 115 الجزائري محمد حاج عيسى: نبذة عن تاريخ الطرق الصوفية في الجزائر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 2011.
- 116 جعفر عبد الوهاب: البنيوية في الانثروبولوجيا وموقف سارتر منها، دار المعارف، مصر، 1989.
- 117 الجيلالي عبد الرحمان: تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، ط2، 1384هـ / 1965م.
- 118 حارش محمد الهادي: التاريخ المغربي القديم - السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، دط، دت.
- 119 الحباشي محمد علي: عروش تونس، المغاربية للطباعة وأشهار الكتب، تونس، ط1، 2016.
- 120 حليس يوسف: الموسوعة النباتية لمنطقة سوف، مطبعة الوليد-الوادي، الجزائر، 2007.
- 121 الخوند مسعود: الموسوعة التاريخية الجغرافية، مؤسسة هانيد، لبنان.
- 122 ديّوز محمد علي: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة العربية، ط1، الجزائر، 1971م.

- 123 الدقر عبد الغني: الإمام مالك بن أنس-إمام دار الهجرة، ط2، دار القلم، بيروت-لبنان، 1990.
- 124 دي باتي دي كلام أوغست-أنطوان: ومضات من تاريخ نفطة، تع لطفي الطرودي، مطبعة الجريد، نفطة، 2009.
- 125 زروقة عبد الرشيد: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913-1940)، ط1، دار الشهاب، بيروت-لبنان، 1999/1420.
- 126 زوزو عبد الحميد: الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919-1939)، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- 127 الساحلي حمادي: فصول في التاريخ والحضارة، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992.
- 128 سحنوني محمد: ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
- 129 سعد الله أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011.
- 130 سعد الله أبو القاسم: أفكار جامعة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
- 131 سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1998.
- 132 سعد الله أبو القاسم: تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.
- 133 سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1992م.
- 134 سعد الله أبو القاسم: خارج السرب-مقالات وتأملات، دار البصائر، الجزائر، ط2، 2009.
- 135 سعد الله أبو القاسم: قضايا شائكة، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990.
- 136 سعيدوني ناصر الدين: ورقات جزائرية-دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر، ط2، 2008.
- 137 سلطاني رشيد: تاريخ سوف-النشأة التكوين التطور، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط1، 2016.
- 138 الشابي علي: تاريخ الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني، دار نقوش عربية، تونس، ط1، 2015.
- 139 شاربونو أغسطس: ملخص حول تاريخ أسرة بني جلاب-سلاطين تقرت، جزء من كتاب الصحراء الجزائرية في انطباعات المستكشفين الفرنسيين الأوائل ودراساتهم، تر عبد القادر ميهي، إصدار دار الثقافة-الوادي، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط1، 2015.
- 140 الشريف محمد الهادي: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تع محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993م.
- 141 شهيبي عبد العزيز: الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007، الجزائر، د ت.
- 142 الشيخ أبو عمران: قضايا في الثقافة والتاريخ، منشورات ثالة-الايبار، الجزائر، ط2، 2006.

- 143 ضيف الله محمد: نوافذ على تاريخ نفزاوة، المغاربية للطباعة، تونس، 2008.
- 144 عبد الرزاق إبراهيم: أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، مكتبة مدبولي، مصر، دت.
- 145 عبد الساتر لبيب: الحضارات، دار المشرق-بيروت، لبنان، ط16، 2003.
- 146 عبد الله الطاهر: الحركة الوطنية التونسية-رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956، ط2، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة-تونس، دت.
- 147 العجيلي التليلي: الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1881-1939)، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، 1992م.
- 148 العروبي عبد الله: مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000.
- 149 عقون محمد العربي: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، دار الهدى-عين مليلة، الجزائر، 2008.
- 150 العمامرة سعد ومنصوري أحمد: أعلام من سوف، شركة مزوار للطباعة والنشر والإشهار والتوزيع، الوادي.
- 151 عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ربحانة للنشر والتوزيع، القبة-الجزائر، 2002م.
- 152 عوادي سمير: قرية تغزوت بوادي سوف، دار هومة، الجزائر، 2013.
- 153 عوادي عمار: كتابات ووثائق من تاريخ وادي سوف، دار هومة، الجزائر، 2011.
- 154 عيسى عبد القادر: حقائق عن التصوف، دار العرفان، حلب-سوري، ط16، 1428هـ/2007م.
- 155 الغالي بلقاسم: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور-حياته وآثاره، ط1، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، 1417هـ/1996م.
- 156 غريسي علي: الطريقة التجانية في الجنوب التونسي-أعلامها وزواياها، إصدار الزاوية التجانية-تماسين، مطبعة سيب بكوينين-الوادي، الجزائر، ط1، 1435/2014.
- 157 غنابزية علي: أدوار الكفاح المسلح في وادي سوف والجنوب الشرقي الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي 1854-1962، إصدار مديرية الثقافة بالوادي، مطبعة الوادي، الجزائر، ط1، 2016.
- 158 غنابزية علي: دراسات في تاريخ المقاومة الثقافية بالجزائر للحفاظ على الهوية الوطنية، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط1، 2012.
- 159 غنابزية علي: الشيخ محمد بن عمر العدواني-حياته ومآثره، إصدار دار الثقافة بالوادي، مطبعة الرمال-الوادي، الجزائر، ط1، 2015.
- 160 غنابزية علي: مساهمات علماء وادي سوف في النهضة العلمية والحركة الصحفية الوطنية 1900-1986، إصدار مديرية الثقافة بالوادي، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط1، 2014.
- 161 غنابزية علي: النشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف 1931-1938، القباب، ع01، جوان 2004.

- 162 فوزان أندري روجي: سوف مونوغرافيا، تر أبو بكر مراد، دار المعرفة، د.ط، الجزائر، 2016.
- 163 فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002.
- 164 فيلالي مختار: نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الجرافيك للطباعة والنشر، باتنة-الجزائر، 1976.
- 165 قدح محمد العيد: الجهود التعليمية للشيخين ابن عاشور وابن باديس - دراسة مقارنة، مطبعة نور للنشر، ألمانيا، 2017.
- 166 قدح محمد العيد: الشيخ الحسين حمادي - دوره الاجتماعي ونشاطه العلمي والتربوي بتونس ووادي سوف 1902-1982م، ط1، مطبعة ذويب، الوادي-الجزائر، 2013.
- 167 القصاب أحمد: تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)، تع حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، 1986م.
- 168 قمعون عاشوري: الشعر الصوفي في بلد سوف-الشاعران محمد بن تواتي السوفي وأحمد بن عمر السدادي، دار الثقافة، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط1، 2015.
- 169 قمعون عاشوري: الشيخان، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، ط1، 2010.
- 170 قمعون عاشوري، العلامة الموسوعي الشيخ حمزة بوكوشة، ط1، مطبعة صخري، الوادي-الجزائر، 1433هـ/2012م.
- 171 قمعون عاشوري: ديوان الشيخ العلامة إبراهيم بن عامر السوفي (1351-1292/1875-1932م)، مديرية الثقافة، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط1، 2013.
- 172 الكوثري محمد زاهد: البحوث السنية عن بعض رجال أسانيد الطريقة الخلوتية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2004.
- 173 لبيض سالم: تاريخ شبه جزيرة جرجيس من العصور القديمة إلى نهاية الاحتلال الفرنسي، الشركة العامة للطباعة-سوجيم، تونس، ط1، 2001.
- 174 ماسينيون وعبد الرزاق مصطفى: التصوف، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، ط1، 1984.
- 175 المباركفوري صفي الرحمان: الرحيق المختوم، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1420هـ/2000م.
- 176 المحجوبي علي: انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تع عمر بن ضو وحليمة قرقوري وعلي محجوبي، سراس للنشر، تونس، 1986م.
- 177 محفوظ محمد: تراجم المؤلفين التونسيين، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان 1982.
- 178 محمد فخر الدين تراي: الأطلس الشامل للجزائر والمغرب العربي، منشورات العوادي، عين البيضاء-الجزائر، 2011.

- 179 المرزوقي محمد والمرزوقي علي: ثورة المرزوقي 1943 بالجنوب الغربي التونسي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1979.
- 180 مرمول محمد الصالح: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
- 181 مريوش احمد وآخرون: الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- 182 منصوري أحمد بن الطاهر: الدر المرصوف في تاريخ سوف، مطبعة الحفيد-الوادي، الجزائر، ط1، دت.
- 183 موعدة محمد: محمد الخضر حسين-حياته وآثاره، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974.
- 184 مورو محمد: الجزائر تعود لمحمد □، المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، 1992م.
- 185 مياسي إبراهيم: الصحراء الجزائرية في ضلال وادي سوف، دار هومة، الجزائر، 2014.
- 186 الملي مبارك: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق محمد الملي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، دت.
- 187 نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر-من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت-لبنان، ط2، 1400هـ/1980م.
- 188 هلال عمار: الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، بمناسبة الذكرى الثلاثين للثورة التحريرية 1984، الجزائر، دت.
- 189 هلال عمار: العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين 19-20م / 13-14 هـ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
- 190 يفريموفا ناتاليا وسلوم توفيق: معجم العلوم الاجتماعية مصطلحات وأعلام، ط1، دار التقدم-موسكو، بيروت، 1992.
- 191 يوشع بشير قاسم: وثائق تجارية اجتماعية 1228-1310هـ، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، غدامس، ط2، 1982.

ب- المقالات في الصحف والمجلات والمدونات:

- 192 ابراهاردت ايزابيل: ساعة صلاة المغرب، تر عبد القادر ميهي، مجلة القباب، تصدر عن دار الثقافة بالوادي، الجزائر، ع01، جوان 2004.
- 193 ابن باديس عبد الحميد: العلامة الأستاذ الشيخ المكي بن عزوز، مجلة الشهاب، ج1، مج13، عدد 01 محرم 1356هـ/14 مارس 1937م.
- 194 البشري طارق: حول تجديد الخطاب الديني ومشاكله، مجلة الحج والعمرة، شهرية تصدر عن وزارة الحج، السعودية، السنة 57، ع05، رجب 1423هـ/سبتمبر-أكتوبر 2002.

- 195 بن تمسك مصطفى: تطور التعليم في تونس من التعدد إلى التوحيد. مقال من موقع منتديات مكتبتنا العربية - تاريخ الاطلاع 2014/02/17.
- 196 بن حيدة يوسف: التواصل الطرقي بين الجنوب الشرقي الجزائري ومنطقة الجريد خلال القرن 19م، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التوصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس 11/10 نوفمبر 2013، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر.
- 197 بن زروال جمعة: هجرة زعماء الطرق الصوفية التونسية نحو الجزائر ونشاطهم السياسي والديني الشيخ سيدي علي نفطي والحاج محمد لخضر السهيلي أنموذجا، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التوصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس 11/10 نوفمبر 2013، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر.
- 198 بن محمود محمد المختار: حكم الله في التجنيس، الزيتونية-مجلة شهرية تصدر عن جامع الزيتونة، مج01، ج10، ربيع الثاني 1356هـ/جوان 1937.
- 199 بن موسى موسى: الحركة الإصلاحية بوادي سوف، مجلة الشهاب الجديد، ع01، أبريل 2006.
- 200 بنهدا طارق: ميسّة.. وقصة أول عيد عرش في تاريخ المغرب، مجلة هسبريس "أول مجلة إلكترونية مغربية" تاريخ الاطلاع: 08 أكتوبر 2019. <https://www.hespress.com/societe/59349.html>
- 201 بوعزيز يحي: أوضاع في الجزائر خلال ثورة أول نوفمبر، مجلة الشهاب الجديد، عدد03، الجزائر، 2004.
- 202 التايب عائشة: المجموعات القبلية بأقصى الجنوب التونسي وهجرة العمل المؤقتة، مدونة أعمال الندوة الدولية الثانية عشر حول "الجنوب التونسي من الاحتلال إلى الاستقلال 1881-1956، المنعقد بتونس أيام 6 و7 و8 ماي 2004"، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، سلسلة تاريخ الحركة الوطنية، عدد 12، تونس، 2005.
- 203 تواتي حسين: بن ناصر بن شهرة والشريف بوشوشة أنموذجان بارزان لوحدة القضية الجزائرية والروح الوطنية، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع04، صفر 1436/ديسمبر 2014.
- 204 تيته ليلى: موقف بعض الزوايا والطرق الصوفية بالجنوب الشرقي الجزائري وتونس من مسألة مشاركة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التوصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس 11/10 نوفمبر 2013، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر.
- 205 جرابية محمد رشدي: إنتشار الطريقة التجانية من بلاد سوف الى تونس (جهود الداعية سيدي محمد بن فرج بالجنوب التونسي أنموذجا)، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التوصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس 11/10 نوفمبر 2013، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر.

- 206 جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: حول مساجين العلماء-هل في سجن الكدية ما يذكرنا بـ (الباستيل)؟ جريدة البصائر، السنة 04، عدد 178، 11 أوت 1939.
- 207 جمعية العلماء المسلمين الجزائريين-شعبة الوادي: الزيارة التاريخية لوفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس لوادي سوف سنة 1937م، الشهاب الجديد، ع1، ربيع الأول 1427هـ/أبريل 2006م.
- 208 جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: ماذا تعرف عن سوف؟ بعد الاعتقال الضغط والاضطهاد، جريدة البصائر، السنة 03، ع 112، 06 ربيع الأول 1357/06 ماي 1938.
- جريدة البصائر، السنة 03، ع134، 07 أكتوبر 1938. ص01.
- 209 حسني عبد الوهاب حسن: أثر تاريخي معاصر لجامع الزيتونة، الزيتونية-مجلة شهرية تصدر عن جامع الزيتونة، مج04، ج06، 06 صفر 1360/مارس 1941.
- 210 حميد عبد القادر: لماذا حُرقت كتب جان بول سارتر بالجزائر؟ مقال نشر في جريدة المستقبل الإلكترونية، يوم 20/03/2010.
- 211 الحناشي عبد اللطيف: أقصى الجنوب التونسي-من المقاومة العنيفة العفوية إلى المقاومة المنظمة (آليات خصوصيات وحدود الانتقال والانتشار)، مدونة أعمال الندوة الدولية الثانية عشر حول "الجنوب التونسي من الاحتلال إلى الاستقلال 1881-1956، المنعقد بتونس أيام 6 و7 و8 ماي 2004"، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، سلسلة تاريخ الحركة الوطنية، عدد 12، تونس، 2005.
- 212 خزان كمال: يهودية من الوادي-جان لونوا، مجلة القباب، -دار الثقافة بالوادي-الجزائر، ع8، ديسمبر 2014. ص 70.
- 213 الدفتردار محمد سعيد: من أعلام المدينة المنورة (صاحب الفضيلة العلامة المحدث السلفي الشيخ عمار بن عبد الله بن الطاهر بن أحمد الهلالي الجزائري المدرس بالمسجد النبوي الشريف عليه رحمة الله)، مجلة المنهل، ج08، السنة 35، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، شعبان 1389هـ/أكتوبر 1966. ص ص 1105-1106.
- 214 زغب أحمد: صدى الحركة الإصلاحية بوادي سوف، القباب، ع01، جوان 2004.
- 215 زغودة محمد التجاني: الشيخ الطاهر التليلي كما عرفته، من مدونة الندوة الفكرية الرابعة، العلامة عبد القادر الياجوري.
- 216 زقب عثمان: نماذج من سياسة التقييد والرقابة للإدارة الاستعمارية على التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1881-1954 (وادي سوف أنموذجا)، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى

- الدولى حول: التوصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس 11/10 نوفمبر 2013، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر.
- 217 السعيداني المنجي: **جامع الزيتونة المعمور** منارة للعلم والمعرفة على مر العصور، الشرق الأوسط-جريدة العرب الدولية، العدد 10572.
- 218 سعيدة زيزاح: **ظاهرة الطرق الصوفية بالجزائر "الطريقة التجانية نموذجاً"**، الملتقى الدولي الحادي عشر، التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، العدد الاول، منشورات جامعة أدرار، المطبعة العربية، غرداية-الجزائر، 2008.
- 219 سميح صابر: **نفطة بوابة الصحراء تخلّد خليف**، جريدة دنيا العرب، الجمعة 2010/10/08.
- 220 الشهاب الجديد: **الشيخ الثائر عبد العزيز الشريف**، ع01، أبريل 2006.
- 221 ضيف الله محمد: **في مسألة العلاقة بين الاعيان والاستعمار في الجنوب (القايد سعيد بن نصر نموذجاً)**، مدونة أعمال الندوة الدولية الثانية عشر حول "الجنوب التونسي من الاحتلال إلى الاستقلال 1881-1956، المنعقد بتونس أيام 6 و7 و8 ماي 2004"، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، سلسلة تاريخ الحركة الوطنية، عدد 12، تونس، 2005.
- 222 الطباي حفيظ: **حول أزمة المجتمع الرعوي التقليدي خلال الفترة الاستعمارية ومسار إخضاع البداوة (مثال جهة قفصة)**، مدونة أعمال الندوة الدولية الثانية عشر حول "الجنوب التونسي من الاحتلال إلى الاستقلال 1881-1956، المنعقد بتونس أيام 6 و7 و8 ماي 2004"، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، سلسلة تاريخ الحركة الوطنية، عدد 12، تونس، 2005.
- 223 عطية عبد الكامل: **نماذج من الرحلات العلمية للطلبة "السوافة" نحو القطر التونسي قبل اندلاع الثورة التحريرية 1954م**، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التوصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس 11/10 نوفمبر 2013، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر.
- 224 عقيب محمد السعيد: **جمعية الشباب السوفي الزيتوني**، مجلة البحوث والدراسات-المركز الجامعي بالوادي-الجزائر، ع3، جمادى الاولى 1427هـ/جوان 2006م.
- 225 عقيب محمد السعيد: **الشيخ الحسين حمادي ونشاطه التعليمي في تونس ووادي سوف**، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التوصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس 11/10 نوفمبر 2013، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر.
- 226 علي بن حراث: **أسباب تركيز الرحلة العلمية الجزائرية على تونس**، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التوصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس 11/10 نوفمبر 2013، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر.

- 227 علية الصغير عميرة: **نفزاوة زمن الاستعمار وجدلية الخضوع والمقاومة (1881-1956)**، مدونة أعمال الندوة الدولية الثانية عشر حول "الجنوب التونسي من الاحتلال إلى الاستقلال 1881-1956، المنعقد بتونس أيام 6 و7 و8 ماي 2004"، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، سلسلة تاريخ الحركة الوطنية، عدد 12، تونس، 2005.
- 228 عمارة محمد: **من أعلام الاجتهاد الإسلامي الحديث الإمام الأكبر الشيخ الخضر حسين**، مجلة الدوحة، ماي 1986.
- 229 غانمي عمرو سعيد: **الطريقة التجانية ودورها في نشر الإسلام في غرب إفريقيا**، المؤتمر الدولي "الإسلام في إفريقيا، 06-07-08 ذوالقعدة 1427هـ/26-27 نوفمبر 2006م"، جامعة إفريقيا العالمية، ليبيا.
- 230 غنابزية علي: **دراسة تاريخية لمناهج تعليم القرآن الكريم بين الماضي والحاضر** "مجتمع وادي سوف نموذجاً"، مجلة البحوث والدراسات-المركز الجامعي بالوادي-الجزائر، ع4، محرم 1428هـ / يناير 2007م.
- 231 غنابزية علي: **رحلات الشيخ محمد الخضر حسين للجزائر (1903-1905) أهدافها الاستراتيجية وأثرها على الحركة العلمية بالمجتمع الجزائري**، المجلة التاريخية المغاربية (العهدان الحديث والمعاصر)، منشورات مؤسسة التميمي-تونس، س41، ع 154/155، فيفري/شباط 2014.
- 232 غنابزية علي: **الشيخ عبد القادر الياقوري-المصلح المجاهد**، جريدة النبأ، ع222، 25 ديسمبر-01 أكتوبر 1995.
- 233 قاصري محمد السعيد: **الطرق الصوفية ودورها في التواصل الحضاري والثقافي بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس**، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: **التوصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس** 10/11 نوفمبر 2013، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر.
- 234 القسنطيني الكراي: **التراب العسكري والمواجهة السياسية مع الاستعمار (حادثة الجرف مارس 1950) تداعياتها وخلفياتها**، مدونة أعمال الندوة الدولية الثانية عشر حول "الجنوب التونسي من الاحتلال إلى الاستقلال 1881-1956، المنعقد بتونس أيام 6 و7 و8 ماي 2004"، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، سلسلة تاريخ الحركة الوطنية، عدد 12، تونس، 2005.
- 235 قمعون عاشوري: **دور الشيخ العلامة أحمد العبيدي في الجهاد العلمي**، مجلة البحوث والدراسات-المركز الجامعي بالوادي-الجزائر، ع4، محرم 1428هـ/يناير 2007م.
- 236 قمعون عاشوري: **دور عائلة إبراهيم بن أحمد الشريف في الحركة الوطنية الجزائرية**، مجلة البحوث والدراسات-المركز الجامعي بالوادي-الجزائر، ع3، جمادى الاولى 1427هـ/جوان 2006م.

- 237 قمعون عاشوري: الشيخ الهاشمي حسني (1320-1410هـ/1902-1989م) ودوره في الحركة الإصلاحية والوطنية، مجلة الباحث-المركز الجامعي بالوادي-الجزائر، ع1، يونيو 2010م.
- 238 قمعون عاشوري: العلاقات الثقافية بين وادي سوف وبلاد الجريد التونسية، المجلة التاريخية المغربية (العهدان الحديث والمعاصر)، منشورات مؤسسة التميمي-تونس، س42، ع160، جويلية/يوليو 2015.
- 239 كحول عباس: الجريد التونسي القاعدة الخفية للزوايا العزوزية والمقاومة الوطنية في الجنوب الشرقي الجزائري، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التوصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس 11/10 نوفمبر 2013، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر.
- 240 الماجري عبد الكريم: السوافة بالبلاد التونسية من خلال المصادر الأرشيفية : الأهمية العديدة وإسهاماتهم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية (1860-1960)، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التوصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس 11/10 نوفمبر 2013، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر.
- 241 ماكن ريشارد: لوي ماشوال والإصلاح التربوي بتونس خلال السنوات الأولى للحماية الفرنسية، المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر، ع03 جانفي 1975م، تونس.
- 242 محمود أحمد أبو حسان جمال: الإمام محمد الطاهر بن عاشور "سيرة ومواقف"، المجلة الاردنية في الدراسات الإسلامية، مج5، ع2/أ، 1430هـ/2009م.
- 243 المكني عبد الواحد: أهالي الجنوب التونسي بالحاضرة خلال الفترة الاستعمارية (الخصائص والإسهامات)، مدونة أعمال الندوة الدولية الثانية عشر حول "الجنوب التونسي من الاحتلال إلى الاستقلال 1881-1956، المنعقد بتونس أيام 6 و7 و8 ماي 2004"، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، سلسلة تاريخ الحركة الوطنية، عدد 12، تونس، 2005.
- 244 مياسي ابراهيم: وقفة عند الذكرى المائة والخمسين لمعركة المقرين، مجلة القباب-دار الثقافة بالوادي-الجزائر، عدد خاص بالثورة، 2005.
- 245 ميهي عبد القادر: برنامج السكة الحديدية بالجنوب، مجلة القباب-دار الثقافة بالوادي-الجزائر، ع8، ديسمبر 2014، ص19.
- 246 النيفر محمد الشاذلي: زيتونة يكاد زيتها يضيء، جريدة الزيتونة، السنة01، العدد02، نوفمبر 1953.
- 247 هلال عمار: "أصداء الهجرة الجزائرية نحو الشرق في بعض التقارير الرسمية الفرنسية"، مجلة الثقافة، العدد 88، الجزائر، يوليو-أغسطس 1985، ص165.

- 248 هلال عمار: **الطلبة الجزائريين في الأزهر عام 1916**، مجلة الثقافة، العدد 74، الجزائر، يناير-فبراير 1984.
- 249 هلال عمار: **"الهجرة الجزائرية نحو الولايات العثمانية في المشرق العربي (1898-1915)"**، مجلة الثقافة، العدد 84، الجزائر، نوفمبر-ديسمبر 1984. ص 98-99.
- 250 الونيسي عبد الرحمان: **الطب الاستعماري بمراكز الجنوب العسكرية (1881-1939)**، مدونة أعمال الندوة الدولية الثانية عشر حول "الجنوب التونسي من الاحتلال إلى الاستقلال 1881-1956، المنعقد بتونس أيام 6 و7 و8 ماي 2004"، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، سلسلة تاريخ الحركة الوطنية، عدد 12، تونس، 2005.

251 Mahmoud ,Faroua , "Le Commerce caravanier de La Tunisie après la première guerre mondiale", **revue maghrébine**, année 16,n°55 décembre 1989.

ت- الرسائل الجامعية:

- 252 بعارسية صباح: **حركة التصوف في الجزائر خلال القرن العشر هجري/السادس عشر ميلادي**، رسالة ماجستير، إشراف أ.د. عمار بن خروف، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006/2005.
- 253 بن تيشة أحمد: **الصلوات الروحية بين الطرق الصوفية في بلاد المغرب أثناء العهد العثماني (الجزائر وتونس أنموذجا)**، رسالة ماجستير، إشراف أ.د. محمد مكحلي، قسم العلوم الانسانية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 1435-1436هـ/2014-2015م.
- 254 بن موسى موسى: **الحركة الإصلاحية بوادي سوف-نشأتها وتطورها (1900-1939)**، رسالة ماجستير، إشراف أ.د. أحمد صاري، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، 1426-1427هـ/2005-2006م.
- 255 بن يوسف تلمساني: **الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر 1782-1900**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، إشراف ناصر الدين سعيدوني، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1997/1998.
- 256 بوغديري كمال: **الطرق الصوفية في الجزائر-التجانية نموذجا دراسة انثروبولوجية بمنطقة بسكرة**، أطروحة دكتوراه، إشراف أ.د. ميلود سفاري، قسم علم الاجتماع، جامعة الدكتور دباغين-سطيف، الجزائر. 2015/2014.

- 257 زابر عبد القادر: دور خلفاء الأمير عبد القادر في بناء الدول الجزائرية (1832-1847)، رسالة ماجستير، إشراف د. محمد الطيبي، قسم التاريخ وعلم الآثار-جامعة وهران، 2009-2010.
- 258 زقب عثمان: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف 1918-1947 وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا، رسالة ماجستير، مخ، إشراف د. يوسف مناصرية، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر-باتنة، الجزائر، 2005/2006.
- 259 شكيمة بشيرة: الاسهامات الاصلاحية والفكرية للمهاجرين السوافة بتونس "الشيخ العربي بن عمار أنموذجاً" (1947-2015)، مذكرة ماستر، إشراف أ. رضا ميموني، شعبة التاريخ، جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي، الجزائر، 1438-1439هـ/2017-2018.
- 260 شويخ ابراهيم: الرحلات العلمية وأثرها في الحياة الثقافية بمنطقة وادي سوف 1931-1969م، رسالة ماستر، إشراف أ. د. علي غنابزية، قسم العلوم الانسانية، جامعة الوادي، 2017/2018.
- 261 عبد الله محمود عودة عهدود: ناحية جرش في عهد التنظيمات العثمانية 1864-1918م، رسالة لنيل شهادة الماجستير، إشراف علي محافظة، الجامعة الأردنية، 1969.
- 262 عجال كريمة: يهود الجزائر ودورهم في تسهيل عملية الاحتلال الفرنسي 1830، رسالة ماستر، إشراف د. محمد رشدي جرابية، 2013-2014، جامعة الوادي، شعبة التاريخ.
- 263 عوادي أسماء وآخرون: أوضاع اليهود بمنطقة وادي سوف من مطلع القرن 20 الى 1962 من خلال الروايات الشفوية والمصادر المكتوبة، ليسانس تاريخ، عمار غرايسة، جامعة الوادي، قسم العلوم الانسانية، 2012-2013.
- 264 غنابزية علي: مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1300-1374هـ/1882-1954م، رسالة دكتوراه، مخ، إشراف أ.د. عمر بن خروف، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008-2009م.
- 265 غنابزية علي: مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 13هـ/19م، رسالة ماجستير، مخ، إشراف أ.د. عمر بن خروف، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2000-2001م.
- 266 فلالي رابح، جامع الزيتونة والحركة الاصلاحية في الجزائر 1908-1954، رسالة ماجستير، إشراف د. عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ وعلم الآثار - كلية العلوم الانسانية والاجتماعية-جامعة منتوري- قسنطينة، السنة الجامعية 1428هـ/2007-2008م.
- 267 القاسمي الحسني ماجدة: الطريقة الرحمانية أركانها واصولها، دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير، إشراف د. عمار جبدل، كلية أصول الدين، جامعة الجزائر، 2000.
- 268 قلعي أحلام وزيتوني هدى: يهود الجزائر من مرسوم كريميو 1870، مذكرة ماستر، إشراف د شايب قدارة، قسم التاريخ، جامعة 08 ماي 1945-قالمة، 2017-2018.

- 269 معزة عز الدين: فرحات عباس والحبيب بورقيبة "دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، 1899-2000"، (أطروحة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر)، إشراف د/عبد الكريم صفصاف، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2009-2010م.
- 270 موسم عبد الحفيظ: الحركة اليوسفية والثورة التحريرية الجزائرية، رسالة دكتوراه، إشراف د. طاهر جبلي، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان، 2015/2016م.
- 271 نوار شعيب: الطريقة الشاذلية ودورها الديني وأثرها الاجتماعي في وادي سوف، مذكرة ماستر، إشراف أ.د. علي غنابزية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الوادي، الجزائر، 1438-1439هـ 2017-2018م.

- 272 Dougui Noureddine: **Monographie d'une grande entreprise colonial "La compagnie des phosphates et du chemin de fer de Gafsa (1897-1930)"**, Thèse de doctorat, Faculté des Sciences Humaines et Sociales de Tunis, 1991.
- 273 Jamel Haggui: **les Algériens du sud dans la ville de Tunis pendant l'époque colonial 1881-1956 "Mozabite, Soufis, Ouarglias"**, mémoire de D. E. A., Université de manouba, Année Universitaire 2003-2004.

ث- الروايات الشفوية:

- 274 لقاءات متعددة مع إبراهيم قذع "جدي لأمي" (1918-2010).
- 275 لقاءات متعددة مع البشير قذع "والدي"، مواليد 1943م، كان يطقن بحي السوافة في بلدة أم العرايس في الفترة 1950-1963م.
- 276 لقاء مع الشيخ حمد توبة، بمنزله بقرية جلمة بلدية المقرن-ولاية الوادي، يوم 2012/01/14، 16:00
- 277 لقاءات متعددة مع خيرة وصيف غدير: جارتنا وهي بمثابة أم لكل الجيران، صغارا وكبارا.
- 278 لقاء مع الطالب الطاهر حميداتو، بمنزله الكائن ببلدة النخلة، يوم 23 ديسمبر 2011.
- 279 لقاءات متعددة مع أ. د. عاشوري قمعون، منها محادثة عبر شبكة التواصل الاجتماعي "فيسبوك"، يوم 08 مارس 2019.
- 280 لقاءات متعددة مع الأستاذ عبد الرزاق دادة، ببيته الكائن بحي النور-بلدية الوادي، منها: يوم 02 ماي 2012.

- 281 لقاءات متعددة مع الأستاذ مصباح مصباحي، ببيت إبنته بحي الرمال، وغيرها من الأماكن خاصة يوم 2015/02/19. منتصف النهار
- 282 الحاج عبد القادر زواري فرحات، ببيتته بحي الشهداء غرباً-بلدية الوادي، أكتوبر 2016.
- 283 لقاءات متعددة مع العيد زغدي، الملقب "لحوينق"،
- لقاءات مع عدد من سكان الجنوب التونسي، من توزر ودوز وقبلي وقفصة وقابس ونفطة، منهم بالخصوص:
- 284 أعضاء جمعية صيانة مدينة توزر، بمقر الجمعية الكائن بوسط مدينة توزر القديمة، 2017/01/06.
- 285 أ. ذاكر سيلة باحث في التاريخ، بمقهى وسط مدينة توزر، 2017/01/05، بعد الزوال.
- 286 فتحي بلعربي، مدير دار الثقافة محمد المرزوقي، دوز، قبلي 2017/01/04م منتصف النهار
- 287 الحاج بلقاسم بن علي ولد جدي خلال 1930، بمحل الحاج قدورة الخياط، مدينة دوز، 2017/01/03
- 288 الحاج عبد القادر قدورة مولود خلال 1943، خياط، اللقاء ببيتته ليلاً، بمدينة دوز، 2017/01/04.
- 289 علي بن عمر بن حامد "بلطيف"، تاجر مواد السباكة، كثير التبضع من سوق الوادي، ببيتته بمدينة دوز 2017/01/03.
- 290 الحاجة مباركة الودانية 80 سنة، ببيت ابنها علي بلطيف، بمدينة دوز، 2017/01/04-03.
- 291 لقاء مع يوسف النمسية، بمقر جمعية صيانة مدينة توزر، توزر القديمة، 2017/01/06 صباحاً.

ج- المواقع الالكترونية والبرامج التلفزيونية:

- 292 برنامج قوغل إيرث على الانترنت Google Earth
- 293 تلفزيون ميدي TV Medi 01: جهود جربة التونسية، برنامج نظرة على العالم، المشاهدة على اليوتيوب، يوم 2016/05/27.
- 294 سبايا غادة: تقرير حول سوف في جرش: برنامج تلفزيوني، قناة رؤيا الفضائية الأردنية على اليوتيوب، 2014/01/17.
- 295 موقع ويكيبيديا على النت. Wikipedia
- 296 الموسوعة التونسية المفتوحة: الشيخ محمد المنزلي، الخميس 15 أوت 2019، http://www.mawsouaa.tn/wiki/محمد_المنزلي

الفهارس

فهرس الأعلام والأسماء

أ		أ	
283	أحمد التجاني التماسيني	93	أبال فارجس نقيب فرنسي
183	أحمد التليلي الفقيه	233	إبراهيم البخري التوزري
15	أحمد الدرغيني أبو العباس	16	إبراهيم الخليل عليه السلام
282	أحمد الزين بن محمد التوزري	277 206	إبراهيم الرياحي
69	أحمد الشابي	71	إبراهيم الزحاف الطرودي
78	أحمد المملوك باي قسنطينة	117	إبراهيم الصمادح
220	الحاج أحمد بالقيم	247 222 211	إبراهيم بن أحمد الشريف النفطي
138 81	الحاج أحمد باي	214 294 249	إبراهيم بن راشد بن سيدي عون
155	المشير أحمد باي	144	إبراهيم بن سالم بن أحمد قدح
206	أحمد بن أبي الضياف	165	إبراهيم بن عامر-العوامر
282	أحمد بن العصمة	83 52 21	84 86 105 127
228	أحمد بن القا القماري	131 130	134 135 145 146
95 282	أحمد بن بلقاسم	202 170	220 226 230 231
232	أحمد بن دغمان	254 246	245 إبراهيم بن عبد القادر الجيلاني
282	أحمد بن عبد الحفيظ الدقاشي	78 77	إبراهيم بن قانة
266	أحمد بن علي بوحجر	279	إبراهيم بن محمد السوداني
136 233	أحمد بن عمار	268	إبراهيم خريف
79	أحمد بن محمد بن الجلاية	167	البشير الابراهيمي
218	أحمد بن محمد دغمان	16	إيزابيل أبرهاردت
257	أحمد بن مخلوف الشابي	111	ابن حزم الاندلسي
128	أحمد بن هبيب بن بهنة بن سليم	125	ابن حوقل النصبي
56	أحمد ناجح	272 263 257	أحمد التجاني أبو العباس
136	أبو إسحاق الحفصي السلطان	278 274 273	

72	سيدي خليف 125	خوان دي لا سيردا	58	حسان بن النعمان	52	حزوة امرأة زناتية
	خويلد 125 126		241	الحسن البصري	63	الحسن بن سرحان
210	خير الدين باشا الوزير الأكبر 206			168	الحسن الثاني ملك المغرب	
	خير الله بن مصطفى 209		61	الحسن بن علي اليازوري	245	أبو حسن الشاذلي
	عمتي خيرة الوصيفة "الزنجية" 154		62	حسن حسني عبد الوهاب	220	الحسن بن يوسف
<u>حروف : د - ذ - ر</u>				245	أبو الحسن علي الشايب بن عمر	
257	درغوث باشا العثماني 72		247	الحسين بن إبراهيم	33	الحسن الوزان
248	ديبورتير Deporter ملازم فرنسي 93		74	الحسين بن علي	271	الحسين بن عثمان
255	ديفو (desvaux) عقيد فرنسي 83	84		241	الحسين بن منصور الخلاج	
	ذو الاصبع بن قيس بن صعصعة بن طرود 130		226	223 221	167	الحسين حمادي
	راشد بن عون بن مهلهل 116			254 253	229	الحفناوي بن عزوز 271
	ربعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة 135				123	حمرة أو حمران بن جابر
	ربعة بن مالك بن زيد مناة 135		230	221 202		حمزة بوكوشة
	ربعة بن مالك ربعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة 135		278	245 68		حمودة باشا باي تونس
	سانت روس - قديسة 55			86		حميد بن عبد الله الجامعي
<u>حرفا : س - ش</u>					258	حيدر باشا
	الساسني بن موسى بن أحمد قذع 185		<u>حرف : خ</u>			
	سالم بوحاجب 206			264		لالا خديجة
270	سالم العايب-سيدي سالم 234 265 269	111	66 64	33		ابن خلدون
	سشيري Scheres ملازم فرنسي 93		240	167 112		خليفة بن إسحاق 152
	سعد بن نصر كادي الجليدي 280					خليفة بن رشاش ... بن سليم 137
	سعد زغدي 155					خليفة بن العش 137
90	السعيد عبد الحي					أبو سعدى خليفة الزناتي 63 67
	سلمان بن علي الجلابي الشيخ 71					

الطاهر العبيدي 228 232 الطاهر لسود 89
طراد أو طرد بن دابس 112
طرود بن فهم بن عمر بن قيس عيلان 111
طرود بن قدامة بن جرم القضاءي 112

حرف : ع

العابد بن الأعلى الشرشالي 263
ابن عاشر الفقيه المالكي 242
عاشور الخنقي 218 268
عاشوري قمعون 14 عباس بن علي بن العزال 133
عبد الحفيظ الخنقي 264 267
ابن عبد الحكم 58
عبد الحميد ابن باديس 95 227 167 250 253
عبد الدايم سيدي 125 عبد الرحمان الجيلاني 62
عبد الرحمان العمودي 220
عبد الرحمان باشتارزي الكرغلي 264
عبد الرحمان معمري 226 228
عبد الرزاق الشريف 250 عبد الرزاق دادة 55
عبد الصمد الشابي 69 107 258
الملك عبد العزيز آل سعود 172
عبد العزيز الثعالبي 167 206 231
عبد العزيز الشريف 95 170 205 224
227 250 251 252 323
الأمير عبد القادر 81 81
عبد القادر الجيلاني 244 253
عبد القادر الياجوري 170 222 230

سلمان بن محمد الكبير الجلابي 80
سلمان الجلابي 82
سليم بن منصور . . . قيس عيلان 111
سليمان الباروني 250
السلطان أبو الربيع سليمان بن محمد 273 278
سماش بن الشيخ بوجواحيف النفزاوي 129
سنان باشا 72 السوسي التونسي 235
سيدي عون 20 71 91 116
144 147 233
سيدي مستور 66 106
شارل العاشر ملك فرنسا 197
الإمام الشافعي 60 ابن الشباط التوزري 50
شداد بن حارث الطرودي 66 106
الصحابي شيبعة 126

حرفا : ص - ط

الصادق بلهادي 228 الصادق بن الحاج 265
الصادق بن العبد بالي 223 صالح باي 77 78
صالح بن يوسف 89 90
الصغير بن احمد القماري 282 الشيخ الصمادح 222
سيدي الصياح الشريف العكاري 125
طارق بن زياد 58 طالوت ملك بني اسرائيل 109
طانشو حاكم تفرت فرنسي " 85
الطاهر بن عبد الصادق القماري 279
الطاهر حميداتو الطالب 55

عرقه بن أحمد الشابي 68 257 258	الحاج عبد القادر قدورة 119
العروسي بن محمد بن فرج 283	عبد الكريم الماجري 179 عبد الكريم هالي 90
العروسي لغريسي 229	سيدي عبد الله 139 عبد الله بن أبي السرح 58
العزیز بالله بن المعز الفاطمي 61 105	عبد الله بن أحمد الشيخ 67 عبد الله بن الزبير 58
العش بن عمر بن سليمان اليربوعي 137 260	عبد الله بن الوليد بن بوزيد الحمودي 119
ابن عطاء الله السكندري 272	عبد الله بن بوزيد الحمودي 34
عقبة بن نافع الفهري 58 104	عبد الله بن عباس 58 عبد الله بن عمر 58
علي باشا 74 علي باي 278	عبد الله بوحليدة الولي الصالح 124
علي بلطيف 119 178	عبد الله البوعمراني 89
علي باي بن فرحات البوعكازي 84 85	عبد الله السوداني 279 282
علي بن أبي طالب 60 عمار بن الأزعر 172	عبد الله العروي 62
عمار بن بلقاسم 282 علي بن الحسين بن علي 74	عبد المجيد بن لحضر السوفي 187
علي بن حسين باي 77 علي بن غذاهم 175	عبيد الله المهدي بالله 59
علي باشا بن محمد بن علي الباي 183	الباي عثمان حاكم بايلك وهران 272
علي بن حميد الجامعي 279 علي بن خزان 144	عثمان بن سعد زغدي 155
علي بن خليفة النفاتي 87 88 126	عثمان بن عفان الخليفة 57 116
علي بن سعد خرن 170 222	عثمان النفطي 235
علي بن صابر 232	عدوان بن عمر بن قيس عيلان 111
علي بن عمر 231 264 265	الشيخ العدواني 67 104 العربي بالشاوش 215
علي بن عمر الذواوي 85 علي بن عمر الطولقي 269	الطالب العربي بن سعد بن علي 230
علي بن عمر بن سعيد 84 سيدي علي بن عبيد 124	العربي بن عمار 232 318
علي بن عون 116 عمار بن العيد 138	العربي التبسي 167 اللواء العربي زروق 87
الحاج علي بن عيسى التماسيني 273 275 278	الطالب العربي قمودي 89 90 187 229
علي بن عيسى المغربي الينبعي 264	العربي المملوك 85 86

فوجس Forges تقيب فرنسي 86	علي بن غذاهم 73 75 281
فوتبرايد Fontbride رائد فرنسي 86	علي الجلابي 80 علي حرازم 277
فيلبار "philibert" جنرال فرنسي 259	أبو علي الحسن بن إبراهيم السني النفطي 255
أبو القاسم الجنيد 240 أبو القاسم سعد الله 183	علي حمادي 221 علي حنكة 223
أبو القاسم الشابي 167 قبلي: حاكم عثمانى 34	الحاج علي الحملاوي 265
قرفة بن اثيج الهلاي 132 قسطنطين 56	علي داتقو 157 علي الشابي 257 261
قسطل بن سام بن نوح عليه السلام 50 117	علي الشايب بن عمر المنزلي 246
قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان 111	علي عبد القادر بن الأمين 263
كرباع مشارك في معركة المقارين 83	علي الكبير الجلابي 80 علي الهمامي 89
كعب بن علاق 136	عمار بن لزعر 226 عمارة بن بية 138
كنعان بن حام بن نوح عليه السلام 110	عمارة دبيلي المدعو "عمارة بلميعادي" 229
لاكروا فانبوا - جنرال فرنسي 85 86	عمر بن الحاج محمد 189 عمر بن الهاشمي السوفي 187
الصحابي أبو لبابة 149	عمران بن محمد الجلابي 79
الشيخ الحبيب 222 لخضر حمانة 220	عوف بن بهثة بن سليم 128
لزهارى الحرزولي 221 228	عون بن راشد بن سيدي عون 116 144
لقرع "الضيف والطيب 170	عون بن مهلهل أو بن موسى 116 144 260
لوفبل Lenoble مقدم فرنسي 86 87	عياد بن منيع بن يعقوب . . . بن سليم 129
لويس ماشويل MachuelLouis 209	
<u>حرف : م</u>	<u>حروف : ص - ق - ل</u>
الإمام مالك بن أنس الأصبحي 60	فاطمة الزهراء 59 60
ماير اليهودي 152 مبارك بن خويدم اليزيدي 265	لالا فاطمة نسومر 264
مبارك المازق التوزري 233 235	فاقا بن عاصم . . . بن سليم 137
مبارك المليي 62 95 110	فرحات الجلابي 77 79 80
	الفقيه بن العش 137
	فلبار جنرال فرنسي 95 فهم بن عمرو 111

120	مرزوق بن معلى . . . بن بهثة بن سليم	172	محمد العربي السالمي
63	المستنصر بالله الخليفة الفاطمي	172	محمد العربي السوفي
112	مسروق بن حنظلة أو ابن عندالة	277	محمد العروسي التجاني "حمّ عروسي"
294	مسعود الشابي	276	محمد العزيز بوكتور الوزير الأكبر
265	مسعود عباسي	281	محمد عمامرة (البهلي)
225	مصباح حويذق	279	محمد العيد بن الحاج علي التماسيني
214	مصطفى ابن عزوز البرجي	276	محمد العيد التجاني
294	مصابح مصباحي	282	محمد الفاضل ابن عاشور
220	مصابح مصباحي	278	محمد الكبير بن إبراهيم الشريف
185	البابي مصطفى	281	محمد الكبير خالدي
282	مصطفى خزندار الوزير الأكبر	229	محمد المسعود الشابي
58	مصعب بن الزبير	258	محمد المكّي بن عزوز النفطي
63	المعز بن باديس الصنهاجي	220	الإمام محمد المنزلي
249	المعز لدين الله الفاطمي	247	محمد المولدي بوعرقية
163	المقراني صاحب الثورة	254	محمد التخلي
220	المكي بن مصطفى بن عزوز	246	محمد الهاشمي بن إبراهيم الشريف
268	ابن ملوكة التونسي	211	206
131	منبه بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج	214	222
223	منصيريون- المقيم العام الفرنسي	149	247
151	المهدي ابن تومرت	95	254
185	موسى بن أحمد قذع	247	249
63	موسى بن عيسى المرداسي	277	268
63	موسى بن يحيى الصنبري الرياحي	268	206
228	الميداني موساوي	271	268
		245	265
		124	255
		241	245
		256	256

هنري دي فاربيه الرحالة 15 53 56 156 269	<u>حرف : ن</u>
<u>حرف : و - ي</u>	نابليون بوناپرت 197
الورتلاني الرحالة 183 ولد مرمك اليهودي 152	الناصر بن شهرة 268 271
الوليد بن رفاعة الطرودي 105	نبوخذ نصر 147 نصر واجده 215
اليازوري الوزير 61 يحيى الشرواني 262	<u>حرفا : ه</u>
أبوزيد البسطامي 241	هاجر زوج إبراهيم عليه السلام 16
اليعقوبي جد أولاد عزيزة 121	الحادف بن محمد الحادفي 279
يوسف بلكين بن زيري الصنهاجي أبو الفتوح 60	الحادي الأخوة الوزير الأكبر 223
المولى يوسف ملك المغرب 168	الحادي عمارة 224 الهاشمي حسني 221
يونس بن علي باشا 74 يهوذا براخ 149	هلال بن عامر . . . قيس عيلان 111

فهرس الأماكن والبلدان

126 برج جرجيس					171 برج بوعبريج					حرف : أ				
برقة 62					129					أحمر خدو 265				
بسكرة 19 86 91 171 173					الأربعاء نايت ايراشن 262					الأرجنتين 167 الأردن 14 أرزيو 196				
202 232 248 288 292					أرض المغرب 61					أزمير 77				
بغداد 59 244 272					الجامع الأزهر 231 196 231 172					262 171				
البقاع المقدسة 171 262					الآستانة 232					إسطنبول 232				
بلاد السودان 153 154 273 275					الإسكندرية 172					آسيا الصغرى 77				
بلاد الغال le guale 201					الأطلس الصحراوي 18 35 36 37 38					الأغواط 93 135 272 275				
بلاد المشرق 166					إفريقيا 32 81 153 273					إفريقية 34 52 58 61 62				
البهيمه = بلدية حساني عبد الكريم 91 146					63 64 105 145					ألمانيا 248 277				
البليدة 86 196					أم العرايس 178 180 185 187 190					أمريكا 175				
بن قردان 36 122 125 150					أميه بادي 128					أميه ونسة 56				
بلدة بني بركة 124					الأناضول 77					الأندلس 58 148 222 277				
بلدة بني يخزر 124					أوروبا 90 109 148					آيت إسماعيل 263 85 148				
بن يزقن 139 147					حرف : ب					باتنة 171				
البهيمه 20 70 71 142 144					باجة 63 66 278					باريس 24 250				
بودخان 52 66 106 145					بئر رومان 18					بجاية 196 212 241 245				
بورخيس 82					بوسعادة 265					بوسمغون 273 275 272				
بوعلاوة قرية 262					البيضاة 155 223 249					بيت المقدس 172				
البيضاة 155 223 249					بير العاتر 50 171					الببيض 272				
بيت المقدس 172					البيمونت Pimont 85									

81	55	51	50	18	توزر	<u>حرف : ت</u>						
176	131	130	118	117	97							
214	212	211	191	182	181							
246	237	233	225	216	215		52	تازغدنت	143	تاجرونة		
258	247	254	253	248	247		183	134	تامزرت	52	تاككرات	
328	291	288	282	279	259							
68	48	35	تونس-مدينة-الحاضرة-العاصمة			277	تستور	247	171	35	20	تبسة
87	86	81	74	72	69		42	40	38	36	34	تطاوين
119	115	107	97	95	91		280	279	126	122	115	47
155	144	133	132	130	129				140	تغزوت "من بلاد الزاب		
173	171	168	166	163	159							
180	178	177	176	175	174		84	79	71	65	51	تغزوت
189	188	187	184	183	182		148	146	141	140	91	
210	209	206	203	191	190		289	260	188	183	171	
229	226	223	215	213	212		77	70	67	52	19	تقرت
245	239	236	233	231	230		93	85	82	80	78	
259	258	253	252	248	246				221	171	154	
280	272	270	267	266	265							
				326	282							
<u>حرف : ث - ج</u>												
258	جارش			ثليجان								
36	جبال السقي			123	جبال الأبيض							
275	جبال العمور			36	جبال الطبقة	106	67	52	51			تكسبت القديمة
35	18	جبال النمامشة			18	جبال الأوراس			260	145		
124	جبال غمراسن			36	جبال بني خدش	169	163	الثل الجزائري			198	تل أبيب
258	جبال ورغمة			103	جبال مطماطة	272	255	245	196	63		تلمسان
115	103	52	الجبل الأبيض			35	119	55	54			بلدة تلمين
62	جبل حيدران			131	129	جبل الظاهر	275	169	83	80	79	تماسين
103	52	جبل دمر			185	جبل خنفوس	295	284	282	279	276	
36	جبل غار الجاني			89	جبل سندس			252	248	36		تمغزة
	141	134	128	جبل نفوسة			55	تهودة			275	تملاحت
								247	133	107		توات
جرش= محافظة أردنية 14												

جزيرة جربة	33	36	43	47	حزوة	52	حلب الشام	14	الحمامات ببسة	224
72	77	150	152		الحوض المنجمي بتونس	178	179	182		
جرجرة	264				حي الأعشاش	148	حي أولاد بويحي	190		
جرجيس	34	36	77	90	حي المراكبة "المغاربة"	190				
122	125	152	154	280	الخبنة الصفراء	20	خبنة عميش	20	224	
الجردانية - البليدة	52	53	55	65	سيدي خضير	139	خط الاستواء	17	34	
66	104	105	145		خليج قابس	22	خنشلة	20	86	171
الجريد التونسي - بلاد الجريد	18	33	36		الخنقة - خنقة سيدي ناجي	265	264	267		
41	42	47	50	58						
82	86	93	104	119						
132	144	145	152	175						
178	181	183	192	214						
215	220	224	227	247						
248	259	261	271	282						
289	290	291	292							
حي الجريدية	190									
الجزائر	32	48	61	72						
81	86	87	105	158						
165	166	167	169	183						
188	195	196	197	199						
203	212	213	214	236						
237	239	244	245	255						
258	262	265	266	268						
271	277	280	327							
الجزائر العاصمة	149	202	262	263						
جزيرة العرب - الجزيرة العربية	57	61	105	110						
جققي "بوغرارة"	53	جلاص	74	جملة	229					
جلهمة	56	65	106	145	260					
الجنوب التونسي: .	في أغلب الصفحات									
حرفا ح-خ										
حاسي خليفة	83	283	الحامة	75	263					
حامة الجريد	117	258	حامة قابس	97	122					
بلاد الحجاز	59	61	166	171	193					

116	سيدي علي بن عون بلد بأحواز قفصة	247	الرويسات	82	وادي ريغ
116	سيدي عون	20	71	91	116
144	147	233			
148	سيف المنادي	52	86	سيف اليهودي	148
36	بلدة الشابة	257		بلدة الشارب	36
171	بلاد الشام	18	59	109	171
258	شبه جزيرة قورين	124		ششار	258
196	شلغوم العيد	265		الشلف	196
148	شمال إفريقيا	59		شوشة اليهودي	148
<u>حروف : ص - ط - ع</u>					
20	صحراء قسنطينة	83		صحن الرتم	20
33	صحن الماسط	20		الصخيرة	33
158	صعيد مصر	61	99	105	158
181	صفافس	35	65	88	133
14	قفصة	181	صقلية	59	الضفة الغربية
105	نزلة ضواي روجه	52		الطائف	105
65	طرابلس	34	35	61	62
122		66	105	112	120
		124	129	136	231
128	حي الطرابلسية	190		الطريفاي	128
	بلاد الطوارق	247			
	طولقة	265	269	271	
	العراق	244			
36	العرق الشرقي	18	20	35	36
		37	38	40	44
<u>حروف : ز - س - ش</u>					
58	الزاب - بلاد الزاب	18	19	56	58
129	63	64	66	70	107
	131	140	143	144	169
125	منطقة زاريف	89		الزاوية	125
	الزاوية بليبيا	126			
116	الزقم	20	71	91	107
148	118	139	144	146	147
289	189	226	227	228	228
169	زوخييس "لمدينة"	53		الزبان	169
125	الساقية الحمراء	123	124		125
58	الساورة	93		سبيطة	57
170	سجلماصة	255		سجن الكدية	95
148	سحبان	56	148		جلهمة
52	سدادة	118		بلدة سدره	52
18	سطيف	196		سطيل	18
55	سكيكدة	170		سندروس	55
36	سهل الجفارة	36		سهل الواعرة	36
231	بلاد السودان	53		سورية	231
14	سوسة	130		سوف الأردنية	14
171	سوق الوادي	148		سوق أهراس	171
	السويهة	232	233		
229	سيدي بوزيد ولاية	35	115		229
	سيدي عقبة	131			

حرف : ق													
65	55	47	36	25	قابس		229	89	العقلة				
115	112	97	88	87	75		145	106	66	52	عقلة الطرودي		
150	136	129	126	123	122					20	وادي العلندة		
280	248	164	158	152	151		173	171	170	157	95	20	عميش
225	قائمة	196	القالة	47	19	قابس ميناء	254	252	249	247	227	205	
	272	231	225	60	القاهرة				196	171	170	عناية	
54	36	19	قبلي	263	بلاد قبائل		52	عين البيضاء	129			العواشير	
181	103	119	97				267	عين تموشنت	258			عين النشوع	
154	152	40	248						247			عين صالح	
		172	59		القدس الشريف		275	273	272	143		عين ماضي	
58	57	قرطاجنة	54		قرطاجنة		حرفا : غ - ف						
		117	50		قسطيلية								
90	80	78	77		قسنطينة		124	غبنتن	247	154		مدينة غات	
196	173	171	170	95			35	34	20	19		غدامس	18
292	265	264	248	212			143	133	132	128	121	107	
35	القصرين	124	قصر مدين	273	قصر المرايا		277	247	156	155	154	153	
106			قصور العدواني	قصور النازية				248	غرداية	55		غرد الوصيف	
124		بلدة فطوفة	283	279	قطاي					34		غرينيتش	17
86	65	50	36	34	33	قفصة-كاباسا	280	124	114	52		غمراسن	36
178	172	142	141	132	116	115						غمرة	20
248	212	211	183	180	179			260	غنام				
			282	258	253					273	272	فاس	
77	71	70	56	55	قمار		175	173	164	152	87	81	فرنسا
93	90	85	80	79	78		277	248	201	198	193	179	
147	146	144	141	116	106				183	132	116	فريانة	
172	171	170	152	151	148								
282	284	289	294	295	183		224	223	حي الفطاحزة		135	فران	
228	231	247	252	261	276				175	152	151	14	فلسطين
202	201	327	220	226	227				52	الفيض	20	الفولية	
231	228	227	226	220	218								
284	282	276	261	252	247								
		327	295	294	289								

المغرب 58	62	66	133	143	القيروان 58	62	63	65	66
144	175	279			106	131	255	257	258
المغرب الأقصى 61	105	123	125	144	269	279			
145	158	168	223	272	القيطنة 118				
المغرب الأوسط	69	105	153						
المغرب العربي	48	102							
بلاد المغرب 51	53	54	56	57					
58	59	60	61	62					
66	69	99	103	107					
110	112	115	123	145					
158	241	242							
المغرب الأدنى	153		المغرب القديم	50					
المقارن 82	84		بلدة المقدمين	124					
المقرن 20	229	279	283						
مكة المكرمة	18	16	105	110					
172	272								
المكناسي 222	253		مليانة	196					
مليكة إحدى قرى غرداية	131								
مناجم الفوسفات بتونس	291								
منزل بوزلفة	245		المهدية	65					
المينة 52	66	138	106	145					
وادي ميزاب	131		ميلة	196					
<u>حرف : ن</u>					<u>حرف : م</u>				
نابل 129	النازية	53	55	66	المتلوي 178	180			
الناصر 118	الناصرية	272			مدنين 34	36	97	122	
نجد 61	نجد تائناي "هنشير تنا"	105		53	124	126	272		
				148	مدينة الألف قبة وقبة	13			
					المدينة المنورة	87	60	105	172
					226	272			
					كوكب المريح 38	مستغانم 196	مسيلة 171		
					بلاد المشرق العربي 48	171	172	239	241
					مصر 58	60	61	171	172
					175	209	225	231	262
					المظيلة 178	180	معسكر 196		

<u>حرف : و</u>						226	224	223	221	55	النخلة	
								279	230	229		
71	70	55	52	الوادي - مدينة الوادي		255	نزلة أولاد أحمد			196	ندرومة	
127	93	89	86	85	84							
149	148	145	144	139	129	148	نزلة موشي			189	نزلة السوافة	
199	173	172	165	157	152							
223	221	220	205	202	201	86	68	67	66	52	18	نقطة
231	229	228	227	226	225	140	131	129	128	118	117	
281	270	249	248	234	232	183	157	156	154	143	142	
93	84	70	19	18	وادي ريغ	220	216	215	214	211	184	
		205	171	169		249	247	237	231	234	224	
						265	258	255	254	253	252	
112	14	وادي سوف"الأردن - سوف الشام				279	270	269	268	267	266	
سوف -وادي سوف-منطقة سوف: في أغلب الصفحات						319	295	294	292	291	288	
							158	134	103	51	نفوسة	
134	93	81	67	56	18	ورقلة			55	18	تقرين "جميلة الصغرى"	
91	ورماس					247	169		269	205	بلاد النمامشة	
142	وغلانة بتقرت		35	الوطن القبلي		<u>حرف : ه</u>						
209	202	170	وهران	171	الونزة	258	بلاد الحمامة		36	هضبة الظاهر بمدنين		
		109	110	60	اليمن							

فهرس القبائل والأعراس

حرف : ب					حرف : أ				
123	أولاد بالعيادي	138	أولاد باسي	130	الأبالي	140	الأباقيز	138	الأباسي
138	أولاد الباهي	116	أولاد بالهادي	257	197	114	123	123	الأتراك العثمانيون
144	البراهمية	116	البدور	116	91	67	66	123	أولاد أحمد
55	54	53	51	134	130	129	128	127	123
108	107	103	102	147	146	142	140	139	138
131	127	124	122			132			أولاد أحمد بن قشوط
290	159	158	147			68			أولاد أحمد بشمال تونس
		110	البربر: البتر والبرانس الأمازيغ	116	أولاد إدريس	133			أولاد احميد
140	أولاد بركات	138	أولاد البردي		131	125	123		الأدارسة
82	79	78	77		112	الأزارقة			الأرباع
	138	البريدي	138	بروبة	114	بنو إسرائيل	257	72	الإسبان
	126	125		البريكات	129	أولاد الأطرش	131		أولاد إسماعيل
	57	55		البنزطيون			123	122	الأصابعة
137	بصة	138	133	البشايرة	136	135	134	127	91
138	أولاد بكار	131		البقاصة		146	143	140	139
138	البلام	137		بكيبي		135	الأغواث		139
129	أولاد بلقاسم	143	أولاد بلحسن		137	الأفاحمة			125
119	أولاد بلوم	135	أولاد بلول		130	الأماطرية			135
138	بن حدي	259	بن جدو		125	124	أولاد احمد		132
138	بن رقية	122	أولاد بن خود		128	الأميهات	129		الأمهاوات
125	أولاد بن سليم	137	بن سعد		209	199	187	179	الأوروبيون
138	أولاد بن عيسى	83	بن شنوف				88		الإيطاليين
82	83	70	عائلة بن قانة				51		الانفوراس "مسوفة"

أولاد حميدة	133	137	139	146
أولاد حميدة بن سعيد	131			
الحميدية	124	حمير	109	112
أولاد حميميد	146	الحوازم	122	
الحوافي	125	الحوام	106	
الحوامد	75		135	
الحوايا	124	الحيف	125	
<u>حرف : ح</u>				
أولاد الحاج	116	124	125	139
أولاد الحاج البكري	133	أولاد الحاج صالح	138	
أولاد الحاج محمد	139			
أولاد حافظ	279	الحاقة	137	
أولاد حامد	123	124	126	139
أولاد الحامدية	133	أولاد الحاوي	131	
أولاد الحجاج	135	أولاد الحداد	129	
الحدادة	125	126	الحرارزة	124
حراطنة	132	الحرايزة	132	
الحرشان	116	122	الحساسة	138
حشية	137	الحطاطبة	140	
أولاد حفصة	128	أولاد حفوطة	128	
أولاد حقانة	132	الحليلات	138	
أولاد حمادي	130	الحمارنة	75	123
أولاد حمانة	130			
حميدة "بنو عبد الحميد"	123	الحميدة	132	
أولاد حمد	133	135	139	
أولاد حمزة	143	146		
أولاد حمه الطالب	130	أولاد حمية	138	
أولاد حميد	134	141		
الحميات	138	حميدات "أولاد أحمد"	123	
أولاد حميدة	133	137	139	146
أولاد حميدة بن سعيد	131			
الحميدية	124	حمير	109	112
أولاد حميميد	146	الحوازم	122	
الحوافي	125	الحوام	106	
الحوامد	75		135	
الحوايا	124	الحيف	125	
<u>حرف : خ</u>				
أولاد الخراز	128	بنو خزر	63	
الخرجة	122	123	الخزور	75
الخشارمة	134	خشبية	137	
بنو خضراء	122	123	139	147
الخلالدية	138	الخلايفة	125	
أولاد خليفة	122	123	126	137
الخمالية	124	الخمس	115	
الخوالدية	131			
<u>حرف : د</u>				
أولاد الداب	131	أولاد داهم	138	
دباب	123	أولاد دباب	122	124
الدبابة	138	الدبابشة	129	
أولاد دبش	183	أولاد دبوب	133	
أولاد الدخلي	125	أولاد الدراجي	129	183
أولاد الدردوري	133	أولاد الدروني	138	

[illegible]

أولاد زواي	133	أولاد سليمان	138	السماعلة	126
زياتين "أولاد الزيتوني"	123	السمايحة	122	السواري	142
بنو زيد	75 77 119 118	السواسي	138		146
أولاد زيد	129	السوافة: أتى ذكرهم في أغلب الصفحات			
الزيفون	51	السواكية	131	السوالم	123
		السوامش	129	183	
		السواح	132	السود	119
		عائلة السوداني بوزر	282	295	
		السوفية	128	143	146
		أولاد سيدي التهامي	141		
		أولاد سيدي بوزيد	116	أولاد سيدي تليل	116
		أولاد سيدي خليفة	116	أولاد سيدي سالم	137
		أولاد سيدي عبيد	118	128	132
		أولاد سيدي علي بن عون	116		
		أولاد سيدي مصدق	125		
حرف : س					
أولاد الساسي	137	ساعي	137		
أولاد سالم	139	140			
أولاد سباع	77	119	121		
السنانة	131	147			
سدرة	124	السراولة	123		
أولاد سعد بن خليفة	138	السعديين	134		
أولاد سعود	69	71	72	80	
	112	133	289		
أولاد سعيد	75	125			
أولاد سعيد شمال تونس	68				
أولاد سعيدان	139	سقايرة "أولاد عمر"	123		
أولاد سلامة	116				
سليم - سليمون "قبيلة"	52	59	61		
	62	66	69	105	
	106	111	112	114	
	116	123	126	128	
	132	134	139	140	
	142	147	158	159	
أولاد سليم "عرش"	122	124			
حرف : ش					
الشاببة	107	118	132	258	259
	261	284	294		
أولاد شايب	128				
الشبابطة	91	130	131	139	147
	220				
الشباشية	126				
أولاد شبل	75	125	126	128	146

شبيب 121	الشتاوى 119	الصباغة 181	الصراطة 137
أولاد شحنة 138	الشحيمات 139	أولاد الصغير 123	
الشراردة 130	الشرابة 132	أولاد الصغير خرخش 129	
الشرابة 133	183	الصلاعة 120	121
الشرفة 118	الشرعة 258	صنهاجة 61	62
أولاد الشريف 107	118	الصهبة 123	130
عائلة الشريف القادرية 183		الصالح 130	134
الشعانية 91	120	الصياحة 125	141
الشعباني 138	الشعل 122	الصياغة 133	75
الشكايمية 132	الشلأخشة 122	الصيودة 125	أولاد ضو 122
الشلأقة 123	الشنادة 125	<u>حرف : ط</u>	
شنني 107	شنني الجبل 115	أولاد الطالب علي 128	الطراطرية 125
شنني بلاد 124	شنيني 52	الطرايفة 126	الطرايلة 132
أولاد شهيدة 122	124	طرود 15	16
الشواشين 153	شواشين عكاره "السود" 125	70	71
الشواميط 126	الشواوي 139	106	107
الشوايحة 130	أولاد شوية 139	132	134
الشويحات 125	أولاد الشيخ علي 138	288	289
أولاد الشيخ علي بن خزان 144		طعملة 138	الطلايلة 133
أولاد الشيخة 132	أولاد شيخة 136	أولاد طلبية 129	الطلبان 250
الشياب 122	126	الطماره 124	الطوارق 120
		الطواهرية 133	طياش 125
<u>حرفا : ص - ض</u>		<u>حرف : ظ</u>	
الصابرية 77	120	الظاهر 123	ظريف 137
أولاد صالح 141	146	الظواهر 116	

حرف : ع					العطارية 135					العطيات 126				
أولاد عائشة 137					أولاد عطية 124					137				
عاصميون 177					العزازلة 146					133 91				
العباسية 124					عكارة 75					125 77				
العبادة 121					العكارمة 116					العلاقة 128				
أولاد عبد الجليل 124					أولاد علام 138					العلايا 75				
أولاد عبد الحق 123					علقة 118					أولاد علقة 142				
أولاد عبد الحنين 124					أولاد علي 121					123				
أولاد عبد الرزاق 131					أولاد علي بن مبروك 129					أولاد عليّة 128				
أولاد عبد العزيز 123					أولاد عليم 116					أولاد عمار 137				
أولاد عبد القادر 141					أولاد عمار الأعور 138									
أولاد عبد الكريم 116					العمارة 124					العمارية 134				
أولاد عبد الله 121					أولاد عمر 107					121 118				
أولاد عبد النور 121					131					138				
أولاد العبيدي 128					أولاد عمران 134					140 146				
أولاد عثمان 121					أولاد العمودي 131					183				
عدوان 14					العوايف 144					العوامر، عرش 130				
68 66 65 61 69					العواوجة 125					العواينية 144				
106 105 104 99 69					أولاد عون 75					138 121				
138 137 128 112 111					عوين 121					126				
145 142 141 140 139					عويّة دوز 128					العويّة 120				
290 158 148 146					عويّة راجح 120					121				
العدوان بسوف الاردن 14					أولاد عياد 129					أولاد العيادي 138				
أولاد العروسي 139					أولاد عياش 143					العياشة 132				
أولاد عزيز 116					عائلة العصمة 282									
أولاد عزيزة 119					أولاد العطالة 129					138 130				
العطالة 132					العيادة 130					142				

131	أولاد الفرجاني	138	أولاد فرج	134	العياشة	137	العياش
59	الفرس	135	الفرجان 91	146	142	139	العياطة
82	81	80	77	17	الفرنسيون	138	أولاد العيدة
209	202	157	91	87		138	أولاد عيسى
273	271	259	250	248		139	أولاد عيشة
112	فزارة	138	الفريجات	140	أولاد فروة		
132	الفتاحزة	77	الفضليين				
133	أولاد الفقيري	123	الفقايرة				
126	أولاد الفقيه	126	الفقهاء				
137	الفنيك	137	135	الفقهة			
158	147	114	53	فينيقيون			
<u>حرف : ق</u>				<u>حرف : غ</u>			
107	أولاد القاضي	132	أولاد قابوسة	201	les gualois	غالليون	
	68		أولاد القايد شمال تونس	134	أولاد غددير	181	134
146	140		القبيلة عرش من تاغزوت	181	غرايسة		123
110	قحطان	131	أولاد القتي	129	أولاد غربي		133
138	القدايرة	135	قحطانيون	121	120	119	77
138	قدور	132	أولاد القدة	120	183	134	129
132	القرائية	107	قدوري	109	غسان	181	137
146	132	91	القرافين	124	الغفافة		112
67	قرفة	53	قرطاجيون	132	أولاد غمام		138
	115	107	52	124	غمراسن الحدادة	124	غمراسن البلاد
130	أولاد قروش	124	قرماسة بلاد	125	غنادة		133
125	القريرات	196	قرويون	142	الغوالين		137
138	قزون	116	قريشيون	137	الغيلاني		121
<u>حرف : ف</u>				<u>حرف : ف</u>			
					142		أولاد فادع
				61	60	59	الفاطميون
				258	246		الفراشيش

183	128	أولاد لعويني	178	177	قسنطينيون
143	107	أولاد لغدامسي	131	132	القشاشطة
131	118	أولاد لغريسي	52	135	القطاطية
123		لمامنة "أولاد عبد المؤمن"	122		القعادة 132
138	103	لماية 51 أولاد اللموشي	138	121	قعود 77 120
125		لمي 138 أولاد لمن 123 اللهابة	65		قماري 138
124	108	لواة 51 أولاد لمن 103	143		القمودي 125
179	88	لواة 103 الليبون	126	147	القوايد 128
			130	112	القبائل القيسية أولاد القبطة
<u>حرف : م</u>			<u>حرف : ك</u>		
246	118	أولاد ماجد ماجر	109	59	الكبسي 138 قبيلة كرامة
126	123	مارث 75 مارغنة		134	الكرارشة الكراشوة 124
126	125	ماطر 130 ماقورة	137		الكرائمة 126 الكرباطي
	75	المانع 137 المثاليث	118	129	أولاد كرمادي كيز
129	126	أولاد مبارك 116		138	الكساسبة
230		أولاد مبروك 116		136	الكعوب 75 117 130
130	129	المشرد 138 أولاد مجول		119	الكلتومي 137 الكمايلية
	134	الحاريق 138 الحاسنة		129	أولاد كنيوة الكواردية
	106	الحاميد 75 119 122		133	الكواكة 139 الكوامل 140 أولاد كينة
139	138	أولاد محمد 116			
138		أولاد محمد الصياد 140 أولاد محمد بن فرحات			
	138	أولاد محمد بن مسعود			
140	126	المخابشة مخادمة			
	126	المخابشة 121 124			
	124	مدنين قبيلة			
<u>حرف : ل</u>			<u>حرف : ل</u>		
	138	أولاد لامة اللامعة		138	أولاد لامة
	131	اللطيفة "أولاد عبد اللطيف" لعليات		222	أولاد لعامي بالمكتاسي
	229				

121	119	المكاشرة	130	المداخلة	119	89	75	المرازيق أولاد مرزوق
124	137	المكارزة	134	المقاكلة	131	129	121	120
262	125	ملا ماتيّة	124	الملالة	138			المراغنية 130
130	143	المناعة	116	المليكات	283			مرداس 136
139	121	أولاد منصور	138	منصور	138			مرغنة 125
	68	أولاد منصور شمال تونس			71			بنو مريم 75
124		المهابيل	138	المنصوري	123			مزاتة 103
124		أولاد مهدي	121	المهاملة	138			أولاد مزبو 128
125	125	المؤانسة	118	المواعدة	126			المساعية 131 147
140	137	126	123	أولاد موسى	137	135	126	أولاد مسعود
	142	133	128	أولاد مولاة	147	134	15	مسفونة 118
		129	128	أولاد مياسة	125			أولاد مسلم 123
183	129	أولاد ميداني	137	أولاد مية	128			المصاييح 135
177		الميزابية	121	أولاد ميرة	130	127	118	138
128		أولاد ميلود	137	الميعادي 138	220	171	147	146
								141 139
								أولاد مصطفى الزبيديين 129
					138	134	133	132
								مصغونة 132
					135	110		مضربون - مضرية 110
					103			المطاوي 123
					103	97	75	51
					159	158	122	115
					265			40
								مطماطة - غمراسن 40
					181			
								المعارنة 140
					116			
								أولاد معروف 141
					128			
								المغاربة 174
					121	77		
								المقابلة 124

حرف : ن

138		التجار	132	أولاد الناصر
	139	137	121	أولاد نصر
132		أولاد نصير	128	أولاد نصر بن عون
126	121	75	نقات	النطاطحة 125
34	33	19		نفزواة - منطقة - قبيلة
55	52	50	47	42
103	97	95	88	83
133	132	129	128	120
182	181	178	158	152
291	289	288	260	192

حرفا : و - ي					137	النفنوف	138	النفيسة
					126	النقاقة	133	النقر
					130	النمامشة	144	140 139 137
					106	النوافلية		
					126	النوايل	126	122 77 75
					129	أولاد النوبلي	53	النوميد
					125	أولاد نوير	121	أولاد نويسر
					138	النيد		
حرف : هـ					118	أولاد الهادف	138	أولاد الهاني
					118	الهائلة	137	الهفاقة
					64	هلال - هلالون - بنو هلال	62	61 52 59
					111		99	69 67 66
					131		128	126 114 112
					137		136	134 133 132
					145		143	142 141 139
					125	الهلة	159	158 147 146
					66	الهامة	115	100 75 74
					116		184	183 133 132
					142	الهامة الرضوانين	115	الهامة الشراقة
					115	الهامة الغرابة	141	هامة النوافلية
					137	همامي	175	الهونود 125
					103	هواره	138	الهوامل 132
					75	الودارنة	124	96
					177	وراقلة	75	ورشفانة
					69	قبيلة ورغمة	123	97
					126	وريمة "الصوالح"	329	126
					126	وريمة جنزور		
					126	وريمة لعجيلات		
					153	الوصفان - الزنوج	157	157
					124	الوطاوط		
					123	الوعرة	125	أولاد الويني
					132	الوقادة	137	أولاد الولابي
					56	الوندال	148	103 105 57
					139	أولاد ونيس	177	وهارنة
					142	الوهاهبة	116	أولاد وهيبة
					121	أولاد يحيى		
					73	أولاد يعقوب	88	77 75
					100		121	119
					110	العرب اليمنية القحطانية العاربة		
					56	اليهود	149	147 114 59
					150		232	209 164 159
					148	يهود القرانا	148	يهود ليفورن
					116	أولاد يوسف	146	128 124

فهرس الشعوب والدول والجماعات والمجموعات

حرفا : أ - ب					حرفا : ح - خ				
الإباضية	131	174	231	255	الحرس التونسي	90			
الإسلام	58	62	149	151	الحركة الوطنية التونسية	251			
	212	213	294		الحزب الدستوري التونسي	251			
إمارة بني جلاب-الإمارة الجلابية-إمارة تقرت	71				الحزب الدستوري الجديد	90			
	77	78	80	83	حزب الشعب	90			
إمارة الشاذلية	68	99	257	258	الخلافة الإسلامية - الخلافة العباسية	59			
أمازيغ - أمازيغية	110	100	108		الخلافة العثمانية	257			
إيالة التونسية	72	88	100	209					
إيالة الجزائر	72	77	78	196					
إيالة طرابلس	88								
بإلك الشرق "قسنطينة"	77	78							
بروقنصلية "الولاية الرومانية بإفريقيا"	54								
بيرو عرب	95								
بيزنطة - الإمبراطورية	57	58							
حرف : ج					حرف : د - ر				
جَدِّي - قايد الوصفان "الزنوج"	157				دعاة الإسماعيلية	59			
الجلابة - تجار العبيد	154				الدولة الحسينية	74	245	281	
الجنس الآري "الهند-أوربي"	109				الدولة الحفصية	100	257		
الجنس القوقازي	109				الدولة الزيرية	60	158		
جيش التحرير التونسي	89				الدولة العثمانية	80	248	277	
جيش التحرير الجزائري	89				الدولة الفاطمية	59			
جيش تحرير المغرب العربي	89				الدولة المرادية	68	72		
جيش السوافة	90				الديانة اليهودية	114			
الجيش الفرنسي	89				الرهبان	56	105	148	
حرف : ش					حرف : ز - ح				
					شيخ العرب	70			
					شيخ الفرجان "بالرديف"	229			
					الشيعة - المذهب الشيعي	60	255		

حرف : ص - ط					حرف : م				
86	85	الصباحية فرقة عسكرية			241	متصوفة			
120	77	صف شداد/ الصف الباشي			207	167	165	160	مستوطنون-معمر
120	77	صف يوسف/ الصف الحسيني			209				
		الصهيونية 198			199	198	167	164	المسلمون 149
294	284	256	255	الطريقة البوعلية	237				
250	233	149	71	الطريقة التجانية	91	مشيخة الأعشاش			
280	279	277	275	273 272	91	مشيخة المصاعبة			
	279	295	284	283 281	90	المعارضة اليوسفية			
272	267	264	262	الطريقة الخلوتية	127	93	مقيدة الأعشاش		
267	266	262	الطريقة الرحمانية - العزوية		91	مقيدة أولاد سعود			
	294	270	269		91	مقيدة البهيمه			
			262	الطريقة السهروردية	91	مقيدة الدبيلة			
			257	الطريقة الشابية	91	مقيدة قمار-غمرة			
			257	الطريقة الشاذلية	93	مقيدة المصاعبة			
			272	الطريقة الطيبية	98	93	المكاتب العربية -المكتب العربي		
244	183	149	71	الطريقة القادرية		93	ملحقة الوادي		
284	277	273	272	255 249		52	مملكة زناتة		
حروف : ع - ق - ل					241	الموحدون			
93	169	عمالة قسنطينة			40	موسوعة غينيس للأرقام القياسية			
		قرباجي 189			95	الميعاد مجلس أعيان القبيلة			
		قوات اللغيف الأجنبي 95			حرفا : و - ي				
		القوم: فرقة عسكرية 95			93	بلدية الوادي الأهلية ثم المختلطة			
198	175	159	151	الكيان الصهيوني - إسرائيل	90	اليوسفيين	290	151	اليهودية
				لجنة التنسيق والتنفيذ الجزائرية 90					

فهرس المراكز والتنظيمات الثقافية والدينية

زاوية بنزرت التجانية 278					<u>حرفا : ب - ث</u>				
زاوية تاغزوت التجانية 276					بيت الشريعة 258 261 294				
الزاوية التجانية 85 205 228 247					ثانوية عبد العزيز الشريف 225				
327 282					<u>حرف : ج</u>				
زاوية تماسين 70 80 273 275					الجامع الأزهر 171 172 196 231 262				
279 278					جامع أولاد خليفة 204				
زاوية توزر القادرية 211 325					جامع بن تمون المرداسي السليمي 136				
زاوية الخنقة 264 الزاوية الرحمانية العزوية 211					جامع جبيرات 204 جامع الحسين حمادي 204				
زاوية سيدي سالم الرحمانية العزوية 224 231					جامع زاوية سيدي سالم 204				
269 271 295 234 205 326					جامع سيدي المسعود 204 220 231				
زاوية الشاوش صالح التجانية 278					جامع الظهارة بالوادي 204 جامع علي بشين 197				
زاوية شختون 197					جامع الفركوس-الفرع الزيتوني بتوزر 211 216				
زاوية صالح التجاني بوعراة التجانية 278					جامع كشاوة 197 الجامعة الإسلامية 267				
زاوية الصديق وأعراب 262					جامعة أورشليم 198 جائزة نوبل 198				
زاوية طرنجة التجانية 278					الجمعية الخلدونية 210				
زاوية طولقة العزوية 231 264 268					جمعية صيانة مدينة توزر 118				
زاوية عبدة التجانية -زاوية الباي 279					جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 71 170 202				
زاوية العثمانية 265					224 226 230 243 250 266				
زاوية عميش التجانية 276					<u>حرف : ز</u>				
زاوية عميش القادرية 247					زاوية إبراهيم بن أحمد 224				
زاوية عين ماضي التجانية 275 276					زاوية أولاد جلال 265 زاوية آيت إسماعيل 264				
زاوية قمار التجانية 220 234 277 281					زاوية باب المغارة التجانية 278				
زاوية لقصر 265					زاوية باب منارة التجانية 278				
زاوية محمد التبانني نقطة 268									
زاوية مصطفى بن عزوز الرحمانية 234									

المذهب الصفري 59	زاوية منعة بالاوراس 245
مسجد الأصفر بالزقم 228	زاوية المولى حسن 197
مسجد الزاوية القادرية بتوزر 325	زاوية المولدي بوعرقية 232
مسجد سيدي بوعلي 256	زاوية نقطة الرحمانية 75 326
مسجد سيدي سالم 220	زاوية نقطة القادرية 142 234
مسجد سيدي المسعود 225	زاوية نقطة العزوزية 271
مسجد ضيف الله بنقطة 224	زاوية الهامل بوسعادة 265
مسجد العتيق بسوق الوادي 261	زاوية الوادي التجانية 276
مسجد العدواني "مسجد العتيق بالزقم 228	زاوية الوادي القادرية 95 224 250 254
المسجد النبوي 173	الزيتونة - الجامع الأعظم 90 95 116
مسجد النخلة 220	167 170 196 182 202 203
معبد "الغريبة" بجزيرة جربة 148	204 205 209 210 211 212
معهد ابن باديس 292	213 214 220 222 224 231
المعهد الزيتوني بتوزر 211	232 236 249 250 252 268
مقبرة الأعشاش بالوادي 232	272 277 279
مقبرة سيدي احمد بالعاصمة 263	
مقبرة الشايبية بالبياضة 134	
حرفا : ن - ي	
نادي الترقى بالجزائر العاصمة 226	
النصاري 106 149	
اليونسكو 153	
	حروف : ش - ك - م
	الشلحة-لهجة بربرية 110 122
	كيس النقب 152
	كيس يهود الصحراء بباريس 152
	كنيسة قديسة الانتصار 197
	مدرسة الأهالي 199
	مدرسة الصادقية 87 210
	مدرسة سعدودي 205
	مدرسة القروي 205
	المذهب الإباضي 59
	مذهب الإسماعيلية الشيعي 59 60

فهرس المؤلفات والمجرائد

- كتاب "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي 241
- كتاب "إرشاد الحيارى، وتحذير المسلمين من تعليم أولادهم في مدارس النصارى" ليوسف النبهاني 202
- كتاب "البحر الطافح" 230
- كتاب "تأملات في المسألة اليهودية" 198
- كتاب "التحرير والتنوير" لابن عاشور 167 222
- كتاب "التقويم الجزائري" لمحمد الساسي معامير 228 230
- كتاب "جمهرة الانساب" لابن حزم الاندلسي 111
- كتاب "الجواهر الحسان في بعض ما يتعلق بالمعلمين والمتعلمين من حملة القرآن" 221
- كتاب "جواهر المعاني" لمؤلفه علي حرازم 279
- كتاب "الحكم العطائية" لابن عطاء السكندري 272
- كتاب "الرحمة في الطب والحكمة" للسيوطي 221
- كتاب "الرماح" لعمر بن سعيد الفتوي 279
- كتاب "الصروف في تاريخ الصحراء وسوف" لابراهيم العوامر 183 146 136 127 52 21
- 254 246 221
- كتاب "المسائل العامرية" 230
- كتاب "مشاهداتي في قسنطينة" لمعامير 230
- كتاب "الموطأ" للإمام مالك 60
- كتاب "مونغرافيا سوف" لأندرى فوازان 201
- كتاب "مواهب الكافي على التبر الصافي" للعوامر 221 230
- متن ابن عاشور في الفقه 228 220
- متن الاجرومية في اللغة 228 220
- مجلة "السعادة العظمى" 231
- جريدة "عمل الشعب" 168
- جريدة الليالي 170
- مجلة "المغرب" 168
- جريدة المغرب العربي 202

فهرس الأحداث الكبرى

خط الليمس	54	اتفاقية باردو	87
عيد العرش المغربي	168	احتفال سيدي مرزوق - بابا مرزوق - بوسعدية	156
عين جالوت	109	256	
غزوة العبادلة	58	الاحتلال الاستيطاني	175
غزوة العيون	62	الاحتلال الفرنسي	100
قانون الأهالي	163	الأزمة العالمية	181
محنة التجنيس	223	الاستعمار الأوربي	81 100 175
معاهدة باردو	87	الحروب البونية	54
مندبة الهاليلين	62	تجارة العبيد	153 155
مؤتمر الصومام	90	التجنيد الاجباري	163 165 249
نظرية "الحلول" للحلاج	241	تغريبة الهاللية	64
نظرية "الفناء" للبسطامي	241	ثورة التحرير الجزائرية	89 90
نظرية "وحدة الوجود" لابن عربي	241	الثورة التونسية	89
الهجرة الهاللية	14 60 62 99	الحرب العالمية الأولى	176 181 248 277
هدة عميش الأولى	145 104 249	الحرب العالمية الثانية	171 173 181 201 227 252 277

فهرس المسطحات المائية

43	وادي الحلوف	47	35	البحر الأبيض المتوسط		
43	وادي الفريد	38	36	35	29	شط الجريد
43	وادي المالح	117	47	44	43	
105	61	43	38	36	29	شط الغرسة
			117	47	44	
43	وادي أم التمر				29	شط مروانة
52	وادي تلمين	32	29	19		شط ملغين
43	وادي فم				29	شطوط وادي ريغ
43	وادي كوتين				109	مضيق جبل طارق
258	وادي مشنتل				43	وادي الثالجة
43	وادي الزاس				64	وادي الجرمانية
					43	وادي الخنقة

فهرس الخرائط والرسومات البيانية

- خريطة تبين منطقة الدراسة 12
- خريطة أقاليم الجنوب التونسي 304
- خريطة الأردن تبين موقع بلدة وادي سوف التابعة لمحافظة جرش 299
- خريطة التساقط بالمغرب العربي 303
- خريطة أهم الأماكن المذكورة في البحث 307
- خريطة أهم عروش منطقة وادي سوف - الجزائر 309
- خريطة أهم عروش وقبائل الجنوب التونسي 308
- خريطة تبين بعد مدينة وادي سوف عن خليج قابس 302
- خريطة تبين بعد منطقة سوف عن أقرب ساحل جزائري (مدينة عنابة) 302
- خريطة تبين طول منطقة الجنوب التونسي 305
- خريطة تبين طول منطقة وادي سوف 300
- خريطة تبين عرض منطقة الجنوب التونسي 305
- خريطة تضاريس البلاد التونسية 306
- خريطة خطوط الطول ودوائر العرض لمنطقة الدراسة 300
- خريطة طرق وادي سوف إلى خارجها 301
- خريطة هجرة السوافة 316
- أعمدة بيانية لتطور مؤسسات التعليم الفرنسي في سوف بين 1903-1947م 201
- أعمدة بيانية تبرز تطور الجالية الجزائرية بمدينة تونس في الفترة (1921-1938) . 177
- منحني بياني يمثل معدلات درجات الحرارة بوادي سوف بين سنتي 1920-1928 24
- منحني بياني يوضح تعداد العمال السوافة بمناجم الفوسفات في تونس في الفترة (1914-1954) 180

فهرس الموضوعات

01	مقدمة
الفصل الأول: الموقع الجغرافي وأثره في ربط العلاقات بين المنطقتين	
12	خريطة لمنطقة الدراسة
	أولاً: إقليم وادي سوف
13	1- التسمية ومعانيها
17	2- الموقع والحدود
19	3- التضاريس ومظاهر السطح
22	4- الخصائص المناخية
29	5- خصائص الغطاء النباتي وأنواعه
32	6- الحيوانات وأنواعها
ثانياً: إقليم الجنوب التونسي	
33	1- التسمية ومعانيها
34	2- الموقع والحدود
35	3- التضاريس ومظاهر السطح
38	4- الخصائص المناخية
43	5- الغطاء النباتي وأنواعه
45	6- الحيوانات وأنواعها
47	خلاصة الفصل

الفصل الثاني: الإطار التاريخي وتأثيره في ربط العلاقات بين المنطقتين

أولا - مرحلة ما قبل الفتح الإسلامي

- 1- أول السكان ببلاد المغرب 51
- 2- الفينيقيون أقدم الوافدين 53
- 3- الوجود الروماني "أول المحتلين" 54
- 4- الاحتلال الوندال بمباركة الأهالي 56
- 5- البيزنطيون ومحاولة استرجاع مجد روما 57

ثانيا- من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الوسيط

- 1- الفتح الإسلامي 57
- 2- الدولة الفاطمية ببلاد المغرب 59
- 3- الهجرة الهلالية وتعريب المنطقة 60
- 4- القبائل العربية من الجنوب التونسي إلى سوف 64
- 5- أهل سوف والأحداث السياسية بتونس 68

ثالثا: المنطقة أثناء العهد العثماني

- 1- وضع منطقة سوف-الاستقلالية والانقسام 70
- 2- السيطرة العثمانية على الجنوب التونسي 72
- 3- الفتنة الباشية الحسينية في تونس 74
- 4- سوف بين الإيالة العثمانية والإمارة الجلابية 76

رابعاً: الاستعمار الفرنسي بالمنطقة

- 1- إحتلال منطقة سوف 81
- 2- تثبيت الحكم الفرنسي بسوف 84
- 3- الفرنسيون بالجنوب التونسي 87
- 4- تآزر سكان سوف والجنوب التونسي ضد الاحتلال 89
- 5- التنظيم الإداري بوادي سوف 91
- 6- التنظيم الإداري بالجنوب التونسي 94
- خلاصة الفصل 99

الفصل الثالث: التركيبة السكانية وأصل السكان

أولاً- عمران المنطقة

- 1- السكان الأوّل 102
- 2- الوجود العربي 103
- 3- تعرّب الأمازيغ 107

ثانياً: أصل السكان

- 1- البربر الأمازيغ 108
- 2- القبائل العربية 110
- 3- إشكالية الطرود 111
- شجرة القبائل العربية 113

ثالثا: التركيبه السكانيه

- 1- العرب والبربر بالجنوب التونسي 114
- أ- البربر بمناطق الجنوب 114
- ب- المجموعات القبليه 115
- 2- العرب والبربر بوادي سوف 127
- 2-1 حقيقه أصل سكان وادي سوف: 145
- 3- الطائفة اليهوديه بالمنطقتين 147
- 4- الزوج بسوف والجنوب التونسي 153
- 5- الأجانب 157
- خلاصه الفصل 158

الفصل الرابع: الهجرات البشريه بين المنطقتين

- 1- دوافع الهجرة السوفيه 163
- 2- اتجاهات هجرة أهل سوف 168
- أ- الهجرة الداخليه 169
- ب- الهجرة الخارجيّه عدا تونس 171
- ج- الهجرة إلى تونس خاصه مناطق الجنوب 174
- 3- هجرة أهل الجنوب التونسي لوادي سوف 182
- 4- الوضع الاجتماعي للمهاجرين السوافه بالجنوب التونسي 184
- 5- النشاط المهني لفئة السوافه بتونس 188
- 6- الضوابط المتحكمه في مهاجري وادي سوف بالقطر التونسي 189
- 7- التأثير الاجتماعي والثقافي للهجرة إلى الجنوب التونسي على أهل سوف 190

192	 خلاصة الفصل
-----	-------------------

الفصل الخامس: البعثات العلمية وزارات العلماء

195	 1- أوضاع التعليم في الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي
196	 2- السياسة الاستعمارية تجاه التعليم العربي الإسلامي
199	 3- المنظومة التعليمية بوادي سوف
199	 أ- التعليم الرسمي الفرنسي
203	 ب- التعليم العربي الإسلامي "القرآني"
205	 4- واقع التعليم في تونس
208	 أ- التعليم الإسلامي العربي "الزيتوني"
209	 ب- مدارس القرآن العصرية
209	 ج- التعليم الفرنسي
210	 د- التعليم الفرنسي-العربي
210	 5- المراكز العلمية بالجنوب التونسي مقصد الطلبة السوافة
211	 6- البعثات العلمية من سوف نحو الجنوب التونسي
212	 6-1 أسبابها
216	 7- الرحلات العلمية بين المنطقتين
218	 8- أبرز طلبة وادي سوف بالجنوب التونسي
226	 9- تأثير طلبة سوف الدارسين بالجنوب التونسي
230	 10- زيارات العلماء
234	 11- الطرق الصوفية والتواصل العلمي
236	 خلاصة الفصل

الفصل السادس: الطرق الصوفية ودورها في تمثين العلاقات بين المنطقتين

أولا - التصوف والطرق الصوفية	240
ثانيا - الطريقة القادرية	244
1- الطريقة القادرية في الجنوب التونسي ووادي سوف	245
2- التواصل الطريقي القادري بين المنطقتين	252
ثالثا - الطريقة البوعلية	255
رابعا - الطريقة الشابية	257
التواصل الطريقي الشابي بين المنطقتين	260
خامسا - الطريقة الرحمانية	262
1- انتشار الطريقة الرحمانية بالجنوب التونسي	266
2- الطريقة الرحمانية بوادي سوف	269
3- التواصل الطريقي الرحماني بين المنطقتين	270
سادسا - الطريقة التجانية	272
1- انتشار الطريقة التجانية في وادي سوف	275
2- الطريقة التجانية في الجنوب التونسي	277
3- التواصل الطريقي التجاني بين المنطقتين	281
خلاصة الفصل	284
خاتمة (نتائج - توصيات)	286
الملاحق	298
ببليوغرافيا الأطروحة	336
فهرس الأعلام والأسماء	360
فهرس الأماكن والبلدان	369

376	فهرس القبائل والأعراش
387	فهرس الشعوب والدول والجماعات والمجموعات
389	فهرس المراكز والتنظيمات الثقافية والدينية
391	فهرس المؤلفات والجرائد
392	فهرس الأحداث الكبرى
393	فهرس المسطحات المائية
394	فهرس الخرائط والرسومات البيانية
395	فهرس الموضوعات

الحمد لله